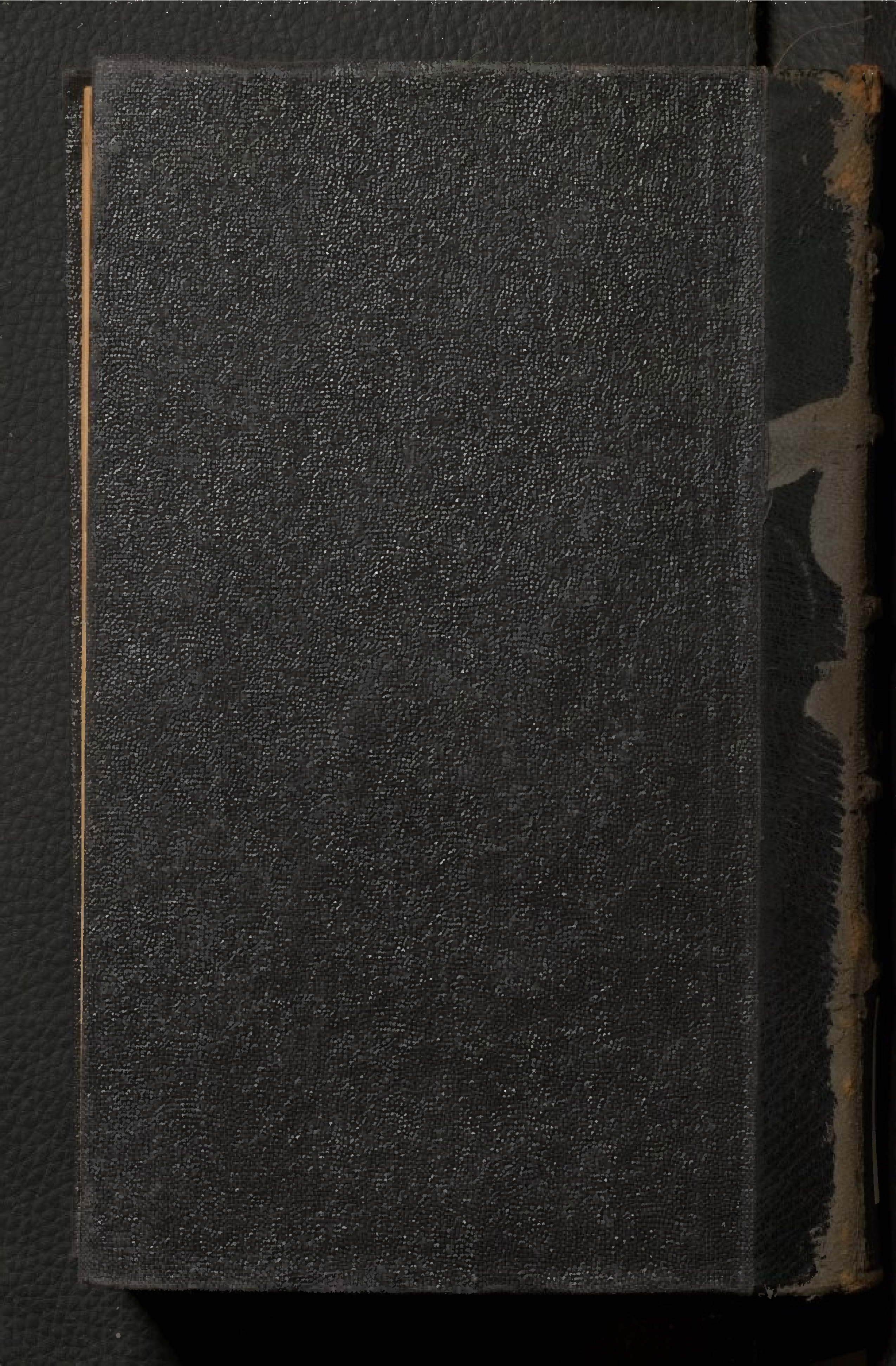
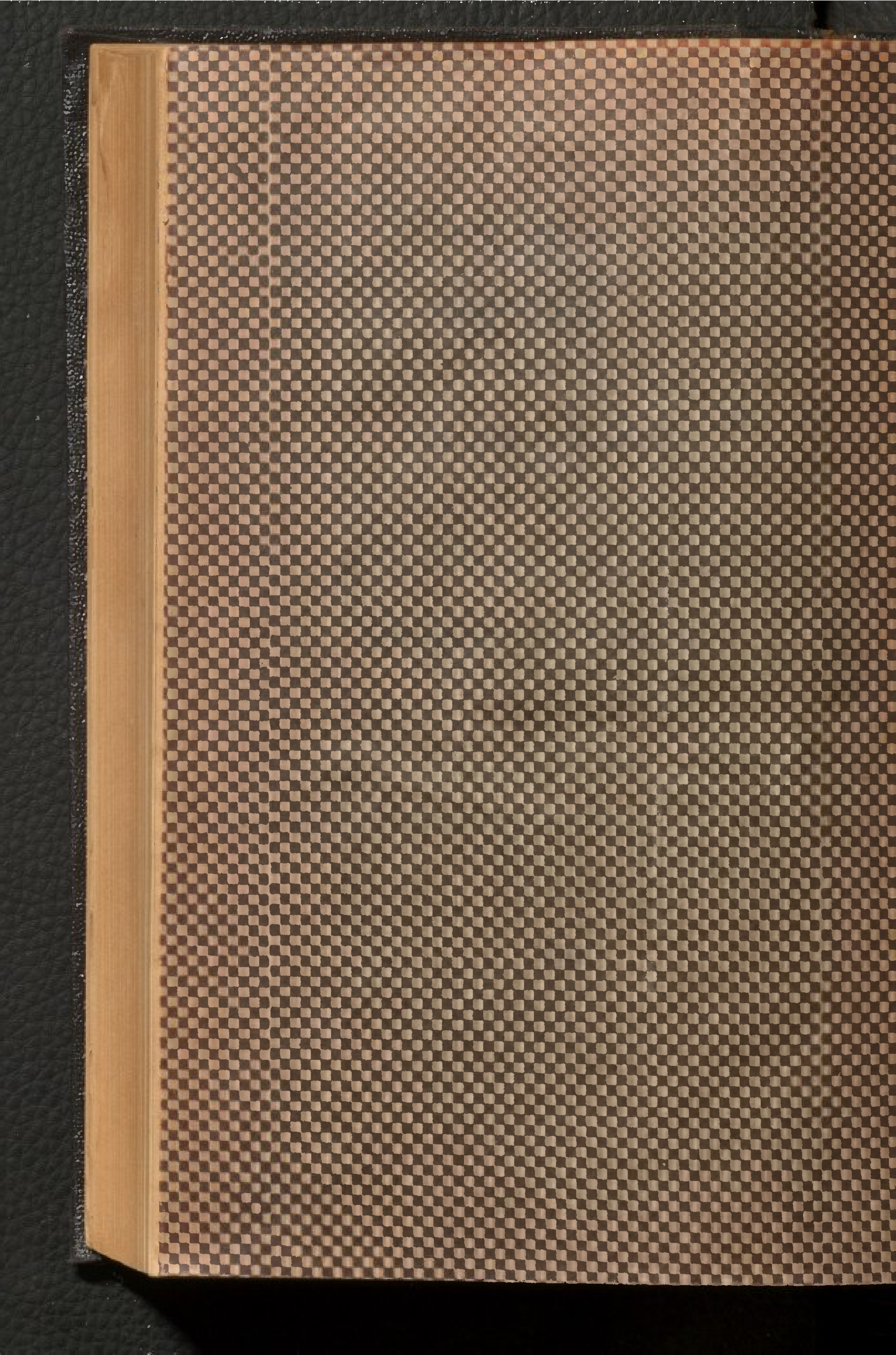
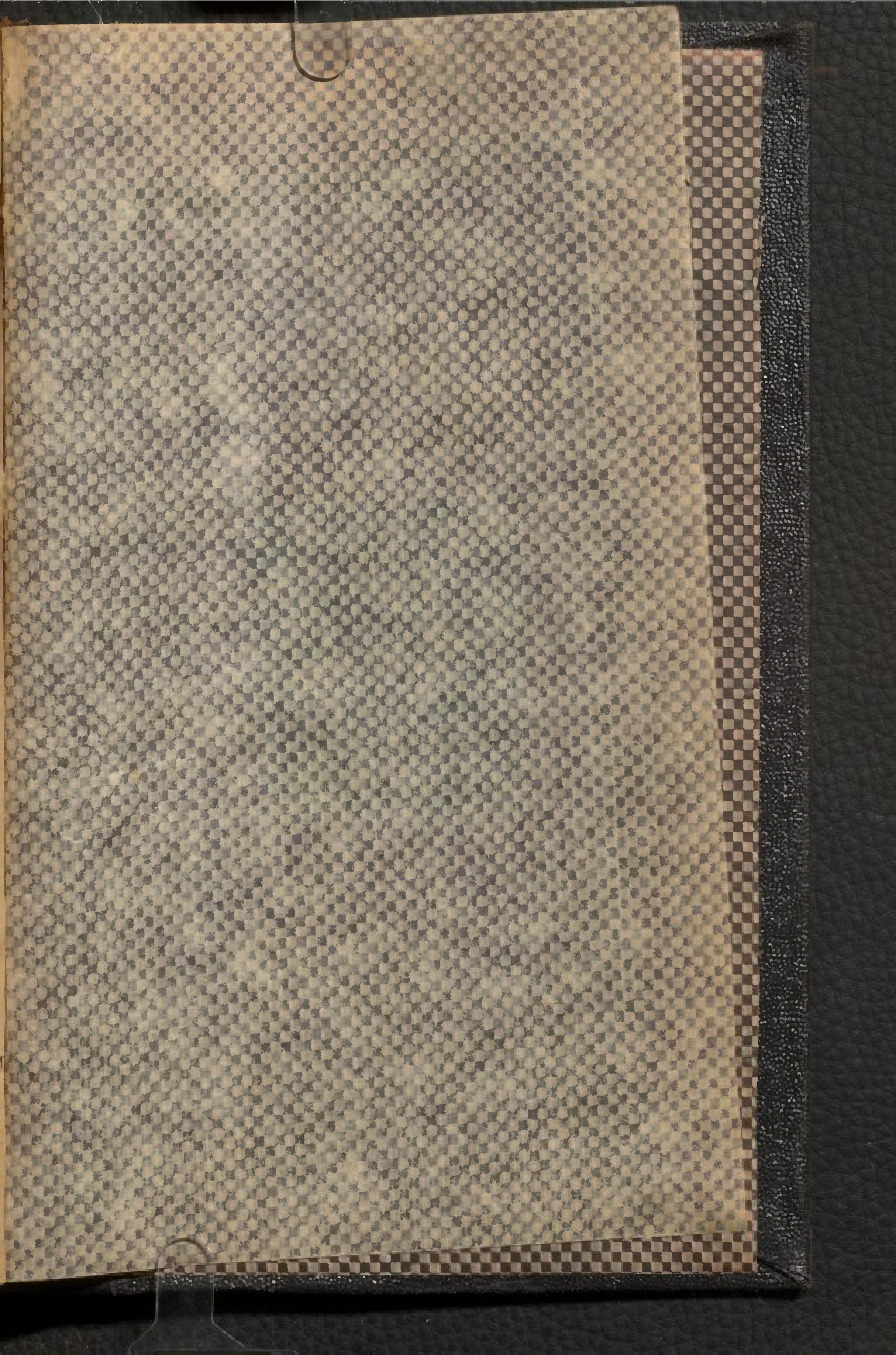






كتاب

Ta'lim wa-al-Irshad

التعليم والارشاد

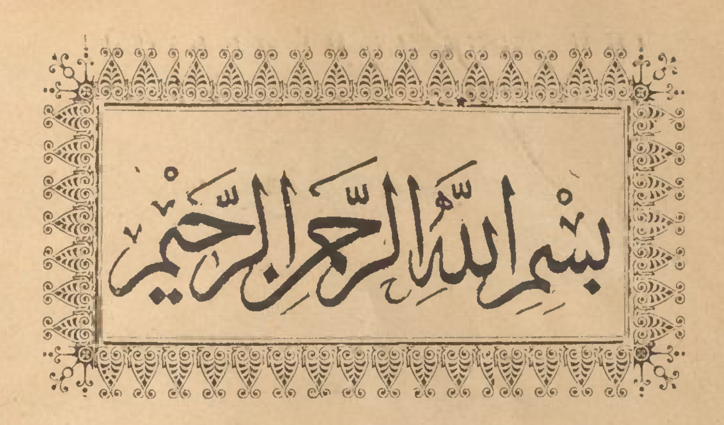
جمعه وصنفه بعض رجال الصوفية

[Al-Sayyid al-Bakri]

Taufiq al-Bakri

قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم

(القرآن الكريم)



١

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وأصحابه وتابعية وأحزابه (أما بعد) فهذا كتاب رسم ترتيبه ووضع شكله وتبويبه صاحب السماحة والسيادة والفضل والمجادة النحرير العلامة والمنطيق الفهامة السيد محمد توفيق البكري نقيب الاشراف وشيخ المشايخ الصوفية بالقطر المصري وأشار علينا بجمع مايلزم هذا التبويب من المواد المفيدة والنقول العديدة من مظانها في كتب أئمة المتقدمين ومهرة المتأخرين ليكون سفراً جامعاً يقرؤه مشايخ الصوفية وخلفاؤهم للمريدين ويستعينون به على ارشاد أولئك الطالبين والسالكين فقمنا بهذا العمل خدمة لهذا الدين المبين وجماعة المسلمين ونسأل الله ان ينفع به بمنه وكرمه



في بيان التعليم والارشاد

التعليم هو ايداع المعارف في النفس والارشاد هو الحث على العمل بما تعلم قال تعالى في انهاض الناس الى التعليم (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون) وقال سبحانه في الحث على الارشاد (ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر)

ثم انه للحصول على المعلومات طريقان طريق النظر والاستدلال وطريق

قال الامام الغزالي (يكون طريق المجاهدة بانقطاع علائق الدنيا بالكلية وتفريغ القلب منها وبقطع الهمة عن الاهل والمال والولد والوطن وعن العلم والولاية والجاه بل يصير قلبه الى حالة يستوي فيها وجود كل شيء وعدمه ثم يخلو بنفسه في زاوية مع الاقتصار على الفرائض والرواتب ويجلس فارغ القلب مجموع الهم ولا يفرق فكره بقراءة قرآن ولا بالتأمل في تفسير ولا بكتب حديث ولا غيره بل يجتهد أن لايخطر

الرياضة والكشف وقد سلك طريق الرياضة كثير من مشايخ الصوفية ورجح آخرون الطريق الاول

بباله شيء سوى الله تعالى فلا يزال بعد جلوسه في الخلوة قائلا بلسانه الله الله على الدوام مع حضور القلب حتى ينتهي الى حالة يترك تحريك اللسان ويرى كأن الكلمة جارية على لسانه ثم يصبر عليه الى أن يمحى أثره عن اللسان ويصادف قلبه مواظباً على الذكر ثم يواظب عليه الى أن يمحى عن القلب صورة اللفظ وحروفه وهيئة الكلمة ويبقى معنى الكلمة مجرداً في قلبه حاضراً فيه كأنه لازم له لايفارقه وله اختيار الى أن ينتهي الى هذا الحد في استدامة هذه الحالة بدفع الوسواس وليس له اختيار في استجلاب رحمة الله تعالى بل هو مما فعله صار متعرضاً لنفحات رحمة الله فلا يبقى الا الانتظار لما يفتح الله من الرحمة كما فتحها على الأنبياء والاولياء بهذا الطريق وعند ذلك اذا صدقت ارادته وصفت همته وحسنت مواظبته فلم تجاذبه شهواته ولم يشغله حديث النفس بعلائق الدنيا تلمع لوامع الحق في قلبه ويكون في ابتدائه كالبرق الخاطف لا يثبت ثم يعود وقد يتأخر وان عاد فقد يثبت وقد يكون مختطفاً وان ثبت وقد يطول ثباته وقد لا يطول وقد يتظاهر أمثاله على التلاحق وقد يقتصر على فن واحد ومنازل أولياء الله تعالى فيه لا تحصر كما لا يحصى تفاوت خلقهم وأخلاقهم وقد رجع هذا الطريق الى تطهير محض ثم انتظار وأما ذوو الاعتبار فلم ينكروا وجود هذا الطريق وامكانه وافضاؤه الى هذا المقصد على الندور فانه أكثر أحوال الانبياء والاولياء ولكن استوعروا هذا الطريق واستبطؤا ثمرته واستبعدوا استجماع شروطه وزعموا أن محو العلائق الى ذلك الحد كالمتعذر وان حصل في حال فثباته أبعد منه اذا دنا وسواس وخاطر يشوش القلب وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قلب المؤمن أشد تقلباً من القدر في غليانها وقال عليه أفضل الصلاة والسلام قلب المؤمن بين اصبعين من أصابع الرحمن وفي أثناء هذه المجاهدة قد يفسد المزاج ويختلط العقل ويمرض البدن واذا لم يتقدم رياضة النفس وتهذيبها بحقائق العلوم تشبثت بالقلب خيالات فاسدة تطمئن النفس اليها مدة طويلة الى أن يزول وينقضى العمر قبل النجاح فيها فكم من صوفي سلك هذا الطريق ثم بقي في خيال واحد عشرين سنة ولو كان قد اتقن العلم من قبل لانفتح له وجه التباس ذلك الخيال في الحال فالاشتغال بطريق التعلم

والعلوم والمعارف كثيرة ولكن منها ما يجب على كل انسان أن يحيط بشيء منه قل أو كثر وبعد ذلك يختص اذا شاء من أنواع العلوم بما يريد أن يتبحر فيه . وهذه العلوم الضرورية لكل أحد هي العقائد والعبادات وتدبير النفس بما في ذلك (الفضائل والرذائل والعادات) وتدبير الجسم وتدبير المنزل وتدبير الأمة وتدبير المال

ولم يراع المعلمون هذا الترتيب في التعليم بل كثيراً ما قدموا عليها في تعليم الناشئة مالا يفيدهم في دين ولا دنيا حتى قال بعض الحكماء ان اكثر ما نتعلمه في الصغر انما نتعلمه لننساه

ولهذا نرى الطلبة في كل مكان يعلمون كثيراً مما لا يحتاجون اليه ويجهلون مايلزمهم معرفته ويحتاجون للعمل به فى كل يوم وقد فطن الامام الغزالي لشيء من هذا فقال (ولو سئل فقيه عن معنى من هذه المعاني حتى عن الاخلاص مثلا أو عن التوكل أو عن وجه الاحتراز عن الرياء لتوقف فيه مع انه فرض عينه الذي في اهماله هلاكه في الآخرة ولو سألته عن اللعان والظهار والسبق والرمى لسرد عليك مجلدات من التفريعات الدقيقة التي تنقضي الدهور ولا يحتاج الى شيء منها وان احتيج لم تخل البلد عمن يقوم بها ويكفيه مؤنة التعب فيها فلا يزال يتعب فيها ليلا ونهاراً وفي

اوثق وأقرب الى الغرض وقالوا ان ذلك يضاهي مالو ترك الانسان تعلم الفقه وزعم أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يتعلم ذلك وصار فقيهاً بالوحي والالهام من غير تكرير وتعليق فانا أيضاً ربما انتهى بي الرياضة والمواظبة اليه ومن ظن ذلك فقد ظلم نفسه وضيع عمره بل هو كمن يترك طريق الكسب والحراثة رجاء العثور على كنز من الكنوز فان ذلك ممكن ولكنه بعيد جداً اه

حفظه ودرسه ويغفل عما هو مهم نفسه في الدين واذا روجع فيه قال اشتغلت به لانه علم الدين وفرض الكفاية ويلبس على نفسه وعلى غيرها والفطن يعلم انه لو كان غرضه أداء حق الامر من فرض الكفاية لقدم عليه فرض العين بل قدم عليه كثيراً من فروض الكفايات فكم من بلدة ليس فيها طبيب الا من أهل الذمة ولا يجوز قبول شهادتهم فيما يتعلق بالاطباء من أحكام الفقه ثم لا نرى أحداً يشتغل به ويتهاترون على علم الفقه لاسيما الخلافيات والجدليات والبلد مشحون من الفقهاء بمن يشتغل بالفتوى والجواب عن الوقائع فليت شعري كيف يرخص فقهاء الدين في الاشتغال بفرض كفاية قد قام به جماعة واهمال مالا قائم به هل لهذا سبب الا أن الطب ليس يتيسرا الوصول به الى تولي الاوقاف والوصايا وحيازة مال الايتام وتقلد القضاء والحكومة والتقدم به على الاقران والتسلط به على الاعداء هيهات هيهات قد اندرس علم الدين بتلبيس العلماء السوء فالله تعالى المستعان اه

ولهذا المعنى رتبنا أبواب هذا الكتاب على التقسيم المتقدم بيانه

هذا ما يتعلق بالتعليم وأما الارشاد فهو بمنزلة التعليم من الاهمية ولبيان ذلك نقول ان للتربية ثلاث مدارس مدرسة العائلة ومدرسة التعليم ومدرسة الدنيا والمبادئ السائدة في هذه المدارس الثلاث متناقضة الآن فما تعلمه الواحدة تنقضه الاخرى

قال بعض الفضلاء ولا شك ان المدرستين الاولى والثانية هما الاساس الذي تشيد على دعائمه آثار التربية في المدرسة الثالثة . ولكن مع ذلك فانه اذا لم تتفق مبادئ المدرسة الثالثة وتعاليمها مع المدرستين السابقتين تكون

الغلبة للاخيرة لانها أشد تأثيراً وأكثر ارتباطاً بالصوالح الذاتية والاغراض النفسية التي يسقط امامها كل معقول ومفهوم .

ومهما اختلفت المبادئ والتعاليم في العائلة والمدرسة فهي كلها ترمي الى الفضائل وتهذيب الاخلاق ولكن مبادئ المدرسة الثالثة واسعة متشعبة تتسع مسافة الخلف فيها الى درجة ان يعتبر النور ظلاماً والظلام نوراً والحق باطلا والباطل حقاً والتواضع رذيلة والكبر فضيلة والاستقامة عاراً والخداع مهارة والختل شطارة والغرور أبهة ومقاماً والنفاق سياسة والرياء حكمة وهلم جرا

فاذا خرج الناشئ من مدرسة التعلم متشبعاً بالفضيلة متشحاً برداء الادب والكمال مقتنعاً بأن صفات العمل والاستقامة والتقى وأمثالها هي التي ترقي بالانسان الى درجات النبل بالعلم . والجاه بالفضل . والمكانة السامية في النفوس بالشرف . والعزة بالمال . ورأى العظيم الذي ترنو له العيون ويشير اليه البنان والمتربع في صدور المجالس وأمثاله قد وصلوا الى هذه الدرجة العالية لا بالجد والاجتهاد . ولا بالتقوى والفضيلة . ولا بالعلم والعمل . ولكن بالنفاق والرياء . والغش والخداع والنصب والاحتيال . والسفالة والدناءة فانه يقف باهتاً حائراً — تمسك المبادئ المدرسية بأذياله وتقوده مصلحته وحب الجاه والمال والشهوات النفسانية بعنانه . وكلها قوية شديدة تسحبه رويداً رويداً خطوة فخطوة حتى تسوقه في طريقها .

واذا خرج الناشئ من المدارس كما وصفت فلم يجد للعلوم أندية مشيدة . ولا أمة للواء الادب رافعة . ولا قوماً يحترمون العالم . ولا أناساً يجلون النابغ ولا مجالس غير مجالس اللهو والغرور والسفاسف والمفاسد . ضحى

بعلمه ومعارفه طوعاً أو كرهاً وعاشر الناس وشاركهم فيما يحبون . وجالسهم على مايستحسنون وهكذا يندمج كل ناشيء في أمة بعدان يفقد آدابه ومعارفه اهـ

فلهذا وجب أن يكون في الامة رجال أقاموا أنفسهم مرشدين يختص كل منهم بفئة من الناس يلازمهم ويراقب أعمالهم ويردهم الى الفضيلة عن الرذيلة والى الصواب عن الخطأ ولا ينقطع أثر تهذيبه وتقويمه عنهم مدي العمر ولما كان مشايخ الصوفية وخلفائهم هم الذين انتدبوا للارشاد بين الناس فهم فرسان هذا الميدان ورجال هذا المعترك وعليهم المعوّل في التقويم والتثقيف . وقد كان لهم في ذاك الايادي البيضاء قديما وحديثاً .



باب العقائد

(الفصل الاول في الايمان والاسلام)

قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي انزل من قبل الآية وفي صحيح مسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم اذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس الى النبي صلى الله عليه وسلم فاسند ركبتيه الى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وقال يا محمد اخبرني عن الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الاسلام أن تشهد أن لا اله الا الله وان محمداً رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلا قال صدقت فعجبنا له يسأله ويصدقه قال فاخبرني عن الايمان قال ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره قال صدقت قال فاخبرني عن الاحسان قال ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك قال فاخبرني عن الساعة قال ما المسؤل عنها باعلم من السائل قال فاخبرني عن أمارتها قال ان تلد الامة ربتها وان ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان ثم انطلق فلبثت ملياً ثم قال لي ياعمر أتدري من السائل قلت الله ورسوله اعلم قال فانه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم وفي الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وان محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فاذا فعلوا

ذلك عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحق الاسلام وحسابهم على الله تعالى وعن سفيان بن عبد الله رضي الله عنه قال قلت يارسول الله قل لي في الاسلام قولا لا أسأل عنه احداً غيرك قال قل امنت بالله ثم استقم رواه مسلم وروي الترمذي عن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن عبد حتى يؤمن بأربع يشهد أن لا إله الا الله واني رسول الله بعثني بالحق ويؤمن بالموت ويؤمن بالبعث بعد الموت ويؤمن بالقدر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الايمان بضع وسبعون شعبة فافضلها قول لا اله الا الله وأدناها إماطة الاذى عن الطريق والحياء شعبة من الايمان وقال من شهد أن لا اله الا الله وحده لاشريك له وان محمداً عبده ورسوله وان عيسى عبد الله ورسوله وابن امته وكلمته القاها الى مريم وروح منه والجنة حق والنار حق ادخله الله الجنة على ماكان من العمل وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامن أحد يشهد ان لا اله الا الله وان محمداً عبده ورسوله صدقا من قلبه الاحرمه الله على النار يعني حرم عليه الخلود والبشر في الاكثر متفقون على أن لهذا العالم إلهاً هو خالقه ومدبره ومهما جعل له بعضهم من شركاء وشفعاء بجهله فهو لا يزال يعتقد بان لكل هذه الاسباب مسبباً هو الله سبحانه وتعالى قال الله تعالى (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن العزيز العليم) وقال تعالى (قل من يرزقكم من السماء والارض ام من يملك السمع والابصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الامر فسيقولون الله فقل افلا تتقون)

﴿ الفصل الثاني ﴾

(في عقيدة أهل السنة)

وهي أنه تعالى وتقدس واحد لا شريك له فرد لا مثل له صمد لا ضد له منفرد لا ند له وانه قديم لا أول له أزلي لا بداية له مستمر الوجود لا آخر له أبدي لا نهاية له قيوم لا انقطاع له دائم لا انصرام له لم يزل ولا يزال موصوفاً بنعوت الجلال لا يقضى عليه بالانقضاء والانفصال بتصرم الآباد وانقراض الآجال بل هو الاول والآخر والظاهر والباطن (التنزيه) وأنه ليس بجسم مصور ولا جوهر محدود مقدر وانه لا يماثل الاجسام لا في التقدير ولا في قبول الانقسام وانه ليس بجوهر ولا تحله الجواهر ولا بعرض ولا تحله الاعراض بل لا يماثل موجودا ولا يماثله موجود وليس كمثله شيء ولا هو مثل شيء وأنه لا يحده المقدار ولا تحويه الاقطار ولا تحيط به الجهات ولا تكتنفه الارض والسموات وانه مستو على العرش على الوجه الذي قاله وبالمعنى الذى أراده استواء منزها عن المماسة والاستقرار والتمكن والحلول والانتقال لا يحمله العرش بل العرش وحملته محمولون بلطف قدرته ومقهورون في قبضته وهو فوق العرش وفوق كل شيء الى تخوم الثرى فوقية لا تزيده قرباً الى العرش والسماء كما لا تزيده بعداً عن الارض والثرى بل هو رفيع الدرجات عن العرش كما انه رفيع الدرجات عن الثرى وهو مع ذلك كله قريب من كل موجود وهو أقرب الى العبيد من حبل الوريد وهو على كل شيء شهيد اذ لا يماثل قربه قرب الاجسام كما لا تماثل ذاته ذات الاجسام وانه لا يحل في شيء ولا يحل فيه شيء تعالى عن ان يحويه مكان كما تقدس عن ان يحده زمان بل كان قبل ان يخلق

الزمان والمكان وهو الآن على ما عليه كان وانه بائن من خلقه بصفاته ليس في ذاته سـواه ولا في سواه ذاته وانه مقدس عن العوارض من التغيير والانتقال لا تحله الحوادث ولا تعتريه العوارض بل لا يزال في نعوت الجلال منزها عن الزوال وفي صفات كماله مستغنيا عن زيادة الاستكمال وانه في ذاته معلوم الوجود بالعقول مرئي الذات بالابصار نعمة منـه ولطفاً بالابرار في دار القرار واتماماً منه للتنعيم بالنظر الى وجهه الكريم « الحياة والقدرة » وانه حي قادر جبار قاهر لا يعتريه قصور ولا عجز ولا تأخذه سنة ولا نوم ولا يعارضه فناء ولا موت وانه ذو الملك والملكوت والعزة والجبروت له السلطان والقهر والخلق والامر والسموات مطويات بيمينـه وانه المنفرد بالخلق والاختراع المتوحد بالايجاد والايداع خلق الخلق وأعمالهم وقدر ارزاقهم وآجالهم لا تحصي مقدوراته ولا تتناهي معلوماته « العلم » وانه عالم بجميع المعلومات محيط علمه بما يجري من تخوم الارضين الى أعلى السموات لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء بل يعلم دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء ويدرك حركة الذر في جو الهـواء ويعلم السر وأخفى ويطلع على هواجس الضمائر وحركات الخواطر وخفيات السرائر بعلم قديم أزلي لم يزل موصوفاً به في أزل الآزال لا بعلم متجدد حاصل فى ذاته بالحلول والانتقال « الارادة » وانه تعالى مريد للكائنات مدبر للحادثات فلا يجري في الملك والملكوت قليل او كثير صغير او كبير خير أو شر نفع او ضر ايمان او كفر عرفان او نكر فوز او خسران زيادة او نقصان طاعة او عصيان كفر او ايمان الا بارادته وبقضائه وقدره وحكمته ومشيئته لا يخرج عن مشيئته لفتة ناظر ولا فلتة خاطر فما

شاء كان وما لم يشأ لم يكن فهو المبدىء المعيد الفعال لما يريد لا راد لحكمه ولا معقب لقضائه ولا مهرب لعبد عن معصيته الا بتوفيقه ورحمته ولا قوة له على طاعته الا بمحبته وارادته لو اجتمعت الانس والجن والملائكة والشياطين على ان يحركوا في العالم ذرة او يسكنوها دون ارادته ومشيئته لعجزوا عنه وان ارادته قائمة بذاته في جملة صفاته لم يزل كذلك موصوفاً به مريداً في ازله لوجود الاشياء في اوقاتها التي قدرها فوجدت في اوقاتها كما قدرها وارادها في ازله من غير تقدم ولا تأخر دبر الامور كلها لا بترتيب أفكار وتربص زمان فلذلك لم يشغله شأن عن شأن (السمع والبصر) انه تعالى سميع بصير يسمع ويرى ولا يعزب عن سمعه مسموع وان خفي ولا يغيب عن رؤيته مرئي وان دق ولا يحجب سمعه بعد ولا يدفع رؤيته ظلام يرى من غير حدقة ولا اجفان ويسمع من غير اصمخة وآذان كما يعلم بغير قلب ويبطش بغير جارحة ويخلق بغير آلة اذ لا تشبه صفاته صفات الخلق كما لا تشبه ذاته ذوات الخلق « الكلام » وانه تعالى متكلم آمر ناه واعد متوعد بكلام ازلي قديم قائم بذاته لا يشبه كلامه كلام الخلق فليس بصوت يحدث من انسلال هواء او اصطكاك اجرام ولا بحرف ينقطع باطباق شفة أو تحريك لسان وأن القرآن والتوراة والانجيل والزبور كلامه وكتبه المنزلة عن رسله وان القرآن مقروء بالالسنة مكتوب في المصاحف محفوظ في القلوب وانه مع ذلك قديم قائم بذات الله لا يقبل الانفصال والافتراق بالانتقال الى القلوب والاوراق وان موسى عليه السلام سمع كلام الله بغير صوت ولا حرف كما ترى الابرار ذات الله تعالى من غير جوهر ولا عرض اذا كانت له هذه الصفات كان حياً عالماً قادراً مريداً

سميعاً بصيراً متكلما بالحياة والعلم والقدرة والارادة والسمع والبصر والكلام لا بمجرد الذات « الافعال وانه لا موجود سواه الا وهو حادث بفعله) وفائض من عدله على احسن الوجود واكملها واعدلها واتمها وانه حكيم في فعاله عادل في اقضيته لا يقاس عدله بعدل العباد فان العبد يتصور منه الظلم بتصرفه في ملك غيره ولا يتصور الظلم من الله تعالى فانه لا يصادف لغيره ملكا حتى يكون بتصرفه فيه ظلما فكل ما سواه من جن وانس وشيطان وملك وسماء وارض وحيوان ونبات وجماد وجوهر وعرض ومدرك ومحسوس وحادث اخترعه بقدرته بعد العدم اختراعا وانشأه بعد ان لم يكن شيئاً اذ كان في الازل موجوداً وحده ولم يكن معه غيره فاحدث الخلق اظهاراً لقدرته وتحقيقاً لما سبق من ارادته ولما حق في الازل من كلمته لا لافتقاره اليه وحاجته وانه متفضل بالخلق والاختراع والتكليف لا عن وجوب ومتطول بالانعام والاصلاح لا عن لزوم وانه لو صب عليهم العذاب صباً لكان منه عدلا وانه يثبت عباده على الطاعات كرما لا بالاستحقاق واللزوم وانه وجب حقه بالطاعة بايجابه على لسان انبيائه لا بمجرد العقل ولكن بعث الرسل واظهر صدقهم بالمعجزات الظاهرة فبلغوا امره ونهيه ووعده ووعيده

فوجب على الخلق تصديقهم فيما جاؤا به « معنى الكلمة الثانية » وهي الشهادة للرسول صلوات الله وسلامه عليه وانه تعالى بعث الرسول النبي الامي الهادي القرشي محمداً صلى الله عليه وسلم برسالته الى كافة العرب والعجم والجن والانس فنسخ بشرعه الشرائع الا ما قرر وفضله على سائر الانبياء وجعله سيد البشر ومنع كمال الايمان بشهادة التوحيد وهو قول لا إله الا

الله مالم يقترن بها شهادة الرسول صلى الله عليه وسلم وهو قولك محمد رسول الله والزم الخلق تصديقه في جميع ما اخبر عنه من الدنيا والآخرة ويؤمن بالبعث والنشور وانه تعالى يحيي العظام وهي رميم كما أنشأها أول مرة واذ يؤمن بأن الساعة حق وان الصراط حق ويؤمن بالحساب وتفاوت الخلق فيه الى مناقش في الحساب والى مسامح فيه والى من يدخل الجنة بغير حساب وهم المقربون ويسأل من شاء من الانبياء عن تبليغ الرسالة ومن شاء من الكفار عن تكذيب المرسلين ويسأل المبتدعة عن السنة ويسأل المسلمين عن الاعمال ويؤمن باخراج المؤمنين الموحدين من النار بعد الانتقام حتى لا يبقى في جهنم موحد بفضل الله تعالى ويؤمن بشفاعة الانبياء اه

﴿ الفصل الثالث ﴾

« في النبوة »

قد خص الله سبحانه وتعالى افراداً من صفوة الخليقة بالنبوة والرسالة يوحى اليهم بانه الله لا إله سواه وان النفوس تبعث بعد موتها وان من يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره وان الاعمال التي ترضي الله هي كذا والتي تغضبه هي كذا الخ ثم يأمرهم بتبليغ ذلك للناس وارشادهم اليه ومقاتلتهم عليه لان فيه صلاحهم وبقاؤهم فينتدبون لذلك ويدعون الناس اليه ويتحملون فيه الاذى والصعاب الهائلة من غير فائدة لاشخاصهم أو اجر غير رضى الله (قل لا أسألكم عليه أجراً) ولا يمتاز الرسول عن سائر البشر بشيء في خلقه الا بامتياز الفطرة وقبول الوحي « انما انا بشر مثلكم يوحى اليّ » ورأى بعضهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فارتعد خوفاً فقال له صلى الله عليه وسلم ما معناه هون عليك انما أنا ابن امرأة كانت تأكل

القديد وقد يؤيد الله الرسل بالمعجزات والاخبار بالمغيبات وليس شيء من ذلك من نوع المستحيل عقلا والناس محتاجون الى الرسل لانهم ليس لهم قدرة بأن يستقلوا بعقولهم في ادراك ما في عالم الغيب وشؤون الله سبحانه في خلقه

﴿ الفصل الرابع ﴾

« في القضاء والقدر »

قال الله تعالى كل شيء خلقناه بقدر وقال تعالى والله خلقكم وما تعملون وقال تعالى ومن يضلل الله فلا هادي له وقال تعالى وما تشاؤون الا ان يشاء الله وعن أبي خزامة عن أبيه قال قلت يا رسول الله أرأيت رقى نسترقيها ودواء نتداوى به وتقاة نتقيها هل ترد من قدر الله شيئاً قال هي من قدر الله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة لعنتهم لعنهم الله وكل نبي مجاب. الزائد في كتاب الله والمكذب بقدر الله والمتسلط بالجبروت ليعز من ازل الله ويذل من أعز الله والمستحل لحرم الله والمستحل من عترتي ما حرم الله والتارك لسنتي وعن عبد الله ابن مسعود قال قالت ام حبيبة رضي الله عنها اللهم متعني بزوجي رسول الله صلى الله عليه وسلم وبأبي أبي سفيان وباخي معاوية فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم قد دعوت الله بآجال معلومة وارزاق مقسومة وآثار مبلوغة لا يعجل شيء منها قبل حلها ولا يؤخر شيء منها بعد حلها فلو دعوت الله ان يعافيك او سألت الله ان يعيذك أو يعافيك من عذاب في النار او عذاب في القبر لكان خيراً أو لكان أفضل

وقد ذهبت فرقة من المسلمين الى ان الانسان له اختيار وذهبت فرقة أخرى الى انه مجبر ليس له اختيار ولكل أدلة من القرآن والحديث اخذنا بظاهرها . وذهبت فرقة أخرى الى ان له جزء اختياري

وقد تغلبت عقيدة الجبر على كثير من المسلمين فافقدت هممهم بالمرة لقولهم ان ما هو كائن لا مرد له فلا فائدة من العمل ولهذا قال بعضهم ان عقيدة القدر وكرامة الاولياء هما السببان اللذان اسقطا الامم الاسلامية لان من قال بالاولى لا يعتقد بالاسباب فلا يعمل والثاني يطلب اسباباً وراء الطبيعة في عالم الغيب فيترك الاسباب الطبيعية التي ترقي الامم

والحقيقة ان عقيده القدر من مواقف العقول ويجب ان يعتقد بها المسلم ويعمل في آن واحد ولا يطلب تفسيراً لامر هو فوق ادراكه وجاء في الشريعة ما يؤيد ذلك في قوله تعالى (فاذا عزمت فتوكل) فالتوكل ندب بعد العزم وأخذ الاسباب المقتضية له . وجاء ايضاً اعقلها وتوكل وأما كرامة الاولياء فيعتقد الانسان بها من غير ان يطلب ان تكون عوناً له في حاجاته الدنيوية لان الولاية لا يتخذها الولي صناعة ينفع بها زيداً ويضر عمراً بل لا يظهرها

﴿ الفصل الخامس ﴾

(في كرامات الاولياء)

قال بعضهم ظهور الكرامات على الاولياء جائز عقلا واقع نقلا أما جوازه عقلا فانه ليس بمستحيل في قدرة الله تعالى بل هو من قبيل الممكنات كظهور معجزات الانبياء هذا مذهب أهل السنة من المشائخ العارفين والنظار الاصوليين والفقهاء والمحدثين وتصانيفهم ناطقة بذلك ولا يصح

قول من يقـول ان ذلك يؤدي الى الالتباس بين الكرامات والمعجزات لان المعجزة يجب على النبي أن يتحدى بها ويظهرها والكرامة يجب على الولي ان يخفيها ويسرها الا عند ضرورة أو اذن او حال غالب لا يكون له فيه اختيار وما ذهب اليه الاستاذ أبو اسحق الاسفرائني رحمه الله من اثبات بعض الكرامات دون بعض فهو مخالف لمذهب الجمهور الصحيح المشهور وأما وقوع ذلك نقلا فقد جاء في القرآن والاخبار والاثار بالاسناد مايخرج عن الحصر والتعداد فمن ذلك ما اخبر الله عن مريم رضوان الله عليها بقوله عز وجل كلما دخل عليها زكريا المحراب الآية وقوله سبحانه لمريم وهزي اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنياً وكان في غير أوان الرطب كما جاء في التفسير وكذلك ما اخبر الله تعالى من العجائب على يد الخضر مع موسى عليه السلام وكذلك قصة ذي القرنين وتمكين الله سبحانه له مالم يمكنه لغيره وكذلك قصة أصحاب الكهف والاعاجيب التي ظهرت عليهم رضوان الله عليهم من كلام الكلب معهم وغير ذلك وكذلك قصة آصف بن برخيا رضي الله عنه مع سليمان صلى الله عليه وسلم في عرش بلقيس في قوله تعالى قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك وكل هؤلاء المذكورين ليسوا بانبياء ومن ذلك في الحديث المشهور في الصحيحين حديث جريج الراهب الذي كلمه الطفل في المهد حين قال له ياغلام من أبوك قال فلان الراعي ومن ذلك حديث أصحاب الغار الذين انطبقت عليهم الصخرة وهو حديث صحيح مذكور في الصحيحين ومن ذلك ماجاء في الصحيحين في أبي بكر الصديق مع ضيفه الذي قال فيه وأيم الله ما أكلنا لقمة الا ربي من أسفلها أكثر منها حتى شبعوا وصارت

أكثر مما كانت قبل ذلك ومن ذلك مافي الصحيحين ايضاً قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد كان فيما قبلكم من الامم محدثون فان يك في أمتي أحد فانه عمر ومن ذلك حديث خبيب المشهور وهو في صحيح البخاري ومن ذلك حديث البخاري في أسيد بن حضير وعباد بن بشر رضي الله عنهما الذي قال فيه خرجنا من عند النبي صلى الله عليه وسلم في ليلة مظلمة ومعهما مثل المصباحين بين أيديهما فلما افترقا صار مع كل منهما واحد حتى أتى أهله فان قيل مابال الصحابة رضي الله عنهم لم يشتهر عنهم من الكرامات الكثيرة مثل ما اشتهر عن الاولياء بعدهم فالجواب هو ان الكرامة قد يعطيها الله دون الفاضل للمفضول الذي جعل فيه استعداداً والناس في الكرامات مختلفون فمنهم من ينكرها مطلقا وهؤلاء أهل مذهب معروف وعن التوفيق مصروف ومنهم من يكذب كرامات أولياء زمانه ويصدق بكرامات الاولياء الذين ليسوا في زمانه كمعروف وهؤلاء كما قال الشاذلي والله ما هي الا اسرائيلية صدقوا بموسى وكذبوا بمحمد صلى الله عليه وسلم لانهم ادركوا زمنه وعن عائشة رضى الله عنها أن أبا بكر نحلها جداد عشرين وسقا من ماله بالغابة فلما حضرته الوفاة قال والله يابنية ما من الناس من احب الي غنى بعدي منك ولا اعز علي فقراً منك واني كنت نحلتك جداد عشرين وسقا فلو كنت جددتها وحزتها كان لك وانما هو اليوم مال وارث وانما هما اخواك وأختاك فاقسموه على كتاب الله قالت عائشة يا أبت لو كان كذا وكذا لتركته انما هي اسماء فمن الاخرى فقال ذو بطن بنت خارجة اراها جارية وبنت خارجة زوجته وكانت حاملا حين توفي فولدت بعده

ام كلثوم هذا وليس كل من ادعى الولاية تقبل منه أو كل مجذوب مختل العقل يصح ان يوصف بها

باب العبادات

﴿ الفصل الاول في الوضوء ﴾

(مذهب الامام أبي حنيفة)

(فروضه)

أربعة غسل الوجه وغسل اليدين مع المرفقين ومسح ربع الرأس وغسل الرجلين مع الكعبين

« سننه »

ثمانية عشر غسل اليدين ثلاثا الى الرسغين والتسمية والسواك في ابتدائه والمضمضة ثلاثا والاستنشاق ثلاثا والمبالغة فيهما لغير الصائم وتخليل اللحية الكثة بكف ماء من اسفلها وتخليل الاصابع وتثليث الغسل واستيعاب الرأس بالمسح مرة ومسح الاذنين ولو بماء الرأس والدلك والولاء والنية والترتيب كما نص الله في كتابه والبداءة بالميامن ورؤس الاصابع ومقدم الرأس ومسح الرقبة لا الحلقوم وقيل ان الاربعة الاخيرة مستحبة

﴿ مذهب الامام مالك ﴾

« فروضه سبعة »

النية عند غسل الوجه وغسل الوجه وغسل اليدين الى المرفقين ومسح

جميع الرأس وغسل الرجلين الى الكعبين والفور والتدليك

« سننه ثمانية »

غسل اليدين اولا الى الكوعين والمضمضة والاستنشاق والاستنثار وهو جلب الماء من الانف ورد مسح الرأس ومسح الاذنين ظاهرهما وباطنهما وتجديد الماء لهما وترتيب فرائضه

« فضائله سبعة »

التسمية والموضع الطاهر وقلة الماء بلا حد ووضع الاناء على اليمين ان كان مفتوحاً والغسلة الثانية والثالثة اذا اوعب بالاولى والبدء بمقدم الرأس والسواك .

(مذهب الامام الشافعي)

«فروضه ستة »

النية عند غسل الوجه وغسل الوجه وغسل اليدين مع المرفقين ومسح بعض الرأس وغسل الرجلين مع الكعبين والترتيب على ما ذكرناه

« سننه عشرون »

التسمية وغسل الكفين والمضمضة والاستنشاق ومسح جميع الرأس ومسح الاذنين ظاهرهما وباطنهما بماء جديد غير بلل الرأس وتخليل اللحية الكثة وتخليل اصابع اليدين والرجلين وتقديم اليمنى على اليسرى والطهارة ثلاثا ثلاثا والموالاة واطالة الغر والتحجيل وترك الاستعانة بالصب عليه بغير

عذر وان يضع اناء الماء عن يمينه ان كان يغترف منه وعن يساره ان كان يصب منه كالابريق وترك الكلام بلا حاجة وتوقى الرشاش والبداءة بأعلى الوجه ودلك الاعضاء وترك التنشيف بلا عذر وان يبدأ بأصابع يديه ورجليه ان غسل بنفسه وان صب عليه غيره بدأ بأعلاهما

(في الغسل)

« مذهب ابي حنيفة »

(فروضه ثلاثة)

المضمضة والاستنشاق وغسل جميع البدن

« سننه اثنى عشر »

الابتداء بالتسمية والنية وغسل اليدين الى الرسغين وغسل نجاسة لو كانت على بدنه وغسل فرجه ثم يتوضأ كوضوئه للصلاة وبثلث الغسل ويمسح الرأس ولكنه يؤخر غسل الرجلين ان كان يقف في محل يجتمع فيه الماء ثم يفيض الماء على بدنه ثلاثا ولو انغمس في الماء الجاري او ماقي حكمه فقد اكمل السنة ويبتدئ في صب الماء برأسه ويغسل بعدها منكبه الايمن ثم الايسر ويدلك جسده ويوالي غسله

(مذهب الامام مالك)

« فروضه خمسة »

النية وتعميم الجسد بالماء ودلك جميع الجسد والفور وتخليل الشعر

« سننه اربعه »

غسل اليدين اولا الى الكوعين والمضمضة والاستنشاق ومسح صماخ الاذنين

﴿ فضائله ستة ﴾

البدؤ بازالة الاذى عن جسده ثم اكمال أعضاء وضوئه وغسل الاعالي قبل الاسافل وتثليث الرأس بالغسل والبدؤ بالميامن قبل المياسر وقلة الماء مع إحكام الغسل

﴿ مذهب الامام الشافعي ﴾

« فروضه اثنان »

النية وايصال الماء الى جميع الشعر والبشره

« سننه عشره »

التسمية والوضوء قبله وامرار اليد على الجسد والمولاة وتقديم اليمنى من شقيه على اليسرى وتخليل الشعر والتوجه للقبلة وكونه بمحل لا يناله منه رشاش والستر في الخلوة والتثليث

﴿ فصل في الصلاة ﴾

« مذهب أبي حنيفة »

فروضها سبعة

التحريمة والقيام والقراءة والركوع والسجود والقعود الاخير قدر التشهد والخروج بصنعه

(وواجباتها ثمانية عشر)

قراءة الفاتحة وضم سورة أو ثلاث آيات قصار أو آية طويلة بقدرها في ركعتين غير معينتين من الفرض وفي جميع ركعات الوتر والنفل وتعيين القراءة في الاوليين وتقديم الفاتحة على السورة وضم الانف للجبهة في السجود والاتيان بالسجدة الثانية في كل ركعة قبل الانتقال الى غيرها

والاطمئنان في الاركان والقعود الاول وقراءة التشهد فيه وقراءته في الجلوس الأخير والقيام الى الثالثة من غير تراخ بعد التشهد ولفظ السلام دون عليكم وقنوت الوتر وتكبيرات العيدين وتعيين التكبير لافتتاح كل صلاة لا العيدين خاصة وتكبيرة الركوع في ثانية العيدين وجهر الامام بقراءة الفجر وأولي العشاءين ولو قضاء والجمعة والعيدين والتراويح والوتر في رمضان والاسرار في الظهر والعصر وفيما بعد أولي العشاءين ونفل النهار والمنفرد مخير فيما يجهر كمتنفل بليل ولو ترك السورة في أولي العشاءين قراها في الآخريين مع الفاتحة جهراً ولو ترك الفاتحة لا يكررها في الأخريين

وسننها احدى وخمسون

رفع اليدين للتحريمة حذاء الاذنين للرجل والامة وحذاء المنكبين للحرة ونشر الاصابع ومقارنة احرام المقتدى لاحرام امامه ووضع الرجل يده اليمنى على اليسرى تحت سرته وصفة الوضع ان يضع باطن كف اليمنى على ظاهر كف اليسرى محلقاً بالخنصر والابهام على الرسغ ووضع المرأة يديها على صدرها من غير تحليق والثناء والتعوذ للقراءة والتسمية أول كل ركعة قبل الفاتحة والتأمين والتحميد والاسرار بها والاعتدال عند التحريمة من غير طأطأة الرأس وجهر الامام بالتكبير والتسميع وتفريج القدمين في القيام قدر اربع اصابع وان تكون السورة المضمومة للفاتحة من طوال المفصل في الفجر والظهر وهو من الحجرات الى البروج ومن أواسطه في العصر والعشاء وهو من كورت الى الضحى ومن قصاره في المغرب وهو ما بعد الضحي الى الآخر وهذا في المقيم واما المسافر فيقرأ اي سورة شاء واطالة الاول في الفجر فقط وتكبير الركوع وتسبيحه ثلاثاً وأخذ ركبتيه

يديه وتفريج اصابعه والمرأة لاتفرجها ونصب ساقيه وبسط ظهره وتسوية رأسه بعجزه والرفع من الركوع والقيام بعده مطمئنا ووضع ركبتيه ثم يديه ثم وجهه للسجود وعكسه للنهوض وتكبير السجود وتكبير الرفع وكون السجود بين كفيه وتسبيحه ثلاثاً ومجافاة الرجل بطنه عن فخذيه ومرفقيه عن جنبيه وذراعيه عن الارض وانخفاض المرأة ولذقها بطنها بفخذيها والقومة والجلسة بين السجدتين ووضع اليدين على الفخذين فيما بين السجدتين كحالة التشهد وافتراش رجله اليسرى ونصب اليمنى وتورك المرأة والاشارة بالمسبحة عند الشهادة يرفعها عند النفي ويضعها عند الاثبات وقراءة الفاتحة فيما بعد الاولين والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في الجلوس الاخير والدعاء بما يشبه الفاظ القرآن والسنة لا كلام الناس والالتفات يميناً ثم يساراً بالتسليمتين ونية الامام الرجال والحفظة وصالح الجن بالتسليمتين ونية المأموم امامه في جهته وان حاذاه نواه في التسليمتين مع القوم والحفظة وصالح الجن ونية المنفرد الملائكة فقط وخفض الثانية عن الاولى ومقارنته لسلام الامام والبداءة باليمين وانتظار المسبوق فراغ الامام

(آدابها)

اخراج الرجل كفيه من كميه عند التكبير ونظر المصلي الى موضع سجوده قائماً والى ظاهر القدم راكعاً والى ارنبة انفه ساجداً والى حجره جالساً والى المنكبين مسلماً ودفع السعال ما استطاع وكظم فمه عند التثاؤب والقيام حين حي على الفلاح وشروع الامام في القيام عند قد قامت الصلاة

﴿ مذهب الامام مالك ﴾

فروضها ثلاثة عشر

النية وتكبيرة الاحرام والقيام لها وقراءة الفاتحة والقيام لها والركوع والرفع منه والسجود والرفع منه والجلوس من الجلسة الاخيرة بقدر السلام والسلام المعرف بالالف واللام والطمأنينة والاعتدال

وسننها اثنتا عشرة

السورة بعد الفاتحة في الركعة الاولى والثانية والقيام لها والسر فيما يسر فيه والجهر فيما يجهر فيه وسمع الله لمن حمده للامام والمنفرد والجلوس الاول والزائد على قدر السلام من الجلوس الثاني ورد المقتدي على امامه السلام وكذلك رده على من على يساره ان كان على يساره احد والسترة للامام والفذ ان خشي ان يمر احد بين يديهما والتشهد

وفضائلها عشرة

رفع اليدين عند تكبيرة الاحرام وتطويل قراءة الصبح والظهر وتقصير قراءة العصر والمغرب وتوسط العشاء وقول ربنا لك الحمد للمقتدي والفذ والتسبيح في الركوع والسجود وتأمين الفذ والمأموم مطلقاً وتأمين الامام في السر فقط والقنوت قبل الركوع في الصبح خاصة

﴿ مذهب الامام الشافعي ﴾

فروضها ثلاثة عشر

النية والقيام مع القدرة وتكبيرة الاحرام وقراءة الفاتحة وبسم الله الرحمن

الرحيم آية منها والركوع مع الطمأنينة فيه والاعتدال مع الطمأنينة فيه والسجود مرتين مع الطمأنينة فيه والجلوس بين السجدتين مع الطمأنينة فيه والجلوس الاخير والتشهد فيه والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فيه والتسليمة الاولى وترتيب فروضها على ماذكر وسننها قبل الدخول فيها شيئان الاذان والاقامة وبعد الدخول فيها.

القنوت في الصبح في اعتدال الركعة الثانية وفي اعتدال الركعة الاخيرة من الوتر في النصف الثاني من شهر رمضان والصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه بعد التشهد الاول والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بعده والصلاة على آلال بعد التشهد الاخير وكل هذه لو ترك شيء منها يجبر بسجود السهو

وهيآتها التي لايجبر تركها بسجود السهو خمسة عشر

رفع اليدين عند تكبيرة الاحرام وعند الركوع والرفع منه ووضع اليمين على الشمال تحت صدره مائلتين الى الجهة اليسرى ودعاء الافتتاح والاستعاذة والجهر في موضعه والاسرار في موضعه والتأمين عقب الفاتحة وقراءة السورة بعد الفاتحة والتكبيرات عند الخفض وعند الرفع من غير الركوع وقول سمع الله لمن حمده عند الرفع من الركوع وربنا لك الحمد في الاعتدال والتسبيح في الركوع بسبحان ربي العظيم ثلاثاً والتسبيح في السجود بسبحان ربي الاعلى ثلاثا ووضع اليدين على الفخذين في الجلوس يبسط اليسرى ويقبض اليمنى الا المسبحة فانه يشير بها رافعا لها عند قوله إلا الله في التشهد والافتراش في جميع الجلسات بأن يجلس على كعب رجله

اليسرى جاعلا ظهرها للارض ناصبا لليمنى جاعلا طرف أصابعها للقبلة والتورك في الجلسة الاخيرة وهو كالافتراش الا أن المصلي يخرج يساره على هيئتها في الافتراش من جهة يمينه ويلصق وركه بالارض والتسليمة الثانية والرجل يجافي مرفقيه عن جنبيه في ركوعه وسجوده والمرأة تضم بعضها الى بعض فيهما

(فصل في الخشوع في الصلاة)

قال الله تعالى قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من امريء مسلم تحضره صلاة مكتوبة فيحسن وضوءها وخشوعها وركوعها الا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب مالم يأت كبيرة وذلك الدهر كله رواه مسلم . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليصلي الصلاة ولعله لايكون له منها الا عشرها أو تسعها أو ثمنها أو سبعها أو سدسها حتى أتى على الصلاة رواه ابن حبان في صحيحه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى ركعتين لم يحدث نفسه فيهما بشيء من الدنيا غفر له ماتقدم من ذنبه وقالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم نحدثه ويحدثنا فاذا حضرت الصلاة فكأنه لم يعرفنا ولم نعرفه اشتغالا بعظمة الله عز وجل ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يعبث بلحيته في صلاته فقال لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس للعبد من صلاته الا ماعقل وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجلين من أمتي ليقومان الى الصلاة وركوعهما وسجودهما واحد وان بين صلاتهما مابين السماء والارض وقال أبو الدرداء رضي الله عنه من فقه الرجل أن يبدأ بحاجته قبل دخوله في الصلاة ليدخل في الصلاة وقلبه فارغ وروى أن عمر رضي الله عنه قال يوماً

على المنبر ان الرجل ليشيب عارضاه في الاسلام وما أكمل صلاته لله تعالى قيل وكيف ذلك قال لايتم خشوعها وتواضعها واقباله على الله تعالى فيها قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام رحمه الله في أماليه ينبغي للمصلي أن يشتغل بما هو فيه فاذا قرأ آية وعيد حزن وخاف من عذاب الآخرة او آية وعد رجا رحمة ربه عز وجل او آية فيها تعظيم لله عز وجل عظمه واعرض عن الخوف والرجاء ثم على هذا يكون في سائر اركان الصلاة يقوم في كل ركن بما هو فيه دون ماسواه

(فصل في آداب يوم الجمعة وصلاتها)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جاء أحدكم الجمعة فليغتسل رواه البخاري ومسلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لايغتسل رجل يوم الجمعة ويتطهر ما استطاع من طهر ويدهن من دهنه او يمس من طيب بيته ثم يخرج فلا يفرق بين اثنين ثم يصلي ما كتب له ثم ينصت اذا تكلم الامام الاغفر له مابينه وبين الجمعة الاخرى رواه البخاري وقال ابن القيم في الهدى لما كان يوم الجمعة في الاسبوع كالعيد في العام وكان العيد يشتمل على صلاة وقربان وكان يوم الجمعة يوم صلاة جعل الله سبحانه وتعالى التعجيل فيه الى المسجد بدلا عن القربان وقائما مقامه فيجتمع للرائح فيه الى المسجد الصلاة والقربان قال الغزالي رحمه الله في الاحياء الساعة الاولى الى طلوع الشمس والثانية الى ارتفاعها والثالثة الى انبساطها حتى ترمض الاقدام والرابعة والخامسة بعد الضحى الاعلى الى الزوال وفضلها قليل ووقت الزوال حق الصلاة ولا فضل فيه قال الغزالي وفي الخبر اذا كان يوم الجمعة قعدت الملائكة على ابواب المساجد بايديهم صحف من فضة وأقلام من ذهب يكتبون الاول فالاول على

مراتبهم قال الغزالي وكان في القرن الاول ترى الطرقات سحراً وبعد الفجر مملوءة من الناس يمشون في السرج ويزدحمون فيها الى الجامع كايام العيد حتى اندرس ذلك وأول بدعة أحدثت في الاسلام ترك البكور الى الجامع يوم الجمعة وكيف لايستحي المسلمون من اليهود والنصارى وهم يبكرون الى البيع والكنائس يوم السبت ويوم الاحد وطلاب الدنيا يبكرون الى رحاب الجامع للبيع والشراء والربح فلم لايسابقهم طلاب ربح الاخرة فقد قيل ان الناس يوم القيامة يكونون في قربهم عند النظر الى وجه الله تعالى على قدر بكورهم الى الجمعة دخل ابن مسعود رضي الله عنه بكرة الى الجامع فرأى ثلاثة نفر قد سبقوه بالبكور فاغتم لذلك وجعل يعاتب نفسه ويقول لها رابع اربعة وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقلم اظفاره ويقص شاربه يوم الجمعة قبل أن يخرج الى الصلاة وعنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اغتسل يوم الجمعة ولبس من احسن ثيابه ومس من طيب ان كان عنده ثم أتي الجمعة فلم يتخط اعناق الناس ثم صلى ما كتب الله له ثم أنصت اذا خرج امامه حتى يفرغ من صلاته كانت كفارة لما بينها وبين جمعته التي قبلها وعن عبد الله ابن بسر بالسين المهملة رضي الله عنه قال جاء رجل يتخطى رقاب الناس فقال له النبي صلى الله عليه وسلم اجلس فقد آذيت وآنيت أي تأخرت وابطأت وعن ابن عمر رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى أن يقام الرجل من مجلسه ويجلس فيه ولكن تفسحوا وتوسعوا رواه البخاري ومسلم ولمسلم كان ابن عمر اذا قام له رجل عن مجلسه لم يجلس فيه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام احدكم من مجلسه ثم رجع اليه فهو أحق به رواه مسلم

(فصل في ذم الوسواس)

عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال جاء اعرابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأله عن الوضوء فاراه ثلاثاً ثلاثاً وقال هذا الوضوء فمن زاد على هذا فقداساء وتعدى وظلم رواهأحمد والنسائيوابن ماجه وروى ابن ماجه أن النبي صلى الله عليه وسلم مر بسعد وهو يتوضأ فقال لا تسرف فقال يارسول الله أفي الماء اسراف قال نعم وان كنت على نهر جار وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان للوضوء شيطان يقال له الولهان فاتقوا وسواس الماء رواه الترمذي وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيكون في هذه الامة قوم يعتدون في الطهور والدعاء رواه أبو داود وقال زين العابدين لابنه يوماً يابني اتخذ لي ثوبا البسه عند قضاء الحاجة فاني رأيت الذباب يسقط على الشيء ثم يقع على الثوب ثم انتبه فقال وما كان للنبي صلى الله عليه وسلم واصحابه الا ثوب واحد فتركه قال الشيخ موفق الدين بن قدامة رحمه الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه ما كان فيهم موسوس ولو كانت الوسوسة فضيلة لادخرها الله لرسوله واصحابه وهو خير الخلق وافضلهم ولو ادرك رسول الله صلى الله عليه وسلم الموسوسين لمقتهم ولو أدركهم عمر رضي الله عنه لضربهم وادبهم ولوادركهم أحد من الصحابة لبدعهم

(فصل فيما يكره في المسجد)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أكل البصل والثوم والكراث فلا يقربن مسجدنا فان الملائكة تتاذى بما يتاذى به بنو آدم رواه مسلم وفي رواية الطبراني الفجل ايضاً قال ابن المنذر في الاقناع يحرم عليه الحضور والحالة هذه وجزم النووي في الروضة بان ذلك مكروه وعن عمر وبن شعيب عن

أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن تناشد الاشعار في المسجد وعن البيع والشراء وان يتحلق الناس يوم الجمعة قبل الصلاة في المسجد وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رأيتم من يبيع ويبتاع في المسجد فقولوا لاأربح الله تجارتك واذا رأيتم من ينشد فيه ضالة فقولوا لا ردها الله عليك حسنه الترمذي وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم جنبوا مساجدكم صبيانكم ومن سل سيوفكم ومن اقامة حدودكم ورفع أصواتكم وخصوماتكم واجمروها في الجمع واجعلوا على أبوابها المطاهر وقال سعيد بن المسيب من جلس في المسجد فانما يجالس ربه فحقه ان لا يقول الا خيراً وعن خلف بن أيوب أنه كان في المسجد فاتاه غلامه فسأله عن شئ فقام وخرج من المسجد ثم اجابه فقيل له في ذلك فقال ماتكلمت في المسجد منذ كذا وكذا سنة بكلام الدنيا فكرهت أن أتكلم اليوم فيه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم البصاق في المسجد خطيئة وكفارتها دفنها رواه البخاري ومسلم قال النووي والمراد بدفنها اذا كان المسجد ترابا أو رملا ونحوه فيواريها تحت ترابه أما اذا كان المسجد مبلطاً أو مجصصاً فدلكها عليه بمداسه او بغيره كما يفعله كثير من الجاهلين فليس ذلك بدفن بل زيادة في الخطيئة وتكثير للقذر في المسجد وعلى من فعل ذلك ان يمسحه بعد ذلك بثوبه او يده او غيره او يغسله وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أمرت بتشييد المساجد قال ابن عباس لتزخرفنها كما زخرفت اليهود والنصارى وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه مر بمسجد مزخرف فقال لعن الله من زخرفه أو قال لعن الله من فعل هذا المساكين أحوج من الاساطين وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام يكره كراهة شديدة تعليق العمر في

المسجد اذا كانت بحيث يراها المصلي وتهوش عليه فان كانت بحيث لاتهوش فلا بأس وقال بعض العلماء ينبغي الاحتراز عن الصلاة في المواضع المنقوشة فان النبي صلى الله عليه وسلم لما صلى في الخميصة التي لها أعلام نزعها وقال انها ألهتني آنفاً عن صلاتي وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يكون الغرباء في الدنيا اربعة قرآن في جوف ظالم ومسجد بين قوم لايصلون فيه ومصحف في بيت لايقرأ فيه ورجل صالح بين قوم سوء

فصل في الزكاة

(مذهب ابي حنيفة رضي الله عنه)

شروط وجوبها العقل في يوم في سنة والبلوغ فلا زكاة في مال صبي ومجنون والاسلام والحرية وملك النصاب وكمال الحول

(باب زكاة المال)

تجب في مائتي درهم فضة وعشرين مثقالا ذهباً ان حال عليها الحول في ملكه ولو حلي نساء ثم في زيادة خمس النصاب بحسابه وتجب في عروض التجارة ان بلغت قيمتها نصاباً وهوعشرون مثقالا ذهباً ومائتا درهم فضة ان كمل النصاب في طرفي الحول أي اوله وآخره وان نقص في أثنائه ويضم الذهب الى الفضة قيمة والواجب في ذلك كله ربع العشر وهو خمسه دراهم في الفضة ونصف مثقال في الذهب وان شاء اخرج في عروض التجارة من اعيانها باعتبار القيمة

(باب زكاة الفطر)

تجب على كل حر مسلم مكلف مالك لنصاب زكاة الذهب والفضة

المتقدم عند طلوع فجر يوم الفطر بشرط ان يكون النصاب فاضلا عن الدين وحاجته وحوائج عياله ويخرجها الشخص عن نفسه واولاده الصغار الفقراء لا عن زوجته وولده الكبير وهي نصف صاع من بر او دقيقه او سويقه وهو قدح وسدس بكيل مصر المعتاد او صاع من تمر او زبيب او شعير وهو قدحان وثلث وتجزئ قيمة ماذكر بل هي الافضل لانها انفع للفقير ووقت وجوبها طلوع فجر يوم الفطر فمن مات او افتقر قبله او اسلم او ولد اوعتق بعده لاتلزمه ويستحب اخراجها قبل صلاة العيد وبعد الفجر وصح تقديمها من اول الشهر ويعطي الشخص الواحد فطرته لفقير واحد وفي دفع فطرة واحدة لاكثر من فقير واحد خلاف ويجوز دفع ماعلى جماعة لواحد على الصحيح والله اعلم

(مذهب الامام مالك)

شروط وجوبها الاسلام والحرية وملك النصاب وتمام الحول ولايشترط البلوغ ولا العقل خلافا للامام ابي حنيفة

(باب زكاة المال)

تجب في عشرين مثقالا ذهبا ومائتا درهم فضة وفيما زاد بحسابه ولو درهما من فضة او دانقاً من ذهب والواجب ربع العشر وهو خمسة دراهم فضة او نصف مثقال ذهباً وتجب في عروض التجارة ان بلغت قيمتها آخر الحول نصاباً من ذهب او فضة هذا اذا عرف الحول فان لم يعرفه جعل لنفسه شهراً في السنة يقوم فيه ماعنده فيزكيه وان كان يتربص بها النفاق والاسواق لم يجب عليه تقويمها عند كل حول وان بقيت عنده سنين حتى يبيعها بذهب

او ورق فيزكيها لسنة واحدة ويجب الاخراج من قيمتها ولايجوزمن اعيانها والله أعلم

(زكاة الفطر)

تجب على كل حر مسلم قادر على ادائها في وقته ويخرجها عن نفسه وعن كل من تلزمه نفقته من المسلمين كوالديه الفقيرين وأولاده الذكور الى بلوغهم قادرين على الكسب والاناث الى الدخول بالزوج وزوجته أو زوجة ابيه الفقير وتجب بادراك جزء من رمضان وجزء من شوال والواجب فيها صاع من قوت البلد المخرج فيها والصاع قدح وثلث بالكيل المصري فالربع المصري يجزىء عن ثلاثة اشخاص ويشترط ان يكون الصاع فاضلا عن قوته وقوت من تلزمه نفقته يوم العيد ويندب اخراجها بعد الفجر وقبل صلاة العيد ويجوز تعجيلها قبل العيد بيوم أو يومين لا أكثر وتدفع لحر مسلم فقير لايملك قوت عامه غيرها شيء وجاز دفع صاع واحد لجماعة من الفقراء يقتسمونه بينهم كما يجوز دفع آصع لواحد والله أعلم

مذهب الامام الشافعي رضي الله عنه

شروط وجوبها أربعة

الاسلام والحرية وملك النصاب وتمام الحول لا العقل والبلوغ فتجب في مال الصبي والمجنون لكن الأحوط للولي ان يحسبها ويخبر بها الصبي والمجنون بعد البلوغ والافاقة لئلا يبلغ أو يفيق ويقلد من لا يرى وجوبها عليه ويرفعه للقاضي فيغرمه ما اخرجه من مالهما

*(باب زكاة المال)

نصاب الذهب عشرون مثقالا ونصاب الفضة مائتا درهم والواجب فيه ربع العشر وهو نصف مثقال في الذهب وخمسة دراهم في الفضة وفيما زاد بحسابه ولو قليلا وليس في حلى النساء زكاة كخلخال وسوار وتقوم عروض التجارة آخر الحول بما اشتريت به من ذهب او فضة فان بلغت نصاباً من ذهب أو فضة زكاه زكاة الذهب أو الفضة والا فلا ولا بد ان تكون الزكاة من جنس القيمة فلا تصح من نفس العروض

(باب زكاة الفطر)

تجب على كل حر مسلم ملك زيادة عن مؤنته ومؤنة من تلزمه نفقته يوم العيد وليلته ويخرجها الشخص عن نفسه وعن من تلزمه نفقته من زوجته وأبويه وأولاده صغاراً كانوا أو كباراً وهي صاع من غالب قوت البلد المخرج فيها سالم من الغلت براً كان أو شعيراً أو تمراً أو زبيباً أوغيرذلك لا دقيقاً وسويقاً والصاع قد حان بكيل مصر المعتاد وتجب بادراك جزء من رمضان وجزء من شوال فمن ولد بعد غروب شمس آخر يوم من رمضان أو مات قبله لا زكاة عليه ويجوز تعجيلها من أول يوم من رمضان ويحرم تأخيرها عن يوم العيد الا لعذر وتكون قضاء بعده والافضل اخراجها بعد الفجر وقبل صلاة العيد ومن اعسر بها وقت الوجوب لا تجب عليه وان ايسر بعده لكن يسن له اخراجها اذا ايسر قبل فوات يوم العيد ولا يجوز صرفها لاقل من ثلاثة من فقراء البلدة المخرج فيها واختار بعض اصحاب الشافعى جواز صرفها لواحد والله أعلم

﴿ فوائد الزكاة ﴾

(ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة * والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم)

للايمان اطلاقان أحدهما التصديق الجازم بجميع ماجاء به النبي صلى الله عليه وسلم مع الاذعان. وآية الصدق في هذا التصديق وكونه جازماً لازلزال فيه ولا اضطراب العمل بموجبه من الكف والانتهاء عن المنهيات مطلقاً والاتيان بالمأمورات بحسب الاستطاعة المعبر عنه بالتقوى (والذي جاء بالصدق وصدق به اولئك هم المتقون) . ذلك بان من كان جازما بان عمل كذا نافع له في العاجل او الآجل فانه ينبعث للاتيان به من طبعه ومن كان جازما بان فعل كذا ضار له في دنياه او آخرته يكف عنه ويتقيه بوازع الفطرة يشهد لهذا كل مايصدر عن الانسان من فعل وترك في عامة أوقاته واحواله ويستحيل ان ينبعث الانسان لعمل ماوهو جازم بأن فيه مضرة له ومتذكر لذلك الا ان يكون جازماً أيضاً بان فيه منفعة تربي على المضرة وترجح عليها ومن جهل هذا كان جاهلا لنفسه ومن جهل نفسه كان بدينه أجهل . ومن هنا جاء الاطلاق الثاني للايمان وهو كما في الاخبار والآثار الصحيحة (قول باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالاركان) فالاعتقاد هو الاصل والقول والعمل فرعان لازمان له ويعبر عنهما بالاسلام

ألم . أحسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون . ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين .)

نعم ان الله تعالى يفتن الذين يدعون الايمان بألسنتهم أو توسوس لهم

به أنفسهم أي يختبرهم ليعلم علم شهادة - وهو عالم الغيب والشهادة - صدقهم في دعوى الايمان أو كذبهم فيها وليظهر ذلك الصدق أو الكذب بالعمل ظهوراً يترتب عليه الجزاء في الدنيا والآخرة لاسيما بالنسبة لمجموع الامة . ابتلانا بالشهوات التي تسوق الى ماينافي المصلحة والمنفعة وأشرع لنا الطريق الذي يجب ان نسير فيه شهواتنا وحد لنا حدوداً موافقة لمصالحنا العامة والخاصة ولكنها تخالف الشهوة أحيانا وامرنا ان لانتعداها . فكل ما للنفس فيه شهوة قد تسوق الى عمل ينافي المصالح العامة أو الخاصة فهو فتنة وابتلاء من الله تعالى يمتحن به عباده ليزيل بين الصادق والكاذب في دعوى الايمان ويميز بين الخبيث والطيب من اللابسين لباس المؤمنين (ماكان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب) وقد نبهنا تعالى على هذه الفتن لعلنا نحذر ونتبصر فقال انما « أموالكم واولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم » وقال جل شأنه « انا جعلنا ماعلى الارض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا » وانما حسن العمل بالتوفيق بين منفعة العامل ومصلحة أمته على ما ارشد اليه الشرع دون اتباع شهوته التي تخل بأحد الامرين أو بهما معاً .

المال محبوب لانه وسيلة الى كل محبوب . ومن الناس من يعظم شغفه بالوسائل فيجعلها مقصودة لذاتها ولا يستعملها فيما خلقت له وهذا كفر بالنعمة وابطال للحكمة ولذلك ورد في الصحيح (تعس عبد الدينار والدرهم) وانما عبده من يجمعه ولو بغير حق ويكنزه فيمنع منه كل حق وورد أيضا (نعم المال الصالح للرجل الصالح) وقد فرض الله تعالى على المؤمنين ان يجعل

أغنياؤهم جزءاً من أموالهم لمواساة الفقير والمسكين العاجزين عن كسب يقوم بكفايتهما ولتأليف القلوب التي لم تطمئن بالايمان كمال الاطمئنان لا سيما من يتبعه في الهداية غيره وفي فك الرقاب من ذل الرق واطلاق الاسارى من قيود الاعداء بالفداء ولمساعدة الغارمين بتحمل الديون للنفقة الشرعية على أنفسهم وأهليهم او لاصلاح ذات البين ولاعانة المجاهدين الذين يتطوعون ببذل ارواحهم لحفظ الامة واعلاء كلمة الملة ولمواساة أبناء السبيل الذين ينقطعون في الاسفار عن أوطانهم ويحال بينهم وبين اموالهم . ولمن ينصبه الامام لجباية هذه الاموال ووضعها في مواضعها

مساعدة هذه الاصناف بالمال من مقومات المدنية . واهمال شأنهم خروج عن الانسانية . وفي القيام بهذا العمل (إيتاء الزكاة) من المنافع للامة التي يعز المزكي بعزها ويذل بذلها ويسعد بسعادتها ويشقى بشقائها ما يبعث العاقل الفاضل عليه لاجل منافعه وفوائده ولو لم يكن مكلفا به ممن خلقه وأفاض عليه نعمة المال من فضله وكرمه الا انها الشهوات ترجح عند سفهاء الاحلام على ما يطلبه العقل ويبعث عليه حب الشرف والفضيلة فاحتاج الانسان لسائق آخر يسوقه الى هذا العمل الشريف النافع وهو سائق الدين الذي يعده على فعله بنعيم أعلى ورضوان من الله اكبر ويوعده على تركه بالعذاب الاليم (والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم . يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون) وان من لا يبالي بالمنافع القومية والمصالح الملية . ولا يكترث بالشرف والفضائل الانسانية . ولا يجب داعي الحضرة الالهية . ويبخل بجزء من ماله على

سعادته الدنيوية والاخروية . لجدير بالعذاب المهين . ولعنه الله والملائكة والناس أجمعين . ومن يقرأ او تقرأ عليه الآيات الناطقة بأن الله جعل له المال فتنة ليظهر به صدقه في دعوى الايمان من كذبه وبأن الله اشترى منه ماله ونفسه بأن له الجنة اذا هو بذلهما في سبيل الحق وبأن من يمنع الحق المفروض في ماله له العذاب الاليم المشروح في الآية الكريمة ويلاحظ مع هذا ان أعمال الانسان تنبعث عن اعتقاداته الجازمة بمنفعتها او مضرة تركها ثم يبخل بالزكوة وما هي الا العشر او ربع العشر مما أنعم الله تعالى به عليه ثم يدعي مع هذا كله انه مؤمن جازم بوعد الله تعالى ووعيده فهو مكابر للوجدان معتقد ان الايمان كلمات تدور على أطراف اللسان .

استفت قلبك أيها المغرور المخدوع حاسب نفسك على أعمالك التي تأتيها كل يوم تجد انك تبذل المال لجلب المنافع او درء المضار المظنونة التي لا توقن بوقوعها اذا أنت لم تبذل فكيف يسلم العقل ان الظن يبعث على العمل ولا يبعث عليه اليقين وهو ما تدعيه في ايمانك . ذلك شأنك في كسبك من زراعة او تجارة أو صناعة وفي دفع الاذى عن نفسك وهذا شأنك في دينك وايمانك . فهل بلغت شهوة امساك المال معك الى حد انطفأ به نور الفطرة وخزيت الانسانية وذهبت حرمة الدين وما جاء به من الوعد والوعيد

استفت قلبك وراجع وجدانك وحاسب نفسك . اذا قال لك فاسق لا ثقة بشهادته ان هذا الطعام او الشراب الذي تريد ان تتناوله مسموم أرأيتك تترك شهوتك لقوله أم لا ؟ انك لتتركها ولو على سبيل الاحتياط ولا تقدم عليها الا اذا كنت جازماً بكذبه وانه لا يصيبك أذى لان تقديم درء المفاسد على جلب المنافع

من الامور الطبيعية كما هو من الاصول الشرعيـة فكيف تجعل وعـد الله ووعيـده دون خبر ذلك الفاسق فلا تحتاط له وتدعي انك موقن بهما

استفت قلبك وراجع وجدانك ولا يحملنك ثقل وقع الحق على نفسك ان تضع أصبعيك على اذنيك وتسدل الستار على عينيك فتكون ممن قال الله تعالى فيهم (صم بكم عمي فهم لا يرجعون) بل ارجع عن شحك (ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) ولا تقل بأن في هذا الكلام تكفير للمسلمين فان بحثنا هذا بحث في روح الدين وجسمه معاً ومن اظهر الأذعان للاسلام لا يحكم عليـه بالكفر وان كان شاكا في قلبه ومرتابا أو تلقي بعض العادات التي يعملها المسلمون باسم الدين ولم يمس الايمان به سواد قلبه (قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم وان تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من اعمالكم شيئا ان الله غفور رحيم. انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون. قل اتعلمون الله بدينكم والله يعلم ما في السموات وما في الارض والله بكل شئ عليم) . ذكر في تعريفهم الجهاد بالمال وقال في ضدهم (فويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة) على انه لا يقصد بهذا الكلام تكفير مانع الزكوة واخراجه من عداد المسلمين . وانما بذل النصيحة الخالصة لقوم سلموا بالاسلام وارتضوه دينا ولكنهم اخذوه على غير وجهه لفساد التعليم القويم ثم اهماله فظنوا ان الله تعالى تعبدهم بالفاظ ورسوم لا معنى لها ولا فائدة فيها الا مجرد الاصوات والحركات . ورزؤا بقوم ولعوا بالتأويل واخـذ الدين من ألفاظ المصنفين

وان كانوا من قبيل الذين قال الله فيهم (وان منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون) فهؤلاء المحرفون هم الذين افسدوا على العامة دينهم وعلموهم الاحتيال على الله تعالى فصاروا «يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون الا أنفسهم ومايشعرون» استفت قلبك أيها المحتال في منع الزكوة وان أفتاك المفتون . استفت قلبك وحكم كتاب الله تعالى في نفسك وزن به ايمانك وعملك فاذا رجح به فانت السعيد واذا ظهر لك الخسران فاعلم ان هؤلاء المفتيين الذين يعلمونك الحيل لاينفعونك وتأمل قوله تعالى «ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لايعلمون . انهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً وان الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين»

استفت قلبك وراجع وجدانك يتجل لك ان قصاري الحيلة في منع الزكوة هدم ركن من أركان الاسلام واصل من أصول المدنية التي تبنى عليها السعادة الانسانية ونسخ آيات كثيرة من كتاب الله تعالى تعد بالعشرات وابطال لمثلها أومايزيد عليها عددا من الاحاديث النبوية الصحيحة واعراض عن سيرة سلف الامة الصالح الذين قاتلوا مانعي الزكوة كما قاتلوا المرتدين عن الدين - كل ذلك لقول رجل يجوز عليه الخطأ عمداً وسهوا زعم ان الحيلة في منع الزكوة جائزة قياسا على الحيلة فى الربا وقياسه هذا باطل يضرب به وجهه لانه ابطال للنصوص القطعية المتواترة ولا يقول مسلم بل ولا عاقل ما بجواز مثل هذا القياس الذي هو من الاجتهاد المفيد للظن . ولا أصدق ما يعزى الى الامام أبي يوسف في ذلك وان نقله عنه حجة

الاسلام الغزالي وقال فيه «وهذا هو العلم الضار» لان هذه الحيلة لا تنطبق على قواعد علم أصول الاحكام التي يسمونها فقهاً وان كان لا يراعي فيها الا ماتعطيه ظواهر الالفاظ من غير ملاحظة الحكمة في التشريع وما يرضي الله تعالى وما يغضبه

الامام مالك والامام أحمد منعا الحيلة مطلقا واستدل الحنفية والشافعية على حل الحيلة في الربا بما صح من أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عامل خيبر عن بيع صاع التمر الجيد بصاعين من الرديء لانه من الربا وامر بان يباع الردئ بدراهم ويشتري بها الجيد وجعلوا هذا دليلا على أصل مشروعية الحيلة مع انه في الحقيقة ليس من الحيلة اذ مقصود الشارع من منع بيع الاطعمة والاقوات بمثلها مع التفاضل او النسيئة ان لا يخرج بها عن الحكمة التي خلقت لاجلها وهي التغذية «وفي معناها التداوي» بجعلها أثمانا يتعامل بها لما في ذلك من تقييدها في الايدي ومنعها عن محتاجها الاكل ولهذا نهى عن الاحتكار وشدد فيه ايضا والحديث مرشد الى التعامل الذي لا يخل بهذه الحكمة بل يحفظها. واما الحيلة في منع الزكوة فهي مبطلة للحكمة في مشروعيتها وهادمة لركنها بالمرة فلو فرضنا ان ما ارشد اليه حديث بيع التمر يسمى حيلة ويدل على مشروعية الحيلة فيجب ان يقيد بما لا يهدم ركنا اسلاميا ولا يخل بحكمة من حكم التشريع التي فيها صلاح العباد في المعاش والمعاد . والزكوة من أعظمها أو أعظمها فان فيها قوام ثمانية طوائف من المسلمين لا يصلح مجتمع الامة بدونها . على ان هذا قياس في مورد النص وهو ممنوع ثم اننا نرجع بك ايها الشحيح الممسك الى الفطرة الانسانية لتعلم انك بمنع الزكوة منحرف عن صراط الدين وعن كمال الانسانية معا فان نوع

الانسان بمقتضى الفطرة على اربع طبقات ـ (الطبقة الاولى) التي يبذل افرادها المال في منافع قومهم وامتهم ومواساة محتاجيهم لان ذلك من الفضائل الانسانية وموجبات الشرف والجاه الصحيح. وناهيك بما حفظه التاريخ للاسخياء والاجواد من الذكر المجيد وما ورد في حاتم الطائي من الحديث الشريف « الطبقة الثانية» التي لا يبذل افرادها المال الا في لذاتهم وشهواتهم البدنية وافراد هذه الطبقة الى البهيمية أقرب منهم الى الانسانية « الطبقة الثالثة » التي خرجت بالمال عن وضعه الاصلي وهو وسيلة الحاجات وميزان المعاملات فاحبته لذاته وامسكه أفرادها عن المنافع والشهوات جميعا الا ما لا مندوحة عنه وهؤلاء الى الجنون أقرب منهم الى العقل . وغرض الدين بمشروعية الزكوة اعانة الانسان على تقوية داعية الفضيلة التي تقتضيها الفطرة الانسانية على داعية الشهوة وفساد الرأي التي عليها أهل الطبقتين الاخريين لان الرغبة في منفعة الامة وحب الشرف قد يعجزان عن مقاومة الشهوة واصلاح الرأي الافين فجعل للبذل في الطرق الشريفة النافعة جنة الله ورضوانه وتوعد على البخل والامساك عن ذلك بنار الله وسخطه فمن غلبت شهوته او حمله فساد رأيه على منع الزكوة مع هذا كله فهو بعيد عن هدي الديانة الاسلامية وسلامة الفطرة الانسانية اه عن بعض الفضلاء

﴿ فصل آخر في فوائد الزكاة ﴾

ان الزكاة ركن من أركان الدين والمدنية وفضيلة من أكمل الفضائل الانسانية وان تاركها بعيد من الدين والتمدن والانسانية جميعاً

ومن الافرنج طائفة تذم السخاء والبذل محتجة بأن اعطاء المال بدون مقابلة عمل يعلم الناس البطالة والكسل والاعتماد على الناس دون أنفسهم

في قضاء حاجهم والوصول الى مطالبهم ويكثر فيهم التسول والشحاذة وما فشت هذه الاخلاق والسجايا في أمة الا ورمتها بالفقر والفاقة والذل والمهانة وجعلتها وراء الامم كلها. وانت ترى ان حجة هؤلاء ناهضة قوية ولذلك فشت أفكارهم في أوربا فجعلت قلوب أهلها قاسية على بني جنسهم لا يرحمون فقيراً ولا يواسون محتاجاً حتى قيل ان الفقراء يموتون جوعا في اسواق أغنى مدائن الارض كلوندره ولا يرق لهم احد . واذا عزل عقلاؤهم أو فلاسفتهم في هذه القساوة الوحشية يقولون ان موت بعض الافراد أخف ضرراً على المدنية من فشو الامراض الروحية التي تتولد من البذل ومواساة هؤلاء المحتاجين وهي ماذكرناه آنفا . هذا ملخص مذهب هؤلاء ونحن نجيب عنه بالنسبة للزكاة الشرعية من وجوه

« أولا » يعارض مفاسد البذل المذكورة مفاسد اعظم منها ضرراً في المدنية وأشد خطراً على الانسانية وهي مفاسد الاشتراكية والفوضوية التي ليس لها منشأ الاعدم رضى الاشتراكيين بجعل المال دولة بين الاغنياء بحيث يقاسي السواد الاعظم من أبناء الانسان متاعب الفقر وشقاء العوز حتى يموت الكثير منهم جوعا ويتمتع العدد الاقل بجميع صنوف النعيم ويستعبد سائر العالمين بل يحبس في سجون من الحديد « صناديق الاموال » جيوش الدراهم والدنانير يمنعها بذلك عن صدغارات جيوش الفقر والفاقة التي تفتك بالنوع البشري اشد الفتك اما بنفسها وأما بما يتبعها من جيوش جراثيم الامراض والاوبئة الخفية التي لا يدافع جانها الا بجنان من الذهب أو الفضة . وليس فقر كل الفقراء وعوزهم من كسلهم وبطالتهم فترد في حقهم شبهة مانعي البذل وذامي السخاء ولكن استعداد أفراد الانسان متفاوت

وللبيئة التي يعيش فيها والقوم الذين يتربى بينهم الأثر الاكبر في أخلاقه ومعارفه التي هي مناشئ اعماله الكسبية وغيرها « وجعلنا بعضكم لبعض فتنة اتصبرون وكان ربك قديراً » فالله تعالى يبتلي الغني بالفقير والفقير بالغني كما يمتحن القوي بالضعيف وبالعكس على نحو ما بيناه وبسطة الرزق تكاد تكون بالحظ والجد اكثر مما هي بالحيلة والكد

يشقى أناس ويشقى آخرون بهم ويسعد الله اقواماً باقوام

وليس رزق الفتى من فضل حيلته لكن جدود وارزاق باقسام

كالصيد يحرمه الرامي المجيد وقد يرمي فيحرزه من ليس بالرامي

وما نحن ممن يقول بالجد والحظ على اطلاقه الذي يطوف في الاذهان . ويجري على كل لسان . بل نقول لكل شيء سبب . وللانسان ما سعى وكسب . « لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت » ولكنّ طرق الكسب والثروة منها ما يعرفه الانسان ومنها ما يجهله وبعض ما يعرفه يمكن ان يناله بسعيه وبعضه يعلو عن تناول السعي ويتعاصى على الكسب . ولا تكون طبقات الناس أو أفرادهم متقاربين في معرفة الاسباب والتمكن منها الا اذا أمكن توحيد التربيه والتعليم وتعميمهما في العالم الانساني كله وما أبعدها غاية واقصاها رغيبة !! فظهر بهذا علة اختلاف الناس المشهود في المعارف والسجايا والاعمال والمكاسب اجمالا (ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك) وظهر به وبما قبله ان للاشتراكيين بعض العذر في القيام على الاغنياء الذين لا يجعلون في اموالهم حقا معلوما للبائس الفقير والعاجز الضعيف الذين ليس لهم ما يكفيهم وان ينتهي بهم الامر الى القيام على الحكومة التي لا تلزم الناس بالمساواة الزاما كما هو شأن الفوضويين . نعم ان القوم أفرطوا فخابوا ومن الاعتدال

ان يطلبوا المواساة بدلا من المساواة التي لا سبيل اليها . ويعلم المتمدنون من المسلمين ان حكماء أوربا وحكامها في حيرة من تلافي شرور الاشتراكيين والفوضويين ومعالجة هذا الداء الاجتماعي الدوي وما علاجه الا الدين الاسلامي الذي يفرض الزكاة ويحث على المواساة ويفرض على الآخذين به ان يرضوا بما قسم الله لهم بعد السعي بحسب الطاقة

(ثانيا) ان فضلاء الاوربيين وعقلاءهم الذين لم ينسلخوا من المزايا الانسانية الجميلة ولم يحرموا من الشفقة والرأفة على ابناء جنسهم بالمرة قد خصصوا جزءاً من اموالهم لبناء المستشفيات لمعالجة مرضى الفقراء ولغير ذلك من اعمال البر ولولا هؤلاء لكانت المدنية الاوربية شر مدنية اخرجت للناس ولكان غلو الاشتراكيين والفوضويين تجاوز الحدود فدمرها شر تدمير . وجعل مصيرها بئس المصير . واننا نرى اللابسين لباس المدنية الاوربية من المسلمين لا يبذلون شيئا من فضول اموالهم على اعمال البر التي ينفق عليها الاوربيون كالمستشفيات والمدارس والمكاتب وتنشيط المخترعين والمكتشفين - حرموا فضائل المشرقين واستأثروا برزائل المغربين » ويحسبون انهم على شيء الا انهم هم الكاذبون »

(ثالثا) اذا كان بعض الكتاب يقبحون ايتاء الفقراء والمساكين العاجزين عن كسب يكفيهم فلا ينبغي ان يلتفت الى قولهم لان احتجاجهم بتعليم الناس البطالة والكسل انما يأتي اذا كانت الشريعة تعطي من يقدر على الكسب ولا يكتسب اخلاداً الى الكسل والبطالة واعتماداً على اوساخ الناس ولكن الشريعة تمنع اعطاء مثل هذا كما تمنع اعطاء العاجز فوق كفايته وتسمي من يقدر على كسب يكفيه غنياً ولذلك قال الامام الغزالي كغيره « وقد لا يملك الا فأساً وحبلا وهو غني » وجعلت ايضا في حكم الغني كل

فقير عاجز له قريب يمونه وينفق عليه ومع هذا كله حرمت السؤال والشحاذة على غير المضطر واعتبرت أموال الزكاة والصدقات من اوساخ الناس وقال النبي عليه الصلاة والسلام « اليد العليا خير من اليد السفلى »

فقد رأيت ان هذا الدين القويم فرض للفقراء والمساكين ما فرض من مال الزكاة مع اشد الاحتراس من مضار اعتماد الانسان على غير كسبه ونتائج عمله . ومن ذلك أنها حرمت الصدقة على آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم لانهم ينبغي أن يكونوا قدوة للناس في شرف النفس وعزتها وما أكل أوساخ الناس الا ذل وصغار .

(رابعا) اذا فرضنا أن لهؤلاء الكتاب وجها في منع اعطاء للفقير والمسكين ومن في معناهما كالغارم وابن السبيل مطلقاً فهل تقولون ان لهم وجها في منع تجهيز المطوعين لحماية البلاد ودفع الاعداء عنها ومنع فك الرقاب من العبودية أو الاسر كلا اننا لم نسمع ان أحداً يذم هذه المصارف .

وخلاصة القول وزبدته ان الزكاة ركن من اهم أركان الدين والمدنية الحقة وانه ليس في شيء من مصارفه الثمانية مغمز لغامز ولا مضرة تخشى مغبتها وان هؤلاء المسلمين الذين يغمزونها لروح البخل والشح الخبيث الذي لابس نفوسهم الشريرة ما شموا رائحة التمدن الحقيقي ولا استنشقوا عرف الاسلام العطر ويوشك ان يجيء يوم من الايام تهدي فيه الاوربيين معارفهم الاجتماعية الى اقامة هذا الركن المدني الركين ثم اقامة غيره من اركان الاسلام فيضطر المقلدون لهم في مساويهم من متمدنينا الى تقليدهم في المحاسن والفضائل التي يأخذونها من دينهم فانهم لصغر نفوسهم لا يكونون الا مقلدين و « لكل نبأ مستقر وسوف تعلمون » اهـ عن بعض الفضلاء

فصل في الصيام

(مذهب الامام ابي حنيفة رضي الله عنه)

فرضـه

الكف عن قضاء شهوتي البطن والفرج وما الحق بهما

ويشترط لصحة آدائه ثلاثة شروط

النية لكل يوم وتصح في اداء رمضان الى الضحوة الكبرى فلا يشترط بييتها هذا في اداء رمضان اما في غيره من قضاء ونذر وكفارة فيشترط بييتها فلا تصح بعد الفجر ولا يشترط فيها التعيين والخلو عما ينافيه من حيض ونفاس وعما يفسده ولا يشترط الخلو من الجنابة

ويشترط لوجود آدائه ثلاثة

الصحة من مرض وحيض ونفاس والاقامة

(مذهب الامام مالك)

فرضه اثنان

(الاول) النية وشرطها الليل او مع الفجر وكفت نية لما يجب تتابعه كرمضان اذا لم ينقطع التتابع بسفر وندبت كل ليلة (والثاني) الكف عن المفطرات جميع النهار كالاكل والشرب والجماع واخراج مني أو مذي او قيء

وشروط صحته ثلاثة

النقاء من الحيض والنفاس والعقل وان يكون في غير يوم عيد

مذهب الامام الشافعي رضي الله عنه

فرضه أربعة

النية ولا بد من تبييتها كل ليلة في الفرض كرمضان ويجب التعيين في صوم الفرض كرمضان والكفارة والنذر والامساك عن الاكل والشرب وعن الجماع وعن تعمد القيء ولا يجب الا على مسلم بالغ عاقل مطيق للصوم

وسننه ثلاثة

تعجيل الفطر وتأخير السحور وترك فحش الكلام كالكذب والغيبة فيصون الصائم لسانه عن ذلك ندباً من حيث الصوم وان كان واجبا في ذاته

(فصل في الحث على افعال الخير في شهر رمضان)

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس بالخير وكان أجود مايكون في شهر رمضان ان جبريل عليه السلام كان يلقاه في كل سنة في رمضان حتى ينسلخ فيعرض عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن فاذا لقيه جبريل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود بالخير من الريح المرسلة وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعتكف العشر الاواخر من رمضان حتى توفاه الله عز وجل ثم اعتكف أزواجه من بعده وعنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل العشر أحيا الليل وأيقظ أهله وشد المئزر روى هذه الثلاثة البخاري ومسلم وقد ذكر العلماء في معنى شد المئزر وجهين أحدهما أنه الاعراض عن النساء والثاني أنه كناية عن الجد والتشمير في العمل وعن أنس رضي الله عنه قال سئل رسول صلى الله عليه وسلم أي الصدقة افضل

قال صدقة في رمضان رواه الترمذي وقال رسول صلى الله عليه وسلم من فطر صائماً كان له مثل اجره غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شيء رواه الترمذي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه

(فصل في فوائد الصيام)

(الفائدة الاولى) الصحة لانه رياضة تجفف الرطوبات البدنيه . وتفني المواد الرسوبية . فقد قال ابن سينا الحكيم الاسلامي ان هذه المواد تتولد من الطعام وتكثر حتى تتولد منها أمراض يخفى سببها وقد اكتشف بعض علماء أوربا هذه المواد من سنين قليلة (وقد كان سبقهم حكيمنا اليها ببضعة قرون) . يقول الآخذون بالظواهر اننا نعرف من انفسنا الضعف والذبول بالصوم فكيف نسمي الضعف صحة ومن لوازم الصحة القوة . ونجيبهم بان عاقبة هذا الضعف والذبول القوة والنمو . ألم تروا كيف يمنع النبات الماء زماناً حتى يذبل ويذوى ثم يفاض عليه فيكون أسرع نمواً مما لو عوهد بالسقي دائماً بل هو في هذه الحال معرض لليبس لانه يرد عليه من الغذاء اكثر مما تطلبه طبيعته ويندرج هذا تحت قاعدة (رد الفعل) المعروفة ـ الشجرة البرية ـ كما قال الامام علي ـ اصلب عوداً وابطأ خموداً . والاجسام الحية يشبه بعضها بعضاً في الشؤون الحيوية . وقد ثبت في الطب ان السنين اذا اخذت قوما فان فعل الجدب والقحط يكون على أشده في المترفين المنعمين الذين اعتادت معدهم ان لا تخلو من الماكل الرطبة الدسمة فيكثر فيهم الموتان ويسرع فيهم الفناء وتكون السلامة اغلب في أهل الشظف والقشف . فما احوج هؤلاء

المنغمسين في النعيم الى رياضة الصوم لتقوية أبدانهم ..

(الفائدة الثانية) كسر سورة الشهوة وجزر مدها فان طغيان الشهوة يفضي بصاحبها الى الافراط في تناولها فينطفئ في نفسه نور العفة وهي احدى أركان الفضائل الاربع ومتى تقوض هذا الركن ينهدم معه مابني عليه من الفضائل كالحياء والدعة والصبر والسخاء والحرية الحقة والقناعة والدمائة والانتظام والمسالمة والوقار والورع واختل مزاج النفس وتبعه اختلال مزاج البدن لان الافراط في الشهوات منبع الامراض والادواء باجماع من الاطباء ولهذا المعنى قال النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه الشيخان (اذا دخل شهر رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار وصفدت الشياطين) زاد الترمذي وابن ماجه والحاكم (ونادى مناد ياباغى الخير هلم وياباغي الشر اقصر فابواب الجنة الفضائل والطاعات وأثرها في الصوم اعم وأظهر وأبواب النار الرزائل والمعاصي وانطماس أثرها في الصوم الحقيقي لاينكر . وبهذا يبطل تأثير الارواح الشريرة التي تلابس النفوس فيقوى فيها الميل الى الشرور المعبر عنه بتصفيد الشياطين . يقول المعترض اذا ضعفت الشهوة في وقت الصوم فانها تثوب بعده كما تثوب النضاضة والقوة بعد الذبول والضعف بمقتضى قاعدة (رد الفعل) التي ذكرتها في بيان الفائدة الاولى فيكون الصوم مضراً . ونقول في جوابه ان موت الشهوة أو دوام ضعفها مضر بالانسان وانما شرع الصوم وغيره لمنفعته والمطلوب في الصيام تضمير النفس كما تضمر الخيل حتى يملك صاحبها عليها أمرها ويأمن جماحها الى مايحرمه الشرع ويورث صاحبه الهوان والضعة من اتباع الشهوات وانما يكون هذا بامتناعه في أوقات مخصوصة عن تناول الشهوات كلها حرامها وحلالها لتنطبع في النفس ملكة

القدرة على الترك وهذا هو التهذيب المفروض على كل مكلف في جميع الشرائع ․جعلت العرب مدة تضمير الفرس أربعين يوما وجعل الشارع مدة تضمير الانسان نفسه ثلاثين يوماً في كل سنة ويستحب الزيادة عليها لا سيما بالنسبة لمن يعرف من نفسه الجموح وعدم السلاسة لحكم الشرع بحيث يصير الانسان حاكما على شهواته يسيرها في منهاج الادب والشرف الذي يحدده الشرع والعقل لا محكوماً بها كالبهم والدواب . بل الانسان يكون شراً من البهائم اذا هو لم يأدب شهوته ويملك على نفسه امرها لان باريء الكون قد أودع في فطرة البهائم الوقوف عند حدود الاعتدال في تناول شهواتها فلا تأكل ولا تشرب ولا تسافد الا عن داعية الطبيعة ومتى استوفت طبيعتها حقها من ذلك تكف عنه من طبعها ولا تحمل أنفسها بالافراط مالا تطيق ولا تتخذ الوسائل والحيل لاذكاء نار الشهوة فتمتع باكثر مما يقتضيه المزاج المعتدل فيقضي عليها قانون (رد الفعل) بعد ذلك بالضعف أو الخمود وخلق الله الانسان ذا فكر يجاهد به الطبيعة ويقاومها تارة بما ينفعه وتارة بما يضره تختلف أحواله في هذا بحسب صحة الفكر وسقمه وسعة المعارف وضيقها . ألم تر ان اكثر ما يصيب الانسان من الامراض والاسقام والادواء التي تنتهي بالموت قبل بلوغ العمر الطبيعي هو من الافراط في الطعام أو الشراب أو الوقاع الذي يستعين عليه بما يعطيه الفكر من الوسائل والحيل . والبهائم تستوفي آجالها الطبيعية في الغالب متمتعة بالصحة واعتدال المزاج واذا عرض لبعضها المرض أو الموت قبل الاجل الذي خلقها الله تعالى مستعدة لبلوغه فانما يكون ذلك في الغالب لامر خارجي كفقد الغذاء أو شدة البرد . لهذا كانت سعادة الانسان متوقفة على تربية صحيحة وتعليم

قويم ولا يوجد هذان على وجه الكمال الا في الدين والا كان الانسان أشقى في حياته من جميع أنواع الحيوان . اقرأ ان شئت قوله تعالى في الجهلاء الذين لا يشكرون الله تعالى باستعمال مواهبه فيما خلقت له من التعلم والتبصر والاعتبار (ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالانعام بل هم اضل أولئك هم الغافلون) وقوله تعالى (أرأيت من اتخذ الهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا . أم تحسب ان اكثرهم يسمعون او يعقلون انهم الا كالانعام بل هم أضل سبيلا) صرح القرآن بأن الله تعالى خلق هؤلاء السفهاء الاحلام لجهنم وهذا من جملة الآيات

على أن غاية الدين الاسلامي سعادة الدارين وان الشقاء في الدنيا مؤذن بالشقاء في الآخرة ولكن السعادة في الدنيا ليست آية على السعادة في الآخرة لانها تحصل بدون الاخذ بجميع أركان الاسلام وتعاليمه على الوجه الذي حددته الشريعة

(الفائدة الثالثة) معرفة قيمة النعمة بفقدها ولو اختياراً فان الاشياء تعرف بأضدادها فمن لم يهذبه الزمان بالحرمان من النعم والحيلولة بينه وبين ما يشتهي ينبغي له ان يتمثل هذا الحرمان بالتعمل والتكلف لتعظم في عينه النعمة فيحفظها وفي هذا الضرب من التهذيب تزكية النفس من رزيلة البطر الممقوت صاحبه من جميع البشر

(الفائدة الرابعة) توطين النفس على الصبر والاحتمال فكم من ذي نعمة فاجأته نقمة فبلبلت باله واذهبت رشده واوقعه الجزع والهلع منها بما هو أشد منها . ذكروا أن رجلا من المترفين كان عنده طائر من نوع (الكنار) وكان مولعا

به فترك قفصه ذات ليلة بجانب بركة الماء فجاءت الهرة تعالج القفص لاصطياده فوقع في الماء ولما اصبح المترف ورأى الكنار ميتاً في البركة صفق بيديه على ركبتيه فاصابه من ساعته فيهما مرض عصبي اقعده عدة سنين يشتغل بالمعالجة حتى صار يقدر على المشي متوكأً ولم يبل ابلالا. يقول قائل انا نرى هذا الجزع والهلع وقلة الاحتمال من الذين اعتادوا الصيام وربما كان المترف الذي تحدث عنه ممن يصوم رمضان . واقول في جوابه ان فوائد الصيام لا تبلغ درجة الكمال الا لمن فقه سر الصوم وحكمة الله تعالى فيه المعبر عنها في القرآن بالتقوى (لعلكم تتقون) وصام على ذلك فادرك ماهنا لك . والصوم عند المترفين انما هو تغيير مواقيت الاكل بجعلها في الليل مع زيادة مبالغة في الترف والطرس والتنوق في النعيم . وسائر الناس يحذون حذو المترفين كل بحسب استطاعته. والصوم الحقيقي هو ماعرفه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله (الصوم نصف الصبر) رواه الترمذي وحسنه وغيره وفي رواية البيهقي زيادة (وعلى كل شيء زكاة وزكاة الجسد الصيام) . وانما كان الصوم نصف الصبر لان الصبر اما ان يكون عن الشيء الذي يؤلم النفس فقده واما ان يكون على الشيء الذي يؤلمها وجوده وحصوله . والذي يؤلم فقده هو الشهوات واللذات . ولما كانت شهوتا البطن والفرج اقوى الشهوات والصبر عنهما اصعب وأشق على النفس منه على غيرهما جعلت الشريعة تركهما والصبر عنهما عزيمة لابد منها لان من ربى نفسه عليه فقها بالمقصود منه طالباً لحكمته وفائدته كان الصبر عن غيرهما من سائر الشهوات اسهل عليه وهو ما جعلت الشريعة الصبر عنه من المندوبات المتأكدة في الصوم وقالوا ان كمال الصوم في كف جميع الجوارح عن شهواتها . روي البخاري ومسلم وغيرهما ان

النبي صلى الله عليه وسلم قال (انما الصوم جنـة فاذا كان أحدكم صائمـاً فلا يرفث ولا يجهل فان امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل اني صائم اني صائم) فجعل الصبر عن مجاوبة الشاتم والصائل من الصوم وفي حديث البخاري مرفوعا « ومن لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجـة في ان يدع طعامه وشرابه » والاحاديث في هـذا المعنى كثيرة . ومن العجيب ان الفقهاء لايحفلون بهذه المباحث بل لايكادون يذكرونها ويملاون الصحائف بالدقائق النادرة التي لاعلاقة لهـا بحكمة مشروعيـة الصيام كالبحث في الغبار الذي يدخل الانف في الطريق وفي وضع الخلال في الاذن وفي الاحتراز وقت الاستنجاء من دخـول الرطوبة الى الجوف من المقعدة ونحو هذا فكيف يحصل فائدة للصوم من يجعل همه فى هذه المباحث دون البحث في حكمة هذه العبادة وكيفية ايصالهـا الى التقوى المقصودة للشارع منها ؟ ؟

(الفائدة الخامسة) مساواة الاغنياء للفقراء والمترفين للبائسين في فقد دواعي اللذة وأسباب النعمة . والمساواة من الفضائل المطلوبة في الامم وهي من غايات الانسانية التي يطمع الحكماء ان تعم البشر بعموم التمدن ويشارك الصوم في هذه الفائدة الصلاة والحج بل ان الشريعة الاسلامية تساوي بين جميع المحكومين بهـا في الحقوق سواء من اتخـذها ديناً ومن كان يدين بغيرها وجعلت في عباداتها ألوانا من المساواة لتكون للغني عبرة وتزكية وللفقير عزاء وتسلية ولتهيئ الامة للمساواة في عامة الشؤون التي يمكن فيها المساواة

« الفائدة السادسة » رقة القلب والعطف من ذوي الوجد واليسار على اهل العدم والاعسار بحيث يحملهم ذلك على مواساتهم والافاضة عليهم مما رزقهم

الله تعالى فان من يذوق طعم البلاء يكون على أهله أعطف ، وبهم أرأف ، فمن ذاق عرف ، ومن المأثور عن سلف الامة الصالح كثرة الصدقات والصلات في شهر الصوم وقد بقي للخلف من هذه المزية بقية تشكر وان كانت لاتشابه ماكان عليه السلف من كل وجه ، ووصف النبي صلى الله عليه وسلم بأنه كان في رمضان أجود من الريح المرسلة

يحكى انه وقع قحط في عهد أحد الملوك فذكر أمام زوجه مايقاسيه الفقراء من البؤس والعناء لقلة القوت فقالت ماضرهم لو استغنوا عن الخبز بالفالوذج واللوزينج وهما انفس الحلوى المعروفة عند المترفين لذلك العهد وما كان الفقراء يطعمونهما في حال الرخاء

« الفائدة السابعة » تعظيم أمر الله تعالى في النفس باداء هذه العبادة الشريفة على الوجه الذي شرعه الله ابتغاء مرضاته ، وهذه الفائدة روحية محضة ودينية خالصة ، والصوم هو العبادة التي لاحظ لشهوة النفس فيها ولا يأتي فيها الرياء لانها ترك لافعل ولذلك جاء في الحديث المتفق عليه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « قال الله عز وجل كل عمل ابن آدم له الا الصيام فانه لي وأنا أجزي به » وفي رواية « كل عمل ابن آدم تضاعف له الحسنة بعشر امثالها الى سبعمائة ضعف الا الصوم فانه لي وأنا أجزي به يدع شهوته وطعامه من أجلي » ربما يفهم بعض الناس من الحديث ان الصوم من الامور التعبدية التي لايعقل لها معنى ولا تعرف لها فائدة للانسان في حياته الا محض الامتثال لامر الله ابتغاء مثوبته ورضوانه في الآخرة ونحن نقول انه مامن عبادة معقولة المعنى ظاهرة الفائدة للعامل بها الا وفيها معنى تعبدي يجب ان يتحراه الانسان ويحافظ عليه لمجرد

الامتثال . واضرب لهذا مثل الصلاة فان فائدتها للمصلين من النهي عن الفحشاء والمنكر والتطهير من الجزع والهلع والبخل والتحلي باضدادها معقولة المعنى فان من يقيم الصلاة على الوجه الذي أراده الله تعالى من الخشوع وحضور القلب واشعاره عظمة الله وكبير سلطانه تحصل له ملكة مراقبة الله تعالى عند كل عمل وتذكر هيمنته واحاطة علمه بما يعمله فيكون هذا زاجر له عن الفواحش والمنكرات ونازعا من قلبه الهلع والجزع عند حدوث الخطوب وباسطا يديه بالانفاق والبذل مما يمسه من الخير في وجوه البر والخير . ولكن تحديد ركعات الصلاة بما هي عليه ككون الصبح ركعتين والمغرب ثلاثا والباقيات اربعا اربعا ليس معقول المعنى وانما نحافظ عليه للوجه الديني الخالص والاتباع المحض ونعلم ان لله فيه حكما لا يتوقف انتفاعنا بالعبادة على معرفتها كما اذا عرفنا العلاج وفائدته في شفاء المرض ولم نعرف الحكمة في مقادير اجزائه ونسبة بعضها الى بعض وكون الذي يتناول يجب ان يكون مقداره كذا ووقته كذا ولو لم يكن هذا المعنى التعبدي في هذه الاعمال النافعة المقومة للسعادة الدنيوية لم تكن عبادة تسعد فاعلها في الآخرة ولكان العقلاء يعملونها لفائدتها من غير تقيد بما حدده الدين فتبطل منها فائدة المساواة بين افراد الامة والمساواة في العمل من الكمالات الاجتماعية كما علمت . فتبا لقوم يرغبون عن هذه العبادات وما فيها من الفوائد والمنافع « ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه »

« الفائدة الثامنة » صفاء القلب واستنارة الروح واستعدادها بذلك لنفحات الله المعنوية فقد ورد « ان لربكم في أيام دهركم نفحات الا فتعرضوا لنفحات ربكم » ولادراك شيء من عالم الملكوت في ليلة القدر فقد قال

الامام الغزالي انها عبارة عن ليلة ينكشف فيها شيء من الملكوت لذي الاستعداد وهذه الفائدة للخواص ويحتاج بيانها الى شرح طويل لا محل له الآن وكل منا يعلم من نفسه ان قلة الشواغل والبعد عن الشهوات والرياضة المعتدلة تعطي صاحبها قوة في عقله وادراكه فاذا كان مستعدا بفطرته لادراك شيء مما وراء الحس فأي مانع من كون الصيام معينا عليه ؟

هذا ما عن لنا من فوائد الصيام وكونه من اسباب السعادة في الدنيا ومقومات المدنية كما هو من اسباب السعادة في الآخرة فعلى المتمدن العاقل ان يعتبر به ويصوم مراعيا هذه الفوائد ومتحريا لها وعلى الصائم الذي لا يعرف من الصيام الا ترك الاكل والشرب والجماع ان يطالب نفسه بسر الصيام وفوائده وحكمته لئلا يتناوله حديث « كم من صائم ليس له من صومه الا الجوع والعطش رواه النسائي وابن ماجه . وليكون الصوم له جنة ووقاية كما في الحديث الذي تقدم « وما يتذكر الا أولوا الالباب »

فصل في الحج

(مذهب الامام أبي حنيفة رضي الله عنه)

فروضه اثنان

الاول الوقوف بعرفات من زوال يوم التاسع الى فجر يوم النحر ولو لحظة بشرط الاحرام وعدم الجماع قبله والثاني اكثر طواف الافاضة بعد طلوع فجر يوم النحر

وواجباته

انشاء الاحرام من الميقات ومد الوقوف بعرفات الى الغروب والوقوف

بمزدلفة فيما بعد فجر النحر وقبل طلوع الشمس ورمي الجمار وذبح القارن وهو من جمع الحج والعمرة في احرام واحد والمتمتع وهو من أحرم بالعمرة فقط من الميقات ثم أحرم بالحج يوم التروية من الحرم والحلق وتخصيصه بالحرم وأيام النحر وتقديم الرمي على الحلق ونحر القارن والمتمتع بينهما وايقاع طواف الزيارة في أيام النحر والسعي بين الصفا والمروة في أشهر الحج وحصوله بعد طواف معتد به والمشي فيه لمن لا عذر له وبداءة السعي من الصفا وبطواف الوداع وبداءة كل طواف بالبيت من الحجر الاسود والتيامن فيه والمشي فيه لمن لا عذر له والطهارة من الحدثين وستر العورة وأقل الاشواط بعد فعل الاكثر من طواف الزيارة وترك المحظورات كلبس الرجل المخيط وستر رأسه ووجهه وستر المرأة ووجهها والرفث والفسوق والجدال وقتل الصيد والاشارة اليه والدلالة عليه

وسننه

الاغتسال ولو لحائض ونفساء او الوضوء اذا اراد الاحرام وليس ازار ورداء جديدين ابيضين والتطيب وصلاة ركعتين والاكثار من التلبية بعد الاحرام رافعاً بها صوته متى صلى أو علا شرفا أو هبط واديا أو لقى ركباً وبالاسحار وتكريرها كلما أخذ فيها والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وسؤال الجنة وصحبة الابرار والاستعاذة من النار والغسل لدخول مكة ودخولها من باب المعلاة نهاراً والتكبير والتهليل تلقاء البيت الشريف والدعاء بما أحب عند رؤيته وطواف القدوم ولو في غير أشهر الحج والاضطباع فيه والرمل ان سعى بعده في أشهر الحج والهرولة فيما بين الميلين الاخضرين للرجال والمشي على هينة في باقي السعي والاكثار من الطوائف

والدفع بالسكينة والوقار من عرفات بعد الغروب والنزول بمزدلفة والمبيت بها ليلة النحر والمبيت بمنى أيام منى بجميع أمتعته وكره تقديم ثقله الى مكة اذ ذاك والنزول بالمحصب ساعة بعد ارتحاله من منى وشرب ماء زمزم والتضلع منه والصب منه على رأسه وسائر جسده وهو لما شرب له من أمور الدنيا والآخرة والتزام الملتزم وهو ان يضع صدره ووجهه عليه والتشبث بالاستار ساعة داعيا بما احب وتقبيل عتبة البيت ودخوله بالادب والتعظيم ثم لم يبق عليه الا أعظم القربات وهي زيارة النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه

باب العمرة

فروضها ثلاثة

الاحرام والطواف والسعي ثم يتحلل بالحلق أو التقصير وهي سنة تصح في جميع السنة وتكره يوم عرفة ويوم النحر وايام التشريق

﴿ مذهب الامام مالك رضي الله عنه ﴾

شروط وجوبه خمسة

البلوغ والعقل والحرية والاسلام والاستطاعة

وفروضه

اربعة الاحرام والوقوف بعرفة ليلا قبل طلوع فجر يوم النحر وطواف الافاضة والسعي بين الصفا والمروة

وواجباته غير فروضه سبعة

الاحرام من الميقات والتلبية وطواف القدوم ورمي الجمار والحلق اوالتقصير وركعتان الطواف والمبيت بمنى ليالي الرمى .

وسننه سبعة

افراد الحج والمبيت بمزدلفة وجمع الظهر والعصر بعرفة وجمع المغرب والعشاء بمزدلفة ليلة النحر والغسل للاحرام ولدخول مكة وللوقوف بعرفة

في العمرة

هي سنة فورا كما يجب الحج فورا على الحر المكلف المستطيع ووجوبه وسنيتها في العمر مرة فقط

وفروضها

الاحرام والطواف والسعي وسن غسل للاحرام ولبس ازار ورداء ونعلين وركعتان

وندب ازالة شعثه والاقتصار على تلبية الرسول صلى الله عليه وسلم وتجديدها لتغير حال وخلف صلاة وملاقاة رفاق وتوسط في علو صوته فيها والله اعلم

« مذهب الامام الشافعي رضي الله عنه »

فروضه ستة

النية والوقوف بعرفة وطواف الافاضة والسعي بين الصفا والمروة والحلق أو التقصير وترتيب معظم هذه الاعمال

وواجباته غير فروضه خمسة

الاحرام من الميقات ورمي الجمار الثلاث والمبيت بمزدلفة ليلة النحر والمبيت بمنى ليالي التشريف والتحرز عن محرمات الاحرام ولا يجب الا على المسلم البالغ العاقل المستطيع

وسننه خمسة

الافراد وهو تقديم الحج على العمرة والتلبية وطواف القدوم والمبيت بمزدلفة

ليلة عرفة وركعتا الطواف وأما طواف الوداع فهو واجب مستقل ليس من أعمال الحج

في العمرة

هي كالحج فرض على المستطيع ولا يجبان في العمر الا مرة واحدة

فروضها خمسة

الاحرام والطواف والسعي والحلق او التقصير والترتيب

وواجباتها شيئان

الاحرام من الميقات واجتناب محرمات الاحرام والفرق بين الفرض والواجب في الحج والعمرة ان الفرض تتوقف عليه صحة كل منهما فيبطل كل منهما بتركه وأما الواجب فيصبح كل منهما بدونه ويجبر تركه بدم كما قالوه والله أعلم

﴿ فصل في ذكر الله تعالى ﴾

قال تعالى « اذكروا الله ذكراً كثيرا »

وقال تعالى « فاذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا » .

وقال تعالى في ذم المنافقين « ولا يذكرون الله الا قليلا »

وروى الغزالي هذا الحديث ـ ما جلس قوم مجلساً يذكرون الله عز وجل الا حفت بهم الملائكة وغشيتهم الرحمة وذكرهم الله تعالى فيمن عنده

وقال تعالى في الاستغفار « والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم »

وقال تعالى « والمستغفرين بالاسحار »
ومعنى الذكر هو التوجه لله تعالى بكليته سواء نطق باسمه الكريم أو لم ينطق
كما قال تعالى « واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من
القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين » وسواء كان في ذلك قائما
او قاعدا أو نائما كما قال تعالى « فاذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياماً وقعودا
وعلى جنوبكم » والذكر بهذا المعنى واجب للمسلمين أن يواظبوا عليه كل يوم
وليلة فرادى او جماعات وهو الذي ندب الى الاجتماع عليه المتصوفة في
كل زمان ومكان . ولكن من الاسف انه مع مضي الزمن والجهل وفساد
الاخلاق ذهب هذا المعنى المقصود بالذات من الذكر وبقيت هيآته فقط
وحركات وسكنات تسمى ذكراً وهي لعب ولغو والفاظ يدغمونها ويمدونها
حتى تصبح اضاحيك صبيانية وألاعيب لا عبادة او يضربون معها الطبول
والزمور او يتغنون بالادوار أو يقومون على ارجلهم ولكن لا تعظيما حقيقيا
ولكن للرقص والدوران وهذا عار على الاسلام والمسلمين وقد
صار يصنع في ليالي الزواج او الولاد او نحوها كما يحضر اللاعبون
فيها والمطربون . هذا ما يجب على كل شيخ طريق وخليفة وكل مسلم عاقل
ان يبادر حالا وسريعاً الى ابداله وارجاع الذكر الى الطريقة الشرعية التي
تقدم ذكرها ويقول لهم افعلوا كذا فيفعلون ويرجعون الى الهدى من
الضلال فان لم يفعلوا وقالوا هكذا وجدنا مشائخنا فعليهم اثم ذلك ووزره
وقد جرت عادة مشائخ الصوفية بتلاوة شيء من الشعر او النثر
الموضوع في تمجيد الله والثناء على انبيائه ملحناً تلحيناً بسيطا ليبعث ذلك
الشعور والحياة في نفس الحاضرين ويحملهم على النشاط في الذكر والالتفات

للتفكر لا للطرب ولا بأس بهذا . لان الشعر أشعر الكلام والملحن أشرف الاصوات وتمجيد الله أشرف المواضيع فهي أليق ببعضها . وهي طريقة أخذها العرب عن العجم قديما .

﴿ فصل آخر في الذكر ﴾

قال الله تعالى فاذكروني أذكركم قال ابن عباس اذكروني بطاعتي أذكركم بمعونتي وقال سعيد بن جبير اذكروني بطاعتي أذكركم بمغفرتي وقيل اذكروني في النعمة والرخاء أذكركم في الشدة والبلاء وقال الله تعالى ياايها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً قال ابن عباس رضي الله عنهما لم يقض الله على عباده فريضة الا جعل لها حداً معلوما ثم عذر أهلها في حال العذر غير الذكر فانه لم يجعل له حداً ينتهي اليه ولم يعذر احداً في تركه الا مغلوبا على عقله وامرهم في الاحوال كلها فقال الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم وقال تعالى اذكروا الله ذكراً كثيراً أي بالليل والنهار في البر والبحر والصحة والسقم في السر والعلانية وقال مجاهد الذكر الكثير أن لاتنساه أبداً قال الشيخ عبد العزيز رحمه الله المؤمن يذكر الله كثيراً لانه يذكر الله بقلبه فتسكن جوارحه الى ذكره فلا يبقى منه عضو الا وهو ذاكر في المعنى فاذا امتدت يده الى شيء ذكر الله فوقف عن السعي الا فيما يرضي الله عز وجل واذا طمحت عينه الى شيء ذكر الله فغض بصره عن محارم الله وكذلك سمعه ولسانه وبصره وسائر جوارحه مصونة بمراقبة الله تعالى ومراعاة أمر الله والحياء من نظر الله فهذا هو الذكر الكثير والذكر القليل ذكر المنافقين يذكرون الله بالسنتهم رياء الناس وليس في قلوبهم من

الذكر شيء قال الله تعالى يراؤن الناس ولا يذكرون الله الا قليلا والذكر
المطلوب ذكر القلب وانما ذكر اللسان طريق اليه فمن لازم ذكر الله
بلسانه مخلصاً لله وصلت بركة الذكر الى قلبه فعاش قلبه بذكر الله فعند
ذلك يكون ذكره كثيراً وقال ابو الليث السمرقندي رحمه الله اعلم ان
ذكر الله تعالى أفضل العبادات لان الله تعالى جعل لسائر العبادات
مقداراً وجعل لها أوقاتا ولم يجعل لذكر الله مقداراً ولا وقتاً وامر بالكثرة
من غير مقدار فقال ياايها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً يعني
اذكروه في جميع الاحوال قال وتفسير الذكر في الاحوال كلها ان العبد
لا يخلو من أربعة احوال اما ان يكون في الطاعة او في المعصية أو في النعمة
او في الشدة فان كان في الطاعة ينبغي أن يذكر الله تعالى بالتوفيق ويسأل
منه القبول وان كان في المعصية ينبغي ان يدعو الله بالامتناع ويسأله التوبة
وان كان في النعمة يذكره بالشكر وان كان في الشدة يذكره بالصبر وقوله
وسبحوه بكرة وأصيلا التسبيح الصلاة والذكر والبكرة ربع النهار الاول
والاصيل الربع الاخير وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم سبق المفردون قالوا وما المفردون يارسول الله قال
الذاكرون الله كثيراً والذاكرات رواه مسلم وقال صلى الله عليه وسلم لا يقعد
قوم يذكرون الله الا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة
وذكرهم الله فيمن عنده رواه مسلم

قال القاضي عياض رحمه الله ذكر الله تعالى ضربان ذكر بالقلب وذكر
باللسان وذكر القلب نوعان احدهما وهو ارفع الاذكار واجلها الفكر
في عظمة الله تعالى وجلاله وجبروته وملكوته وآياته في سمواته وارضه

ومنه الحديث خير الذكر الخفي والثاني ذكر بالقلب عند الامر والنهي فيمتثل ما أمر به ويترك ما نهى عنه ويترك ما أشكل عليه وأما ذكر اللسان مجرداً فهو أضعف الاذكار ولكن فيه فضل عظيم كما جاءت به الاحاديث قال وذكر ابن جرير الطبري وغيره اختلاف السلف في ذكر القلب واللسان أيهما أفضل قال القاضي والخلاف عندي انما يتصور في مجرد ذكر القلب تسبيحاً وتهليلا وشبههما وعليه يدل كلامهم لا انهم مختلفون في الذكر الخفي الذي ذكرناه أولا فذلك لا يقاربه ذكر اللسان فكيف يفاضله وانما الخلاف في ذكر القلب بالتسبيح المجرد ونحوه والمراد بذكر اللسان مع حضور القلب فان كان لاهياً فلا واحتج من رجح ذكر القلب بأن عمل السر أفضل ومن رجح اللسان قال لان العمل فيه أكثر فانه زاد باستعمال اللسان فاقتضى زيادة أجر وقال عطاء مجالس الذكر هي مجالس الحلال والحرام كيف تشتري وتبيع وتصوم وتصلي وتنكح وتطلق وتحج واشباه هذا ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من أطاع الله فقد ذكر الله وان قلت صلاته وصيامه وتلاوته القرآن

﴿ فصل في التفكر ﴾

قال الله تعالى « الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والارض » أي وفيما أبدع فيهما ليدلهم ذلك على قدرة الصانع ويعرفوا ان لها صانعاً قادراً ومدبراً حكيما قال ابن عباس رضي الله عنهما الفكرة تذهب الغفلة وتحدث للقلب الخشية كما يحدث الماء للزرع النبات وما جليت القلوب بمثل الاحزان ولا استنارت بمثل الفكرة وقال ابن عباس

رضي الله عنهما ان قوما تفكروا في الله تعالى فقال النبي صلى الله عليه وسلم تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في الله فانكم لن تقدروا قدره وذكر في الاحياء عن النبي صلى الله عليه وسلم انه خرج على قوم ذات يوم وهم يتفكرون فقال مالكم لا تتكلمون فقالوا نتفكر في خلق الله تعالى فقال فكذلك افعلوا تفكروا في خلقه ولا تفكروا فيه وعن عطاء قال انطلقت أنا وعبيد ابن عمير الى عائشة رضي الله عنها وبيننا وبينها حجاب فقالت ياعبيد مايمنعك من زيارتنا قال قول النبي صلى الله عليه وسلم زر غبا تزدد حبا قال ابن عمير فاخبرينا بأعجب شيء رأيته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فبكت فقالت كل أمره كان عجبا أتاني في ليلتي حتى مس جلده جلدي ثم قال ذريني أتعبد لربي تعالى فقام الى القربة فتوضأ منها ثم قام يصلي فبكي حتى بل لحيته ثم سجد حتى بل الارض ثم اضطجع على جنبه حتى أتى بلال يؤذنه بصلاة الصبح فقال يا رسول الله ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال ويحك يا بلال وما يمنعني ان ابكي وقد انزل الله علي في هذه الليلة ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الالباب ثم قال ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها وقال الحسن تفكر ساعة خير من قيام ليلة وقال الفضيل الفكر مرآة يريك حسناتك وسيئاتك وقال وهب ابن منبه ما طالت فكرة امرىء قط الا فهم وما فهم الا علم وماعلم الا عمل وقال بشر الحافي لو تفكر الناس في عظمة الله تعالى لما عصوه وقال يوسف ابن أسباط ان الدنيا لم تخلق لينظر اليها بل لينظر بها الى الآخرة وقال بعض السادة الفكر نور والغفلة ظلمة والجهالة ضلالة والسعيد من وعظ بغيره وقد ورد في القرآن الحث على التفكر في مخلوقات الله عز وجل قال الله

تعالى ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولي
الالباب الآية وقال تعالى اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض وما
خلق الله من شيء أي وينظروا الى ما خلق الله فيهما من شيء ليستدلوا على
وحدانيته فليتفكر الانسان في السماء وعظمتها وكواكبها وشمسها وقمرها
ومافيها كوكب الا ولله تعالى فيه حكمة في لونه وشكله وموضعه وقد قيل
ان الشمس مثل الارض مرات وان اصغر كوكب في السماء اكبر من الارض
اضعافاً فاذا كان هذا قدر كوكب واحد فانظر الى كثرة الكواكب والى السماء
التي فيها الكواكب والى احاطة عينيك ذلك مع صغرها وليتفكر أيضاً في نفسه
فان في خلقه من العجائب الدالة على عظمة الله ماتنقضي الاعمار في الوقوف على
عشر عشره وهو غافل عن ذلك وقد أمره الله تعالى بالتدبر في نفسه فقال وفي
أنفسكم أفلا تبصرون فاذا تفكر الانسان في ذلك ازداد بذلك يقينا ومعرفة
ومن ذلك تفكره في انعام الله عليه قال الله تعالى وان تعدوا نعمة الله
لاتحصوها فانه اذا تفكر في ذلك يزيد في المحبة والشكر قال الامام
أبو حامد الغزالي رحمه الله واعلم انك انما تعصى الله تعالى بجوارحك وهي
نعمة أنعم الله بها عليك والاستعانة بنعمة الله على معصيته غاية الكفران
ومنها أن يتفكر في زوال الدنيا وتقلبها باهلها ولا ينظر الى سعة عيش
أهلها بل الى سرعة ظعنهم وشر منقلبهم فاذا حقق العبد ما ذكرناه هانت
عليه دنياه وجد في طاعة مولاه ومنها ان يتفكر في الموت وسكراته وفي حال
من مضى من اخوانه واقاربه واقرانه وكيف كانوا والى أين صاروا وانه
صائر الى ماصاروا اليه وقادم على ماقدموا عليه فان التفكر في ذلك يحمل
على الخوف والخشية وقصر الآمال والمبادرة الى التوبة والى صالح الاعمال

(ومنها) أن يتفكر في اهوال القيامة وكيف يحشر الناس حفاة عراة الى ارض المحشر وفي ازدحام الناس وقرب الشمس من رؤسهم وشدة العرق مع مافي القلوب من القلق وفي الحديث ان العرق يأخذ الناس على قدر أعمالهم وفي سؤال ربه عن اعماله بغير واسطة فان التفكر في ذلك كله يدعو الى افعال الخيرات والتأهب للوقوف بين يدي عالم الخفيات (ومنها) التفكر في نار جهنم أعاذنا الله منها وشدة حرها فانها فضلت على نار الدنيا وفيما فيها من الحيات والعقارب وغير ذلك من الاهوال الواردة في القرآن والاحاديث الصحيحة ولو أن ملكا توعد انسانا أن يحبسه في الحمام وان يتركه في الصيف في الشمس لتتنغص عليه عيشه وترك شهوته وان التفكر في ذلك يزيده خوفا ويزجره عن معاصي الله عز وجل (ومنها) أن يتفكر فيما أعد الله لعباده الصالحين في الجنة مما لاعين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فان التفكر في ذلك يزيده رغبة فيها وقوة على طاعة الله عز وجل (ومنها) أن يتفكر اذا حدثته نفسه بمعصية في نظر الله عز وجل اليه وانه أقرب اليه من حبل الوريد ويستحضر قوله تعالى وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير فان التفكر في ذلك يحمله على الحياء من الله تعالى والامتناع من المعاصي

﴿ فصل في النية ﴾

قال الله تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه والمراد بالارادة النية وفي الصحيحين عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انما الاعمال بالنيات وانما

لكل امرئ مانوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته الى ماهاجر اليه قال الشافعي رحمه الله يدخل قوله صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات في سبعين بابا من الفقه وقال أيضاً يدخل في هذا الحديث ثلث العلم قال البيهقي رحمه الله معناه ان كسب العبد انما يكون بقلبه ولسانه وبنانه فالنية أحد أقسام كسبه الثلاثة وهي ارجحها لانها تكون عبادة بانفرادها بخلاف القسمين الآخرين ولان القول والعمل يدخلهما الفساد بالرياء ولا يدخل النية وعن جابر رضي الله عنه قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزاة فقال ان بالمدينة لرجالا ما سرتم مسيرا ولا قطعتم وادياً الا كانوا معكم حبسهم المرض وفي رواية الاشركوكم في الاجر رواه مسلم وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله لاينظر الى أجسامكم ولا الى صوركم ولكن ينظر الى قلوبكم رواه مسلم وعن أبي موسى الاشعري رضي الله عنه قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياء أي ذلك في سبيل الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله رواه البخاري ومسلم وعن أبي بكرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا التقى المسلمان بسيفهما فالقاتل والمقتول في النار قلت يارسول الله هذا القاتل فما بال المقتول قال انه كان حريصاً على قتل صاحبه رواه البخاري ومسلم قال النووي فيه دلالة للمذهب الصحيح الذي عليه الجمهور أن من نوى المعصية وأصر على النية يكون آثما وان لم يفعلها ولا تكلم بها وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يروي

عن ربه تبارك وتعالى قال ان الله تعالى كتب الحسنات والسيئآت ثم بين ذلك فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة ومن هم بها وفعلها كتبها الله عنده عشر حسنات الى سبعمائة ضعف الى أضعاف كثيرة وان هم بسيئته فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة وان هم بها فعملها كتبها الله عنده سيئة واحدة رواه البخاري ومسلم وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه من تزوج امرأة على صداق وهو لا ينوي اداءه فهو زان ومن ادان دينا وهو لا ينوي اداءه اي قضاءه فهو سارق وقال صلى الله عليه وسلم من تطيب لله تعالى جاء يوم القيامة وريحه اطيب من المسك ومن تطيب لغير الله جاء يوم القيامة وريحه أنتن من الجيفة وقال عمر رضي الله عنه أفضل الاعمال أداء ما افترض الله والورع عما حرم الله تعالى وصدق النية فيما عند الله تعالى وكتب سالم بن عبد الله الى عمر بن عبد العزيز اعلم ان عون العبد على قدر النية فمن تمت نيته تم عون الله تعالى له وان نقصت نقص بقدره وقال بعض السلف رب عمل صغير تعظمه النية ورب عمل كبير تصغره النية وقال الثوري كانوا يتعلمون النية للعمل كما يتعلمون العمل وقال بعض العلماء طلب النية قبل العمل وما دمت تنوي للخير فأنت بخير وفي الحديث نية المؤمن خير من عمله قال أبو الليث السمرقندي رحمه الله قال بعض أهل العلم لانه قد يثاب على نية الخير وان لم يعمله ولا يثاب على عمله بلا نية وقال بعضهم نية المؤمن خير من عمله لطول نيته وقصر عمله لانه قد ينوي ان يعمل الخير ما بقي ولا يستطيع ان يعمل الخير ما بقي وقال بعضهم لان النية عمل القلب والقلب معدن المعرفة وما كان من معدن المعرفة كان أفضل من غيره

﴿ فصل في السماع والوجد ﴾

اعلم ان السماع قد اختلف الناس فيه فمنهم من حرمه ومنهم من اباحه ونبين حقيقة السماع واباحته فنقول . السماع هو استماع صوت طيب موزون مفهوم المعنى محرك للقلب وليس في جملة ذلك الا التذاذ حاسة السمع والقلب فهو كالتذاذ حاسة البصر بالنظر الى الخضرة والتذاذ القلب به وقد قال الله تعالى يزيد في الخلق مايشاء ففسروه بالصوت الحسن وقال صلى الله عليه وسلم في أبي موسى الاشعري لقد أوتي مزماراً من مزامير داود وفي الحديث مابعث الله نبياً الا وهو حسن الصوت ومحال أن يقال هو ممنوع فان استماع صوت العندليب مباح فاذا كان استماع الصوت الطيب مباحاً فبأن يكون موزونا لا يحرم واصوات الغناء موزونة نوعاً من الوزن لها مقاطع ومباد متناسبة وهذا لا يختلف بخروج هذا الصوت الطيب من حلق آدمي أو طير أوغيرهما وينبغي أن يقاس على أصوات الطيور ما يخرج من الاجسام كالطبل والقضيب والدف والقصب فلا يستثنى من جملتها الا ما ورد النص بتحريمه وذلك كالاوتار والمزامير التي كانت معتادة للشرب اذ اقتضى المنع من شرب الخمر أن يمنع من متمماته وتوابعه مبالغة في الفطام حتى اقتضى ذلك كسر الدنان في الابتداء ويدل على ماذكرناه من جوازه ماروى عن الصحابة من التغني بالابيات حتى روى في الصحيحين عن أبي بكر وبلال لما قدما المدينة ان بلالا كان مريضا فاذا أقلعت عنه الحمى قال رافعا صوته رضي الله عنه

ألا ليت شعري هل ابيتن ليلة بواد وحولي اذخر وجليل

وهـل اردن يوما مياه مجنة وهل تبدون لي شامة وطفيل

وقال ابو بكر رضي الله عنه

كل امرىء مصبح في اهله والموت ادنى من شراك نعله

من حيث انه محرك للقلب ومهيج لما هو غالب عليه فنقول ان لله تعالى
سراً في مناسبة الاصوات الموزونة للارواح فتؤثر فيها تأثيراً غريبا فتورثها
الحزن مرة والفرح مرة والبكاء مرة والضحك اخرى وتوجب حركات
في الاعضاء غريبة عجيبة ولا تظن ان ذلك لفهم المعنى بل ذلك
مشاهد في الحيوانات خصوصا في الابل ومشاهد في الطفل الذي لا يتكلم
ولا يفهم ومشاهد في اصوات الاوتار التي لا تفهم وعلى الخصوص في الابل
فانها كلما طالت عليها البراري وأعيت تحت الاحمال وتسمع الحداء فتمد
اعناقها وتطوى المراحل فقد حكى ابو بكر محمد بن داود الدينوري المعروف
بالرقى قال كنت في البادية فوافيت قبيلة من قبائل العرب فاضافني رجل
وادخلني خباء فرأيت عبداً اسود مقيداً بقيد ورأيت جمالا قد ماتت بين
يدي البيت ورأيت جملا قد نحل وهزل كانه تخرج روحه فقال لي الغلام
انت ضيف ولك حق فتشفع لي فانه يكرم ضيفه فلا يرد شفاعته فلعله يحل
القيد عن رجلي فلما احضر الطعام امتنعت وقلت لا آكل مالم اشفع في هذا
العبد فقال ان هذا الغلام قد اهلك جميع مالي قلت ماذا فعل فقال ان له
صوتا طيباً وكنت اعيش من ظهور هذه الجمال فحملها احمالا ثقالا وكان
يحدو حتى قطع مسيرة ثلاث ليال في ليلة واحدة من طيب نغمته فلما حطت
احمالها ماتت كلها الا هذا الجمل ولكن انت ضيفي قد اكرمتك ووهبته

الك. فأحببت ان أسمع صوته فلما اصبحنا امره ان يحد وعلى جمل يسقي الماء من بئر هناك فلما رفع صوته هام الجمل وقطع حباله ووقعت انا لوجهي فما اظن اني سمعت صوتا اطيب منه فاذا للسماع تأثير غريب ومن لم يحركه السماع فهو ناقص العقل مائل عن الاعتدال بعيد عن الروحانية قال ابو سليمان السماع لا يحصل في القلب ماليس فيه وانما يحرك ما هو فيه فتكره أصوات النياحة لانها تحرك ماهو مذموم وهو التأسف على الفائت قال الله تعالى لكيلا تأسوا على مافاتكم وقد ورد فيه اخبار كثيرة ولا يكره السماع عند العرس والوليمة والعقيقة وغيرها فان فيها تحريكا لزيادة سرور مباح او مندوب ويدل عليه ماروي من انشاد النساء بالدف والالحان عند قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ما دعا لله داعي

ويدل عليه ماروي في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسترني بردائه وانا انظر الى الحبشة يلعبون في المسجد حتى اكون انا الذي اسأم وما روي مسلم والبخاري ايضا في صحيحهما عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها ان ابا بكر رضي الله عنه دخل عليها وعندها جاريتان في ايام منى يدفقان ويضربان والنبي صلى الله عليه وسلم متغش بثوبه فانتهرهما أبو بكر رضى الله عنه فكشف النبي صلى الله عليه وسلم عن وجهه وقال دعهما يا ابا بكر فانها ايام عيد وفي حديث آخر نحوه وفيه يغنيان ويضربان فهذه الامور دلت قطعاً على اباحة

السماع ودلت على اباحة صوت النساء اذا لم يكن بحيث يخاف الفتنة وعلى الجملة فالسماع مهيج لما في القلب فان كان في قلبه عشق مباح فتهيجه جائز وان كان حراما فتهيجه غير جائز هذا في سماع اهل الغفلة واما سماع ارباب القلوب الذين استهتروا بحب الله والشوق اليه وهم الذين لا ينظرون الى شئ الا ويرونه فيه ولا يقرع سمعهم شيء الا وسمعوا منه او فيه فسماعهم مؤكد للحب والعشق مهيج للشوق من زناد القلوب مستخرج لضروب المكاشفات والملاطفات لا يحيط الوصف بها يعرفها من ذاقها وينكرها من كل حسه عن دركها ويسمى في لسان الصوفية وجداً وما يزيد في حب الله تعالى والشوق اليه ان لم يعد من الفرائض فلا اقل من ان يكون من المباحات كيف وهو مشير لما استدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم بدعائه حيث قال اللهم ارزقني حبك وحب من احبك وحب مايقربني الى حبك فاعلم الآن ان السماع محرك للباطن فمن الناس من قويت منته وكمل امره فلا يحتاج الى محرك من خارج

﴿ فصل في القرآن الكريم وأدب حامله ﴾

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خيركم من تعلم القرآن وعلمه وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياأبا هريرة تعلم القرآن وعلمه الناس ولا تزال كذلك حتى يأتيك الموت فانه اذا أتاك الموت وأنت كذلك حجت الملائكة الى قبرك كما تحج المؤمنون الى بيت الله الحرام وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال خير الناس وخير من مشى على جديد الارض المعلمون كلما خلق الدين جددوه أعطوهم ولا

يستأجروهم فتحوجوهم فان المعلم اذا قال للصبي قل بسم الله الرحمن الرحيم
كتب الله براءة للصبي وبراءة للمعلم وبراءة لابويه من النار ذكره الثعلبي
ويروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال ان القوم ليبعث الله عليهم العذاب حتما
مقضياً فيقرأ صبي من صبيانهم في الكتاب الحمد لله رب العالمين فيسمع
الله عز وجل فيرفع عنهم العذاب أربعين سنة وعن ابي هريرة رضي الله
عنه مامن مسلم علم ولده القرآن الا توج تاجا في الجنة يعرفه أهل الجنة
بحمل ولده القرآن

وعن أبي موسى الاشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان من اجلال الله تعالى اكرام ذي الشيبة المسلم وحامل القرآن غير الغالي
فيه والجافي عنه واكرام ذي السلطان رواه أبو داود وعن أنس رضي الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله عز وجل أهلين من الناس
قيل من هم يارسول الله قال أهل القرآن هم اهل الله وخاصته رواه
النسائي وعن ابي مسعود الانصاري البدري رضي الله عنه عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال يؤم القوم اقرؤهم لكتاب الله تعالى رواه مسلم
وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان القراء أصحاب مجلس عمر رضي
الله عنه ومشاورته كهولا كانوا أو شباباً رواه البخاري ويروى عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال ثلاثة لا يستخف بحقهم الا منافق امام مقسط
وذو شيبة في الاسلام وحامل القرآن ذكره ابو الليث السمرقندي ويروى
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال القرآن افضل من كل شيء فمن وقر القرآن
فقد وقر الله ومن استخف بالقرآن استخف بحق الله حملة القرآن هم
المحفوفون برحمة الله المعظمون كلام الله الملبسون نور الله فمن والاهم فقد

والى الله ومن عاداهم فقد استخف بحق الله عز وجل

وينبغي لحامل القرآن أن يكون اول ما يقصد بتعليمه وتعلمه وجه الله تعالى ورضاه قال الله تعالى وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى قال ابن عباس رضي الله عنهما انما يحفظ الرجل على قدر نيته وقال غيره انما يعطي الناس على قدر نياتهم وان يتأدب بادابه فيمتثل اوامره ويجتنب نواهيه قال الله تعالى فمن اتبع هداي يعنى القرآن فلا يضل ولا يشقى قال ابن عباس رضي الله عنهما من قرأ القرآن واتبع مافيه هداه الله من الضلالة ووقاه يوم القيامة سوء الحساب وذلك بان الله تعالى يقول فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى وعنه انه قال اجار الله تابع القرآن من ان يضل في الدنيا ويشقى في الاخرة وقرأ هذه الاية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاحسد الا في اثنتين رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به اناء الليل وأطراف النهار ورجل أتاه الله مالا فهو ينفقه أناء الليل وأناء النهار رواه البخاري ومسلم وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال كنا نتعلم من رسول الله صلى الله عليه وسلم العشر فلا نجاوزها الى العشر الاخر حتى نعلم مافيها من العلم والعمل وقال ايضا انزل القرآن عليهم ليعملوا به فاتخذوا دراسته عملا ان احدهم ليقرأ القرآن من فاتحته الى خاتمته مايسقط منه حرفا وقد اسقط العمل به وقال ايضا ينبغي لحامل القرآن ان يعرف بليله اذا الناس نائمون وبنهاره اذا الناس مفطرون وبحزنه اذا الناس يفرحون وببكائه اذا الناس يضحكون وبصمته اذا الناس يخوضون وبخضوعه اذا الناس يختالون وقال الفضيل بن عياض رحمه الله ينبغي لحامل

القرآن ان لا يكون له حاجة الى احد من الخلفاء فمن دونهم وينبغي ان يكون حوائج الخلق اليه وقال ايضا حامل القرآن حامل راية الاسلام لا ينبغي ان يلهو مع من يلهو ولا يسهو مع من يسهو ولا يلغو مع من يلغو تعظيما لحق القران وقال بعض العلماء ان العبد ليتلو القران فيلعن نفسه وهو لا يعلم يقرأ الا لعنة الله على الظالمين وهو ظالم لنفسه الا لعنة الله على الكاذبين وهو منهم وقال بعض السلف ان العبدليفتتح بسورة فتصلي عليه حتى يفرغ منها وان العبد ليفتتح بسورة فتلعنه حتى يفرغ منها فقيل كيف ذلك قال اذا أحل حلالها وحرم حرامها صلت عليه والا لعنته

وعن أبي موسى الاشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تعاهدوا هذا القرآن فوالذي نفس محمد بيده لهو أشد تفلتا من الابل في عقلها وعن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انما مثل صاحب القرآن كمثل الابل المعقلة ان عاهد عليها امسكها وان أطلقها ذهبت رواهما البخاري ومسلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عرضت عليّ أعمال امتي حتى القذاة يخرجها الرجل من المسجد وعرضت عليّ ذنوب امتي فلم ار ذنبا اعظم من سورة من القرآن او آية اوتيها الرجل ثم نسيها رواه ابو داود والترمذي وتكلم فيه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ القرآن ثم نسيه لقى الله تعالى يوم القيامة اجزم رواه ابو داود وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامن رجل تعلم القرآن ثم نسيه الا بذنب ثم قرأوما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم واي مصيبة اعظم من نسيان القرآن. وقال ابو عبد الله الجيلي كنت امشي يوما مع استاذي فرأيت شابا حدثا جميلا فقلت يا أستاذي ترى يعذب الله هذه الصورة قال فنظر الي وقال

ستري غبها قال فنسيت القرآن بعد ذلك بعشرين سنة

وينبغي لقارئ القرآن اذا شرع في القراءة ان يكون شأنه الخشوع وتدبر القرآن قال الله عز وجل أفلا يتدبرون القرآن وقال تعالى كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته فينبغي أن يستحضر في نفسه أنه يناجي الله تعالى ويقرأ على حال من يرى الله تعالى فانه ان لم يكن يراه فالله يراه قال النووي رحمه الله وقد بات جماعة من السلف يتلون آية واحدة يتدبرونها ويرددونها الى الصباح قال وقد صعق جماعة من السلف عند القراءة ومات جماعة منهم حال القراءة قال وروينا عن بهز بن حكيم ان زرارة بن أوفى التابعي الجليل رضي الله عنه أمهم في صلاة الفجر فقرأ حتى اذا بلغ فاذا نقر في الناقور فذلك يومئذ يوم عسير خرميتا قال بهز فكنت فيمن يحمله قال ابراهيم الخواص رحمه الله دواء القلب خمسة أشياء قراءة القرآن بالتدبر وخلاء البطن وقيام الليل والتضرع عند السحر ومجالسة الصالحين ويستحب ترديد الاية للتدبر عن أبي ذر رضي الله عنه قال قام النبي صلى الله عليه وسلم بآية يرددها حتى أصبح والاية ان تعذبهم فانهم عبادك رواه النسائي وابن ماجه وعن تميم الداري رضي الله عنه انه كرر هذه الاية حتى اصبح أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين امنوا وعملوا الصالحات الاية واما البكاء عند قراءة القرآن قال النووي رحمه الله فهو صفة العارفين وشعار عباد الله الصالحين قال الله تعالى ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرؤا القرآن وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا وعن أبي صالح رضي الله عنه قال قدم ناس من اهل اليمن على أبي بكر الصديق رضي الله عنه فجعلوا يقرؤن القرآن فيبكون قال ابو

بكر هكذا كنا قال أبو حامد الغزالي رحمه الله البكاء مستحب مع القراءة وعندها قال وطريقه في تحصيله أن يحضر قلبه الحزن بان يتأمل ما فيه من التهديد والوعيد الشديد والوثائق والعهود ثم يتأمل تقصيره في ذلك فان لم يحضره حزن وبكاء كما يحضر الخواص فليبك على فقد ذلك فانه من أعظم المصائب

وقال الله تعالى ورتل القرآن ترتيلا وعن أم سلمة رضي الله عنها أنها نعتت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم قراءة مفسرة حرفا حرفا رواه أبو داود والنسائي والترمذي وقال حسن صحيح وعن عبد الله رضي الله عنه قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة على ناقته وهو يقرأ سورة الفتح فرجع في قراءته رواه البخاري ومسلم وقال ابن عباس رضي الله عنهما لان أقرأ سورة ارتلها أحب الي من أن اقرأ القرآن كله وعن مجاهد رضي الله عنه انه سئل عن رجلين قرأ أحدهما البقرة وآل عمران والآخر البقرة وحدها وزمنهما وركوعهما وسجودهما وجلوسهما سواء قال الذي قرأ البقرة وحدها أفضل وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رجلا قال له اني اقرأ المفصل في ركعة واحدة فقال عبد الله هذا كهذ الشعر ان قوما يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم ولكن اذا وقع في القلب فرسخ فينفع ويستحب اذا مر بآية رحمة ان يسأل الله تعالى من فضله واذا مر بآية عذاب ان يستعيذ من الشر ومن العذاب واذا مر باية تنزيه لله سبحانه وتعالى نزهه فقال سبحانه وتعالى ففي صحيح مسلم عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فافتتح البقرة فقلت يركع عند المائة ثم مضى فقلت يصلي بها في ركعة فمضى فقلت

يركع بها ثم افتتح النساء ثم افتتح آل عمران فقرأها يقرأ مترسلا اذا مر
باية فيها تسبيح سبح واذا مر بسؤال سأل واذا مر بتعوذ تعوذ ويروي
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قرأ والتين والزيتون فقال أليس الله
باحكم الحاكمين فليقل بلى وانا على ذلك من الشاهدين ومن قرأ آخر لا أقسم
بيوم القيامة أليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى فليقل بلى أشهد ومن قرأ
فبأي حديث بعده يؤمنون فليقل آمنت بالله

﴿ باب تدبير النفس ﴾

ينقسم هذا الباب الى ثلاثة اقسام قسم الفضائل وقسم الرذائل وقسم العادات

﴿ قسم الفضائل ﴾

﴿ فصل في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ﴾

الامر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب الاعظم في الدين وهو المهم
الذي ابتعث الله له النبيين أجمعين ولو طوى بساطه واهمل عمله وعلمه تعطلت
النبوة واضمحلت الديانة وظهر الفساد وخربت البلاد قال الله تعالى ولتكن
منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك
هم المفلحون وفي هذه الآية دليل على ان ذلك واجب فان قوله ولتكن
امر وظاهره الايجاب وفيها بيان انه فرض على الكفاية لا فرض عين لانه
قال ولتكن منكم امة ولم يقل كونوا كلكم آمرين بالمعروف فاذا قام به
من يكفي سقط عن الباقين واختص الفلاح بالقائمين والمباشرين له وقال تعالى
والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر
الآية قد نعت المؤمنين بأنهم يأمرون بالمعروف فالذي هجر الامر بالمعروف

خارج عن هؤلاء المؤمنين المنعوتين في هذه الاية وقال تعالى (لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسي بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لايتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون) وهذا غاية التشديد اذ علق استحقاقهم اللعنة بتركهم النهي عن المنكر وفي صحيح مسلم عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف الايمان وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اياكم والجلوس في الطرقات فقالوا يارسول الله مالنا من مجالسنا بد نتحدث فيها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا أبيتم الا المجلس فأعطوا الطريق حقه قالوا يارسول الله وما حق الطريق قال غض البصر وكف الاذى ورد السلام والامر بالمعروف والنهي عن المنكر رواه البخاري ومسلم قال النووي رحمه الله يدخل في كف الاذى اجتناب الغيبة وظن السوء واحتقار بعض المارين وتضييق الطريق وكذا اذا كان القاعدون ممن يهابهم المارون او النساء ويمتنعون من المرور فى أشغالهم بسببهم ولا يجدون طريقاً آخر وكذا لو جلس بقرب دار انسان يتأذى بذلك او حيث يكشف من احوال الناس شيئاً يكرهونه وقال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يدي المسيء ولتأطرنه على الخواطر او ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض ثم يلعنكم كما لعنهم يعني بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم عليه السلام قوله لتأطرنه أي لتعطفنه وقال صلى الله عليه وسلم يا أيها الناس مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل ان تدعوا الله فلا يستجيب لكم وقبل

ان تستغفروه فلا يغفر لكم ان الاحبار من اليهود والرهبان من النصارى لما تركوا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لعنهم على لسان انبيائهم ثم عمهم بالبلاء وقال صلى الله عليه وسلم افضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر حسنه الترمذ قال الخطابي انما صار ذلك افضل الجهاد لان من جاهد العدو كان متردداً بين رجاء وخوف لا يدري هل يغلب او يغلب وصاحب السلطان مقهور في يده فهو اذا قال الحق وأمره بالمعروف فقد تعرض للتلف وعن أبي بكر رضي الله عنه قال يا أيها الناس انكم تقرأون هذه الآية يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الناس اذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يده أوشك ان يعمهم الله بعقوبة منه رواه أبو داود والترمذي والنسائي بأسانيد صحيحة وفي رواية لتأمرن بالمعروف ولتنهن عن المنكر اوليستعملن الله عليكم شراركم فليسومونكم سوء العذاب ثم ليدعون الله خياركم فلا يستجاب لهم وقال مجاهد وسعيد بن جبير الآية في اليهود والنصارى يعني عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل من أهل الكتاب فخذوا منهم الجزية واتركوهم وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال في هذه الآية مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر ما قبل منكم فان رد عليكم فعليكم أنفسكم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا عملت الخطيئة في الارض من شهدها فكرهها كان كمن غاب عنها ومن غاب عنها فرضيها كان كمن شهدها وقال صلى الله عليه وسلم لا ينبغي لامرئ شهد مقاماً فيه حق الا تكلم به فانه لم يقدم أجله ولم يحرمه رزقاً هوله وقوله تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة أي بل يعم شؤمها من تعاطاها ومن رضيها هذا بفساده وهذا برضاه قال القرطبي فان قيل

قال الله تعالى ولا تزر وازرة وزر أخرى كل نفس بما كسبت رهينة لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت وهذا يوجب أن لا يؤاخذ أحد بذنب احد وانما تتعلق العقوبة بصاحب الذنب فالجواب أن الناس اذا تظاهروا بالمنكر فيجب على من رآه ان يغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه كما جاء في الحديث وعن بعض الصحابة انه قال ان الرجل اذا رأى منكراً لا يستطيع النكير عليه فليقل ثلاث مرات اللهم هذا منكر لا أرضاه وقد جعل الله الراضي بمنزلة العامل قال الله تعالى انكم اذا مثلهم فاما اذا كثر الصالحون واخلصوا سلموا قال الله تعالى فلولا كان من القرون من قبلكم اولو بقية ينهون عن الفساد في الارض الاية) وقال الله تعالى فلما نسوا ما ذكروا به انجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون قال ابن عباس رضي الله عنهما قد أخبرنا الله عن هذين ولم يخبرنا عن الذين قالوا لم تعظون قوماً الله مهلكهم (وقال مالك رحمه الله تعالى تهجر الارض التي يصنع فيها المنكر جهاراً ولا يستقر فيها واحتج بصنيع أبي الدرداء في خروجه من أرض معاوية حين أعلن بالربا فاجاز بيع سقاية الذهب باكثر من وزنها خرجه أهل الصحيح قال القرطبي رحمه الله روى أن مالكا أقام اخر عمره ثمان عشرة سنة لم يخرج الى المسجد فقيل له في ذلك فقال ليس كل أحد يمكنه أن يخبر بعذره قال القرطبي رحمه الله واختلف الناس في عذره فقيل لئلا يرى المناكر) هذا وان باب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر قد ضيع اكثره في أزمان متطاولة ولم يبق منه في هذه الازمان الا رسوم قليلة جداً وهو باب عظيم به قوام الامر وملاكه واذا كثر الخبث عم العقاب الصالح والطالح فاذا لم يأخذوا على يد الظالم

أوشك ان يعمهم الله بعقابه فليحذر الذين يخالفون عن أمره ان تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم فينبغي لطالب الاخرة والساعي في تحصيل رضا الله عز وجل ان يعتني بهذه الابواب فان نفعها عظيم ويخلص نيته ولا يهاب من ينكر عليه لارتفاع منزلته فان الله تعالى قال ولينصرن الله من ينصره وقال تعالى ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم وقال تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقال تعالى أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا أمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين واعلم ان الاجر على قدر النصب ولا يتاركه أيضاً اصداقته ومودته ومداهنته وطلب الوجاهة عنده ودوام المنزلة لديه فان صداقته ومودته توجب له حرمة وحقاً من حقه ان ينصحه ويهديه الى مصالح اخرته وينقذه من مضارها وصديق الانسان ومحبه هو من سعى في عمارة اخرته وان ادى الى نقص في دنياه وعدوه من سعى في ذهاب ونقص اخرته وان حصل بسبب ذلك صورة نفع في دنياه وينبغي للآمر بالمعروف والناهي عن المنكر ان يرفق ليكون اقرب الى تحصيل المطلوب فقد قال الامام الشافعي رحمه الله من وعظ أخاه سراً فقد نصحه وزانه ومن وعظه جهراً فقد فضحه وشانه قال الغزالي رحمه الله ويدل على وجوب الرفق ما استدل به المأمون رحمه الله اذ وعظه واعظ وعنف له في القول فقال يارجل ارفق فقد بعث الله من هو خير منك الى من هو شر مني وأمره بالرفق فقال تعالى فقولا له قولا ليناً لعله يتذكر او يخشى قال الغزالي رحمه الله كان عمر رضي الله عنه يقول رحم الله امرءاً أهدى الى عيوبي وكان يسأل سلمان عن عيوبه لما قدم عليه وقال ما الذي بلغك عني

مما كرهته فاستعفى فالح عليه فقال سمعت انك جمعت بين أدمين على مائدة
وان لك حلتين حلة بالليل وحلة بالنهار فقال وهل بلغك غير هذا قال لا قال
أما هذان فقد كفيتهما قال الغزالي رحمه الله لعل انتفاع الانسان بعدو مشاحن
يذكره عيوب نفسه اكثر من انتفاعه بصديق مداهن يثني عليه ويمدحه
ويخفى عنه عيوبه الا ان الطبع مجبول على تكذيب العدو وحمل ما يقوله على
الحسد ولكن البصير لا يخلوا عن الانتفاع بقول اعدائه فان مساويه لابد
وان تنتشر على لسانهم وعن انس رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه قال الا اخبركم بأقوام ليسوا بانبياء ولا شهداء يغبطهم النبيون
والشهداء لمنازلهم من الله تعالى على منابر من نور يعرفون عليها قالوا من هم
يارسول الله قال قوم يحبون الله ويحببون الله الى عباده ويمشون على الارض
مسبحاً قال فقلنا هذا يحبون الله فكيف يحببون الله الى عباده قال يأمرونهم
بما يحب الله وينهونهم عما يكره فاذا اطاعوهم احبهم الله ثم تلا ومن احسن
قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا الاية اه

(فصل في الطاعات والمعاصي)

قال الله تعالى (ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى
عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون) أي تتعظون وقال
الله تعالى ياأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً قال عطاء عن ابن عباس
أي بالانتهاء عما نهاكم الله عنه والعمل بطاعته وأهليكم ناراً يعني مروهم
بالخير وانهوهم عن الشر وعلموهم وأدبوهم تقوهم بذلك ناراً وقودها الناس

والحجارة وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى يغار وغيرة الله ان يأتي المرء ماحرم الله عليه وروي الدارقطني عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تعالى فرض فرائض فلا تضيعوها وحد حدوداً فلا تعدوها وحرم اشياء فلا تنتهكوها وسكت عن اشياء رحمة لكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها وعن ابي بكر رضي الله عنه قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الناس خير قال من طال عمره وحسن عمله قيل فأي الناس شر قال من طال عمره وساء عمله وقال صلى الله عليه وسلم اذا رأيت الله يعطي العبد مايحب وهو مقيم على معصيته فانما ذلك استدراج ثم تلا قوله تعالى فلما نسوا ماذ كروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فاذاهم مبلسون ويروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من أطاع الله فقد ذكر الله تعالى وان قلت صلاته وصيامه وتلاوته القرآن ومن عصي الله فقد نسي الله وان كثرت صلاته وصيامه وتلاوته القرآن وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال واياكم ومحقرات الذنوب فانما محقرات الذنوب كمثل قوم نزلوا ببطن واد فجاءذا بعود وجاء ذا بعود حتى انضجوا خبزهم فان محقرات الذنوب متى يؤخذ بها صاحبها تهلكه وقال الفضيل ابن عياض العجب كل العجب لمن عرف الله تعالى ثم عصاه بعد المعرفة وقال أبو سعيد الخدري انكم تعملون أعمالا هي أدق عندكم من الشعر كنا نعدها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الموبقات وكان احمد بن حرب يقول ياصاحب الذنوب قد آن لك ان تتوب ياصاحب الذنوب أنت غدا بالذنب مطلوب ياصاحب الذنوب أنت بها في النار مسحوب وقال بعض الحكماء اني لاأستحي من الله ان اعبده

رجاء ثواب الجنة فاكون كالاجير ان اعطي أجره عمل والا لم يعمل ولكنني أعبده لما هو أهله وقال بعض الحكماء ركب الله تعالى في الملائكة العقل بلا شهوة وركب فى البهائم الشهوة بلا عقل وركب في بني آدم الشهوة والعقل فمن غلب عقله شهوته فهو خير أشبه بالملائكة ومن غلبت شهوته عقله فهو شر من البهائم قال بعض العلماء ليس بيع يوسف اخوته باعجب من بيعك نفسك بادنى شهوة بل بادنى من ذلك وهو الطمع في الشهوة وباع يوسف من يعاديه وأنت تبيع نفسك مع محبتك اياها فما أغفلك وأسوأ حالك وفي القرآن من يعمل سوأ يجزبه وقال لقمان لما حضرته الوفاة يابنى كثيراً ما كنت أوصيك الى هذه الغاية واني موصيك بست خصال فيها علم الاولين والآخرين أولها لاتشغل نفسك بالدنيا الا بقدر مابقى من عمرك الثاني اعبد ربك بقدر حوائجك اليه الثالث اعمل لآخرتك بقدر ما تريد المقام فيها الرابع أن يكون شغلك في فكاك رقبتك من النار مالم تظهر لك النجاة منها الخامس ليكون جراءتك على المعاصي بقدر صبرك على عذاب الله تعالى مالم يظهر النجاة منه السادس ان أردت ان تعصي الله تعالى فاطلب مكانا لايراك الله عز وجل وملائكته فيه وفي الحديث اذا بلغ العبد أربعين سنة ولم يغلب خيره على شره فلينح على نفسه أو ليتجهز الى النار قال الشيخ عبد العزيز رحمه الله المعاصي قسمان ترك فريضة أو فعل محرم وأولهما معصية آدم نهى عن أكل الشجرة فاكل ثم ينقسم الى ماهو حق الله والى ماهو حق الآدمي ثم ينقسم من أصولها الى أربعة ربوبية وشيطانية وبهيمية وسبعية فالربوبية التشبه باوصاف الرب سبحانه فان الرفعة والعظمة والكبرياء والعز والغنى والقهر والاستيلاء صفات الرب سبحانه فمن تشبه

بها من الخلق فتكبر وتجبر وطلب الرفعة والعلو والبناء والاستيلاء على الخلق فقد نازع الربوبية حقها والشيطانية التشبه بالشيطان ومن صفاته الحسد والبغي والحيلة والخداع والغش والنفاق والدعوة الى المعاصي والبدع والضلال والبهيمية الشره والحرص على قضاء شهوة البطن والفرج ومنها يتشعب الزنا والسرقة وأكل مال الايتام وجمع الحرام لقضاء الاوطار والسبعية الغضب والحقد ومنها يتشعب القتل والضرب وايذاء الخلق واول ما يستولي على الانسان البهيمية فاذا كبر وتزايد فهمه دخلت عليه السبعية فاذا قويت فكرته ولم يوفق استعمل عقله في المكر والخداع والصفات الشيطانية ثم يدخل عليه منازعة الربوبية قال الله تعالى الكبرياء ردائي ثم تنقسم الذنوب قسمين بالنظر الى ضررها واثمها فالكبائر تغفر بالتوبة والصغائر تغفر بالصلاة ونحوها كما ورد وقد اختلف الناس في حد الكبائر اختلافا كثيراً فذهب بعض العلماء الى ان كل محرم كبيرة ولكن بعضها أكبر من بعض فان الصغير والكبير أمر نسبي وهذا ضعيف فان ظاهر القرآن يدل على أن المعاصي منقسمة قال الله تعالى الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم واكثر المفسرين على ان اللمم صغائر الذنوب وقال الله تعالى ان تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه نكفر عنكم سيآتكم فالصحيح التقسيم ثم اختلف الصحابة والتابعون في عدد الكبائر فقال ابن مسعود أربع وقال ابن عمر سبع وقال عبد الله بن عمرو بن العاص تسع وقيل احدى عشرة كبيرة وقال أبو طالب المكي جمعتها من مجموع أقوال الصحابة فوجدتها سبعة عشر أربعة في القلب وهي الشرك بالله والاصرار على معصية الله والقنوط من رحمة الله والا من من مكر الله وأربعة في اللسان وهي شهادة الزور

وقذف المحصن واليمين الغموس وهي التي يحلف بها الحالف متعمداً للكذب وقيل هي التي يقتطع بها مال مسلم ولو سواكا من أراك وسميت غموسا لانها تغمس صاحبها في النار والسحر وهو كلام أجرى الله العادة بانه اذا استعمل ظهر له أثر من الفساد وثلاث في البطن شرب الخمر وأكل مال اليتيم وأكل الربا وهو يعمل واثنان في الفرج وهما الزنا واللواط واثنان في اليدين وهما القتل والسرقة وواحدة في الرجلين وهو الفرار من الزحف وواحدة في جميع الجسد وهو عقوق الوالدين وعقوقهما أن يجوعا فلا يطعمهما واختلف العلماء في حد الكبيرة فقيل كل مانهى الله عنه في القرآن فهى كبيرة ومانهى عنه الرسول فهي صغيرة وقيل ماتواعد الله عليه بالنار فهو كبيرة وما لم يقترن به مع النهي عنه وعيد أو غضب فهو صغيرة وقيل كل ماشرع فيه حد وقيل حد أو كفارة فهو كبيرة وقيل كلما اتفقت الشرائع على تحريمه فهو كبيرة وقيل ان حصرها مبهم ولم يرد بعددها نص وفائدة ذلك تعظيم سائر المعاصي خوفا من الوقوع في كبيرة وقيل أكبر الكبائر معلوم وأصغرها غير معلوم

ويقال ستة أشياء اذا قارنت الصغائر ألحقتها بالكبائر واذا كانت مع الكبائر عظم وزرها وتزايد أمرها (الاول) الاصرار وهو العزم على العود الى مثل الذنب ولذلك قيل لا صغيرة مع الاصرار ولا كبيرة مع الاستغفار وليس المراد به استغفار الكذابين باللسان وانما المراد التوبة والندم والاقلاع والالتجاء الى الله بالقلب ويقال آفة الاصرار على الصغائر الوقوع في الكبائر وقل ان يقع العبد في كبيرة حتى يتقدمها صغائر كالزنا مثلا لا يتصور من غير تقدم نظر ولمس ونحوه (الثاني) أن يستصغر الذنب فانه يكبر اثمه على

قدر استصغاره له فان في تصغير الذنب تصغير أمر الرب وفي تعظيم الذنب تعظيم الرب سبحانه وفي الحديث المؤمن يرى ذنبه كالجبل فوقه يخاف أن يقع عليه والمنافق يرى ذنبه كالذباب وقع على وجهه فاطاره وقال بعضهم أكبر الذنب قول الانسان ليت كل ذنب عملته يكون مثل هذا وأوحى الله تعالى الى بعض الانبياء لا تنظر الى قلة الهدية وانظر الى عظم مهديها ولا تنظر الى صغر الخطيئة ولكن انظر الى كبرياء من واجهت بها (الثالث) السرور بالذنب فان القلب يسود بقدر الفرح بالذنب وروى ان رجلا كان في بني اسرائيل تاب من ذنب وصام سنتين ثم سأل بعض الانبياء يدعو له بالقبول فدعا له فأوحى الله عز وجل اليه لو تشفع بأهل السموات والارض ما قبلته وحلاوة الذنب في قلبه ومثال المعاصي كمثل من غلبه عدوه فأوقعه في نار أو ما يخاف الهلاك فيه فينبغي ان يغلب عليه الحزن والاسف ففرحه من غاية الجهل ويقال من فرح بالذنب فهو كالمريض الذي يفرح أن ينكسر اناؤه الذي فيه دواؤه كراهية أن يستعمله لا يرجى شفاؤه (الرابع) ان يتهاون بمنة الله تعالى عليه من ستره عليه وحلمه عنه وامهاله حيث لا يعاجله بالعقوبة وقد يكون ذلك الستر مقتاً من الله وامهالا ليزداد ذنوبا فيأخذه على غرة (الخامس) اظهار الذنب بان يفعله مجاهراً أو يتحدث به ويفتخر به ويتمدح وفي ذلك زيادة جراءة وعدم حرمة وابطال نعمة فان من نعم الله تعالى اظهار الجميل وستر القبيح وفيه تحريك داعية من علم بذنبه الى الوقوع في مثله وفي الخبر كل الناس معافي الا المجاهرون وقال بعضهم لا تذنب فان أذنبت فلا ترغب غيرك فتكسب ذنبين قال الله تعالى المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف

وقال بعض السلف ما انتهك المؤمن من أخيه حرمة أعظم من ان يساعده على معصية (السادس) أن يكون المذنب عالما يقتدى به كما ورد في الحديث من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها لا ينقص من أوزارهم شيئ قال الله تعالى ونكتب ماقدموا وآثارهم وآثار العمل ما يبقى بعد العمل وقال ابن عباس رضي الله عنه ويل للعالم من الاتباع يزل زلة فيرجع عنها ويحملها الناس فيذهبون بها في الآفاق ويقال العالم كالسفينة اذا غرقت غرق أهلها

﴿ فصل في آداب المرشد في التربية والتعليم ﴾

قال الله تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات وقال صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم وقال علي رضي الله عنه قيمة كل امريء ما يحسنه ومعناه انه اذا أردت ان تعرف قيمة شخص فجرده في فكرك مما عليه من الالقاب والمال والجاه وانظر اليه بعد ذلك تعرف قيمته الحقيقية. العالم الديني هو وارث الانبياء فيجب ان يكون عمله عمل الانبياء من تعليم الدين والارشاد والدعوة له حتى يظهر اثره في قومه وآداب المعلم المرشد كثيرة

منها - ان يسلك في التربية طريق التدريج من البسيط الى ما هو أرقى منه وان لا يحمل الذهن اكثر من طاقته فانه كالمعدة اذا حملت اكثر من اللازم لها لم تهضمه ولم تنتفع به

ومنها - أن يربي في المريد ملكة الاجتهاد والنظر لا مجرد التقليد والتسليم بلا أعمال فكر وروية فان هذه الطريقة الاخيرة تجعل التلميذ نسخة من المعلم

لاتتغير ولا تتقدم مدى الاجيال . وكذلك يربي فيه ملكة التحصيل لا مجرد الفهم .

ومنها - ان يلاحظ اخلاق المتعلم كما يلاحظ علمه واذا نصحه للرجوع عن عيب صغير فيكون بلطف وفي غير محفل فان النصح في المحفل مهين له والتصريح يهتك حجاب الهيبة والحياء ويورث الجراة على المنهيات بل يهيج الحرص على الاصرار . وربما مزج له النصيحة بشيء من التلطيف كالسكر الذي يوضع على الدواء

ومنها - ان يكون المعلم عاملا بعلمه فلايصل الخبر الى نفس المريد من طريق اذنه على غير ماوصلها من طريق بصره فلا تتأثر ولا تنهض لتصديق الامر أو العمل به

ومنها - ان لا يذم العلوم التي لا يعلمها فيصرف نفوس المريدين عن أمور اخرى نافعة قد يحصلون عليها من غيره

ومنها - ان يصحب التعليم بالعمل فمن علمه بان الغيبة حرام فرآه يغتاب أسكته ومن نهاه عن شرب الدخان مثلا لانه مضر بالصحة فليأخذ الدخان منه ويطرحه . أو من امره بالنظافة فرآه قذراً فلا يكلمه حتى ينظف نفسه وهكذا

ومنها - ان يراقب المريدين دائما ويخالطهم ويحاسبهم حتى لاينقطع عنهم اثر ارشاده مدى العمر . فان عهد الطريق معناه هو هذه الرابطة وتسلسله الى الرسول معناه انتهاء الارشاد اليه صلى الله عليه وسلم

﴿ فصل في آداب المريد ﴾

آداب المريد كثيرة منها - صدق النيه فانه ان صدق في النيه فقلما يخيب في

الوصول الى غايتـه من العـلم والتربيه . ومن طلب شيئاً وجـده ومن تركه فقده

ومنها ـ المواظبه والصـبر . فان العمل القليل الدائم خير من الكثير المنقطع

ومنها ـ خزن مايعلمه في صدره وعدم تركه يمر عليه بلا تقيد به فيذهب تعبه في الفهم والتحصيل عبثاً كمن يصيد الطيور ثم يطلقها

ومنها ـ عدم المبالاة بكلام البعض في ذم ما يراه العقلاء نافعاً مفيداً من العلوم فان الناس اعداء ما جهلوا قال تعالى «واذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم» وقال الشاعر

ومن يك ذا فم مر مريض يجد مرا به الماء الزلالا

ومنها ـ ان لا يتكلم في مسألة ولا يخوض في موضوع لمجرد الشقشقة والفخفخة والجدل بل لطلب حقيقة ذلك والوقوف عندها

ومنها ـ ان لا يضحى العلوم التي هي غايات للعلوم التي هي وسائل بل يأخذ الاهم فالاهم ثم يختص بفن اذا أراد . فانه لا يفوق الا بهذا الاختصاص

ومنها ـ النظر في ماهو عليه من مساوي الاخلاق التي تخالف ما قرأه وما علمه «ويعلم ذلك بالمراقبة ومن السنة اعدائه» فيعمل في ازالة ذلك ويتجرع لتركه الغصص في الاول حتى يتعود على تركه بالمره

﴿ فصل في الطريق الى تهذيب الاخلاق ﴾

قد عرف ان الاعتدال في الاخلاق في مزاج البدن هو صحة النفس والميل عن الاعتدال سقم ومرض فيها كما ان الاعتدال فى مزاج البدن هو

صحة له والميل عن الاعتـدال مرض فيه فلنتخذ البدن مثالا فنقول مثال النفس في علاجها بمحو الرذائل والاخـلاق الرديئة عنها وجلب الفضائل والاخلاق الجميلة اليها مثال البدن في علاجه بمحو العلل عنه وكسب الصحة له وجلبها اليه وكما ان البدن في الابتداء لا يخلق كاملا وانما يكمل ويقوى بالنشو والتربية بالغذاء فكذلك النفس تخلق ناقصة قابلة للكمال وانما تكمل بالتربيـة وتهذيب الاخلاق والتغذية بالعلم فاذا كملت وكانت زكية طاهرة مهذبة فينبغي أن تسعى لحفظها وجلب مزيد قوة اليها واكتساب زيادة صفائها وكما ان العلة المغيرة لاعتدال البدن الموجبة للمرض لا تعالج الا بضدها كذلك علاج علل النفس يكون بضـدها فيعالج مرض الجهل بالتعلم ومرض البخل بالتسخي ومرض الكبر بالتواضع ومرض الشره بالكف عن المشتهى تكلفاً ولا بد من احتمال مرارة الدواء وشـدة الصبر عن المشتهيات ليتم بذلك معالجة علل النفس انما يلزم الشيخ المتبوع الذي يطبب نفوس المـريدين ويعالج قلوب المسترشدين ان لا يهجم عليهم بالرياضـة والتكاليف من فن مخصوص وفي طريق مخصوص مالم يعرف اخلاقهم وأمراضهم كما ان طبيب البدن لو عالج جميع المرضى بعلاج واحد قتل اكثرهم بل ينبغي للشيخ ان ينظر في مرض المريد وفي حالته وسنه ومزاجه وما تحتمله نفسه من الرياضة فان كان المريد مبتدئاً جاهلا بحدود الشروع فيعلمه اولا الطهارة والصلاة وظواهر العبادات وان كان مقارفا لمعصـية فيأمره ان يتركها فاذا تزين ظاهره بالعبادات وطهر عن المعاصي الظاهرة جوارحه نظر بقرائن الاحوال الى باطنه ليتفطن لاخلاقه وامراض قلبه فيعامله بحسب مايتراءى له من المعالجة المؤدية الى الغرض المقصود وليس غرضنا ذكر دواء كل مرض وانما

الغرض التنبيه على ان الطريق الكلي فيه سلوك مسلك المضادة لكل ما تهواه النفس وتميل اليه من الرذائل وقد جمع الله ذلك كله في كتابه العزيز في كلمة واحدة فقال تعالى « وأما من خاف مقام ربه ونهي النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى) والاصل المهم في المجاهدة الوفا بالعزم فاذا عزم على ترك شهوة فقد تيسرت اسبابها ومن جد وجد

﴿ فصل في جمل من أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم ﴾

قال الله تعالى وانك لعلى خلق عظيم قالت عائشة رضي الله عنها كان خلقه القرآن تعني التأدب بآدابه والتخلق بمحاسنه والالتزام بأوامره وزواجره وقد قال صلى الله عليه وسلم بعثت لاتمم مكارم الاخلاق وقال أنس كان النبي صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقا وكان عليه السلام أرجح الناس حلما وقال أيضاً خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لي أف قط وما قال لشيء صنعته لم صنعته ولا لشيء تركته لم تركته وروى انه لما كسرت رباعيته وشج وجهه يوم أحد شق ذلك على اصحابه وقالوا لو دعوت عليهم فقال اني لم أبعث لعانا ولكني بعثت داعيا ورحمة اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون وكان صلى الله عليه وسلم اعظم الناس عفوا لا ينتقم لنفسه ولما تصدى له غورث بن الحارث ليقتله والسيف في يده وقال لرسول الله من يمنعك مني قال له الله فسقط السيف من يده فقال له عليه الصلاة والسلام وقد أخذ السيف من يمنعك مني فقال كن خير آخذ فتركه وعفا عنه فجاء الى قومه فقال جئتكم من عند خير الناس وعفا عليه السلام عن اليهودية التي سمته في الشاة بعد اعترافها على الصحيح ولم يؤاخذ لبيد بن الاعصم اذ

سحره وكان صلى الله عليه وسلم أسخى الناس كفا ماسئل شيئا فقال لا وأعطى صفوان بن امية غنما ملأت واديا بين جبلين فقال ارى محمدا يعطي عطاء من لا يخشى الفقر ورد على هوازن سباياهم وكانت ستة آلاف واعطى العباس من الذهب مالم يطق حمله وحملت اليه تسعون الف درهم فوضعت على حصير ثم قام اليها يقسمها فما رد سائلا حتى فرغ منها وذكر عن معوذ بن عفراء قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم بقناع من رطب يعني طبقاً قثاء فاعطاني ملء كفه حليا وذهبا وكان صلى الله عليه وسلم أشجع الناس وقال ابن عمر ما رأيت اشجع ولا انجد ولا اجود ولا ارضى من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال علي بن ابي طالب كنا اذا حمي الوطيس او اشتد البأس واحمرت الحدق اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم فما يكون احد أقرب الى العدو منه ولقد رأيتني يوم بدر ونحن نلوذ برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أقربنا الى العدو وكان من اشد الناس يومئذ بأساً وقيل كان الشجاع هو الذي يقرب منه صلى الله عليه وسلم لقربه من العدو وكان صلى الله عليه وسلم اشد الناس حياء قال أبو سعيد الخدري كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد حياء من العذراء في خدرها وكان اذا كره شيئا عرفناه في وجهه وعن عائشه رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا بلغه عن احد ما يكرهه لم يقل ما بال فلان يقول كذا ولكن يقول ما بال اقوام يصنعون ويقولون كذا ينهي عنه ولا يسمى فاعله وعن انس رضي الله عنه انه عليه السلام كان لا يواجه احداً بما يكره وعن عائشه رضى الله عنها قالت لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم فاحشا ولا متفحشا ولا سخابا بالاسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح وعنها مارأيت فرج رسول الله

صلى الله عليه وسلم قط .وكان اوسع الناس صدراً واصدق الناس لهجة .والينهم عريكة واكرمهم عشرة وعن قيس بن سعد قال زارنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما اراد الانصراف قرب سعد له حماراً وطأ عليه بقطيفة فركب .رسول الله .صلى الله عليه وسلم ثم قال سعد يا قيس اصحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قيس فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اركب فأبيت فقال اما ان تركب واما ان تنصرف فانصرفت وفي رواية اركب امامي فصاحب الدابة احق بمقدمها وعن عائشة رضي الله عنها في حديث عنه صلى الله عليه اوسلم انه ما دعاه احد من اصحابه ولا اهل بيته الا قال لبيك وقال جرير ما حجبني رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ اسلمت ولا رآني الا تبسم وكان صلى صلى الله عليه وسلم يمازح اصحابه ويخالطهم ويحادثهم ويلاعب صبيانهم ويجلسهم في حجره ويجيب دعوة الحر والعبد والامة والمسكين ويعود المرضى في أقصى المدينة ويقبل عذر المعتذر وقال أنس ما أخذ بيده أحد فيرسل يده حتى يرسلها الآخذ ولم ير مقدما ركبته بين يدي جليس له وكان يبدأ من لقيه بالسلام ويبدأ اصحابه بالمصافحة ولم ير قط ماداً رجليه بين اصحابه حتى يضيق بهما على أحد ويكرم من يدخل عليه وربما يبسط له ثوبه ويؤثره بالوسادة التي تحته ويعزم عليه في الجلوس عليها أن أبيُ ويكنى أصحابه ويدعوهم بأحب اسمائهم تكرمة لهم ولا يقطع على أحد حديثه وروى انه كان لا يجلس اليه أحد وهو يصلي الا خفف صلاته ويسأله عن حاجته فاذا فرغ عاد الى صلاته وكان اكثر الناس تبسما واطيبهم نفساً مالم ينزل عليه قرآن او يعظ او يخطب قال عبد الله

ابن الحارث ما رأيت أحداً أكثر تبسما من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما شفقته صلى الله عليه وسلم على خلق الله ورأفته بهم ورحمته لهم فقد قال الله تعالى فيه عزيز عليه ماعنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم وقال وما ارسلناك الا رحمة للعالمين قال بعضهم من فضله عليه السلام ان الله اعطاه اسمين من اسمائه فقال بالمؤمنين رؤوف رحيم ومن ذلك تخفيفه وتسهيله عليهم وكراهته اشياء مخافة ان تفرض عليهم كقوله لولا ان اشق على امتي لامرتهم بالسواك مع كل وضوء ونهيهم عن الوصال وكراهته دخول الكعبة ليلا لئلا يعنت امته وانه كان يسمع بكاء الصبي فيتجاوز في صلاته ولما كذبه قومه أتاه جبريل عليه السلام فقال ان الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك وقد أمر الملك لتأمره بما شئت فيهم فناداه الملك وسلم عليه وقال مرني بما شئت فيهم ان شئت ان أطبق عليهم الاخشبين قال النبي صلى الله عليه وسلم بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئا وروي ابن المنكدر ان جبريل عليه السلام قال للنبي صلى الله عليه وسلم ان الله أمر الارض والسماء والجبال ان تطيعك فقال أؤخر عن أمتي لعل الله أن يتوب عليهم قالت عائشة ماخير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين الا اختار أيسرهما وقال ابن مسعود كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة مخافة السآمة علينا وروي انه عليه السلام قال لايبلغني أحد منكم عن أحد من أصحابي شيئا فاني أحب ان اخرج اليكم وانا سليم الصدر وكان صلى الله عليه وسلم أوصل الناس لرحم وأقومهم بالوفاء وقال عبد الله بن أبي الحمساء بايعت النبي صلى

الله عليه وسلم ببيع قبل ان يبعث وبقيت له بقية فوعدته أن آتيه بها في مكانه ثم نسيت ثم ذكرت بعد ثلاث فجئته فاذا هو في مكانه فقال يافتى لقد شققت علي انا ههنا منذ ثلاثة انتظرك وعن انس رضي الله عنه كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا أتى بهدية قال اذهبوا بها الى بيت فلانة فانها كانت صديقة لخديجة انها كانت تحب خديجة وعن أبي قتادة جاء وفد للنجاشي فقام النبي صلى الله عليه وسلم يخدمهم فقال له اصحابه نكفيك فقال انهم كانوا لاصحابنا مكرمين واني أحب ان اكافئهم ولما جيء باخته من الرضاعة الشيما في سبي هوازن بسط لها رداءه وخيرها بين المقام عنده والتوجه الى أهلها فاختارت قومها وكان صلى الله عليه وسلم أشد الناس تواضعاً على علو منصبه فمن ذلك ان الله خيره بين أن يكون نبياً ملكا أو نبيا عبداً فاختار ان يكون نبياً عبداً فقال له الملك عند ذلك فان الله قد اعطاك بما تواضعت له انك سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من تنشق عنه الارض وأول شافع وخرج على قوم من أصحابه فقاموا له فقال لا تقوموا كما تقوم الاعاجم يعظم بعضهم بعضاً وقال انما أنا عبد آكل كما يأكل العبد واجلس كما يجلس العبد وكان يركب الحمار ويردف خلفه ويعود المساكين ويجالس الفقراء ويجيب دعوة العبد ويجلس بين أصحابه مختلطا بهم حيثما انتهى به المجلس جلس وقال لامرأة اتته في حاجة اجلسي يا ام فلان في اي طرق المدينة شئت اجلس اليك حتى اقضي حاجتك فجلست وجلس وكان يدعي الى خبز الشعير والاهالة السنخة فيجيب وحج على رحل رث عليه قطيفة ما تساوي أربعة دراهم وأهدى في حجه ذلك مائة بدنة وكان يبدأ من لقيه بالسلام وعن انس أنه مر على صبيان فسلم عليهم وكان في بيته

في مهنة أهله يحلب شاته ويخصف نعله ويخدم نفسه ويعلف ناضحه ويقم البيت ويعقل البعير ويأكل مع الخادم ويحمل بضاعته من السوق وعن أنس انه كانت الامة تأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنطلق به حيث شاءت تقضي حاجتها وكان صلى الله عليه وسلم يسمى الامين قبل النبوة لما عرفوا من امانته وعدله وعن الربيع بن خسيم قال كان يتحاكم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجاهلية قبل الاسلام وقال النضر بن الحارث لقريش قد كان محمد فيكم غلاما حدثا أرضاكم فيكم واصدقكم حديثا وأعظمكم امانة حتى اذا رأيتم في صدغيه الشيب وجاءكم بما جاءكم به قلتم ساحر لا والله ما هو ساحر وكان صلى الله عليه وسلم يحب الطيب والرائحة الطيبة الحسنة ويستعملها كثيراً ويحض عليها واما زهده في الدنيا فقد توفى ودرعه مرهونة عند يهودي في نفقة عياله وكان يدعو اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا قالت عائشة رضي الله عنها ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة ايام تباعا من خبز بر حتى مضى لسبيله وفي رواية من خبز شعير يومين متوالين وقالت ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم ديناراً ولا درهما ولا شاة ولا بعيراً قالت ولقد مات وما في بيتي شيءٌ يأكله ذو كبد الا شطر صاع شعير في رف لي وقال اني عرض على أن يجعل لي بطحاء مكة ذهبا فقلت لا يارب بل اجوع يوما واشبع يوما فأما اليوم الذي أجوع فيه فأتضرع اليك وأدعوك واما اليوم الذي أشبع فيه فأحمدك وأثني عليك وقال ابن عباس رضي الله عنهما كان صلى الله عليه وسلم يبيت هو واهله الليالي المتتابعة طاويا لايجدون عشاء وكان يقول لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيراً وفي حديث المغيرة

صلى رسول الله عليه وسلم حتى انتفخت قدماه وقال عوف بن مالك كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فاستاك ثم توضأ فقمت معه فبدأ فاستفتح البقرة فلا يمر بآية رحمة الا وقف وسأل ولا آية عذاب الا وقف فتعوذ ثم ركع فمكث بقدرة قيامه يقول سبحان ذي الجبروت والملكوت والعظمة ثم سجد وقال مثل ذلك ثم قرأ آل عمران ثم سورة سورة يفعل مثل ذلك وعن عائشة رضي الله عنها قالت قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بآية من القرآن ليلة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لاستغفر الله في اليوم مائة مرة

﴿ فصل في الكرم ﴾

قال الله تعالى (وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السموات والارض أعدت للمتقين الذين ينفقون في السراء والضراء) اول ما ذكر من اخلاقهم الموجبة للجنة السخاء وقال الله تعالى ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم طعام الواحد يكفي الاثنين وطعام الاثنين يكفي الاربعة وطعام الاربعة يكفي الثمانية رواه مسلم وقال صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل يابن آدم أنفق أنفق عليك وقال صلى الله عليه وسلم قال جبريل قال الله عز وجل ان هذا دين ارتضيته لنفسي ولا يصلحه الا السخاء وحسن الخلق فاكرموه بهما ما استطعتم وقال صلى الله عليه وسلم ما جبل الله عز وجل وليا له الا على السخاء وحسن الخلق وقيل يارسول الله أي الايمان أفضل قال الصبر والسماحة وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى اطلبوا الفضل من الرحماء من عبادي لتعيشوا

في اكنافهم فاني جعلت فيهم رحمتي ولا تطلبوها من القاسية قلوبهم فاني جعلت فيهم سخطي وقال صلى الله عليه وسلم ان الله جواد يحب الجواد ويحب معالي الاخلاق ويكره سفاسفها وقال صلى الله عليه وسلم طعام الجواد دواء وطعام البخيل داء وقال صلى الله عليه وسلم ان السخي قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة بعيد من النار وان البخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة قريب من النار وقال صلى الله عليه وسلم ان بدلاء أمتي لم يدخلوا الجنة بصلاة ولا صيام ولكن دخلوها بسخاء الانفس وسلامة الصدر والنصح للمسلمين وقال صلى الله عليه وسلم كل معروف صدقة وكل ماانفق الرجل على نفسه واهله كتب له به صدقة وما وقى الرجل به عرضه فهو له صدقة وما انفق الرجل نفقة فعلى الله تعالى خلفها وعن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال للزبير يازبير اعلم أن مفاتيح أرزاق العباد بازاء العرش يبعث الله تعالى الى أكل عبد بقدر نفقته فمن كثر كثر له ومن قلل قلل له وقال النبي صلى الله عليه وسلم اصطناع المعروف يقي مصارع السوء وقال عليه الصلاة والسلام ان الله يحب الجود ومكارم الاخلاق ويبغض سفسافها وقال النبي صلى الله عليه وسلم لقوم من العرب من سيدكم قالوا الحر بن قيس على بخل فيه فقال صلى الله عليه وسلم وأي داء ادوأ من البخل وقال الله تعالى ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون وقال اكثم بن صيفي حكيم العرب ذللوا اخلاقكم للمطالب وقودوها الى المحامد وعلموها المكارم ولا تقيموا على خلق تذمونه من غيركم وصلوا من رغب اليكم وتحلوا بالجود يلبسكم المحبة ولا تعتقدوا البخل فتتعجلوا الفقر (اخذه الشاعر وقال)

أمن خوف فقر تعجلته * واخرت انفـاق ما تجمع
فصرت الفقير وأنت الغني * وما كنت تعدو الذي تصنع

(وكتب) رجل من البخلاء الى رجل من الاسخياء يأمره بالابقاء على نفسه ويخوفه بالفقر فرد عليه (الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا) واني اكره أن اترك أمراً قد وقع لامر لعله لا يقع (وكان) خالد بن عبد الله القسري يقول على المنبر أيها الناس عليكم بالمعروف فان الله لا يعدم فاعله جوازيه وما ضعفت الناس عن ادائه قوي الله على جزائه (وأخذه من قول الحطيئة)

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه * لا يذهب العرف بين الله والناس

واخـذه الحطيئة من بعض الكتب القديمة يقول الله تعالى فيما أنزله على داود عليه السلام من يفعل الخير يجده عنـدي لا يذهب العرف بيني وبين عبدي (وكان) سـعيد بن العاص يقول على المنبر من رزقه الله رزقاً حسنا فلينفق منه سراً وجهرا حتى يكون اسعد الناس به فانما يترك ما ترك لاحد رجلين اما المصلح فلا يقل عليه شيء واما المفسد فلا يبقى له شيء (اخـذه الشاعر فقال)

اسعد بمالك في الحياة فانما * يبقى خلافك مفسـد اومصلح
فاذا جمعت لمفسـد لم يغنه * واخو الصـلاح قليـله يتزيد

وقال ابو ذر ان لك في مالك شريكين الحدثان والوارث فان استطعت ان لا تكون اخس الشركاء حظاً فافعل وقال بزرجمهر الفارسي اذا اقبلت عليك الدنيا فانفق منها فانها لا تبقى (أخذ الشاعر هذا المعنى فقال)

لاتبخلن بدنيا وهي مقبلة   فليس ينقصها التبذير والسرف

وان توالت فاحرى ان تجود بها　　فالحمد منها اذا ما ادبرت خلف

وكان كسرى يقول عليكم باهل السخاء والشجاعة فانهم اهل حسن الظن بالله ولو ان اهل البخل لم يدخل عليهم من ضر بخلهم ومذمة الناس لهم واطباق القلوب على بغضهم الا سوء ظنهم بربهم في الخلف لكان عظيما (وأخذ هذا المعنى محمود الوراق فقال)

من ظن بالله خيراً جاد مبتدئا　　والبخل من سوء ظن المرء بالله

(محمد بن يزيد بن عمر بن عبد العزيز) قال خرجت مع موسى الهادي امير المؤمنين من جرجان فقال لي اما ان تحملني واما ان احملك ففهمت ما اراد فانشدته ابيات ابن صرمة الانصاري

اوصيكم بالله اول وهلة　　واحسابكم والبر بالله اول

وان قومكم سادوا فلا تحسدوهم　　وان كنتم اهل السيادة فاعدلوا

وان انتم اعوزتموا فتعففوا　　وان كان فضل المال فيكم فافضلوا

فامر لي بعشرين ألفا (وقال عبد الله بن عباس) سادات الناس في الدنيا الاسخياء وفي الآخرة الاتقياء (وقال أبو مسلم الخولاني) ما شيء احسن من المعروف الا ثوابه وما كل من قدر على المعروف كانت له نية فاذا اجتمعت القدرة والنية تمت السعادة وانشد

ان المكارم كلها حسن　　والبذل احسن ذلك الحسن

كم عارف بي لست اعرفه　　ومخبر عني ولم يرني

يأتيهم خبري وان بعدت　　داري وبوعد عنهم وطني

* اني لحر المال ممتهن　　ولحر عرضي غير ممتهن *

(وقال خالد بن عبد الله القسري) من اصابه غبار مركبي وجب علي

شكره « وقال عمرو بن العاصي » والله لرجل ذكرني ينام على شقه مرة وعلى شقه أخرى يراني موضعاً لحاجته لاوجب علي حقاً « وقال عبد العزيز بن مروان » اذا امكنني الرجل من نفسه حتى أضع معروفي عنده فيده عندي اعظم من يدي عنده « وانشد لابن عباس رضي الله تعالى عنهما »

اذا طارقات الهم ضاجعت الفتى … واعمل فكر الليل والليل عاكر
وباكرني في حاجة لم يجد لها … سواي ولا من نكبة الدهر ناصر
فرجت بمالي همه عن خناقه … وزاوله الهم الطروق المساور
وكان له فضل علي بظنه … بي الخير اني للذي ظن شاكر

وقيل لابي عقيل البليغ العراقي كيف رأيت مروان بن الحكم عند طلب الحاجة اليه قال رأيت رغبته في الانعام فوق رغبته في الشكر وحاجته الى قضاء الحاجة اشد من حاجة صاحب الحاجة (وقال زياد) كفى بالبخل عار ان اسمه لم يقع في حمد قط وكفى بالجود مجداً ان اسمه لم يقع في ذم قط (وقال آخر)

الا تراني وقد قطعتني عذلا … ماذا من الفضل بين البخل والجود
إلا يكن ورق يوماً اراح به … للخابطين فاني لين العود
لا يعدم السائلون الخير افعله … اما نوالا واما حسن مردود

(قوله) الا يكن ورق يريد المال وضربه مثلا ويقال أتى فلان يختبط ما عنده والاختباط ضرب الشجر ليسقط الورق لتأكله السائبة فجعل طالب الرزق مثل الخابط (وقالت اسماء بنت خارجة) ما احب ان أرد احداً في حاجة طلبها لانه لا يخلو ان يكون كريماً فاصون له عرضه أو

لئيما فاصون عرضي عنه (وقال ارسطاطاليس من انتجعك من بلاده فقد ابتدأك بحسن الظن بك والثقة بما عندك وقال النبي صلى الله عليه وسلم اذا اردتم ان تعلموا ما للعبد عند ربه فانظروا ما يتبعه من حسن الثناء (وكتب) عمر ابن الخطاب رضي الله عنه الى ابي موسى الاشعري اعتبر منزلتك من الله بمنزلتك من الناس واعلم ان مالك عند الله مثل ما للناس عندك (وقيل لبعض الحكماء) ما افادك الدهر قال العلم به قال فما احمد الاشياء قال ان تبقى للانسان احدوثة حسنة (وقال بعض اهل التفسير) في قول الله تعالى واجعل لي لسان صدق في الآخرين انه اراد حسن الثناء من بعده «وقال اكثم ابن صيفي» انما انتم اخبار فطيبوا اخباركم «أخذ هذا المعنى حبيب الطائي فقال »

وما ابن آدم الا ذكر صالحة | أو ذكر سيئة يسري بها الكلم
أما سمعت بدهر باد أمته | جاءت بأخبارها من بعدها أمم

وقالوا الايام مزارع فما زرعت فيها حصدته « ومن قول بعضهم في هذا المعنى وغيره من مكارم الاخلاق»

يا من تجلد للزما | ن أما زمانك منك أجلد
سلط نهاك على هوا | ك وعد يومك ليس من غد
ان الحياة مزارع | فازرع بها ما شئت تحصد
والناس لا يبقى سوى | آثارهم والعين تفقد
أو ما سمعت بمن مضى | هذا يذم وذاك يحمد
المال ان أصلحته | يصلح وان أفسدت يفسد

« وقال الاحنف بن قيس » ما أدخرت الآباء للابناء ولا أبقت الموتى

للاحياء شيئاً أفضل من اصطناع المعروف عند ذوي الاحساب « وقالوا » تربيب المعروف أولى من اصطناعه لان اصطناعه نافلة وتربيبه فريضة « وقالوا » احي معروفك باماتة ذكره وعظمه بالتصغير له «وقالت الحكماء» من تمام كرم المنعم التغافل عن حجته والاقرار بالفضيلة لشاكر نعمته « وقالوا » للمعروف خصال ثلاث تعجيله وتيسيره وتستيره فمن أخل بواحدة منها فقد بخس المعروف حقه وسقط عنه الشكر « وقيل » لمعاوية أي الناس أحب اليك قال من كانت له عندي يد صالحة قيل فان لم تكن له قال فمن كانت لي عنده يد صالحة وقال النبي صلى الله عليه وسلم من عظمت نعمة الله عنده عظمت مؤنة الناس عليه فان لم يكن بتلك المؤنة عرض النعمة للزوال « ابن المبارك » عن حميد عن الحسن قال لان اقضي حاجة لاخ لي احب الي من عبادة سنة « وقال ابراهيم ابن السندي » قلت لرجل من اهل الكوفة من وجوه اهلها كان لا يجف لبده ولا يستريح قلبه ولا تسكن حركته في طلب حوائج لرجال وادخال المرافق على الضعفاء فقلت له اخبرني عن الحالة التي خففت عليك النصب وهونت عليك التعب في القيام بحوائج الناس ما هي قال والله قد سمعت تغريد الطير بالاسحار في فروع الاشجار وسمعت خفق اوتار العيدان وترجيع اصوات القيان فما طربت من صوت قط طربي من ثناء حسن بلسان حسن على رجل قد احسن ومن شكر حر لمنعم حر ومن شفاعة محتسب لطالب شاكر قال ابراهيم فقلت له لله ابوك لقد حشيت كرما «اسماعيل بن مسرور» عن جعفر بن محمد قال ان الله خلق خلقاً من رحمته برحمته لرحمته وهم الذين يقضون الحوائج للناس فمن استطاع منكم ان يكون منهم فليكن

وقال الله تبارك وتعالى فيما حكاه عن الانصار ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون وقال النبي صلى الله عليه وسلم افضل العطية ما كان من معسر الى معسر وقال عليه الصلاة والسلام افضل العطية جهد المقل « وقالت الحكماء » القليل من القليل احمد من الكثير الى الكثير « اخذ هذا المعنى حبيب » فنظمه في ابيات كتب بها الى الحسن بن وهب الكاتب واهدى اليه قلمه

قد بعثنا اليك اكرمك الله بشيء فكن له ذا قبول

لا تقسه الى جدا كفك الغرا ولا نيلك الكثير الجزيل

واستجز قلة الهدية مني ان جهد المقل غير القليل

« وقالوا » جهد المقل افضل من غنى المكثر « وقال صريع الغواني »

ليس السماح لمكثر من قومه لكن لمقتر قومه المتحمد

« وقال ابو هريرة » ما وددت ان احداً ولدتني امه الا ام جعفر بن ابي طالب تبعته ذات يوم وانا جائع فلما بلغ الباب التفت فرآني فقال لي ادخل فدخلت فتفكر حيناً فما وجد في بيته شيئاً الا نحيا كان فيه سمن فانزله من رف لهم فشقه بين ايدينا فجعلنا نلعق ما كان فيه من السمن وهو يقول

ماكلف الله نفساً فوق طاقتها ولا تجود يد الا بما تجد

« وقيل » لبعض الحكماء من اجود الناس قال من جاد من قلة وصان وجه السائل عن المذلة « وقال حماد عجرد »

ابرق بخير نؤمل للجزيل فما ترجى الثمار اذا لم يورق العود

بث النوال ولا تمنعك قلته فكل ماسد فقراً فهو محمود

وللبخيل على امواله علل زرق العيون عليها اوجه سود

« وقال حاتم »

أضاحك ضيفي قبل انزل رحله ويخصب عندي والمحل جديب

وما الخصب للاضياف ان يكثر القرى ولكنما وجه الكريم خصيب

« وقال عبد الملك بن مروان » ما كنت احب ان احدا ولدني من العرب الا عروة بن الورد لقوله

اتهزأ مني ان سمنت وان ترى بجسمي مس الحق والحق جاهد

لاني امرؤ عافى انائي شركة وانت امرؤ عافى انائك واحد

اقسم جسمي في جسوم كثيرة واحسو قراح الماء والماء بارد

« ومن احسن ما قيل في الجود مع الاقلال »

فلو لم يكن في كفه غير روحه لجاد بها فليتق الله سائله

« ومن افرط ما قيل في الجود قول بكر ابن البطاح »

اقول لمرتاد الندى عند مالك تمسك بجدوى مالك وصلاته

فتى جعل الدنيا وقاء لعرضه فاسدى بها المعروف قبل عداته

فلو خذلت امواله جود كفه لقاسم من يرجوه شطر حياته

وان لم يجز في العمر قسم لمالك وجاز له اعطاه من حسناته

وجاد بها من غير كفر بربه وأشركه في صومه وصلاته

(وقال آخر في هذا المعنى واحسن)

ملأت يدي من الدنيا مراراً وما طمع العواذل في اقتصادي

ولا وجبت علي زكاة مال وهل تجب الزكاة على الجواد

وقال النبي صلى الله عليه وسلم الناس كابل مائة لا تكاد تجد فيها راحلة (وقالت)

الحكماء الكرام في اللئام كالغرة في الفرس (وقال الشاعر)

فان أك في شرار كم قليلا فاني فى خيار كم كثير
بغاث الطير اكثرها فراخا وام الباز مقلات نذور

وقال السموأل

تعيرنا أنا قليل عديدنا فقلت لها ان الكرام قليل
وما ضرنا أنا قليل وجارنا عزيز وجار الا كثرين ذليل

وقال حبيب

ولقد يكون ولا كريم تناله حتي يخوض اليه الف لئيم

وقال ابن أبي حازم

وقالوا لو مدحت فتى كريما فقلت وكيف لي بفتى كريم
بلوت ومر بى خمسون حولا وحسبك بالمجرب من عليم
فلا أحد يعد ليوم خول ولا أحد يعود على عديم

وقال دعبل

ما اكثر الناس لا بل ما أقلهم والله يعلم اني لم اقل فندا
اني لا غلق عيني ثم أفتحها على كثير ولكن ماأرى أحدا

« واحسن ما قيل في هذا المعنى قول حبيب الطائي »

ان الجياد كثير في البلاد وان قلوا كما غيرهم قل وان كثروا
لا يدهمنك من دهمائهم عجب فان جلهم أو كلهم بقر
وكلما أضحت الاخطار بينهم هلكى تبين من أضحى له خطر

نزل اعرابي برجل من أهل البصرة فاكرمه واحسن اليه ثم أمسك فقال الاعرابي

تسرى فلما جاشت المرء نفسه   راى انه لا يستقيم له السرو

« وكان » يزيد بن منصور يجري لبشار العقيلي وظيفة في كل شهر ثم قطعها عنه فقال

ابا خالد ما زلت سابح غمرة   صغيراً فلما شبت خيمت بالشاط

جزيت زمانا سابقاً ثم لم تزل   تأخر حتى جئت تقطو مع القاطي

كسنور عبد الله بيع بدرهم   صغيراً فلما شب بيع بقيراط

« وقال » مسلم بن الوليد صريع الغواني لمحمد بن منصور بن زياد

اباحسن قد كنت قدمت نعمة   وألحقت شكراً ثم امسكت وانيا

فلا ضير لم تلحقك مني ملامة   أسأت بناءو داً وأحسنت باديا

فاقسم لا اجزيك بالسوء مثله   كنى بالذي جازيتني لك جازيا

قدم الحرث بن خالد المخزومي على عبد الملك فلم يصله فرجع وقال فيه

صحبتك اذ عيني عليها غشاوة   فلما انجلت قطعت نفسي ألومها

حبست عليك النفس حتى كانما   بكفيك تجري بؤسها ونعيمها

فبلغ قوله عبد الملك فأرسل اليه فرده وقال ارايت عليك غضاضة من مقامك ببابي قال لا ولكني اشتقت الى اهلي ووطني ووجدت فضلا من القول فقلت وعلي دين لزمني قال وكم دينك قال ثلاثون الفاً قال فقضاء دينك أحب اليك ام ولاية مكة قال بل ولاية مكة فولاه اياها « وقدم » الحطيئة المدينة فوقف الى عنبسة فقال اعطني فقال مالك عندي حق فأعطيكه ومافي

مالي فضل عن عيالي فأجود به عليك فخرج عنه مغضبا وعرفه به جلساؤه فأمر برده ثم قال له ياهذا انك وقفت الينا فلم تستأنس ولم تسلم وكتمتنا نفسك كأنك الحطيئة قال هو ذلك قال اجلس فلك عندنا كل ما تحب قال له من اشعر الناس قال الذي يقول

ومن يجعل المعروف من دون عرضه يعز ومن لا يتق الشتم يشتم

فقال لوكيله خذ بيد هذا فامض به الى السوق فلا يشيرن الى شيء الا اشتريته له فمضى معه الى السوق فعرض عليه الخز والقز فلم يلتفت الى شيء منه واشار الى الكرابيس والقطن فاشترى له منها حاجته ثم قال امسك قال فانه قد امرني ان ابسط يدي بالنفقة قال لا حاجة لي ان يكون له علي يد اعظم من هذه (ثم أنشأ يقول)

سئلت فلم تبخل ولم تعط طائلا فسيان لا ذم عليك ولا حمد
وأنت امرؤ لا الجود منك سجية فتعطى وقد يعدي على النائل الوحد

قال سعيد بن مسلم مدحني اعرابي فابلغ فقال

ألا قل لساري الليل لا تخش ضلة سعيد بن سلم نور كل بلاد
لنا سيد أربى على كل سيد جواد حثى في وجه كل جواد

قال فتأخرت عنه قليلا فهجاني فابلغ فقال

لكل اخي مدح ثواب علمته وليس لمدح الباهلي ثواب
مدحت سعيداً والمديح مهزة فكان كصفوان عليه تراب

ومدح الحسن بن رجاء أبا دلف فلم يعطه شيئاً فقال

أبادلف ما اكذب الناس كلهم سواي فاني في مديحك اكذب

وقال آخر في مثل هذا المعنى

اني مدحتك كاذباً فأثبتني   لما مدحتك ما يثاب الكاذب

وقال آخر في مثل هذا المعنى

لئن أخطأت في مدحيــــك ما اخطأت في منعي

* لقـد احللت حاجاتي   بواد غـير ذي زرع *

« ومدح » حبيب الطائي عياش بن لهيعة وقدم عليه مصر واستسلفه مائتي مثقال فشاور فيـه زوجته فقالت له هو شاعر يمدحك اليوم ويهجوك غدا فاعتل عليه واعتذر اليه ولم يقض حاجته فقال فيه

عياش انك للئيم وانني   مذ صرت موضع مطلبي لئيم

ثم هجاه حتى مات وهجاه بعد موته فقال فيه

لا أسقيت اطلالك الدائرة   ولا انقضت عثرتك العاثره

يا أســـد الموت تخلصـته   من بين فكي اسد القاهره

«ومن قول بعضهم» في هذا المعنى وسأل بعض موالي السلطان اطلاق محبوس فتلكأ فيه فقال

حاشا لمثلك ان يفك اسـيرا   او ان يكون من الزمان مجيرا

هلا عطفت برحمة لما دعت   ويلا عليك مدائحي وثبورا

لو ان لؤمك عاد جودا عشره   ما كان عندك حاتم مذكورا

« قال » ومدح ربيعة الراقي يزيد ابن حاتم الازدي وهو والي مصر فاستبطأه ربيعة فشخص اليه من مصر وقال

اراني ولا كفران لله راجعا   بخفي حنين من نوال ابن حاتم

فبلغ قوله يزيد بن حاتم فارسل في طلبه فرد اليه فلما دخل عليه قال له انت القائل ·

* اراني ولا كفران لله راجما * قال نعم قال فهل قلت غير هذا قال لا والله قال لترجمن بخفي حنين مملوأة مالا فأمر بخلع نعليه وملئت له مالا فقال فيه لما عزل عن مصر وولى يزيد بن حاتم السلمي مكانه

بكى اهل مصر بالدموع السواجم غداة غدا منها الاغر بن حاتم

« وفيها يقول »

لشتان ما بين اليزيدين في الندى يزيد سليم والاغر بن حاتم
فهم الفتى الازدي اتلاف ماله وهم الفتى القيسي جمع الدراهم
فلا يحسب التمتام اني هجوته ولكنني فضلت اهل المكارم

﴿ فصل في اجواد اهل الجاهلية ﴾

الذين انتهى اليهم الجود في الجاهلية ثلاثة نفر حاتم بن عبد الله بن سعد الطائي وهرم بن سنان المري وكعب بن مامة الايادي ولكن المضروب به المثل حاتم وحده وهو القائل لغلامه يسار وكان اذا اشتد البرد وكلب الشتاء أمر غلامه فاوقد ناراً في بقاع من الارض لينظر اليها من اضل الطريق ليلا فيصمد نحوه فقال في ذلك

اوقد فان الليل ليل قر والريح ياوا قد ريح صر
عل يرى نارك من يمر ان جلبت ضيفا فأنت حر

« وقالوا » لم يكن حاتم ممسكا شيئا ما عدا فرسه وسلاحه فانه كان لايجود بهما * ومر حاتم في سفره على عنزة وفيهم اسير فاستغاث بحاتم ولم يحضره

فكاكه فاشتراه من العنزيين واطلقه واقام مكانه في القيد حتى ادى فداءه
« وقالت » نوار امرأة حاتم اصابتنا سنة اقشعرت لها الارض واغبر افق
السماء وراحت الابل حدبا حدابير وضنت المراضع على اولادها فما تبض
بقطرة وحلقت السنة المال وايقنا بالهلاك فوالله انا لفي ليلة صنبر بعيدة
ما بين الطرفين اذ تضاغي صبيتنا جوعا عبد الله وعدي وسفيانة فقام حاتم
الى الصبيين وقمت انا الى الصبية فوالله ماسكتوا الا بعد هداة من الليل
واقبل يعللني بالحديث فعرفت ما يريد فتناومت فلما تهوب النجوم اذا شيء
قد رفع كسر البيت ثم عاد فقال من هذا قالت جارتك فلانة اتيتك من عند
صبية يتعاوون عواء الذئاب فما وجدت معولا الا عليك يا ابا عدي فقال اعجليهم
فقد اشبعك الله واياهم فأقبلت المراة تحمل اثنين ويمشي جنائبها اربعة كأنها
نعامة حولها رئالها فقام الى فرسه فوجأ لبته بمدية فخر ثم كشطه عن
جلده ودفع المدية الى المراة فقال لها شأنك فاجتمعنا على اللحم نشوي
ونأكل ثم جعل يمشي في الحي يأتيهم بيتا بيتا فيقول هبوا ايها القوم عليكم
بالنار فاجتمعوا والتفع في ثوبه ناحية ينظر الينا فلا والله ان ذاق منه مزعة
وانه لاحوج اليه منا فأصبحنا وما على الارض من الفرس الاعظم وحافر
فأنشأ حاتم يقول

مهلا نوار اقلي اللوم والعذلا ولا تقولي لشيء فات ما فعلا
ولا تقولي لمال كنت مهلكه مهلا وان كنت اعطي الانس والجبلا
يرى البخيل سبيل المال واحدة ان الجواد يرى في ماله سبلا

﴿ولحاتم بن عبد الله ايضا﴾

اماوي ان المال غاد ورائح ويبقى من المال الاحاديث والذكر

اماوى اما مانع فبين ... واما عطاء لاينهنهه الزجر
اماوى اني لا اقول لسائل ... اذا جاء يوما حل في مالي النذر
اماوى ما يغني الثراء عن الفتى ... اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر
اماوى ان يصبح صداي بقفرة ... من الارض لا ماء لدي ولا خمر
ترى ان ما انفقت لم يك ضرني ... وان يدي مما بخلت به صفر
اذا انا دلاني الذين يلونني ... * بمظلمة لج جوانبها غبر
وراحوا سراعا ينفضون اكفهم ... يقولون قد ادمى اظافرنا الحفر
اماوى ان المال مال بذلته ... فأوله شكر وآخره ذكر
وقد يعلم الاقوام لو ان حاتما ... * اراد ثراء المال كان له وفر
ولا أظلم ابن العم ان كان اخوتي ... شهودا وقد اودى باخوته الدهر
غنينا زمانا بالتقصد والغنى ... وكل سقانا وهو كاسبنا الدهر
فما زادنا مأوى على ذي قرابة ... غنانا ولا أزرى باحلامنا الفقر

« واما هرم بن سنان » فهو صاحب زهير الذي يقول فيه

متى تلاق على علاته هرما ... تلق السماحة في خلق وفي خلق

وكان سنان أبو هرم سيد غطفان وماتت أمه وهي حامل به وقالت اذا أنا مت فشقوا بطني فان سيد غطفان فيه فلما ماتت شقوا بطنها فاستخرجوا منه سنانا * وفي بني سنان يقول زهير

قوم ابوهم سنان حين تنسبهم ... طابوا وطاب من الاولاد ماولدوا
لو كان يقعد فوق الشمس من كرم ... قوم باولهم أو مجدهم قعدوا
جن اذا فزعوا انس اذا أمنوا ... مرزؤن بها ليل اذا قصدوا

محسدون على ما كان من نعم　　لا ينزع الله منهم ماله حسدوا

وقال زهير في هرم بن سنان

وابيض فياض يداه غمامة　　على معتفيه ما تغب فواضله
تراه اذا ما جئته متهللا　　كانك تعطيه الذي انت سائله
أخو ثقة لا تتلف الخمر ماله　　ولكنه قد يتلف المال نائله

أخذ الحسن بن هانيء هذا المعنى فقال

فتى لا تلوك الخمر شحمه ماله　　ولكن اياد عود وبواد

وقال زهير في هرم بن سنان واهل بيته

اليك اعملتها فتلا مرافقها　　شهرين يجهض من ارحامها العلق
حتى دفعن الى حلو شمائله　　كالغيث تنبت في آثاره الورق
من اهل بيت يرى ذو العرش فضلهم　　يبنى لهم في جنان الخلد مرتفق
المطعمين اذا ما ازمة أزمت　　والطيبين ثياباً كلما عرقوا
كأن آخرهم في الجود اولهم　　ان الشمائل والاخلاق تتفق
ان قامروا قمروا او فاخروا فخروا　　اوناضلوا نضلوا اوسابقوا سبقوا
تنافس الارض موتاهم اذا دفنوا　　كما تنفس عند الباعة الورق

(وأما كعب ابن مامة الايادى) فلم يأت عنه الا ما ذكر من ايثاره رفيقه السعدي بالماء حتى مات عطشاً ونجا السعدي وهذا اكثر من كل ما أثنى لغيره وله يقول حبيب

يجود بالنفس اذ ضن البخيل بها　　والجود بالنفس أقصى غاية الجود

(وله ولحاتم الطائي)

كعب وحاتم اللذان تقسما خطط العلا من طارف وتليد
هذا الذي خلف السحاب ومات ذا في الجهد ميتة خضرم صنديد

﴿ فصل في أجواد أهل الاسلام ﴾

وأما أجواد أهل الاسلام فأحد عشر رجلا في عصر واحد لم يكن قبلهم ولا بعدهم مثلهم فأجواد الحجاز ثلاثة في عصر واحد عبيد الله بن العباس وعبد الله بن جعفر وسعيد بن العاص. واجواد البصرة خمسة في عصر واحدوهم عبيد الله بن عامر بن كريز وعبيد الله بن أبي بكرة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومسلم بن زياد وعبيد الله بن معمر القرشي ثم التميمي وطلحة الطلحات وهو طلحة بن عبد الله بن خلف الخزاعي « وله يقول الشاعر »

نضر الله أعظما دفنوها بسجستان طلحة الطلحات

واجواد أهل الكوفة ثلاثة في عصر واحد وهم عتاب بن ورقاء الرياحي واسماء بن خارجة الفزاري وعكرمة بن ربعي « فمن جود » عبيد الله بن عباس انه اول من فطر جيرانه وأول من وضع الموائد على الطرق وأول من حيا على طعامه « وفيه يقول شاعر المدينة »

وفي السنة الشهباء أطعمت حامضاً وحلوا ولحما تامكا وممزعا
وانت ربيع لليتامي وعصمة اذا المحل من جود السماء تطلعا
أبوك أبو الفضل الذي كان رحمة وغوثا ونوراً للخلائق اجمعا

« ومن جوده » انه أتاه رجل وهو بفناء داره فقام بين يديه فقال يا ابن عباس ان لي عندك يدا وقد احتجت اليها فصعد فيه بصره وصوته فلم يعرفه

ثم قال له ما يدك عندنا قال رأيتك واقفاً بزمزم وغلامك يمتح لك من مائها والشمس قد صهرتك فظللتك بطرف كسائي حتى شربت قال اني لاذكر ذلك وانه يتردد بين خاطري وفكري ثم قال لقيمه ما عندك قال مائتا دينار وعشرة آلاف درهم قال ادفعها اليه وما أراها تفي بحق يده عندنا قال فاعطاه ثلاثين الفاً فقال له الرجل والله لو لم يكن لاسماعيل ولد غيرك لكان فيه ما كفاه فكيف وقد ولد سيد الاولين والآخرين محمداً صلى الله عليه وسلم ثم شفعك به وبأبيك (ومن جوده أيضاً) ان معاوية حبس عن الحسين بن علي صلاته حتى ضاقت عليه حاله فقيل لو وجهت الى ابن عمك عبيد الله فانه قدم بنحو من ألف ألف درهم فقال الحسين وأين تقع ألف ألف من عبيد الله فوالله لهو أجود من الريح اذا عصفت واسخى من البحر اذا ذخر ثم وجه اليه مع رسوله بكتاب ذكر فيه حبس معاوية عنه صلاته وضيق حاله وانه يحتاج الى مائة ألف درهم فلما قرأ عبيد الله كتابه وكان من أرق الناس قلباوأليهم عطفا انهملت عيناه ثم قال ويلك يامعاوية مااجترحت يداك من الاثم حين أصبحت لين المهاد رفيع العماد والحسين يشكو ضيق الحال وكثرةالعيال ثم قال لقهرمانه احمل الى الحسين نصف ما أملكه من فضةوذهب وثوب ودابة واخبره اني شاطرته مالي فان اقنعه ذلك والا فارجع واحمل اليه الشطر الآخر فقال له القيم في هذه المؤن التي عليه من اين تقوم بها قال اذا بلغنا ذلك دللتك على أمر يقيم حالك فلما أتى الرسول برسالته الى الحسين قال انا لله حملت والله على ابن عمي وما حسبته يتسع لنا بهذا كله فأخذ الشطر من ماله وهو أول من فعل ذلك في الاسلام (ومن جوده) ان معاوية بن أبي سفيان اهدى اليه وهو عنده بالشام من هدايا النيروز حللا كثيرة ومسكا

وآنية من ذهب وفضـة ووجهها مع حاجبه فلما وضعها بين يديه نظر الى الحاجب وهو ينظر اليهـا فقال هل في نفسك منها شيء قال نعم والله ان في نفسي منها ما كان في نفس يعقوب من يوسـف عليهما السلام فضحك عبيد الله وقال فشأنك بها فهي لك قال جعلت فداءك أخاف أن يبلغ ذلك معاوية فيجد عليّ قال فاختمها بختمك وادفعها الى الخازن فاذا حان خروجها حملها اليك ليلا فقال الحاجب والله لهذه الحيلة في الكرم اكثر من الكرم ولوددت اني لا أموت حتى أراك مكانه يعني معاوية فظن عبيد الله انها مكيدة منه فقال دع عنك هـذا الكلام فانا قوم نفي بما وعدنا ولا ننقض ما اكدنا (ومن جوده أيضاً) انه أتاه سائل وهو لا يعرفه فقال له تصدق فاني نبئت ان عبيد الله بن عباس أعطى سائلا ألف درهم واعتذر اليه فقال له وأين أنا من عبيد الله قال اين أنت منـه في الحسب ام كثرة المال قال فيهما قال أما الحسب في الرجل فمروأته وفعله واذا شئت فعلت واذا فعلت كنت حسيبا فاعطاه ألفي درهم واعتذر اليه من ضيق الحال فقال له السائل ان لم تكن عبيد الله بن عباس فأنت خـير منه وان كنت هو فأنت اليوم خير منك أمس فأعطاه ألفا أخرى فقال السائل هـذه هزة كريم حسيب والله لقـد نقرت حبـة قلبي فأفرغتها في قلبك (ومن جوده أيضا) انه جاءه رجـل من الانصـار فقـال يا ابن عم رسول الله انه ولد لي في هـذه الليلة مولود واني سميته باسمك تبركا مني به وان امه ماتت فقال عبيـد الله بارك الله لك في الهبة واجزل لك الاجر على المصيبة ثم دعا بوكيله فقال انطلق الساعة فاشتر للمولود جارية تحضـنه وادفع اليه مائتي دينار للنفقة على تربيته ثم قال للانصاري عد الينا بعد ايام فانك جئتنا

وفي العيش يبس وفي المال قلة قال الانصاري لو سبقت حاتما بيوم واحد ما ذكرته العرب ابدا ولكنه سبقك فصرت له تاليا وانا اشهد ان عفوك اكثر من مجهوده وطل كرمك اكثر من وابله (جود عبد الله بن جعفر) ومن جود عبد الله بن جعفر ان عبد الرحمن بن ابي عمار دخل على نخاس يعرض قيانا له فعلق واحدة منهن فشهر بذكرها حتى مشى اليه عطاء وطاوس ومجاهد يعزلونه فكان جوابه ان قال

يلومني فيك اقوام اجالسهم   فما أبالي أطار اللوم ام وقعا

فانتهى خبره الى عبد الله بن جعفر فلم يكن له هم غيره فحج فبعث الى مولى الجارية فاشتراها منه بأربعين ألف درهم وأمر قيمة جواريه ان تزينها وتحليها ففعلت وبلغ الناس قدومه فدخلوا عليه فقال مالي لاأرى ابن أبي عمار زارنا فأخبر الشيخ فأتاه مسلما فلما اراد ان ينهض استجلسه ثم قال ما فعل حب فلانة قال هو في اللحم والدم والمخ والعصب قال أتعرفها لو رايتها قال لو ادخلت الجنة لم انكرها فأمر بها عبد الله ان تخرج اليه وقال له انما اشتريتها لك ووالله مادنوت منها فشأنك بها مباركا لك فيها فلما ولى قال ياغلام احمل معه مائة الف درهم ينعم بها معها قال فبكى عبد الرحمن فرحا وقال يااهل البيت لقد خصكم الله بشرف ماخص به احداً قبلكم من صلب آدم فتهنيكم هذه النعمة وبورك لكم فيها (ومن جوده ايضاً) انه اعطى امراة سألته مالا عظيما فقيل له انها لاتعرفك وكان يرضيها اليسير قال ان كان يرضيها اليسير فاني لا أرضى الا بالكثير وان كانت لا تعرفني فأنا أعرف نفسي (جود سعيد بن العاص) ومن جود سعيد بن العاص انه مرض وهو بالشام فعاده معاوية ومعه شرحبيل بن السمط ومسلم بن عقبة

المري ويزيد بن شجرة الزهري فلما نظر سعيد معاوية وثب عن صدر مجلسه اعظاما لمعاوية فقال له معاوية أقسمت عليك أبا عثمان ان لا تتحرك فقد ضعفت بالعلة فسقط فتبادر معاوية نحوه حتى حنا عليه وأخذ بيده فاقعده على فراشه وقعد معه وجعل يسائله عن علته ومنامه وغذائه ويصف له ماينبغي ان يتوقاه واطال القعود معه فلما خرج التفت الى شرحبيل بن السمط ويزيد ابن شجرة فقال هل رأيتما خللا في مال أبي عثمان فقالا ما رأينا شيئا ننكره فقال لمسلم بن عقبة ما تقول قال رأيت قال وما ذاك قال رأيت على حشمه ومواليه ثيابا وسخة ورأيت صحن داره غير مكنوس ورأيت التجار يخاصمون قهرمانه قال صدقت كل ذلك قد رأيته فوجه اليه مع مسلم بثلثمائة الف فسبق رسول يبشره بها ويخبره بما كان فغضب سعيد وقال للرسول ان صاحبك ظن انه احسن فأساء وتأول فاخطأ فأما وسخ ثياب الحشم فمن كثرة حركته اتسخ ثوبه واما كنس الدار فليست اخلاقنا اخلاق من جعل داره مرآته وزينته لبسته ومعروفه عطره ثم لا يبالي بمن مات هزلا من ذي لحمة او حرمة واما منازعة التجار قهرماني فمن كثرة حوائجه وبيعه وشرائه لم يجد بداً من ان يكون ظالما او مظلوما واما المال الذي امر به امير المؤمنين فوصلته كل ذي رحم قاطعة وياهناء المنعم به عليه وقد قبلناه وامرنا لصاحبك منه بمائة الف ولشرحبيل ابن السمط بمثلها وليزيد بن شجرة بمثلها وفي سعة الله وبسط يد امير المؤمنين ما عليه معولنا فركب مسلم بن عقبة الى معاوية فاعلمه فقال صدق ابن عمي فيما قال واخطأت فيما انتهيت اليه فاجعل نصيبك من المال لروح بن زنباع عقوبة لك فانه من جنى جناية عوقب بمثلها كما انه من فعل خيراً كوفيء عليه (ومن جوده ايضاً) ان معاوية كان

يديل بينه وبين مروان بن الحكم في ولاية المدينة فكان مروان يقارضه فلما دخل على معاوية قال له كيف تركت أبا عبـد الملك يعني مروان قال تركته منفذا لامرك مصلحا لعملك قال معاوية انه كصاحب الخبزة كفى انضاجها فأكلها قال كلاً يا أمير المؤمنين انه من قوم لا يأكلون الا ماحصدوا ولا يحصدون الا ما زرعوا قال فما الذي باعد بينك وبينه قال خفته على شرفي وخافني على مثله قال فأي شيء كان له عنـدك قال آسوه حاضرا واسره غائبا قال يا أبا عثمان تركتنا في هذه الحروب قال حملت الثقل وكفيت الحزم قال فما أبطأ بك قال غناؤك عني ابطأني عنك وكنت قريباً لو دعوت لاجبناك لو أمرت لاطعناك قال ذلك ظننا بك فأقبل معاوية على أهل الشام فقال يا أهل الشام هؤلاء قومي وهذا كلامهم ثم قال اخبرني عن مالك فقد نبئت انك تتحري فيه قال يا أمير المؤمنين لنا مال يخرج لنا منـه فضل فاذا كان ما خرج قليلا أنفقناه على قلته وان كان كثيراً فكذلك غير انا لا ندخر منه شيئاً عن معسر ولا طالب ولا محتل ولا نستأثر منه بفلزة لحم ولا مزعة شحم قال فكم يدوم لك هذا قال من السنة نصفها قال فما تصنع في باقيها قال نجد من يسلفنا ويسارع الى معاملتنا قال ما أحد أحوج الى ان يصلح من شأنه منك قال ان شأننا لصالح يا أمير المؤمنين ولو زدت في مالي مثله ما كنت الا بمثل هذه الحال فأمر له معاوية بخمسين الف درهم وقال اشتر بها ضيعة تعينك على مروأتك فقال سعيد بل اشترى بها حمداً وذكراً باقيا أطعم بها الجائع وأزوج بها الايم وأفك بها العاني وأواسي بها الصديق واصلح بها حال الجار فلم تأت عليه ثلاثة أشهر وعنده منها درهم فقال معاوية مافضيلة بعد الايمان بالله هي أرفع في الذكر

ولا أنية في الشرف من الجود وحسبك ان الله تبارك وتعالى جعل الجود آخر صفاته (ومن جوده ايضا) ما حكاه الاصمعي قال كان سعيد بن العاص يسمر معه سماره الى ان ينقضي حين من الليل فانصرف عنه القوم ليلة ورجل قاعد لم يقم فامر سعيد باطفاء الشمعة وقال حاجتك يا فتى فذكر ان عليه دينا أربعة آلاف درهم فأمر له بها وكان اطفاؤه للشمعة أكثر من عطائه (جود عبيد الله بن أبي بكرة) ومن جود عبيد الله بن أبي بكرة انه أدلي اليه رجل بحرمة فامر له بمائة الف درهم فقال اصلحك الله ماوصلني أحد بمثلها قط ولقد قطعت لساني عن شكر غيرك وما رأيت الدنيا في يد احد احسن منها في يدك ولولا انت لم تبق لها بهجة الا اظلمت ولا نور الا انطمس (جود عبيد الله بن معمر القرشي التيمي) ومن جود عبيد الله بن معمر القرشي ان رجلا اتاه من اهل البصرة كانت له جارية نفيسة قد استأدبها بانواع الادب حتى برعت وفاقت في جميع ذلك ثم ان الدهر قعد بسيدها ومال عليه وقدم عبيد الله بن معمر البصرة من بعض وجوهه فقالت لسيدها اني اريد أن اذكر لك شيئا أستحي منه اذ فيه جفاء مني غيرانه يسهل ذلك على ما أرى من ضيق حالك وقلة مالك وزوال نعمتك وما اخافه عليك من الاحتياج وضيق الحال وهذا عبيد الله بن معمر قدم البصرة وقد علمت شرفه وفضله وسعة كفه وجود نفسه فلو اذنت لي فأصلحت من شأني ثم تقدمت بي اليه وعرضتني عليه هدية رجوت أن يأتيك من مكافأته مايقلك الله به وينهضك ان شاء الله قال فبكى وجدا عليها وجزعا لفراقها منه ثم قال لها لولا انك نطقت بهذا ما ابتدائك به ابدا ثم نهض بها حتى اوقفها بين يدي عبيد الله فقال اعزك الله هذه جارية ربيتها ورضيت

بها لك فاقبلها مني هدية فقال مثلي لا يستهدي لمثلك فهل لك في بيعها فأجزل لك الثمن عليها حتى ترضى قال الذي تراه قال يقنعك مني عشرة بدر في كل بدرة عشرة آلاف درهم قال والله ياسيدي ما امتد أملي الى عشر ما ذكرت ولكن هذا فضلك المعروف وجودك المشهور فأمر عبيد الله باخراج المال حتى صار بين يدي الرجل وقبضه وقال للجارية ادخلي الحجاب فقال سيدها أعزك الله لو أذنت لي في وداعها قال نعم فوقفت وقام وقال لها وعيناه تدمعان

أبوح بحزن من فراقك موجع　　أقاسي به ليلا يطيل تفكري

ولولا قعود الدهر بي عنك لم يكن　　يفرقنا شيء سوى الموت فاعذري

عليك سلام لا زيارة بيننا　　ولا وصل الا ان يشاء ابن معمر

قال عبيد الله بن معمر قد شئت ذلك فخذ جاريتك وبارك الله لك في المال فذهب بجاريته وماله فعاد غنياً فهؤلاء اجواد الاسلام المشهورون في الجود المنسوبون اليه وهم أحد عشر رجلا كما ذكرنا وسمينا وبعدهم طبقة أخرى من الاجواد قد شهروا بالجود وعرفوا بالكرم وحمدت أفعالهم وسنذكر ما أمكننا ذكره منها ان شاء الله تعالى

﴿ الطبقة الثانية من الاجواد ﴾

فمنهم الحكم بن حنطب قيل لنصيب بن رباح خرف شعرك أبا محجن قال لا ولكن خرف الكرم لقد رأيتني ومدحت الحكم بن حنطب فاعطاني ألف دينار ومائة ناقة واربعمائة شاة (وسأل) اعرابي الحكم بن حنطب فأعطاه خمسمائة دينار فبكي الاعرابي فقال ما يبكيك يا اعرابي لعلك

استقللت ما اعطيناك قال لا والله ولكني ابكي لما تأكل الارض منك ثم أنشأ يقول

وكأن آدم حين حان وفاته   أوصاك وهو يجود بالحوباء
ببنيه ان ترعاهم فرعيتهم   فكفيت آدم عيلة الابناء

(العتبي) قال اخبرني رجل من اهل منبج قال قدم علينا الحكم بن حنطب وهو مملق فاغنانا قال له كيف اغنا كم وهو مملق قال علمنا المكارم فعاد غنينا على فقيرنا (ومنهم معن بن زائدة) وكان يقال فيه حدث عن البحر ولا حرج وحدث عن معن ولا حرج * واتاه رجل يسأله ان يحمله فقال ياغلام اعطه فرساً وبرزونا وبغلا وعيرا وبعيرا وجارية وقال لو عرفت مركوبا غير هؤلاء لاعطيتك (العتبي) قال لما قدم معن بن زائدة البصرة واجتمع اليه الناس اتاه مروان بن ابي حفصة فأخذ بعضادتي الباب فانشده شعره الذي قاله فيه .

فما حجم الاعداء عنك تقية   عليك ولكن لم يروا فيك مطمعا
له راحتان الحتف والجود فيهما   ابى الله الا ان يضر وينفعا

(ومنهم يزيد بن المهلب) وكان هشام بن حسان اذا ذكره قال والله ان كانت السفن لتجري في جوده (وقيل) ليزيد بن المهلب مالك لا تبني داراً قال منزلي دار الامارة او الحبس « ولما » أتى يزيد بن عبد الملك براس يزيد بن المهلب نال منه بعض جلسائه فقال له مه ان يزيد بن المهلب طلب جسيما وركب عظيما ومات كريما * ودخل الفرزدق على يزيد بن المهلب في الحبس فأنشده

أصبح في قيدك السماحة والجـ   ـود وفك العناة والاغلال

قال اتمدحني وانا في هذه الحال قال اصبتك رخيصا فاشتريتك
فامر له بعشرة آلاف * وقال سليمان بن عبد الملك لموسى بن نصير اغرم
ديتك خمسين مرة قال ليس عندي ما اغرم قال والله لتغرمن ديتك مائة
مرة قال يزيد بن المهلب انا اغرمها عنه يا امير المؤمنين قال اغرم فغرمها
عنه مائة الف (العتبي) قال اخبرني عوانة قال استعمل الوليد بن عبد الملك
عثمان بن حيان المرى على المدينة وامره بالغلظة على اهل الظنة فلما استخلف
سليمان أخذه بالفي الف درهم فاجتمعت القيسية في ذلك فتحملوا شطرها
وضاق ذرعا بالشطر الثاني ووافق ذلك استعمال سليمان يزيد بن المهلب على
العراق فقال عمر بن هبيرة عليكم بيزيد بن المهلب فما لها احد غيره فتحملوا
الى يزيد وفيهم عمر بن هبيرة والقعقاع بن حبيب والهذيل بن زفر بن
الحرث وانتهوا الى رواق يزيد قال يحي بن اقتل وكان حاجبا ليزيد بن
المهلب وكان رجلا من الازد فاستأذن لهم فخرج يزيد الى الرواق فقرب
ورحب ثم دعا بالغداء فأتوا بطعام ما أنكروا منه اكثر مما عرفوا فلما تغدوا
تكلم عثمان بن حيان وكان لسناً مفوها وقال زادك الله في توفيقك
ايها الامير ان الوليد بن عبد الملك وجهني الى المدينة عاملا عليها وامرني
بالغلظة على اهل الظنة والاخذ عليهم وان سليمان اغرمني غرما والله
ما يسعه مالي ولا تحمله طاقتي فاتيناك لتحمل من هذا المال ما خف
عليك وما بقى والله ثقيل عليّ ثم تكلم كل منهم بما حضره فقال يزيد
ابن المهلب مرحبا بكم واهلا ان خير المال ما قضى فيه الحقوق وحملت به
المغارم وانما لي من المال ما فضل عن اخواني وايم الله لو علمت ان احداً
املأ بحاجتكم مني لهديتكم اليه فاحتكموا واكثروا فقال عثمان بن حيان

النصف أصلح الله الامير قال نعم وكرامة اغدوا على مالكم فخذوه فشكروا له وقاموا فخرجوا فلما ساروا على باب السرادق قال عمر بن هبيرة قبح الله رأيكم والله ما يبالي يزيد أنصفها تحمل أم كلها فمن لكم بالنصف الباقي قال القوم هذا والله الرأي وسمع يزيد مناجاتهم فقال لحاجبه انظر يا يحيي ان كان بقي على القوم شيء فايرجعوا فرجعوا اليه وقالوا أقلنا قال قد فعلت قالوا فان رأيت ان تحملها كلها فانت أهلها وان أبيت فمالها أحد غيرك قال قد فعلت وغدا يزيد بن المهلب الى سليمان فقال يا أمير المؤمنين اتاني عثمان ابن حيان واصحابه قال امسك في المال قال نعم قال سليمان والله لآخذنه منهم قال يزيد اني قد حملته قال فأده قال يزيد والله ما حملته الا لاوديه ثم قال يا أمير المؤمنين ان هذه الحالة وان عظم خطبها فحمدها والله اعظم منها ويدي مبسوطة بيدك فأبسطها لسؤلها ثم غدا يزيد بالمال على الخزان فدفعه اليهم فدخلوا على سليمان فأخبروه بقبض المال فقال وفت يمين سليمان احملوا الى أبي خالد ماله فقال عدى بن الرقاع العاملي

لله عينا من راى كحمالة تحملها كبش العـراق يزيد

(الاصمعي) قال قدم على يزيد بن المهلب قوم من قضاعة من بني ضبة فقال رجل منهم

والله ما ندري اذا ما فاتنا طلب اليك من الذي نتطلب
ولقد ضربنا في البلاد فلم نجد احداً سواك الى المكارم ينسب
فاصبر لعادتنا التي عودتنا اولا فارشدنا الى من نذهب

فامر له بالف دينار فلما كان في العام المقبل وفد عليه فقال

مالي أرى أبوابهم مهجورة وكان بابك مجمع الاسواق

حابوك ام هابوك ام شاموا الندى بيديك فاجتمعوا من الآفاق
اني رأيتك للمكارم عاشقا والمكرمات قليلة العشاق

فأمر له بعشرة آلاف درهم (ومر) يزيد بن المهلب في طريق البصرة باعرابية فاهدت اليه عنزاً فقبلها وقال لابنه معاوية ماعندك من نفقة قال ثمانمائة درهم قال ادفعها اليها قال انها لا تعرفك ويرضيها اليسير قال ان كانت لا تعرفني فانا اعرف نفسي وان كان يرضيها اليسير فأنا لا أرضى الا بالكثير (ومنهم يزيد بن حاتم) وكتب اليه رجل من العلماء يستوصله فبعث اليه ثلاثين الف درهم وكتب اليه اما بعد فقد بعثت اليك بثلاثين الفاً لا اكثرها امتنانا ولا اقللها تجبرا ولا استثيبك عليها ثناء ولا اقطع لك بها رجاء والسلام « وكان » ربيعة الرقي قد قدم مصر فاتى يزيد السلمي فلم يعطه شيئا ثم عطف على يزيد ابن حاتم فشغل عنه ببعض الامر فخرج وهو يقول

اراني ولا كفران لله راجعا بخفي حنين من نوال ابن حاتم

فسأل عنه يزيد فاخبر انه قد خرج وقال كذا وانشد البيت فارسل في طلبه فاتى به فقال كيف قلت فأنشده البيت فقال شغلنا عنك ثم أمر بخفيه فخلعتا من رجليه وملئتا مالا وقال ارجع بهما بدلا من خفي حنين فقال فيه لما عزل عن مصر وولى مكانه يزيد بن حاتم

بكى اهل مصر بالدموع السواجم غداة غدا منها الاغر ابن حاتم

وفيها يقول

لشتان ما بين اليزيدين في الندى يزيد سليم والاغر ابن حاتم
فهم الفتى الازدي اتلاف ماله وهم الفتى القيسي جمع الدراهم

فلا يحسب التمتام اني هجوته ولكنني فضلت اهل المكارم

« وخرج » اليه رجل من الشعراء يمدحه فلما بلغ مصر وجده قد مات فقال فيه .

لئن مصر فاتتني بما كنت ارتجي واخلفني منها الذي كنت آمل

فما كل من يخشى الردى بمصيبه ولا كل ما يرجو الغنى هو نائل

وما كان بيني لو لقيتك سالما وبين الغنى الا ليال قلائل

« ومنهم ابو دلف » واسمه القاسم بن اسمعيل وفيه يقول علي بن جبلة

انما الدنيا أبو دلف بين مبداه ومحتضره

فاذا ولى ابو دلف ولت الدنيا على أثره

« وقال فيه رجل من شعراء الكوفة »

الله اجرى من الارزاق اكثرها على العباد على كفى ابي دلف

بارى الرياح فاعطى وهي جارية حتى اذا وقفت اعطى ولم يقف

ماخط لا كاتباه في صحيفته يوما كما خط لا في سائر الصحف

فاعطاه ثلاثين الفا « ومدحه آخر فقال فيه »

يشبهه الرعد اذا الرعد رجف كانه البرق اذا البرق خطف

كانه الموت اذا الموت ازف تحمله الى الوغى الخيل القطف

ان سار سار المجد او حل وقف انظر بعينيك الى اسنى الشرف

هل ناله بقدرة او بكلف خلق من الناس سوى أبي دلف

فاعطاه خمسين الفا « ومنهم معن بن زائدة » قال شرحبيل بن معن ابن زائدة حج هرون الرشيد وزميله ابو يوسف القاضي وكنت كثيرا ما اسايره اذ عرض له اعرابي من بني اسد فانشده شعراً مدحه فيه وقرظه

فقال له هرون الم انهك عن مثل هذا في مدحك يا اخا بني اسد اذا قلت فينا فقل كقول القائل في ابي هذا

بنو مطر يوم اللقاء كأنهم اسود لها في غيل خفان اشبل
هم يمنعون الجار حتى كأنما لجارهم بين السماكين منزل
بهاليل في الاسلام سادوا ولم يكن كأولهم في الجاهلية أول
وما يستطيع الفاعلون فعالهم وان احسنوا في النائبات واجملوا
هم القوم ان قالوا أصابوا وان دعوا أجابوا وان أعطوا اطابوا واجزلوا

(ومنهم خالد بن عبد الله القسري) وهو الذي يقول فيه الشاعر

الى خالد حتى انخنا بخالد فنعم الفتى يرجى ونعم المؤمل

(بينا) خالد بن عبد الله القسري جالس في مظلة له اذ نظر الى اعرابي يخب به بعيره مقبلا نحوه فقال لحاجبه اذا قدم فلا تحجبه فلما قدم ادخله عليه فسلم وقال

أصلحك الله قل ما بيدي فما أطيق العيال اذ كثروا
أناخ دهر ألقى بكلكله فارسلوني اليك وانتظروا

فقال خالد أرسلوك وانتظروا والله لا تنزل حتى تنصرف اليهم بما يسرهم وأمر له بجائزة عظيمة وكسوة شريفة « ومنهم عدي بن حاتم » دخل عليه ابن دارة فقال اني مدحتك قال امسك حتى آتيك بمالي ثم امدحني على حسبه فانى اكره أن لا اعطيك ثمن ما تقول لي الف شاة وألف درهم وثلاثة اعبد وثلاث اماء وفرسي هذا حبس في سبيل الله فامدحني على حسب ما اخبرتك فقال

تحن قلوصي في معـــد وانمـا تلاقي ربيعا في ديار بني ثعل

وابقى الليالي من عدي بن حاتم حساما كنصل السيف سل من الخلل

ابوك جواد لا يشـق غباره وانت جواد ليس تعذر بالعلل

﴿ فصل في العلم ﴾

قال الله تعالى شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة وأولو العلم قائمـا بالقسط وقال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وقال تعالى قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقال تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات وفي صحيح البخاري ومسلم عن معاوية رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من يرد الله به خـيرا يفقهه في الدين وعن ابي امامة رضي الله عنه قال ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم رجلان احدهما عابد والآخر عالم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضلي على ادناكم ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله وملائكته واهل السموات والارض حتى النملة في حجرها وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه لان يهدي الله بك رجلا واحداً خير لك من حمر النعم رواه البخاري ومسلم وقال لمعاذ لما بعثه الى اليمن والله لان يهدي الله بك رجلا واحداً خير لك من الدنيا وما فيهـا رواه احمد وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من دعا الى هدى كان له من الاجر مثل اجور من تبعه لا ينقص ذلك من اجورهم شيئاً ومن دعا

الى ضلالة كان عليه من الاثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا رواه مسلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث صدقة جارية او علم ينتفع به او ولد صالح يدعو رواه مسلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيه واحد أشد على الشيطان من الف عابد رواه الترمذي وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل شيء عماد وعماد هذا الدين الفقه وما عبد الله بشيء افضل من فقه في الدين رواه الدارقطني وقال من سلك طريقاً يبتغي فيه علما سهل الله له طريقاً الى الجنة وان الملائكة لتضع اجنحتها لطالب العلم رضا بما يطلب وان العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الارض حتى الحيتان في الماء وفضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وان العلماء ورثة الانبياء وان الانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما انما ورثوا العلم فمن اخذه أخذ بحظ وافر رواه الترمذي وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من غدا الى المسجد لا يريد الا أن يتعلم خيراً ويعلمه كان له كأجر حاج تاما حجته رواه الطبراني في الكبير باسناد لا بأس به وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلس فقه خير من عبادة ستين سنة وقال رسول الله صلى ا الله عليه وسلم يسير الفقه خير من كثير العبادات وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيه واحد أفضل عند الله من الف عابد وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل العبادات الفقه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انكم اصبحتم في زمان كثير فقهاؤه خطباؤه قليل معطوه كثير سائلوه العلم فيه خير من العمل وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن تغدو فتتعلم بابا من العلم خير من ان تصلي مائة ركعة

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلبوا العلم ولو بالصين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم العلم خزائن ومفاتيحها السؤال فاسألوا فانه يؤجر فيه أربعة السائل والعالم والمستمع والمحب لهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاينبغي للجاهل ان يسكت على جهله ولا للعالم ان يسكت على علمه وقال علي كرم الله وجهه كفى بالعلم شرفا ان يدعيه من لايحسنه ويفرح به اذا نسب اليه وكفى بالجهل ذما ان يتبرأ منه من هو فيه

وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه تعلموا العلم فان تعلمه لله حسنة وطلبه عبادة ومدارسته تسبيح والبحث عنه جهاد وتعليمه لمن لايعلمه صدقة وبذله لاهله قربة وهو الانس في الوحدة والصاحب في الخلوة وقال ابن مسعود رضي الله عنه منهومان لايشبعان طالب العلم وطالب الدنيا وهما لايستويان اما طالب العلم فيزداد في رضا الرحمن وأما طالب الدنيا فيزداد في الطغيان ثم قرأ انما يخشى الله من عباده العلماء ثم قرأ كلا ان الانسان ليطغي أن رآه استغنى قال ابن عباس رضي الله عنهما العلم افضل من المال لان العلم ميراث الانبياء والمال ميراث الفراعنة ولان العلم يحرسك وانت تحرس المال ولان العلم لايعطيه الله الا لمن يحبه والمال يعطيه من يحب ومن لايحب ولان العلم لاينقص بالبذل والانفاق والمال ينقص بهما ولان صاحب المال اذا مات انقطع ذكره والعالم اذا مات فذكره باق ولان صاحب المال يسئل عن كل درهم من أين اكتسبه ومن وأين انفقه وجاء رجل الى أبي ذر رضي الله عنه فقال اني أريد أن اتعلم العلم واخاف

ان اضيعه ولا اعمل به فقال انك ان توسد العلم خير من ان توسد الجهل

﴿ فصل في الصدق ﴾

قال تعالى « رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه » وقال تعالى « واذكر في الكتاب اسمعيل انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا »

من تمسك بالصدق في الاقوال والفضيلة في الاعمال غلب وان كان أضعف الناس لان الحق يعلو ولا يعلى عليه والباطل مهما علا فهو كنار الحلفاء سريعة الانطفاء . وليس فضيلة الا والصدق في مقدمتها ولهذا قال بعضهم طلب رجل ذو رذائل أن يترك رذيلة واحدة فقيل له لا تكذب فانجبر انه كلما فعل رذيلة وسئل عنها صدق فليم فترك الجميع - وقد يرى رجل صدق ومع ذلك خاب فيظن ان سبب خيبته الصدق والحقيقة ان سببها اشياء اخرى غيره ولو فعلها لكان الصدق اهم ما انجحه وهذا مطرد في الاقوال والمعاملات وغيرها فان التاجر الصادق اذا خسر في الاول قليلا فان الثقة به بعد ذلك تعوضه اضعاف هذه الخسائر وهذا امر مشاهد بالنظر في كل يوم والصدق لازم في الامور الصغيرة كالكبيرة فلا توعد ولا تعد الا وانت صادق ولا تستسهل كلمة نعم او لا بالباطل . والتحيل في الصدق بالمعاريض والتورية والكناية هو كذب صرف لان المقصود من الصدق ما يفهمه المخاطب صدقا .

والوفاء بالوعد من اهم ما يكون فان الانسان يسخو بالوعد لانه خفيف لا كلفة فيه حتى اذا حان وقت انجازه نكل فاضر ذلك به وبغيره

﴿ فصل في الشكر ﴾

قال الله تعالى (فاذ كروني أذ كركم واشكروا لي ولا تكفرون) وقال تعالى (ولئن شكرتم لازيدنكم) أي في النعمة قيل الشكر قيد الموجود وصيد المفقود وقال تعالى (وان تعدوا نعمة الله لاتحصوها) أي لا تطيقوا عددها ولا القيام بشكرها (ان الانسان لظلوم كفار) أي ظالم لنفسه يجحد منعمه وقال تعالى (الم تروا ان الله سخر لكم مافي السموات وما في الارض واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة) قال ابن عباس رضي الله عنهما النعمة الظاهرة الاسلام والقرآن والباطنة ماستر عليك من الذنوب ولم يعجل عليك بالنقمة وقال تعالى (لتسألن يومئذ عن النعيم) أي عن شكر النعيم قال ابن مسعود النعيم الامن والصحة وقال سهل بن عبد الله أدنى الشكر ان لا تعصى الله عز وجل بنعمة من نعمه فان جوارحك نعم من الله عز وجل عليك فلا تعصه بها وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سمع رجلا يقول الحمد لله على الاسلام فقال انك لتحمد الله عز وجل على نعمة عظيمة وقال مجاهد في قول الله عز وجل أليس الله باعلم بالشاكرين قال على التوحيد عن ابراهيم بن ادهم رحمه الله قال من اصبح لزمه شكر ثلاثة اشياء (اولها) ان يشكر فيقول الحمد لله الذي نور قلبي بنور الهدى وجعلني من المؤمنين ولم يجعلني ضالا (والثاني) ان يقول الحمد لله الذي جعلني من امة محمد صلى الله عليه وسلم (والثالث) ان يقول الحمد لله الذي ستر عيوبي قال بعض الحكماء اشتغلت بشكر اربعة اشياء (اولها) ان الله خلق الف صنف من الخلق ورايت بني آدم اكرم الخلق فجعلت من بني آدم (والثاني) انه فضل الرجال على النساء وجعلني من الرجال (والثالث) رايت الاسلام

أفضل الاديان واحبها الى الله فجعلني مسلما « والرابع » رأيت أمة محمد عليه السلام افضل الامم فجعلني منها وكان الحسن يقول يا ابن آدم متى تنفك من شكر النعم وانت مرتهن بها كلها كلما شكرت نعمة تجدد بذلك الشكر اعظم عليك منها فانت لا تنفك بالشكر عن نعمة الا لما هو اعظم منها ونقل ابن الجوزي في روضة المشتاق عن بعض السادة انه قال ثمان خلال من لم يحرم فعلها لم يحرم حق المجازاة عليها من وفق للتوبة لم يحرم القبول قال الله تعالى وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ومن وفق للمجاهدة لم يحرم الهداية قال الله تعالي والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ومن وفق للصبر لم يحرم الجزاء قال الله تعالى انما يوفي الصابرون اجرهم بغير حساب ومن وفق للتوكل لم يحرم الكفاية قال الله تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه ومن وفق للاسترجاع لم يحرم الرحمة قال الله تعالى أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة ومن وفق للتقوى لم يحرم المخرج من الشدائد قال الله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ومن وفق للدعاء لم يحرم الاجابة قال الله تعالى ادعوني استجب لكم ومن وفق للشكر لم يحرم المزيد قال الله تعالى لئن شكرتم لازيدنكم عن معاذ رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذ بيده وقال يامعاذ والله اني لاحبك فقال اوصيك يا معاذ لا تدعن في دبر كل صلاة تقول اللهم اعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك وقال صلى الله عليه وسلم من قال حين يصبح اللهم ما اصبح بي من نعمة فمنك وحدك لا شريك لك لك الحمد ولك الشكر فقد أدى شكر يومه ومن قال مثل ذلك حين يمسي فقد ادى شكر ليلته ومن قال اذا اصبح اللهم اني اصبحت منك في

نعمة وعافية وستر فاتم نعمتك علي وعافيتك وسترك في الدنيا والآخرة ثلاث مرات اذا أصبح واذا أمسى كان حقاً على الله تعالى ان يتم عليه نعمته قال سفيان الثوري نعمتان ان رزقك الله تعالى اياهما فاحمده عليهما واشكره اجتنابك باب السلطان واجتنابك باب الطبيب روي ان بعضهم شكا الفقر الى بعض أرباب البصيرة وأظهر شدة اغتمامه بذلك فقال له ايسرك انك اعمى ولك عشرة آلاف درهم فقال لا فقال أيسرك انك أقطع اليدين والرجلين ولك عشرون ألفاً قال لا قال أيسرك انك مجنون ولك عشرة آلاف قال لا قال اما تستحي أن تشكو مولاك وله عندك عروض بخمسين الفا قال بعض الحكماء اني لا أستحي من الله ان أعبده رجاء الثواب بالجنة فاكون كالاجير ان أعطي اجره عمل والالم يعمل واني لاستحي من ربي تعالى ان اعبده خوفا من النار فاكون كالعبد السوء ان خاف عمل والالم يعمل ولكنني اعبده لما هو أهله قال في روضة المشتاق قيل ان بعض الانبياء عليهم السلام مر على طائفة من العباد كانهم الشنان البالية فقال ما أنتم قالوا نحن عباد قال لاي شيء تعبدتم قال خوفنا الله من النار فخفنا منها فقال حقاً على الله ان يؤمنكم مما خفتم ثم جاوزهم فمر بآخرين أشد عبادة منهم فقال لاي شيء تعبدتم قالوا شوقنا الله الى الجنات وما أعد لاوليائه فيها فنحن نرجو ذلك فقال ان حقاً على الله ان يعطيكم ما رجوتم ثم جاوزهم فمر بآخرين يتعبدون فقال ما انتم قالوا نحن المحبون في الله عز وجل لم نعبده خوفاً من ناره ولا شوقاً الى جنته ولكن حباً له واجلالا وتعظيما فقال أنتم اولياء الله حقا معكم امرت ان اقيم بين أظهركم

قال الله عز وجل قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى وعن ابي

هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال كل امر ذى بال لايبدأ فيه بالحمد لله فهو اقطع رواه ابو داود وابن ماجه وفي رواية كل كلام لايبدأ فيه بالحمد لله فهو اجزم ومعنى ذي بال اي له حال يهتم به ومعنى اقطع اي ناقص قليل البركة قال الشافعي رحمه الله احب ان يقدم المرء بين يدي خطبته وكل امر طلبه حمد الله تعالى والثناء عليه سبحانه وتعالى والصلاة على رسوله صلى الله عليه وسلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اول من يدعى الى الجنة يوم القيامة الذين يحمدون الله في السراء والضراء وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد راس الشكر ما يشكر الله عبد لايحمده وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم احب الكلام الى الله تعالى اربع لااله الا الله والله اكبر وسبحان الله والحمد لله لايضرك بايهن بدأت وعن انس رضي الله عنه ان رسول االله صلى الله عليه وسلم كان اذا أوى الى فراشه قال الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وكفانا وآوانا فكم من لا كافي له ولا مأوى وفي صحيح مسلم عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله ليرضى عن العبد ياكل الا أكلة فيحمده عليها ويشرب الشربة فيحمده عليها وعن فضالة بن عبيد رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صلى احدكم فليبدأ بتحميد الله تعالى والثناء عليه ثم يصلي على النبى صلى الله عليه وسلم ثم يدعو بما شاء وفي الترمذي عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من راى مبتلي فقال الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك به وفضلنى على كثير ممن خلق تفضيلا لم يصبه ذلك البلاء وعن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان اذا نظر فى المرآة قال الحمد لله اللهم كما حسنت خلقي فحسن خلقي وروى ابن ماجه

عن عائشه رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رأى مايحب قال الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات واذارأى مايكرهه قال الحمد لله على كل حال

﴿ فصل في الحلم ﴾

كظم الغيظ اذا صار عادة فهو الحلم وهذه الملكة تحصل بالمجاهدة وفي الحديث العلم بالتعلم والحلم بالتحلم وقال صلى الله عليه وسلم ايعجز أحدكم ان يكون كابي ضمضم قالوا وما ابو ضمضم قال رجل ممن كان قبلكم كان اذا أصبح يقول اللهم اني تصدقت اليوم بعرضي على من ظلمني - وقال انس ابن مالك في قوله تعالى فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم هو الرجل يشتمه أخوه فيقول ان كنت كاذباً فغفر الله لك وان كنت صادقاً فغفر الله لي . وقال بعضهم شتمت فلانا من أهل البصرة فحلم علي فاستعبدني بها زمانا - وبالجملة فالحلم عز يشبه الذل فمن قدر عليه فاز

وقال صلى الله عليه وسلم من كف غيظه كف الله عنه عذابه ومن اعتذر الى ربه قبل الله عذره ومن خزن لسانه ستر الله عورته وقال صلى الله عليه وسلم اشدكم من غلب نفسه عند الغضب واحلمكم من عفا بعد القدرة وقال عمر رضي الله عنه من اتقى الله لم يشف غيظه ومن خاف الله لم يفعل ما يريد ولولا يوم القيامة لكان غير ما ترون وقال رجل لعمر رضي الله عنه والله ما تقضي بالعدل ولا تعطي الجزل فغضب عمر حتى عرف في وجهه الغضب فقال له رجل يا أمير المؤمنين ألم تسمع قوله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين وهذا من الجاهلين فقال عمر صدقت فكأنما كانت ناراً فاطفئت

وكان من دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اغنني بالعلم وزيني بالحلم واكرمني بالتقوى وجملني بالعافية وقال صلى الله عليه وسلم ان الرجل المسلم ليدرك بالحلم درجة القائم الصائم وانه ليكتب جباراً وما يملك الا اهل بيته وشتم رجل ابن عباس رضي الله عنهما فلما قضى مقالته قال ياعكرمة انظر هل للرجل حاجة نقضيها فنكس الرجل رأسه واستحى وجاء غلام لابي ذر وقد كسر رجل شاة له فقال له من كسر رجل هذه قال انا فعلته عمداً لاغيظك فتضربني فتأثم فقال لاغيظن من حرضك على غيظي فاعتقه ودخل عمر بن عبد العزيز المسجد ليلة في الظلمة فمر برجل نائم فعثر به فرفع رأسه وقال أمجنون أنت فقال عمر لا فهم به الحارس فقال عمر مه انما سألني أمجنون انت فقلت له لا وسب رجل علي بن الحسين رضي الله عنهما فثارت اليه العبيد فقال مهلا ثم أقبل على الرجل فقال ماستر عنك من أمرنا اكثر ألك حاجة نعينك عليها فاستحى الرجل فالقى عليه خميصة كانت عليه وامر له بالف درهم فكان الرجل بعد ذلك يقول أشهد انك من اولاد الرسل وقال رجل لوهب بن منبه ان فلاناً شتمك فقال وما وجد الشيطان بريدا غيرك وقال لقمان ثلاثة لايعرفون الا عند ثلاث لا يعرف الحليم الا عند الغضب ولا الشجاع الا عند الحرب ولا اخوك الا عند الحاجة اليه

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبدا بعفو الا عزا وما تواضع أحد لله الا رفعه الله عن عقبة بن عامر قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عقبة ألا أخبرك بافضل اخلاق أهل الدنيا والآخرة تصل من قطعتك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك وجلس ابن مسعود في السوق يبتاع متاعا فابتاع ثم طلب الدراهم وكانت

في عمامته فوجدها قدحلت فقال لقد جلست وانها لمعي فجعلوا يدعون عليه اللهم اقطع يد السارق الذي أخـذها فقال عبد الله اللهم ان كان حمله على أخذها حاجة فبارك له فيها وان كان حمله جراءة على الذنوب فاجعله آخر ذنوبه .

وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله عز وجل رفيق يحب الرفق في الامر كله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يحرم الرفق يحرم الخير كله وقال صلى الله عليه وسلم ان الرفق لايكون في شيء الا زانه ولا ينزع من شيء الا شانه رواهما مسلم

﴿ فصل في التوبة ﴾

وقال الله تعالى وتوبوا الى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون وقال استغفروا ربكم ثم توبوا اليه وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا اختلفوا في معناها قال عمر وأبي ومعاذ رضي الله عنهم هي أن تتوب ثم لا تعود الى الذنب كما لا يعود اللبن في الضرع وقال محمد بن كعب القرظي رحمه الله يجمعها اربعة اشياء الاستغفار باللسان والاقلاع بالابدان واضمار ترك العود بالجنان ومهاجرة سيء الاخوان وعن ابي هريرة رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول والله اني لاستغفر الله واتوب اليه في اليوم اكثر من سبعين مرة رواه البخاري وقال صلى الله عليه وسلم يا أيها الناس توبوا الى الله فاني أتوب في اليوم مائة مرة رواه مسلم وقال صلى الله عليه وسلم لله أشد فرحا بتوبة عبده حين يتوب اليه من احدكم كان على راحلته بارض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه

فايس منها فأتى شجرة فاضطجع في ظلها وقد ايس من راحلته فبينما هو كذلك اذا هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح اللهم انت عبدي وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح رواه مسلم وقال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يقبل توبة العبد مالم يغرغر رواه الترمذي وقال صلى الله عليه وسلم من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجا ومن كل هم فرجا ورزقه من حيث لا يحتسب رواه أبو داوود وقال صلى الله عليه وسلم من قال استغفر الله الذي لا اله الا هو الحي القيوم وأتوب اليه غفرت ذنوبه وان كان قد فر من الزحف صححه الحاكم وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول قبل موته سبحان الله وبحمده أستغفره وأتوب اليه وقال الفضيل استغفار بلا اقلاع توبة الكذابين وقالت رابعة استغفارنا يحتاج الى استغفار كثير وقال بعض الحكماء من قدم الاستغفار على الندم كان مستهزئا ولا يعلم وسمع أعرابي وهو متعلق باستار الكعبة يقول اللهم ان استغفاري مع اصراري للؤم وان تركي استغفارك مع علمي بسعة عفوك لعجز فكم تتحبب الي بالنعم مع غناك عني وأتبغض اليك بالمعاصي مع فقري اليك يامن اذا وعد وفى واذا توعد عفا أدخل عظيم جرمي في عظيم عفوك يا أرحم الراحمين وقال أبو الفرج بن الجوزي رحمه الله في روضة المشتاق الى الملك الخلاق خرج ثلاثة نفر يستسقون فقال أحدهم اللهم انك أمرتنا بعتق عبيدنا اذا شابوا في خدمتنا وقد شبنا في خدمتك فتفضل علينا بعتقنا وقال الثاني اللهم انك أمرتنا أن نعفو عمن ظلمنا وقد ظلمنا أنفسنا فاغفر لنا وقال الثالث اللهم انك أمرتنا ان لا نرد المساكين اذا وقفوا بابوابنا ونحن مساكينك وقد وقفنا ببابك فجد علينا

بفضلك واحسانك قال مكحول الشامي من أوى الى فراشه ينبغي أن يتفكر فيما
صنع في يومه فان عمل خيرا حمد الله تعالى وان كان أذنب استغفر الله تعالى
فان لم يفعل كان كمثل التاجر الذي ينفق ولا يحسب فيفلس ولا يشعر
قال بعضهم ان العبد ليذنب الذنب فلا يزال تائباً نادماً حتى يدخل الجنة
ويروى ان رجلا سأل ابن مسعود رضي الله عنه عن ذنب ألم به هل
له من توبة فاعرض عنه ثم التفت اليه فرأى عينيه تذرفان فقال له ان
للجنة ثمانية ابواب كلها تفتح وتغلق الا باب التوبة فان عليه ملكا موكلا
لا يغلق فاعمل ولا تيأس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استبطأت
الرزق فاكثر من الاستغفار واذا انعم الله عليك فاكثر من الحمد واذا
ورد عليك أمر تكرهه فاكثر من لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم
فهي دواء من لا دواء له وعن أبي بكر رضي الله عنه عن النبي صلى
الله عليه وسلم أنه قال مامن رجل يذنب ذنبا ثم يقوم فيتطهر ثم يصلي ثم
يستغفر الله الا غفر الله له ثم قرأ والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم
ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم الآية وقال ابو عبد الله الوراق لو كان عليك
مثل عدد القطر وزبد البحر ذنوب لمحيت عنك اذا دعوت ربك بهذا الدعاء
مخلصا ان شاء الله تعالى اللهم اني استغفرك من كل ذنب تبت اليك منه
ثم عدت فيه واستغفرك من كل ما وعدتك به في نفسي ثم لم أوف لك به
واستغفرك من كل عمل أردت به وجهك فخالطه غيرك واستغفرك من
كل نعمة انعمت بها علي فاستعنت بها على معصيتك واستغفرك ياعالم الغيب
والشهادة من كل ذنب أتيته في ضياء النهار وسواد الليل في ملأ وخلا
وسر وعلانية ياحليم

وقال الله تعالى انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليما حكيما وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت قال اني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك أعتدنا لهم عذابا أليما قوله تعالى انما التوبة أي قبولها على الله بايجابه على نفسه تفضلا للذين يعملون السوء بجهالة قال قتادة أجمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان كل ما عصى به الله فهو جهالة عمداً كان او لم يكن وكل من عصى الله فهو جاهل وقيل معنى الجهالة اختيارهم اللذة الفانية على اللذة الباقية ثم يتوبون من قريب قبل معاينة ملك الموت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يقبل توبة العبد مالم يغرغر وقوله وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت ووقع في النزع قال اني تبت الآن وهي في حالة السوق حين تساق روحه لا يقبل من كافر ايمان ولا من عاص توبة قال الله تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا ولذلك لم ينفع ايمان فرعون حين أدركه الغرق قال لقمان لابنه يابني لا تؤخر التوبة فان الموت يأتي بغتة قال الغزالي رحمه الله من ترك المبادرة الى التوبة بالتسويف كان بين خطرين عظيمين أحدهما ان تتراكم الظلمة على قلبه من المعاصي حتى تصير رينا وطبعا فلا يقبل المحو الثاني ان يعاجله المرض أو الموت فلا يجد مهلة للاشتغال بالمحو ولذلك ورد في الخبر أن أكثر صياح أهل النار من التسويف فيكون تسويد القلب نقدا واجلاؤه بالطاعة نسيئة الى ان يختطفه الاجل فيأتى الله بقلب غير سليم ولا ينجو الا من اتى الله بقلب سليم قال أبو الفرج بن الجوزي رحمه الله في روضة المشتاق الى الملك الخلاق ورد في الخبر ان بعض الانبياء

قال لملك الموت عليه السلام أمالك رسول تقدمه بين يديك ليكون الناس على حذر منك قال نعم والله لي رسل كثيرة من الامراض والاعلال والشيب والهرم وتغير السمع والبصر فاذا لم يتذكر من نزل به ذلك ولم يتب فاذا قبضته ناديته ألم اقدم اليك رسولا بعد رسول ونذيراً بعد نذير فانا الرسول الذي ليس بعدي رسول وانا النذير الذي ليس بعدي نذير فما من يوم تطلع فيه شمسه الا وملك الموت ينادي ابناء الاربعين هذا وقت اخذ الزاد أذهانكم حاضرة واعضاؤكم قوية شداد يا ابناء الخمسين قد دنا الاخذ والحصاد يا ابناء الستين انسيتم العقاب وغفلتم عن رد الجواب فما لكم من نصير وحكى أبو الفرج عن بعض السادة انه قال رأيت غلاماً قد لبث الشعر ولزم العبادة والسهر فقلت يا فتى لقد اسرعت فقال لي يا شيخ سمعت المولى جلت قدرته يقول ففروا الى الله اني لكم منه نذير مبين كأنه جلت قدرته يقول ففروا الى الله قبل ان يوقفكم بين يديه في اليوم الشديد العسير والهول العظيم الخطير فيقول أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير

واعلم ان التوبة في لسان العرب والرجوع وهي رجوع عما كان مذموما في الشرع الى ما هو محمود فيه قال الاستاذ ابو علي الدقاق رضي الله عنه التوبة على ثلاثة أقسام أولها التوبة وأوسطها الانابة وآخرها الاوبة قال أبو القاسم القشيري رحمه الله فكل من تاب لخوف العقوبة وصاحب توبة ومن تاب طمعا في الثواب فهو صاحب انابة ومن تاب مراعاة الامر لا لرغبة ولا لرهبة فهو صاحب أوبة ويقال ايضا التوبة صفة المؤمنين قال الله تعالى وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون

والانابة صفة الاولياء والمقربين قال الله تعالى وجاء بقلب منيب والاوبة صفة الانبياء والمرسلين قال الله عز وجل نعم العبد انه اواب وقال ذو النون رحمه الله توبة العوام من الذنوب وتوبة الخواص من الغفلة (وأما مقدماتها) فانتباه القلب عن رقدة الغفلة ورؤية العبد ما هو عليه من سوء الحال والتعرض لسخط الله تعالى وأليم عقابه وذكره ضعف صبره عن احتمال شديد عذابه فيحمله ذلك على التوبة (واما علاماتها) فهجران قرناء السوء والتوحش عنهم وحب العزلة وقلة الكلام والخوض ومجانبة الفضول وسكون الجوارح عن الحركات المذمومات وملازمة الذكر والاستكثار من العبادة واطراق الرأس ونحول الجسم ودمع العين وحزن القلب وكثرة الاسف على ما اساء وفرط وتخاف وضيع من جواهر عمره النفيسة في المخالفات والشهوات الخسيسة وادامة البكاء والتضرع والجأر في طلب الاقالة اناء الليل واطراف النهار (وأما ثمراتها) فمنها رجوعه حبيباً للرحمن بعد ان كان حبيبا للشيطان ودخوله في رضى المولى بعد خروجه من سخط الله تعالى وتطهيره من السيئات التي كان يستحق بها العذاب الاليم وربحه الحسنات التي ينال بها النعيم المقيم والقرب من الحبيب المولى الكريم ومسارعته فى الخيرات بانبعاث جوارحه في العمل بعد أن كان بقيد الذنوب مكبولا وطعم لذة الطاعات وحلاوة المناجاة وصيرورة العمل بعد الرد مقبولا وسلامته من سيئات ربما جرت المصر عليها الى الكفر والعياذ بالله كما جاء في الكتاب المكنون ثم كان عاقبة الذين اساؤا السوآى أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزؤن وعلى الجملة يصير بعد ان كان مبعداً مقربا وبعد ان كان مبغوضا حبيبا وبعد ان كان

المدعو غير سامع لدعائه مجيبا وبعد الاعراض عنه الاقبال عليه وبعد خروج نور الأيمان من قلبه رجوعه اليه (وأما حدها) فهو ترك اختيار ذنب سبق منك مثله منزلة لا صورة تنزيها لله تعالى وحذراً من سخطه وهذا الحد حكاه الامام أبو حامد الغزالي رحمه الله وارتضاه احترز بقوله منزلة لا صورة لتصح توبة الشيخ الهرم الذي لا يقدر على قطع الطريق والزنا اذ لا يقدر على ترك اختيارهما لكونه عاجزاً عن فعلهما فلا يوصف بترك اختيار ما هو عاجز عنه ويقدر على ترك اختيار ما هو مثلهما في المنزلة في المعاصي الفرعية وان تفاوتت في الاثم فكلها معاص منزلتها دون منزلة البدعة ومنزلة البدعة دون منزلة الكفر فتصح توبته عنهما (وأما شروطها) فالندم على ما تقدم من الذنوب وترك الذنب في الحال تعظيما لله تعالى وحذراً من سخطه والعزم على ان لا يعود الى مثل ما عمل من المعاصي البتة فهذه الشروط لابد منها والا فلا تصح التوبة وأما ماورد في الخبر ان الندم توبة فمحمول عند بعض العلماء على انه معظم التوبة كما قال صلى الله عليه وسلم الحج عرفة أي معظم الحج ولا بد من ارضاء الخصوم بأداء الحقوق او بالتحلل من جميع المظالم «والحقوق التي يجب اداؤها ويتحلل منها قسمان» أحدهما لله تعالى وهو ترك واجب من صلاة أو صوم او كفارة او غيرها فيجب قضاء ما أمكن من ذلك والقسم الثاني للعباد وهو على خمسة أقسام في النفس أو في المال او في العرض او في الحرمة او في حق من الحقوق غير هذه المذكورات فالخروج عن ذلك بالتمكين من القصاص في النفس او الدية أو بالاستحلال وبالرد والاستحلال في المال وبالاستحلال فقط في العرض ان لم يخف زيادة غيظ وهيجان فتنة اذا ذكر

له ذلك فان خشي من ذكر ذلك له فالرجوع الى الله تعالى في الابتهال والتضرع ان يرضى عنه الخصوم والاستغفار لهم وكذلك في الحرمة بأن خانه في اهله او ولده اومن يتعلق به يتضرع الى الله عزوجل ويرغب اليه ان يرضيه عنه فيجعل له خيراً كثيراً في مقابلة ذلك فان امن الفتنة والغيظ وهو نادر بعيد جداً فيستحل منه واما سائر الحقوق الخارجة عن هذه الاقسام فأعنى به مالا يقابل بعوض كالكلب وجلد الميتة وسائر الاعيان النجسة التي لايجوز اقتناؤها فطريق الخروج عنها بالرد ان امكن وبالاستحلال ان لم يمكن لتلف او غيره ولا يغرم اذ لا قيمة بخلاف المال ومن الحقوق المنع من أخذ بشفعة او تصرف في ولاية أو نحو ذلك من الحقوق يجب الاستحلال منه وحيث عدم صاحب الحق في جميع هذه الاقسام فان كان بموت رجع الى الوارث في كل ما يورث فان لم يكن له وارث او كان ممن لا يورث رجع فيه الى الله سبحانه وتعالى فى ارضاء الخصوم والدعاء لهم والتصدق عنهم واكثار الحسنات لاستيفائهم في القيامة وان كان بغيبة ولم يمكن التوصل الى البراءة وان كان مما تدخله النيابة كالمال والحقوق رجع فيه الى الوكيل فان لم يكن فالى الحاكم وينتظر حضوره فيما عدا ذلك والله اعلم وقال الغزالي رحمه الله في الاحياء من كثرت مظالمه وأراد التوبة وعجز عن رد المظالم الى اهلها فعل ما يقدر عليه فان عجز فلا يبقى له طريق الا ان يكثر من الحسنات حتى يقتص منه يوم القيامة فتؤخذ حسناته وتوضع في موازين ارباب المظالم .

﴿ فصل في حسن الخلق ﴾

قال الله تعالى في حق الرسول صلى الله عليه وسلم وانك لعلى خلق عظيم

وقالت عائشة رضى الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم خلقه القرآن وجاء في تفسير قوله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك - وجملة حسن الخلق تتناول طرف من الفضائل يكون مجموع ذلك ما نسميه حسن الخلق - وقال يحي بن معاذ سوء الخلق سيئه قد لا تنفع معها كثرة الحسنات وحسن الخلق حسنه قد لا تضر معها كثرة السيئات - وكما ان حسن الخلق هو عبارة عن انتظام في الاعضاء فكذلك حسن الخلق هو عبارة عن انتظام الاخلاق والطباع بحيث يصدر عن ذلك الافعال الحسنة فالخلق اذاً عبارة عن هيئة النفس وصورتها الباطنة وكما ان حسن الصورة الظاهرة مطلقاً لا يتم بحسن العينين دون الانف والفم والخد بل لا بد من حسن الجميع ليتم حسن الظاهر فكذلك في الباطن اربعة اركان لا بد من الحسن في جميعها حتى يتم حسن الخلق فاذا استوت الاركان الاربعة واعتدلت وتناسبت حصل حسن الخلق هي قوة العلم وقوة الغضب وقوة الشهوة وقوة العدل بين هذه القوى الثلاث اما قوة العلم فحسنها وصلاحها في ان تصير بحيث يسهل بها درك الفرق بين الصدق والكذب في الاقوال وبين الحق والباطل في الاعتقادات وبين الجميل والقبيح في الافعال فاذا صلحت هذه القوة حصل منها ثمرة الحكمة والحكمة رأس الاخلاق الحسنة وهي التي قال الله فيها (ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا) واما قوة الغضب فحسنها في ان يصير انقباضها وانبساطها في حد ما تقتضيه الحكمة وكذلك الشهوة حسنها وصلاحها في ان تكون تحت اشارة الحكمة اعني اشارة العقل والشرع واما قوة العدل فهو ضبط الشهوة والغضب تحت اشارة

العقل والشرع فالعقل مثاله مثال الناصح المشير وقوة العدل هي القدرة ومثالها مثال المنفذ الممضي لاشارة العقل والغضب هو الذي تنفذ فيه الاشارة ومثاله مثال كلب الصيد فانه يحتاج الى ان يؤدب حتى يكون استرساله وتوقفه بحسب الاشارة لابحسب هيجان شهوة النفس والشهوة مثالها مثال الفرس الذي يركب في طلب الصيد فانه تارة يكون مروضاً مؤدباً وتارة يكون جموحا فمن استوت فيه هذه الخصال واعتدلت فهو حسن الخلق مطلقا ومن اعتدل فيه بعضها دون البعض فهو حسن الخلق بالاضافة الى ذلك المعنى خاصة كالذي يحسن بعض اجزاء وجهه دون بعض وحسن القوة الغضبية واعتدالها يعبر عنه بالشجاعة وحسن قوة الشهوة واعتدالها يعبر عنه بالعفة فان مالت قوة الغضب عن الاعتدال الى طرف الزيادة تسمى تهورا وان مالت الى الضعف والنقصان تسمى جبنا وجوراً وان مالت قوة الشهوة الى طرف الزيادة تسمي شرها وان مالت الى النقصان تسمى جمودا والمحمود هو الوسط وهو الفضيلة والطرفان رذيلتان مذمومتان والعدل اذا فات فليس له طرفان زيادة ونقصان بل له ضد واحد ومقابل وهو الجور وأما الحكمة فيسمى افراطها عند الاستعمال في الاغراض الفاسدة خبثا وجربزة ويسمى تفريطها بلها والوسط هو الذي يختص باسم الحكمة فاذا امهات الاخلاق وأصولها أربعة الحكمة والشجاعة والعفة والعدل ونعني بالحكمة حالة للنفس بها يدرك الصواب من الخطا في جميع الاحوال الاختيارية ونعني بالعدل حالة للنفس وقوة بها يسوس الغضب والشهوة ويحملها على مقتضى الحكمة ويضبطها في الاسترسال والانقباض على حسب مقتضاها ونعني بالشجاعة كون قوة الغضب منقادة للعقل في

اقدامها واحجامها ونعني بالعفة تأدب قوة الشهوة بتأديب العقل والشرع فمن اعتدال هذه الاصول الاربعة تصدر الاخلاق الجميلة كلها اذ باعتدال قوة العقل يحصل حسن التدبير وجودة الذهن وثقابة الرأي واصابة الظن والتفطن لدقائق الاعمال وخفايا آفات النفوس ومن افراطها تصدر الجريرة والمكر والحقد والخداع والدهاء ومن تفريطها يصدر البله والغمارة والحمق والجنون واعني بالغمارة قلة التجربة في الامور مع سلامة التخيل فقد يكون يكون الانسان غمراً في شيء دون شيء والفرق بين الحمق والجنون ان الاحمق مقصوده صحيح ولكن سلوكه الطريق فاسد فلا تكون له روية صحيحة في سلوك الطريق الموصل الى الغرض واما المجنون فانه يختار ما لا ينبغي ان يختار فيكون اصل اختياره فاسداً واما خلق الشجاعة فيصدر منه الكرم والنجدة والشهامة وكسر النفس والاحتمال والحلم والثبات وكظم الغيظ والوقار والتودد وأمثالها وهي اخلاق محمودة وأما افراطها وهو التهور فيصدر منه الصلف والبذخ والاستشاطة والتكبر والعجب وأما تفريطها فيصدر منه المهانة والذلة والجزع والخساسة وصغر النفس والانقباض عن تناول الحد الواجب وأما خلق العفة فيصدر منه السخاء والحياء والصبر والمسامحة والقناعة والورع واللطافة والمساعدة والظرف وقلة الطمع واما ميلها الى الافراط أو التفريط فيحصل منه الحرص والشره والوقاحة والخبث والتبذير والتقتير والرياء والمجانة والعبث والملق والحسد والشماتة والتذلل للاغنياء واستحقار الفقراء وغير ذلك فامهات محاسن الاخلاق هذه الفضائل الاربعة وهي الحكمة والشجاعة والعفة والعدل والباقي فروعها ولم يبلغ كمال الاعتدال في هذه الاربع الا رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس

بعده متفاوتون في القرب والبعد منه فكل من قرب منه في هذه الاخلاق فهو قريب من الله تعالى بقدر قربه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل من جمع كمال هـذه الاخلاق استحق ان يكون بين الخلق ملكا مطاعاً يرجع الخلق كلهم اليه ويقتدون به في جميع الافعال ومن انفك عن هـذه الجملة كلها واتصف باضدادها استحق ان يخرج من بين البلاد والعباد فانه قد قرب من الشيطان اللعين المبعد فينبغي ان يبعد كما ان الاول قريب من الملك المقرب فينبغي ان يقتدي به ويتقرب اليه فان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبعث الا ليتمم مكارم الاخلاق كما قال وقد اشار القرآن الى هـذه الاخلاق في اوصاف المؤمنين فقال انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا الخ

ومن المعلوم ان الانسان اذا ساء خلقه لم يجد في ذلك سعاده بل ألم كالعار والتوبيخ والانتقاد وكراهيـة الناس بل بعض المرض والفقر وبالعكس اذا حسن خلقه . ومن حسن الخلق عدم التكبر والرياء والتظاهر بالمظاهر الكاذبة والخشونة في الاقوال والافعال والانانية

وعدوا من ذلك عدم سؤال المرء عن ماله وسنه وعقيدته واسراره وتجنب سرعة الغضب والقذح بالفحشاء والسب ورفع الصوت في الكلام ومدح المرء فى وجهه وذمه في غيبته . وان لا يجادل المرء في المجتمعات . وعدم سلوك مسالك التهم وعدم الخفة في الحركات والتهور في كل شيء وعدم السكون والاناة وكثرة الكلام والثرثره ومس المخاطب باليد عند الكلام . وسب الخدم . والرواية عن أحوالك في كل آن . وفتل اليدين والشاربين وتخليل الانف . والبصق بصوت والنف بصوت . والجشاء والمبالغة في الكلام .

والمدح مع المادح والذم مع الذام . والتملق وتفهيم المحدث انك تعرف ما يحدثك به ومقاطعته . وأن لا يعرف له مذهب ولا مشرب ولا رأي بل هو في كل يوم له رأي جديد . وان تفوح الروائح الخبيثة من ثوبه أو فمه وسوء كيفية العطاس والتثاءب . وترك التحية للناس . والانتقاد على ملبوس أحد أو مأكوله او بيته وعدم رد الزيارة ورد المكاتبة والسعي في نفع الناس والبعد عن فعل شيء في السر تستحي منه في العلانية والمروءة وهي الرغبة الصادقة في الافادة بقدر ما يمكن وانجاز الوعد والوفاء بالعهد وعدم التهتك في المحارم والرقة وهي التأذي من أذى يلحق الغير مطلقا والنزاهة وهي اكتساب المال من غير مهانة وكظم الغيظ والبعد عن الحسد والشماتة بمصائب الخلق والوقاحة وانكار الحق بعد معرفته والنميمة والسخرية والمن . والقدح في الاعراض والمطل والعمل بالتهور لا بالرأي والبول في الطرقات ولبس الرث المكروه ومباينة القول للعمل وانه ان دعى فلا بد أن يجيب او يعتذر . ولا يحلف وان يتجنب الجزع والذلة والحرص والشره والوقاحة والخبث والتبذير والتقتير

﴿ فصل في محبة الوطن ﴾

كان الناس في اول الامر قبائل وكانت كل قبيلة تعادي القبيلة الآخر وتنازعها في خيرات الدنيا ثم ضمت القبائل الى بعض فصار كل جملة قبائل أمه فزال التنازع من بين القبائل ووجد ما بين الامم ويقول الحكماء انه سيزول يوماً من بين الامم فيصبحون أمة واحدة

ثم ان كل أمة من هذه الامم لها أرض سكنت فيها ومنعت غيرها

عنها فهذه الارض هي الوطن وسكانه هم الوطنيون وقد يلحق بهم النزيل الذي يترك انتسابه لامة أخرى ويلتحق بهذه

وكما ان الشخص يحب بيته الذي يأوي اليه ويدفع عنه كل معتد من الخارج فالامة التي هي مجموع الاشخاص يجب عليهم ان يدافعوا عن بيتهم الكبير الذي هو الوطن وهو دفاع له اصل في الشرع ففي الحديث من قتل دون ماله فهو شهيد

وكما ان الانسان اذا تهاون في هذا الدفاع وفي حبه لبيته وسلم الى الغريب ان يدخله وينازعه في قوته كان ذلك وبالا عليه فكذلك في الوطن

وكما ان الشخص من أهل البيت اذا سمح او سهل الاجنبي وضع يده على بيت عائلته لمنفعة شخصية له اكثر من انتفاع الشخص من البيت كان ذلك فائدة له وخسارة على أهل البيت وكان بذلك خائناً لهم يجب منعه قبل الغريب فكذلك في الوطن

وكما ان الانسان اذا دافع عن بيته فانما يدافع في الحقيقة عن ماله وعن عرضه وعن نفسه وعن شرفه فكذلك في الوطن

وكما انه لو استولى احد على هذا البيت فلم يحرم أحداً فيه من رزقه وانما حرمهم من لذة تملكه وصار في الحقيقة السيد وهم العبيد واذا رأوا أصحاب البيوت الاخرى تكلموا عن بيوتهم نكسوا رؤوسهم حياء فهم لا يرضون بذلك مطلقاً فكذلك في الوطن وكما ان البيت لا يتم الا بتعاون كل اهله هذا للمال وهذا للحراسة وهذا للماء وهذا للطبخ وهذا للحساب فان قصر واحد وقفت حركة البيت فلا ينبغي احتقار واحد منهم فكذلك في الوطن

وكما الانسان يحب تزيين بيتـه وتكثير ثروته وان يباهي به الغـير ويكون افراده مما يشار اليهم بالبنان فكذلك في الوطن

﴿ فصل في التواضع ﴾

قال الله تعالى واخفض جناحك للمؤمنين وقال تعالى يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله اوحى اليَّ ان تواضعوا حتى لا يفخر احد على احد ولا يبغي احد على احد رواه مسلم وقال صلى الله عليه وسلم ما نقصت صـدقة من مال وما زاد الله عبـداً بعفو الاعزاً وما تواضع احد لله الا رفعه الله رواه مسلم في الصحيحين عن أنس رضي الله عنه انه مرّ على صبيان فسلم عليهم وقال كان النبي صلى الله عليه وسلم يفعله وقال صلى الله عليـه وسلم ما بعث الله نبياً الا رعى الغنم قال اصحابه وأنت قال نعم كنت ارعاها على قراريط لاهل مكة رواه البخاري وقال صلى الله عليه وسلم لو دعيت الى كراع أو ذراع لاجبت ولو أهدى الي كراع أو او ذراع لقبلته رواه البخاري وقال صلى الله عليه وسلم الكرم التقوى والشرف التواضع واليقين الغنى وقال صلى الله عليه وسلم أربع لا يعطيهن الله الا من يحب الصمت وهو أول العبادة والتوكل على الله والتواضع والزهد في الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم انه ليعجبني ان يحمل الرجل الشي في يده يكون مهناة لاهله يرفع به الكبر عن نفسه وقال صلى الله عليـه وسلم اذا رأيتم المتواضعين من امتي فتواضعوا لهم واذا رأيتم المتكبرين فتكبروا عليهم فان ذلك مذلة لهـم وصغار وقال ابن المبارك رحمـه الله رأس التواضع أن تضع

نفسك عند من دونك في نعمة الدنيا حتى تعلمه ان ليس لك عليه بدنياك فضل
وان ترفع نفسك عمن هو فوقك في الدنيا حتى تعلمه انه ليس له بدنياه عليك
فضل وروى ان قريشاً تفاخرت عند سلمان رضي الله عنه فقال لكن خلقت
من نطفة قذرة ثم اعود جيفة منتنة ثم الى الميزان فان ثقل ميزاني فانا
كريم وان خف فانا لئيم وقال أنس رضي الله عنه لم يكن شخص احب الينا
من رسول الله صلى الله عليه وسلم كنا اذا رأيناه لم نقم له لما نعلم من كراهته
لذلك وقال علي رضي الله عنه من اراد ان ينظر الى رجل من أهل النار فلينظر
الى رجل قاعد وبين يديه قوم قيام وقال ابو الدرداء رضي الله عنه لا يزال
العبد يزداد من الله بعداً ما مشي خلفه وقال ثابت بن أبي مالك رضي الله عنه
رأيت أبا هريرة رضي الله عنه أقبل من السوق وعلى رأسه حزمة من حطب
وهو يومئذ خليفة لمروان فقال وسع الطريق للامير يا ثابت بن أبى مالك وقال
بعضهم رأيت عليا رضي الله عنه اشترى لحما بدرهم فحمله في ملحفة فقلت له أحمل
عنك يا أمير المؤمنين فقال لا أبو العيال أحق أن يحمله وقال زيد بن وهب
رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرج من السوق وبيده الدرة وعليه
كساء فيه أربع عشرة رقعة بعضها من أدم وعوتب في ازار مرقع فقال يقتدي
به المؤمن ويخشع به القلب روى عن قيس بن أبي حازم أنه قال لما قدم عمر
ابن الخطاب رضي الله عنه الشأم تلقاه عظماؤها فقلت له اركب هذا البرذون
يراك الناس فقال انكم ترون الامر من ههنا وان الامر من ههنا وأشار
بيده الى السماء خلوا سبيلي وروى أنه جعل بينه وبين غلامه مناوبة فكان
عمر يركب الناقة ويأخذ الغلام بزمامها ويسير مقدار فرسخ ثم ينزل ويركب
الغلام فيأخذ عمر بزمامها ويسير فرسخا فلما قرب من الشام كانت نوبة الغلام

فركب الغلام وأخـذ عمر بالزمام فاستقبله الماء في الطريق فجعل يخوض في الماء وهو آخذ بزمام الناقة فخرج أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه وكان أميراً على الشام فقال يا أمير المؤمنين ان عظماء الشام يخرجون اليك فلا نختار ان يروك على هـذه الحالة فقال عمر انما أعزنا الله بالاسلام فلا أبالي بمقالة الناس (وحكي) انه لما أهم قيصر ملك الروم أمر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أرسل رسولا لينظر أحواله ويشاهد أفعاله فلما دخل المدينة سأل أهلها وقال اين ملككم فقالوا مالنا ملك لنا أمير خرج الى ظاهر المدينة فخرج الرسول فى طلبه فرآه نائما في الشمس فوق الرمل الحار وقد وضع درته كالوسادة تحت رأسه فلما رآه على تلك الهيئة وقع الخشوع في قلبه وقال رجل تكون ملوك الارض تهابه لا يقر لهم قرار من عظيم هيبته تكون هـذه حالته لكنك ياعمر عدلت فامنت فنمت وملكنا جار لاجرم انه لا يزال ساهرا خائفا اشهد ان دينكم لدين حق ولولا اني اتيت رسولا لأسلمت ولكن سأعود بعد هذا واسلم وروي ان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه اتاه ليلة ضيف وكان يكتب فكان السراج يطفأ فقال الضيف اقوم الى المصباح فاصلحه فقال عمر ليس من كرم الرجـل ان يستعمل ضيفه قال أفأنبه الغلام قال هى اول نومة نامها فقام عمر وأخذ البطة وملأ المصباح زيتاً فقال الضيف قمت أنت بنفسك يا أمير المؤمنين فقال ذهبت وانا عمر ورجعت وانا عمر وخير الناس من كان عند الله متواضعا وروى عنه انه قبل ان يستخلف كان تشتري له الحلة بألف دينار فيقول ما أجودها لولا خشونة فيها فلما استخلف كان يشترى له الثوب بخمسة دراهم فيقول ما أجوده لولا لينه فقيل له أين لباسك وموكبك وعطرك فقال ان لي نفساً ذواقة تواقة

وانها لم تذق من الدنيا طاقة الا تاقت الى الطبقة التي فوقها حتى اذا ذاقت الخلافة وهي ارفع الطبقات تاقت الى ما عند الله

واذا تواضعت لمن هو دونك تكون قد انعمت عليه بشيء من الجاه فيحبك لكرمك وان تواضعت لمن هو اعلى منك تكون اديت واجبا . ومن انعم الله عليه بنعمة وجب عليه ان يستقبلها بالاستكانة وكل ذي نعمة محسود والحسد يولد نار العداء فالتواضع يكون كالماء لهذا النار واعلم ان التكبر يظهر في شمائل الرجل كصور في وجهه ونظره شزرا واطراقه رأسه وجلوسه متربعا او متكئا وفي اقواله حتى في صوته ونغمته ويظهر في مشيته وتبختره وقيامه وجلوسه وحركاته وسكناته فمن المتكبرين من يجمع ذلك كله ومنهم من يتكبر في بعض فالتواضع هو ان يظهر أضداد ذلك في الرجل فلا يحب قيام الناس او وقوف الخدم قياما بين يديه أو تفخيمه بالالقاب او تصديره لصدور المجالس او تقديمه على كل احد قيل ان سفيان حضر للرملة فأرسل له بعضهم احضر الليلة لتسامرنا فحضر فقيل او ترسل بذلك لسفيان في قدره قال اردت ان اعرف تواضعه وقال بعضهم لاحد كبار الصوفية يامرائي فقال له عرفت اسمي الذي اضله الناس - وقال أنس كانت الوليدة في المدينة تأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا ينزع يده منها حتى تذهب به حيث شاءت وهذه الاخلاق هي السائدة الآن في الامم الراقية المتنورة لا اخلاق الجبابرة .

فصل في الصحبة

من حقوق المسلم ان تسلم عليه اذا لقيته وتجيبه اذا دعاك وتشمته اذا

عطس وتعوده اذا مرض وتشهد جنازته اذا مات وتبر قسمه اذا أقسم عليك وتنصح له اذا استنصحك وتحفظه بظهر الغيب اذا غاب عنك وتحب له ما تحب لنفسك وتكره له ما تكره لنفسك ورد جميع ذلك في اخبار وآثار وقد روى انس رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اربع من حق المسلمين عليك ان تعين محسنهم وان تغفر لمذنبهم وان تدعو لمدبرهم وان تحب تائبهم وقال بن عباس رضي الله عنهما في معني قوله تعالى رحماء بينهم قال يدعو صالحهم لطالحهم وطالحهم لصالحهم فاذا نظر الطالح الى الصالح من أمة محمد صلى الله عليه وسلم قال اللهم بارك له فيما قسمت له الخير وثبته عليه وانفعنا به واذا نظر الصالح الى الطالح قال اللهم اهده وتب عليه واغفر له عثرته * ومنها ان يحب للمؤمنين ما يحب لنفسه ويكره لهم ما يكره لنفسه قال النعمان بن بشير سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد اذا اشتكى عضو منه تداعى سائره بالحمى والسهر وروى ابو موسى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ومنها ان لا يؤذي أحداً من المسلمين بفعل ولا قول قال صلى الله عليه وسلم المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده وقال صلى الله عليه وسلم في حديث طويل يامر فيه بالفضائل فان لم تقدر فدع الناس من الشر فانها صدقة تصدقت بها على نفسك وقال أيضاً افضل المسلمين من سلم المسلمون من لسانه ويده قالوا فمن المؤمن قال من امنه المؤمنون على انفسهم واموالهم قالوا فمن المهاجر قال من هجر السوء واجتنبه وقال رجل يا رسول الله ما الاسلام قال ان يسلم قلبك لله ويسلم المسلمون من لسانك ويدك

وقال صلى الله عليه وسلم لقد رأيت رجلا يتقلب في الجنة في شجرة قطعها عن ظهر الطريق كانت تؤذي المسلمين وقال أبو هريرة رضي الله عنه يا رسول الله علمني شيئاً أنتفع به قال اعزل الاذى عن طريق المسلمين وقال صلى الله عليه وسلم من زحزح عن طريق المسلمين شيئا يؤذيهم كتب الله له به حسنة ومن كتب الله له حسنة أوجب له بها الجنة وقال صلى الله عليه وسلم لا يحل لمسلم أن يشير الى أخيه بنظرة تؤذيه وقال لا يحل لمسلم أن يروع مسلما وقال صلى الله عليه وسلم ان الله يكره أذى المؤمنين وقال الربيع ابن خيثم الناس رجلان مؤمن فلا تؤذه وجاهل فلا تجاهله * ومنها أن يتواضع لكل مسلم ولا يتكبر عليه فان الله لا يحب كل مختال فخور وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى أوحي الى ان تواضعوا حتى لا يفخر احد على أحد ثم أن تفاخر عليه غيره فليتحمل قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وعن ابن أبي أوفي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتواضع لكل مسلم ولا يأنف ولا يتكبر ان يمشي مع الارملة والمسكين فيقضى حاجته * ومنها أن لا يسمع بلاغات الناس بعضهم على بعض ولا يبلغ بعضهم ما يسمع من بعض قال صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة قتات وقال الخليل بن أحمد من نم لك نم عليك ومن اخبرك بخبر غيرك اخبر غيرك بخبرك * ومنها أن لا يزيد في الهجر لمن يعرفه على ثلاثة أيام مهما غضب عليه قال أبو أيوب الانصاري قال صلى الله عليه وسلم لا يحل لمسلم ان يهجر أخاه فوق ثلاث يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام وقد قال صلى الله عليه وسلم من اقال مسلما عثرته أقاله الله يوم القيامة قال عكرمة قال الله

تعالى ليوسف بن يعقوب بعفوك عن اخوتك رفعت ذكرك في الدارين
قالت عائشة رضي الله عنها ما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم
لنفسه قط الا ان تنهك حرمة الله فينتقم لله وقال بن عباس رضي الله عنهما
ماعفا رجل عن مظلمة الا زاده الله بها عزاً وقال صلى الله عليه وسلم ما نقص
مال من صدقة وما زاد الله رجلا بعفو الا عزًّا وما من احد تواضع لله الا
رفعه الله ومنها ان يحسن الى كل من قدر عليه منهم ما استطاع لا يميز بين
الاهل وغير الاهل روى علي بن الحسين عن ابيه عن جده رضي الله عنهم
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اصنع المعروف في أهله وفي غير اهله
فان اصبت اهله فهو اهله وان لم تصب اهله فأنت من اهله وعنه باسناده قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأس العقل بعد الدين التودد الى الناس
واصطناع المعروف الى كل بر وفاجر قال أبو هريرة كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم لا يأخذ أحد بيده فينزع يده حتى يكون الرجل هو الذي
يرسله ولم تكن ترى ركبته خارجة عن ركبة جليسه ولم يكن أحد منهم يكلمه
الا أقبل عليه بوجهه ثم لا يصرفه عنه حتى يفرغ من كلامه * ومنها ان لا
يدخل على احد الا باذنه بل يستأذن ثلاثا فان لم يؤذن له انصرف قال أبو
هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الاستئذان ثلاث
فالاولى يستنصتون والثانية يستصلحون والثالثة يأذنون او يردون * ومنها ان
يخالق الجميع بخلق حسن ويعامل كل واحد بحسب طريقته فانه اذا اراد لقاء الجاهل
بالعلم والأمي بالفقه والعيي بالبيان آذى وتأذى * ومنها ان يوقر المشائخ ويرحم
الصبيان قال جابر رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس منا
من لم يوقر كبيرنا ولم يرحم صغيرنا وقال صلى الله عليه وسلم من اجلال الله

اكرام ذي الشيبة المسلم ومن تمام توقير المشائخ ان لا يتكلم بين ايديهم الا بالاذن وقال جابر قدم وفد جهينة على النبي صلى الله عليه وسلم فقام غلام ليتكلم فقال صلى الله عليه وسلم مه فأين الكبير وفي الخبر ما وقر شاب شيخا الا قيض الله له في سنه من يوقره. قال صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى يكون الولد غيظا والمطر قيظا وتفيض اللئام فيضا وتغيض الكرام غيضا ويجترئ الصغير على الكبير واللئيم على الكريم والتلطف بالصبيان من عادة رسول الله صلى الله عليه وسلم كان صلى الله عليه وسلم يقدم من السفر فيتلقاه الصبيان فيقف عليهم ثم يأمر بهم فيرفعون اليه فيرفع منهم بين يديه ومن خلفه ويأمر اصحابه ان يحملوا بعضهم فربما تفاخر الصبيان بعد ذلك فيقول بعضهم لبعض حملني رسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه وحملك انت وراءه ويقول بعضهم امر اصحابه ان يحملوك وراءهم وكان يؤتى بالصبي الصغير ليدعو له بالبركة وليسميه فيأخذه فيضعه في حجره فربما بال الصبي فيصيح به بعض من يراه فيقول لا تزرموا الصبي بوله فيدعه حتى يقضي بوله ثم يفرغ من دعائه له وتسميته ويبلغ سرور اهله فيه لئلا يروا انه تأذى ببوله فاذا انصرفوا غسل ثوبه بعد * ومنها ان يكون مع كافة الخلق مستبشرا طلق الوجه رفيقا قال صلى الله عليه وسلم اتدرون على من حرمت النار قالوا الله ورسوله اعلم قال على اللين الهين السهل القريب وقال ابو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يحب السهل الطلق الوجه وقال بعضهم يا رسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة فقال ان موجبات المغفرة بذل السلام وحسن الكلام وقال عبد الله بن عمر ان البر شيء هين وجه طليق وكلام لين وقال صلى الله عليه وسلم اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم

يجد فبكلمة طيبة وقال صلى الله عليه وسلم ان في الجنة لغرفا يرى ظهورها من بطونها وبطونها من ظهورها فقال اعرابي لمن هي يارسول الله قال لمن اطاب الكلام واطعم الطعام وصلى بالليل والناس نيام وقال معاذ بن جبل قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصيك بتقوي الله وصدق الحديث ووفاء العهد واداء الامانة وترك الخيانة وحفظ الجار ورحمة اليتيم ولين الكلام وبذل السلام وخفض الجناح وقال انس رضي الله عنه عرضت لنبي الله صلى الله عليه وسلم امرأة وقالت لي معك حاجة وكان معه ناس من اصحابه فقال اجلسي في اي نواحي السكك شئت أجلس اليك ففعلت فجلس اليها حتى انتهت من كلامها وقال وهب بن منبه ان رجلا من بني اسرائيل صام سبعين سنة يفطر في كل سبعة أيام فسأل الله تعالى ان يريه كيف يغوي الشيطان الناس فلما طال عليه ذلك ولم يجب قال لو اطلعت على خطيئتي وذنبي بيني وبين ربي لكان خيراً لي من هذا الامر الذي طلبته فأرسل الله اليه ملكا فقال له ان الله أرسلني اليك وهو يقول لك ان كلامك هذا الذي تكلمت به أحب الي مما مضى من عبادتك * ومنها أن لا يعد مسلما بوعد الا ويفي به قال صلى الله عليه وسلم العدة عطية وقال العدة دين وقال ثلاث في المنافق اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا أتمن خان وقال ثلاث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وذكر ذلك * ومنها أن ينصف الناس من نفسه ولا يأتي اليهم الا بما يحب ان يأتي اليه قال صلى الله عليه وسلم لا يستكمل العبد الايمان حتى يكون فيه ثلاث خصال الانفاق من الاقتار والانصاف من نفسه وبذل

السلام وقال عليه السلام من سره ان يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته
منيته وهو يشهد أن لا إله الا الله وان محمداً رسول الله وليؤت الى الناس
مايحب ان يؤتى اليه وقال صلى الله عليه وسلم يا أبا الدرداء احسن مجاورة
من جاورك تكن مؤمنا واحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلما قال
الحسن أوحى الله تعالى الى آدم صلى الله عليه وسلم بأربع خصال وقال فيهن
جماع الامر لك ولولدك واحدة لي وواحدة لك وواحدة بيني وبينك
وواحدة بينك وبين الخلق فاما التي لي تعبدني ولا تشرك بي شيئا وأما التي
لك فعملك أجزيك به افقر ماتكون اليه واما التي بيني وبينك فعليك الدعاء
وعلي الاجابة وأما التي بينك وبين الناس فتصحبهم بالذي تحب ان يصحبوك
به وسأل موسى عليه السلام الله تعالى فقال أي رب أي عبادك اعدل قال
من أنصف من نفسه * ومنها ان يزيد في توقير من تدل هيئته وثيابه على
علو منزلته فينزل الناس منازلهم روي ان عائشة رضي الله عنها كانت في سفر
فنزلت منزلا فوضعت طعامها فجاء سائل فقالت عائشة ناولوا هذا المسكين
قرصا ثم مر رجل على دابة فقالت ادعوه الى الطعام فقيل لها تعطين المسكين
وتدعين هذا الغني فقالت ان الله تعالى أنزل الناس منازل لابد لنا من ان
ننزلهم تلك المنازل هذا المسكين يرضى بقرص وقبيح بنا ان نعطي هذا
الغني على هذه الهيئة قرصا وروي انه صلى الله عليه وسلم دخل بعض بيوته
فدخل عليه اصحابه حتى دحس وامتلأ فجاء جرير بن عبد الله البجلي فلم
يجد مكانا فقعد على الباب فلف رسول الله صلى الله عليه وسلم رداءه فالقاه اليه
وقال له اجلس على هذا فأخذه جرير ووضعه على وجهه وجعل يقبله ويبكي ثم
لفه ورمى به الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال ما كنت لاجلس على ثوبك اكرمك

الله كما اكرمتني فنظر النبي صلى الله عليه وسلم يميناً وشمالا ثم قال اذا أتاكم كريم قوم فاكرموه وكذلك كل من له عليه حق قديم فليكرمه روى ان ظئر رسول الله صلى الله عليه وسلم التي أرضعته جاءت اليه فبسط لها رداءه ثم قال لها مرحباً بأمي ثم اجلسها على الرداء ثم قال لها اشفعي تشفعي وسلي تعطي فقالت قومي فقال أما حقي وحق بني هاشم فهو لك فقام الناس من كل ناحية وقالوا وحقنا يا رسول الله ثم وصلها بعد واخدمها ووهب لها سهمانه بحنين فبيع ذلك من عثمان بن عفان رضي الله عنه بمائة ألف درهم ولربما أتاه من يأتيه وهو على وسادة جالس ولا يكون فيها سعة يجلس معه فينزعها ويضعها تحت الذي يجلس اليه فان أبى عزم عليه حتى يفعل * ومنها ان يصلح ذات البين بين المسلمين مهما وجد اليه سبيلا قال صلى الله عليه وسلم ألا أخبركم بأفضل من درجة الصلاة والصيام والصدقة قالوا بلى قال اصلاح ذات البين وفساد ذات البين هي الحالقة وقال صلى الله عليه وسلم أفضل الصدقة اصلاح ذات البين وقد قال صلى الله عليه وسلم ليس بكذاب من أصلح بين اثنين فقال خيراً وهذا يدل على وجوب الاصلاح بين الناس لان ترك الكذب واجب ولا يسقط الواجب الا بواجب آكد منه قال صلى الله عليه وسلم كل الكذب مكتوب الا ان يكذب الرجل في الحرب فان الحرب خدعة أو يكذب بين اثنين فيصلح بينهما أو يكذب لامرأته ليرضيها * ومنها أن تستر عورات المسلمين كلهم قال صلى الله عليه وسلم من ستر على مسلم ستره الله في الدنيا والآخرة وقال لا يستر عبد عبدا الا ستره الله يوم القيامة وقال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال صلى الله عليه وسلم لا يرى المؤمن من أخيه عورة فيسترها عليه الا دخل الجنة وقال صلى الله عليه وسلم لماعز لما أخبره لو

ستره بثوبك كان خيراً لك فاذا على المسلم إن يستر عورة نفسه فحق اسلامه واجب عليه كحق اسلام غيره قال أبو بكر رضي الله عنه لو وجدت شارباً لاحببت أن يستره الله ولو وجدت سارقا لاحببت ان يستره الله وروي ان عمر رضي الله عنه كان يعس بالمدينة ذات ليلة فرأى رجلا وامرأة على فاحشة فلما أصبح قال للناس أرأيتم لو ان اماما رأى رجلا وامرأة على فاحشة فاقام عليهما الحد ما كنتم فاعلين قالوا انما انت امام فقال علي رضي الله عنه ليس ذلك لك اذا يقام عليك الحد ان الله لم يأمن على هذا الامر أقل من اربعة شهود ثم تركهم ما شاء الله ان يتركهم ثم سألهم فقال القوم مثل مقالتهم الاولى فقال علي رضي الله عنه مثل مقالته الاولى وهذا يشير الى ان عمر رضي الله عنه كان متردداً في ان الوالي هل له أن يقضي بعلمه في حدود الله فلذلك راجعهم في معرض التقدير لا في معرض الاخبار خيفة من ان لا يكون له ذلك فيكون قاذفا باخباره ومال رأي علي الى انه ليس له ذلك وهذا من اعظم الادلة على طلب الشرع لستر الفواحش فان أفحشها الزنا وقد نيط بأربعة من العدول يشاهدون ذلك منه في ذلك منها كالمرود في المكحلة وهذا قط لا يتفق وان علمه القاضي تحقيقا لم يكن له ان يكشف عنه فانظر الى الحكمة في حسم باب الفاحشة بايجاب الرجم الذي هو اعظم العقوبات ثم انظر الى كثيف ستر الله كيف اسبله على العصاة من خلقه بتضييق الطريق في كشفه وعن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال خرجت مع عمر رضي الله عنه ليلة في المدينة فبينما نحن نمشي اذ ظهر لنا سراج فانطلقنا نؤمه فلما دنونا منه اذا باب مغلق على قوم لهم اصوات ولغط فاخذ عمر بيدي وقال اتدري بيت من هذا قلت لا فقال هذا بيت ربيعة بن امية بن خلف وهم الآن شرب

فما ترى قلت ارى انا قد اتينا ما نهانا الله عنه قال الله تعالى ولا تجسسوا فرجع عمر رضي الله عنه وتركهم وهذا يدل على وجوب الستر وترك التتبع وقد قال صلى الله عليه وسلم لمعاوية انك ان تتبعت عورات الناس افسدتهم او كدت تفسدهم وقال صلى الله عليه وسلم يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الايمان في قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فانه من يتبع عورة أخيه المسلم يتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه ولو كان في جوف بيته وقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه لو رأيت أحدا على حدّ من حدود الله تعالى ما آخذته ولا دعوت له أحداً حتى يكون معي غيري وقال بعضهم كنت قاعداً مع عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه اذ جاءه رجل بآخر فقال هـذا نشوان فقال عبد الله بن مسعود استنكهوه فاستنكهوه فوجدوه نشوانا فحبسه حتى ذهب سكره ثم دعا بسوط ثم قال للجلاد اجلد وارفع يدك واعط كل عضو حقه فجلده وعليه قباء او مرط فلما فرغ قال للذي جاء به ما أنت منه قال عمه قال عبد الله ما أدبت فاحسنت الادب ولا سترت الحرمة انه ينبغي للامام اذا انتهى اليـه حد ان يقيمه وان الله عفو يحب العفو ثم قرأ وليعفوا وليصفحوا ثم قال اني لاذكر اول رجل قطعه النبي صلى الله عليه وسلم أتي بسارق فقطعه فكانما أسف وجهه فقالوا يا رسول الله كأنك كرهت قطعه فقال وما يمنعني لا تكونوا عونا للشياطين على اخيكم فقالوا ألا عفوت عنه فقال انه ينبغي للسلطان اذا انتهي اليه حدّ أن يقيمه ان الله عفو يحب العفو وقرأ وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون ان يغفر الله لكم والله غفور رحيم وفي رواية فكأنما سفي في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم رماد لشدة تغيره وروى ان عمر رضي الله عنه كان يعس بالمدينة من الليل فسمع

صوت رجل في بيت يتغنى فتسور عليه فوجد عنده امرأة وعنده خمر فقال
ياعدو الله أظننت ان الله يسترك وأنت على معصيته فقال وأنت يا أمير
المؤمنين فلا تعجل فان كنت قد عصيت الله واحدة فقد عصيت الله في
ثلاث قال الله تعالى ولا تجسسوا وقد تجسست وقال الله تعالى وليس البر بأن
تأتوا البيوت من ظهورها وقد تسورت علي وقد قال الله تعالى لا تدخلوا
بيوتاً غير بيوتكم الآية وقد دخلت بيتي بغير اذن ولا سلام فقال عمر
رضي الله عنه هل عندك من خير ان عفوت عنك قال نعم والله يا أمير المؤمنين
لئن عفوت عني لا أعود الى مثلها أبداً فعفا عنه وخرج وتركه وقال رجل
لعبد الله بن عمر يا أبا عبد الرحمن كيف سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول في النجوى يوم القيامة قال سمعته يقول ان الله ليدني منه
المؤمن فيقول أتعرف ذنب كذا أتعرف ذنب كذا فيقول نعم يارب
حتى اذا قرره بذنوبه فرأى في نفسه أنه قد هلك قال له ياعبدي اني لم
أسترها عليك في الدنيا الا وأنا أريد ان أغفرها لك اليوم فيعطى كتاب
حسناته وأما الكافرون والمنافقون فيقول الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا
على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين وقد قال صلى الله عليه وسلم كل أمتي
معافى الا المجاهرين وان من المجاهرة أن يعمل الرجل السوء ثم يخبر
به وقال صلى الله عليه وسلم من استمع خبر قوم وهم له كارهون
صب في اذنه الآنك يوم القيامة . ومنها ان يتقي مواضع التهم صيانة
لقلوب الناس عن سوء الظن ولالسنتهم عن الغيبة فانهم اذا عصوا
الله بذكره وكان هو السبب فيه كان شريكا قال الله تعالى ولا تسبوا الذين
يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم وقال صلى الله عليه وسلم

كيف ترون من يسب أبويه فقالوا وهل من احد يسب أبويه فقال نعم
يسب أبوي غيره فيسبون ابويه وقد روى انس بن مالك رضي الله عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كلم احدى نسائه فمر به رجل فدعاه
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقل يافلان هذه زوجتي صفية فقال يارسول
الله من كنت أظن فيه فاني لم ا كن اظن فيك فقال ان الشيطان يجري من
ابن آدم مجرى الدم وزاد في رواية اني خشيت ان يقذف في قلوبكما شيئاً
وكانا رجلين فقال على رسلكما انها صفية الحديث وكانت قد زارته في العشر
الاواخر من رمضان وقال عمر رضي الله عنه من اقام نفسه مقام التهم فلا
يلومن من أساء به الظن ومر برجل يكلم امرأة على ظهر الطريق فعلاه
بالدرة فقال يا أمير المؤمنين انها امرأتي فقال هلا حيث لا يراك احد من
الناس * ومنها ان يشفع لكل من له حاجة من المسلمين الى من له عنده
منزلة ويسعى في قضاء حاجته بما يقدر عليه قال صلى الله عليه وسلم اني أوتى
واسئل وتطلب الى الحاجة وانتم عندي فاشفعوا لتؤجروا ويقضي الله على يدي
نبيه ما احب وقال معاوية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشفعوا الى
تؤجروا اني اريد الامر وأؤخره كي تشفعوا الى فتؤجروا وقال صلى الله
عليه وسلم ما من صدقة افضل من صدقة اللسان قيل وكيف ذلك قال
الشفاعة يحقن بها الدم وتجري بها المنفعة ويدفع بها المكروه عن آخر
وروى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما ان زوج بريرة كان عبدا يقال له
مغيث كأني انظر اليه خلفها وهو يبكي ودموعه تسيل على لحيته فقال
صلى الله عليه وسلم للعباس ألا تعجب من شدة حب مغيث لبريرة
وشدة بغضها له فقال النبي صلى الله عليه وسلم لو راجعتيه فانه ابو

ولدك فقالت يارسول الله اتأمرني فافعل فقال لا انما انا شافع * ومنها ان يبدا كل مسلم منهم بالسلام قبل الكلام ويصافحه عند السلام قال صلى الله عليه وسلم من بدا بالكلام قبل السلام فلا تجيبوه حتى يبدا بالسلام وقال بعضهم دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم اسلم ولم استأذن فقال النبي صلى الله عليه وسلم ارجع فقل السلام عليكم وادخل وروى جابر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخلتم بيوتكم فسلموا على اهلها وقال انس رضي الله عنه خدمت النبي ثماني حجج فقال لي يا انس اسبغ الوضوء يزد في عمرك وسلم على من لقيته من امتي تكثر حسناتك واذا دخلت منزلك فسلم على اهل بيتك يكثر خير بيتك وقال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا التقى المؤمنان فتصافحا قسمت بينهما سبعون مغفرة تسع وستون لاحسنهما بشراً وقال الله تعالى واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها اوردوها وقال عليه السلام والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا افلا ادلكم على عمل اذا عملتموه تحاببتم قالوا بلى يا رسول الله قال افشوا السلام بينكم وقال ايضاً اذا سلم المسلم على المسلم فرد عليه صلت عليه الملائكة سبعين مرة وقال صلى الله عليه وسلم ان الملائكة تعجب من المسلم يمر على المسلم ولا يسلم عليه وقال عليه السلام يسلم الراكب على الماشي واذا سلم من القوم واحد اجزأ عنهم وقال قتادة كانت تحية من كان قبلكم السجود فأعطى الله تعالى هذه الامة السلام وهي تحية اهل الجنة وكان ابو مسلم الخولاني يمر على قوم فلا يسلم عليهم ويقول ما يمنعني

الا اني اخشى ان لا يردوا فتلعنهم الملائكة والمصافحة ايضا سنة مع السلام وجاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال السلام عليكم فقال عليه السلام عشر حسنات فجاء آخر فقال السلام عليكم ورحمة الله فقال عشرون حسنة فجاء آخر فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فقال ثلاثون وكان أنس رضي الله عنه يمر على الصبيان فيسلم عليهم ويروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه فعل ذلك وروي عبد الحميد بن بهرام أنه صلى الله عليه وسلم مر في المسجد يوماً وعصبة من الناس قعود فاومأ بيده بالسلام وقالت عائشة رضي الله عنها ان رهطاً من اليهود دخلوا علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا السام عليك فقال النبي صلى الله عليه وسلم عليكم قالت عائشة رضي الله عنها فقلت بل عليكم السام واللعنة فقال عليه السلام يا عائشة ان الله يحب الرفق في كل شيء قالت عائشة ألم تسمع ما قالوا قال فقد قلت عليكم وقال عليه السلام يسلم الراكب على الماشي والماشي على القاعد والقليل على الكثير والصغير على الكبير وقال عليه السلام لاتشبهوا باليهود والنصارى فان تسليم اليهود بالاشارة بالاصابع وتسليم النصارى بالاشارة بالاكف قال أبو عيسى اسناده ضعيف وقال عليه السلام اذا انتهى احدكم الى مجلس فليسلم فان بداله ان يجلس فليجلس ثم اذا قام فليسلم فليست الاولى بأحق من الاخيرة وقال انس رضي الله عنه قال صلى الله عليه وسلم اذا التقى المؤمنان فتصافحا قسمت بينهما سبعون مغفرة تسعة وستون لاحسنهما بشراً وقال عمر رضي الله عنه سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول اذا التقي المسلمان وسلم كل واحدمنهما

على صاحبه وتصافحا نزلت بينهما مائة رحمة للبادئ تسعون وللمصافح عشرة وقال الحسن المصافحة تزيد في الود وقال أبو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تمام تحياتكم بينكم المصافحة وقال عليه السلام قبلة المسلم أخاه المصافحة. ولا بأس بقبلة يد المعظم في الدين تبركا به وتوقيراً له وروي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قبلنا يد النبي صلى الله عليه وسلم وعن كعب بن مالك قال لما نزلت توبتي أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقبلت يده وروي ان اعرابياً قال يارسول الله ائذن لي فاقبل رأسك ويدك قال فاذن له ففعل ولقي أبو عبيدة عمر بن الخطاب رضي الله عنهما فصافحه يقبل يده وتنحيا يبكيان وعن البراء بن عازب رضي الله عنه أنه سلم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتوضا فلم يرد عليه حتى فرغ من وضوئه فرد عليه ومد يده اليه فصافحه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المسلمين اذا التقيا فتصافحا تحاتت ذنوبهما وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا مر الرجل بالقوم فسلم عليهم فردوا عليه كان له عليهم فضل درجة لانه ذكرهم السلام وان لم يردوا عليه رد عليه ملأ خير منهم وأطيب أو قال وأفضل والانحناء عند السلام منهى عنه قال أنس رضي الله عنه قلنا يارسول الله أينحني بعضنا لبعض قال لا قال فيقبل بعضنا بعضا قال لا قال فيصافح بعضنا بعضاً قال نعم والالتزام والتقبيل قد ورد به الخبر عند القدوم من السفر وقال أبو ذر رضي الله عنه ما لقيته صلى الله عليه وسلم الا صافحني وطلبني يوماً فلم اكن في البيت فلما أخبرت جئت وهو على سرير فالتزمني فكانت أجود واجود والاخذ بالركاب في توقير العلماء ورد به الاثر فعل ابن عباس ذلك بركاب

زيد بن ثابت وأخذ عمر بغرز زيد حتى رفعه وقال هكذا فافعلوا بزيد واصحاب زيد والقيام مكروه على سبيل الاعظام لا على سبيل الاكرام قال انس ما كان شخص احب الينا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا اذا رأوه لم يقوموا لما يعلمون من كراهيته لذلك وروى انه عليه السلام قال مرة اذا رأيتموني فلا تقوموا كما تصنع الاعاجم وقال عليه السلام من سره ان يتمثل له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار وقال عليه السلام لا يقم الرجل الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن توسعوا وتفسحوا وكانوا يحترزون عن ذلك لهذا النهى وقال صلى الله عليه وسلم اذا اخذ القوم مجالسهم فان دعا احد اخاه فأوسع له فليأته فانما هي كرامة اكرمه بها اخوه فان لم يوسع له فلينظر الى اوسع مكان يجده فيجلس فيه ويكره أن يقول ابتداء عليك السلام فانه قاله رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام ان عليك السلام تحية الموتى قالها ثلاثا ثم قال اذا لقى أحدكم أخاه فليقل السلام عليكم ورحمة الله ويستحب للداخل اذا سلم ولم يجد مجلسا أن لا ينصرف بل يقعد وراء الصف وقال صلى الله عليه وسلم ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان الا غفر لهما قبل أن يتفرقا وسلمت أم هانئ على النبي صلى الله عليه وسلم فقال من هذه فقيل له أم هانئ فقال عليه السلام مرحبا بام هانئ * ومنها أن يصون عرض أخيه المسلم ونفسه وماله عن ظلم غيره مهما قدر ورد عنه ويناضل دونه وينصره فان ذلك يجب عليه بمقتضى اخوة الاسلام روي أبو الدرداء ان رجلا نال من رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فرد

عنه رجل فقال النبي صلى الله عليه وسلم من رد عن عرض أخيه كان له حجابا من النار وقال صلى الله عليه وسلم ما من امرئ مسلم يرد عن عرض أخيه الا كان حقا على الله أن يرد عنه نار جهنم يوم القيامة وعن أنس رضي الله عنه ان النبي صلي الله عليه وسلم قال من ذكر عنده اخوه المسلم وهو يستطيع نصره الله تعالى في الدنيا والآخرة وقال عليه السلام من حمى عن عرض أخيه المسلم في الدنيا بعث الله تعالى له ملكا يحميه يوم القيامة من النار قال جابر وأبو طلحة سمعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من امرئ مسلم ينصر مسلما في موضع ينتهك فيه عرضه ويستحل حرمته الا نصره الله في موطن يحب فيه نصره وما من امرئ خذل مسلما في موطن ينتهك فيه حرمته الا خذله الله في موضع يحب فيه نصرته * ومنها تشميت العاطس قال عليه السلام في العاطس يقول الحمد لله على كل حال ويقول الذي يشمته يرحمكم الله ويرد عليه العاطس فيقول يهديكم الله ويصلح بالكم وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا يقول اذا عطس أحدكم فليقل الحمد لله رب العالمين فاذا قال ذلك فليقل من عنده يرحمك الله فاذا قالوا ذلك فليقل يغفر الله لي ولكم وشمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عاطساً ولم يشمت آخر فسأله عن ذلك فقال انه حمد الله وأنت سكت وقال صلى الله عليه وسلم يشمت العاطس المسلم اذا عطس ثلاثا فان زاد فهو زكام وروي انه شمت عاطساً ثلاثا فعطس اخرى فقال انك مزكوم وقال أبو هريرة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا عطس غض صوته واستتر بثوبه أو يده وروي خمر وجهه وقال أبو موسى الاشعري كان اليهود يتعاطسون عنده

رسول الله صلى الله عليه وسلم رجاء أن يقول يرحمكم الله فكان يقول يهديكم الله وروي عبد الله بن عامر بن ربيعة عن ابيه ان رجلا عطس خلف النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة فقال الحمد لله حمداً كثيرا طيباً مباركا فيه كما يرضى ربنا وبعد ما يرضى والحمد لله على كل حال فلما سلم النبي صلى الله عليه وسلم قال من صاحب الكلمات فقال أنا يارسول الله ما أردت بهن الا خيرا فقال لقد رأيت اثنى عشر ملكا كلهم يبتدرونها أيهم يكتبها وقال ابراهيم النخعي اذا عطس في قضاء الحاجة فلا بأس بأن يذكر الله وقال الحسن يحمد الله في نفسه وقال كعب قال موسى عليه السلام يارب أقريب أنت فأناجيك أم بعيد فأناديك فقال أنا جليس من ذكرني فقال فانا نكون على حال نجلك ان نذكرك عليها كالجنابة فقال اذكرني على كل حال * ومنها أنه اذا بلي بذي شر فينبغي ان يتحمله ويتقيه قال بعضهم خالص المؤمن مخالصة وخالق الفاجر مخالقة فان الفاجر يرضى بالخلق الحسن في الظاهر وقال أبو الدرداء انا لنبش في وجوه أقوام وان قلوبنا لتلعنهم وهذا معنى المداراة وهي مع من يخاف شره قال الله تعالى ادفع بالتي هي أحسن السيئة قال ابن عباس في معنى قوله ويدرؤن بالحسنة السيئة أي الفحش والاذى بالسلام والمداراة وقال في قوله تعالى ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض قال بالرغبة والرهبة والحياء والمداراة وقالت عائشة رضي الله عنها استأذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ائذنوا له فبئس رجل العشيرة هو فلما دخل ألان له القول حتى ظننت أن له عنده منزلة فلما خرج قلت له لما دخل قلت الذي قلت ثم ألنت له القول فقال يا عائشة ان شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة من تركه الناس اتقاء فحشه وفي

الخبر ما وقى الرجل به عرضه فهو له صدقه وفي الأثر خالطوا الناس بأعمالكم وزايلوهم بالقلوب وقال محمد بن الحنفية رضي الله عنه ليس بحكيم من لم يعاشر بالمعروف من لا يجد من معاشرته بداً حتى يجعل الله له منه فرجا ومنها أن يجتنب مخالطة الاغنياء ويختلط بالمساكين ويحسن الى الايتام كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول اللهم أحيني مسكينا وأمتني مسكينا واحشرني في زمرة المساكين وقال كعب الاحبار كان سليمان عليه السلام في ملكه اذا دخل المسجد فرأى مسكيناً جلس اليه وقال مسكين جالس مسكينا وقال الفضيل بلغني ان نبيا من الانبياء قال يارب كيف لي ان اعلم رضاك عني فقال انظر كيف رضا المساكين عنك وقال عليه السلام اياكم ومجالسة الموتى قيل ومن الموتى يارسول الله قال الاغنياء وقال موسى الهي اين ابغيك قال عند المنكسرة قلوبهم وقال صلى الله عليه وسلم لا تغبطن فاجرا بنعمته فانك لا تدري الى ما يصير بعد الموت فان من ورائه طالبا حثيثا واما اليتيم فقال صلى الله عليه وسلم من ضم يتيما من ابوين مسلمين حتى يستغنى فقد وجبت له الجنة البتة وقال عليه السلام انا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين وهو يشير بأصبعيه وقال صلى الله عليه وسلم من وضع يده على رأس يتيم ترحما كانت له بكل شعرة تمر عليها يده حسنة وقال صلى الله عليه وسلم خير بيت من المسلمين بيت فيه يتيم يحسن اليه وشر بيت من المسلمين بيت فيه يتيم يساء اليه * ومنها النصيحة لكل مسلم والجهد في ادخال السرور على قلبه قال صلى الله عليه وسلم المؤمن يحب للمؤمن كما يحب لنفسه وقال صلى الله عليه وسلم لا يؤمن أحدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه وقال صلى الله عليه وسلم ان أحدكم مرآة أخيه فاذا رأى فيه شيئا فليمطه عنه وقال صلى الله عليه وسلم من قضى حاجة لاخيه

فكأنما خدم الله عمره وقال صلى الله عليه وسلم من أقر عين مؤمن أقر الله عينه يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم من مشى في حاجة أخيه ساعة من ليل أو نهار قضاها أو لم يقضها كان خيراً له من اعتكاف شهرين وقال عليه السلام من فرج عن مؤمن مغموم أو اعان مظلوما غفر الله له ثلاثا وسبعين مغفرة وقال صلى الله عليه وسلم انصر أخاك ظالما او مظلوما فقيل كيف ينصره ظالما قال يمنعه من الظلم وقال عليه السلام ان من أحب الاعمال الى الله ادخال السرور على قلب المؤمن أو ان يفرج عنه غما او يقضي عنه دينا او يطعمه من جوع وقال صلى الله عليه وسلم من حمى مؤمنا من منافق يعنته بعث الله اليه ملكا يوم القيامة يحمى لحمه من نار جهنم وقال صلى الله عليه وسلم خصلتان ليس فوقهما شيء من الشر الشرك بالله والضر لعباد الله وخصلتان ليس فوقهما شيء من البر الايمان بالله والنفع لعباد الله وقال صلى الله عليه وسلم من لم يهتم للمسلمين فليس منهم وبكي علي بن الفضل يوما فقيل له ما يبكيك قال ابكى على من ظلمني اذا وقف غدا بين يدي الله تعالى وسئل عن ظلمه ولم تكن له حجة * ومنها ان يعود مرضاهم فالمعرفة والاسلام كافيان في اثبات هذا الحق ونيل فضله وادب العائد خفة الجلسة وقلة السؤال واظهار الرقة والدعاء بالعافية وغض البصر عن عورات الموضع وعند الاستئذان لا يقابل الباب ويدق برفق وقال صلى الله عليه وسلم تمام عيادة المريض ان يضع احدكم يده على يده ويسأله كيف هو وتمام تحياتكم المصافحة وقال صلى الله عليه وسلم من عاد مريضا قعد في مخارف الجنة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا عاد الرجل المريض خاض في الرحمة فاذا قعد عنده قرت فيه وقال عثمان رضي الله عنه مرضت فعادني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال

باسم الله الرحمن الرحيم أعيذك بالله الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد من شر ما تجد قالها مرارا ودخل صلى الله عليه وسلم علي علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو مريض فقال له قل اللهم اني اسألك تعجيل عافيتك او صبرا على بليتك او خروجا من الدنيا الى رحمتك فانك ستعطى احداهن ويستحب للعليل ايضا ان يقول اعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد واحاذر والقصد من التشييع قضاء حق المسلمين والاعتبار وكان مكحول الدمشقي اذا رأى جنازة قال اغدوا فانا رائحون موعظة بليغة وغفلة سريعة يذهب الاول والآخر لاعقل له وخرج مالك بن دينار خلف جنازة أخيه وهو يبكي ويقول والله لاتقر عيني حتى أعلم الى ماصرت ولا والله لاأعلم مادمت حيا وقال الاعمش كنا نشهد الجنائز فلا ندري لمن نعزي لحزن القوم كلهم ونظر ابراهيم الزيات الى قوم يترحمون على ميت فقال لو ترحمون انفسكم لكان اولى انه نجا من اهوال ثلاث وجه ملك الموت قد راى ومرارة الموت قد ذاق وخوف الخاتمة قد امن وقال صلى الله عليه وسلم يتبع الميت ثلاث فيرجع اثنان ويبقى واحد يتبعه اهله وماله ويبقى عمله * ومنها ان يزور قبورهم والمقصود من ذلك الدعاء والاعتبار وترقيق القلب قال صلى الله عليه وسلم ما رايت منظرا الا والقبر افظع منه وقال وكان عمر رضي الله عنه اذا وقف على قبر بكى حتى تبل لحيته ويقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان القبر اول منازل الآخرة فان نجا منه صاحبه فما بعده ايسر وان لم ينج منه فما بعده اشد وقال مجاهد اول مايكلم ابن آدم حفرته بلسان الحال فتقول انا بيت الدود وبيت الوحدة وبيت الغربة وبيت الظلمة فهذا ما اعددت لك فما اعددت لي وقال ابو ذر الا اخبركم بيوم فقري يوم

أوضع في قبري وكان أبو الدرداء يقعد الى القبور فقيل له في ذلك فقال أجلس الى قوم يذكرونني معادي وان قمت عنهم لم يغتابوني وقال حاتم الاصم من مر بالمقابر فلم يتفكر لنفسه ولم يدع لهم فقد خان نفسه وخانهم وقال صلى الله عليه وسلم مامن ليلة الا وينادي مناد ياأهل القبور من تغبطون قالوا نغبط أهل المساجد لانهم يصومون ولا نصوم ويصلون ولا نصلي ويذكرون الله ولا نذكره وقال سفيان من أكثر ذكر القبر وجده روضة من رياض الجنة ومن غفل عن ذكره وجده حفرة من حفر النار وكان الربيع بن خيثم قد حفر في داره قبراً فكان اذا وجد في قلبه قساوة دخل فيه فاضطجع فيه ومكث ساعة ثم قال رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت ثم يقول. ياربيع قد أرجعت فاعمل الآن قبل ان لا ترجع والجملة الجامعة ان لا تستصغر منهم أحداً حياً كان أو ميتا فتهلك لانك لاتدري لعله خير منك فانه وان كان فاسقاً فلعله يختم لك بمثل حاله ويختم له بالصلاح ولا تنظر اليهم بعين التعظيم لهم في حال دنياهم فان الدنيا صغيرة عند الله صغير ما فيها ومهما عظم أهل الدنيا في نفسك فقد عظمت الدنيا فتسقط من عين الله ولا تبذل لهم دينك لتنال من دنياهم فتصغر في أعينهم ثم تحرم دنياهم فان لم تحرم كنت قد استبدلت الذي هو أدنى بالذي هو خير ولا تعادهم بحيث تظهر العداوة فيطول الامر عليك في المعاداة ويذهب دينك ودنياك فيهم ويذهب دينهم فيك الا اذا رأيت منكراً في الدين فتعادى أفعالهم القبيحة وتنظر اليهم بعين الرحمة لهم لتعرضهم لمقت الله وعقوبته بعصيانهم فحسبهم جهنم يصلونها فما لك تحقد عليهم ولا تسكن اليهم في مودتهم لك وثنائهم عليك في وجهك وحسن بشرهم لك فانك

ان طلبت حقيقة ذلك لم تجد في المائة الا واحداً وربما لاتجده ولا تشك اليهم أحوالك فيكلك الله اليهم ولا تطمع ان يكونوا لك في الغيب والسر كما في العلانية فذلك طمع كاذب واني تظفر به ولا تطمع فيما في ايديهم فتستعجل الذل ولاتنال الغرض ولا تعل عليهم تكبراً لاستغنائك عنهم فان الله يلجئك اليهم عقوبة على التكبر باظهار الاستغناء واذا سالت أحداً منهم حاجة فقضاها فهو أخ مستفاد وان لم يقض فلا تعاتبه فيصير عدواً تطول عليك مقاساته ولا تشتغل بوعظ من لا ترى فيه مخايل القبول فلا يسمع منك ويعاديك وليكن وعظك عرضا واسترسالا من غير تنصيص على الشخص ومهما رأيت منهم كرامة وخيراً فاشكر الله الذي سخرهم لك واستعذ بالله ان يكلك اليهم واذا بلغك عنهم غيبة أو رأيت منهم شراً أو اصابك منهم ما يسوءك فكل أمرهم الى الله واستعذ بالله من شرهم ولا تشغل نفسك بالمكافأة فيزيد الضرر ويضيع العمر بشغله ولا تقل لهم لم تعرفوا موضعي واعتقد انك لو استحقيت ذلك لجعل الله لك موضعاً في قلوبهم فالله المحبب والمبغض الى القلوب وكن فيهم سميعا لحقهم اصم عن باطلهم نطوقا بحقهم صموتا عن باطلهم واحذر صحبة أكثر الناس فانهم لا يقيلون عثرة ولا يغفرون زلة ولا يسترون عورة ويحاسبون على النقير والقطمير ويحسدون على القليل والكثير ينتصفون ولا ينصفون ويؤاخذون على الخطا والنسيان ولا يعفون يغرون الاخوان على الاخوان بالنميمة والبهتان فصحبة اكثرهم خسران وقطيعتهم رجحان ان رضوا فظاهرهم الملق وان سخطوا فباطنهم الحنق لا يؤمنون في حنقهم ولا يرجون في ملقهم ظاهرهم ثياب وباطنهم ذئاب يقطعون بالظنون ويتغامزون وراءك بالعيون ويتربصون بصديقهم من الحسد

ريب المنون يحصون عليك العثرات في صحبتهم ليواجهوك بها في غضبهم ووحشتهم ولا تعول على مودة من لم تخبره حق الخبرة بأن تصحبه مدة في دار أو موضع واحد فتجربه في عزله وولايته وغناه وفقره أو تسافر معه او تعامله في الدينار والدرهم او تقع في شدة فتحتاج اليه فان رضيته في هذه الاحوال فاتخذه ابا لك ان كان كبيراً او ابنا لك ان ان كان صغيراً اه

﴿ فصل في الصبر ﴾

قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة ان الله مع الصابرين وقال ابن عباس رضي الله عنهما استعينوا بالصبر على أداء الفرائض وبالصلاة على تمحيص الذنوب قال حكيم والله انكم لن تنالوا ما تطلبون الا بترك ما تشتهون وقال الله تعالى وبشر الصابرين الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون أي أموالنا لله ونحن عبيده يصنع بنا ما شاء أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون وقالت أم سلمة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول ما أمره الله به انا لله وانا اليه راجعون اللهم أجرني في مصيبتي واخلف لي خيراً منها الا اخلف الله له خيراً منها فلما مات أبو سلمة قلت أي المسلمين خير من أبي سلمة اول بيت هاجر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اني قلتها فاخلف الله لي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال تعالى انما يوفي الصابرون اجرهم بغير حساب وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ما اعطي احد عطاء خيراً واوسع من الصبر وقال صلى الله عليه

وسلم عجباً لامر المؤمن ان امره كله له خير وليس ذلك لاحد الا للمؤمن ان اصابه سراء شكر فكان خيرا له وان اصابه ضراء صبر فكان خيرا له رواه مسلم وقال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى قال اذا ابتليت عبدي بحبيبتيه فصبر عوضته منهما الجنة يريد عينيه رواه البخاري وقال صلى الله عليه وسلم ان عظم الجزاء مع عظم البلاء وان الله تعالى اذا احب قوماً ابتلاهم فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط حسنه الترمذي وقال صلى الله عليه وسلم مايصيب المؤمن نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا اذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها الا كفر الله بها من خطاياه رواه البخاري ومسلم وقال صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا يصب منه رواه البخاري قال النووي وضبطوا يصب بفتح الصاد وكسرها ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الانصار فقال امؤمنون انتم فسكتوا فقال عمر رضي الله عنه نعم يارسول الله فقال وما علامة ايمانكم فقالوا نشكر على الرخاء ونصبر على البلاء ونرضى بالقضاء فقال صلى الله عليه وسلم مؤمنون ورب الكعبة وقال صلى الله عليه وسلم أشد الناس بلاء الانبياء ثم الصالحون الامثل فالامثل عن ابي بكر رضي الله عنه قال قلت كيف الصلاح يارسول الله بعد هذه الآية من يعمل سوأ يجزَ به قال غفر لك يا ابا بكر الست تمرض الست تنصب الست تصيبك قلة قال فذلك ما تجزون به وقال صلى الله عليه وسلم مثل المؤمن مثل الزرع لا تزال الريح تميله ولا يزال المؤمن يصيبه البلاء ومثل المنافق كمثل شجرة الارزة لا تهتز حتى تستحصد وقال صلى الله عليه وسلم الشهداء خمسة المطعون والمبطون والغريق وصاحب الهدم والشهيد في سبيل الله وقال صلى عليه وسلم من اصيب بمصيبة في ماله او في

نفسه فكتمها ولم يشكها الى الناس كان حقاً على الله ان يغفر له وقال علي رضي الله عنه بنى الايمان على اربع دعائم اليقين والصبر والجهاد والعدل وقال عمر رضي الله عنه لابي موسى الاشعري عليك بالصبر واعلم ان الصبر صبران احدهما افضل من الآخر الصبر في المصيبات حسن وافضل منه الصبر عما حرم الله تعالى

قال العلماء رحمهم الله تعالى الصبر على ثلاثة اضرب صبر لله عز وجل وهو الصبر على اداء امره والانتهاء عما نهى عنه وصبر مع الله تعالى وهو الصبر تحت جريان قضائه وافعاله فيك من سائر الشدائد والبلايا وصبر على الله تعالى وهو الصبر على وعده من الرزق والفرج والثواب في دار الآخرة قال ابراهيم الخواص رحمه الله تعالى الصبر هو الثبات على الكتاب والسنة وقال ابن عطاء الصبر الوقوف مع البلاء بحسن الادب وقال أبو علي الدقاق رحمه الله تعالى حقيقة الصبر ان لا يعترض على المقدور فاما اظهار البلاء لا على جهة الشكوى فلا ينافي الصبر قال الله تعالى في ايوب صلى الله عليه وسلم انا وجدناه صابراً نعم العبد انه اواب مع انه قال مسني الضر

والصبر من خصائص الانسان اذ الحيوانات الاخرى لا باعث لها على الحركة والسكون الا الشهوة وليس فيها القوة التي تصادم الشهوة وتردها التي هي الصبر . والانسان في طفوليته يكون في درجة الحيوان لا صبر له ثم كلما كمل زادت فيه هذه الفضيلة بقدر ارتفاعه عن درجة البهيمية حتى تصير ارادته وشهوته رقاً في يده ولا يكون هو رقاً في يدها . فكلما بعثت الشهوة او الاهواء الانسان الى اشياء أو جهات وكانت المصلحة تركها فالقوة التي يقتدر بها على هذا الترك هي الصبر وبذلك هي من اهم الفضائل

ومن ذلك الصبر في القتال والصبر على تعلم العلم والصبر على تعاطي الدواء والصبر على تحمل الحمالات والصبر على المكارم . والصبر على الوفاء والصبر على مقارعة الباطل . والصبر على تحمل الآلام وعدم الجزع المضر

وكل يوصى النفس عند خلوه بزهد ولكن لا تصح العزائم

وهي ملكة يتعود عليها الانسان كما يعود لسانه عدم اللحن في الكلام ثم تصير عادة

والصبر هو الذي تقوم به الاعمال فان الاعمال كالشجرة لا بد لها من مدة حتى تضرب عروقها في الثرى وتنبت ثم تنمو وتثمر فاذا انقلت الشجرة من مكان الى مكان ولم يصبر عليها حتى تنبت لا تنبت وتموت

وأيضاً فان الزمان قلب فاذا اعياك امر وثبت حدث من الحوادث الغير المنتظرة ما ازال هذا الامر أو أضعفه فيسهل عليك نوال مرغوبك وان عجلت خبت

واول علاج الصبر كف الخاطر عن حديث النفس فان الانسان اذا اشتغل بحديث النفس لم يقو على منع الفعل المترتب عليه ومما يسهل الصبر ان يشتغل المرء عن اتيان المصبور عنه بامر آخر اذ الانتظار مع الفراغ داعية لنقض الصبر

﴿ فصل في حفظ الاسرار ﴾

قالت الحكماء صدرك اوسع لسرك وقالوا سرك من دمك يعنون انه ربما كان في افشائه سفك دم (وكتب) عبد الملك بن مروان الى الحجاج بن يوسف

ولا تفش سرك الا اليك   فان لكل نصيح نصيحا
واني رأيت غواة الرجا   ل لا يتركون أديما صحيحا

(وقالت) الحكماء ما كنت كاتمه عدوك فلا تطلع عليه صديقك (وقال) عمرو بن العاص ما استودعت رجلا سرآ فأفشاه فلمته لاني كنت أضيق صدراً منه حين استودعته منه حتى أفشاه « قيل لاعرابي » كيف كتمانك للسر قال اجحد المخبر واحلف للمستخبر « وقيل لآخر » كيف كتمانك للسر قال ماقلبي له الاقبر « وقال المأمون » الملوك تحتمل كل شيء الا ثلاثة أشياء القدح في الملوك وافشاء السر والتعرض للحرم « وقال » الوليد بن عتبة لابيه ان أمير المؤمنين أسر الي حديثا أفلا أحدثك به قال يابني انه من كتم سرآ كان الخيار له فلا تكن مملوكا بعد ان كنت مالكا « وفي التاج » ان بعض ملوك العجم استشار وزيريه فقال أحدهما لاينبغي للملك ان يستشير منا أحداً الا خاليا فانه أموت للسر وأحزم للرأي وأجدر بالسلامة وأعفى لبعضنا من غائلة بعض فان افشاء السر لرجل واحد أوثق من افشائه الى اثنين وافشاؤه الى ثلاثة كافشائه الى جماعة لان الواحد رهن بما افشى اليه فاذا كان السر عند واحد كان احرى ان لا يظهره رغبة ورهبة وان كان عند اثنين دخلت على الملك الشبهة واتسعت على الرجلين المعاريض فان عاقبهما عاقب اثنين بذنب واحد وان اتهمهما اتهم بريئا بخيانة مجرم وان عفا عنهما كان العفو عن احدهما ولا ذنب له وعن الآخر ولا حجة معه « ومن أحسن » ما قالت الشعراء في السر قول عمر بن ابي ربيعة

فقالت وارخت جانب الستر انما   معي فتحدث غير ذي رقبة اهلي
فقلت لها مابي بهم من ترقب   ولكنّ سري ليس يحمله مثلي

« وقال ابو محجن الثقفي »

لا تسأل الناس عن مالي وكثرته   وسائل الناس عن بأسي وعن خلقي
قد اطعن الطعنة النجلاء عن عرض   واكتم السر فيه ضربة العنق

« وقال الحطيئة يهجو »

اغربالا اذا استودعت سرا   وكانونا على المتحدثينا

﴿ فصل في الحلال والحرام ﴾

روي عن ابن مسعود أنه صلى الله عليه وسلم قال طلب الحلال فريضة على كل مسلم وقد ركن من استولى عليه الكسل الى انه لم يبق الحلال فاسترسل في كل شيء وذلك جهل فقد قال صلى الله عليه وسلم الحلال بيّن والحرام بين وبينهما أمور متشابهات (فضيلة الحلال) قال الله تعالى يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا وقال صلى الله عليه وسلم من اكل الحلال أربعين يوما نور الله قلبه وأجرى ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه وروي أن سعدا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يسأل الله تعالى ان يجعله مستجاب الدعوة فقال عليه الصلاة والسلام أطب طعمتك تستجب دعوتك وقال صلى الله عليه وسلم من اشترى ثوبا بعشرة دراهم وفي ثمنه درهم حرام لم يقبل الله صلاته مادام عليه وقال النبي عليه الصلاة والسلام كل لحم نبت من الحرام فالنار اولى به وقال صلى الله عليه وسلم من لم يبال من أين اكتسب المال لم يبال الله تعالى من أين أدخله النار وقال صلى الله عليه وسلم العبادة عشرة اجزاء فتسعة منها في طلب الحلال روي مرفوعا وموقوفا وقال صلى الله عليه وسلم من اصاب مالا من مأثم فوصل به رحما او تصدق

به او انفقه في سبيل الله جمع الله له ذلك جميعا ثم قذفه في النار وروى ان ان الصديق رضي الله عنه شرب لبنا من كسب عبده ثم سأل عبده فقال تكهنت لقوم فأعطوني فادخل أصبعه في فيه وجعل يقيء ثم قال اللهم اني أستغفرك واعتذر اليك مما حملت العروق وخالط الامعاء وفي الخبر أنه عليه الصلاة والسلام أخبر بذلك فقال او ماعلمتم ان الصديق لايدخل جوفه الا طيبا وقال ابن عباس رضي الله عنه لا يقبل الله صلاة امرئ في جوفه حرام وقال سهل رضي الله عنه من أراد ان يكاشف بأحوال الصديقين فلا يأكل الا حلالا طيبا ولا يعمل الا في سنة او ضرورة

واعلم انه تحل الاموال المأخوذة من اهل الحرب بأي طريق اخذت وما يملك بالاصطياد او الاحتطاب او يستخرج من المعادن وما يؤخذ من اهل الحرب انما يحل بعد اخراج الخمس اذا كان بقتال من السلطان واعلم أن الحرام كله خبيث الا أن بعضه أخبث من بعض والحلال كله طيب الا أن بعضه أطيب فأول الدرجات وأقلها أن يحترز مما يفتي الفقهاء بتحريمه (والدرجة الثانية) ورع الصالحين وهو الامتناع عما يتطرق اليه احتمال التحريم وان كان المفتي يرخص فيه بناء على الظاهر ولكنه من مواقع الشبه على الجملة (والدرجة الثالثة) مالا تحرمه الفتوى ولا شبهة في حله ولكن يخاف أداؤه الى محرم وهو ترك مالا بأس به مخافة ما به بأس (والدرجة الرابعة) مالا بأس به اصلا ولا يخاف منه ان يؤدي الى مابه بأس ولكنه يتناول لغير الله تعالى ولا على نية التقوى به على العبادة او يتطرق الى اسبابه المسهلة له كراهية تحريم او معصية والامتناع منه ورع الصديقين

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور

متشابهات لا يعلمها كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لعرضه ودينه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه اه ومثارات الشبهة خمس

(المثار الاول) ماوقع الشك في سببه المحرم والمحلل وذلك لا يخلوا ما أن يكون متعادلا أو غلب أحد الاحتمالين فان تعادل الاحتمالات كان الحكم لما عرف قبله فيستصحب وان غلب احد الاحتمالين كان الحكم للغالب ونبين ذلك بأربعة أقسام

القسم الاول ان يكون التحريم معلوما ثم يقع الشك في المحلل مثاله ان يرمي السهم الى صيد فيجرحه ويقع في الماء فيصادفه ميتا ولا يدري انه مات بالغرق او بالجرح فهذا حرام لان الاصل التحريم الا اذا مات بطريق معين وقد وقع الشك في الطريق المعين فلا يترك اليقين بالشك

القسم الثاني ان يعرف الحل ويشك في المحرم فالحكم للحل كما اذا نكح رجلان امرأتين وطار طائر فقال احدهما ان كان هذا غرابا فامرأتي طالق وقال الآخر ان لم يكن غرابا فامرأتي طالق وبقي ملتبسا فلا يحكم بتحريم البتة ما لم يتبين

القسم الثالث ان يكون الاصل التحريم ولكن طرأ ما اوجب تحليله بظن غالب فهو مشكوك فيه والغالب حله مثاله ان يرمي الى صيد فيغيب ثم يدركه ميتا وليس عليه أثر سوى سهمه ولكن يحتمل انه مات بسقطة او بسبب آخر فان ظهر سبب آخر من صدمة او سقطة التحق بالقسم الاول وقد اختلفت اقوال الشافعي رحمه الله تعالى في هذا القسم والمختار انه حلال

القسم الرابع ان يكون الحل معلوما ولكن يغلب على الظن طرآن محرم بسبب معتبر شرعا فيرتفع الاستصحاب لضعفه ويحكم بغالب الظن مثاله ان يغلب على ظنه نجاسة احد الاناءين بالاعتماد على علامة معينة توجب غلبة الظن فتوجب تحريم شربه كما اوجبت منع الوضوء به

(المثار الثاني للشبهة) شك منشؤه الاختلاط وذلك بأن يختلط الحرام بالحلال فيشتبه الامر ولا يتميز والخلط لا يخلو اما ان يقع بعدد لا يحصر من الجانبين او من احدهما او بعدد محصور وان اختلط المحصور فلا يخلو اما ان يكون اختلاط امتزاج كالمائعات او اختلاط استبهام مع التميز وذلك يتبين باقسام ثلاثة القسم الاول ان تستبهم العين بعدد كما لو اختلطت ميتة بعشر مذكيات او رضيعة بعشر نسوة فهذا يوجب الاجتناب بالاجماع اذ لا مجال للاجتهاد فيها

القسم الثاني حرام محصور بحلال غير محصور كما لو اختلطت عشرة رضائع بنسوة بلد كبير فلا يحرم نكاح اهل البلد والعلة الغلبة والحاجة جميعا اذ كل من ضاع له محرم لا يمكن أن يسد عليه باب النكاح ومن علم ان مال الدنيا خالطه حرام لا يحرم عليه الاكل والبيع اذ ما جعل الله عليكم في الدين من حرج لانه لما سرق في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم مجن وعباءة لم يمتنع احد من شراء المجن والعباءة في الدنيا فافهم تغنم والله أعلم

القسم الثالث ان يختلط حرام لا يحصر بحلال لا يحصر كالاموال في زماننا هذا والذي اختاره أنه لا يحرم تناول شيء بعينه الا أن تقترن بتلك العين علامة معينة الا ان تركه اورع * ومن جملة العلامات يد السلطان الظالم الى غير ذلك من العلامات ويدل على ما ذكرناه ان في زمن

رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين رضي الله عنهم لم يتركوا المعاملات واخذ الاموال مع كثرة اثمان الخمور واموال الربا في يد اهل الذمة ومن جملة الشبهات ان يكون الشيء مما قد اشترى في الذمة ولكن قضى ثمنه من مال حرام الا ان يكون تسليم الطعام قبل قبض الثمن بطيب قلب فاكله قبل قضاء الثمن فهو حلال بالاجماع ولا ينقلب باداء المال في مقابلته من الحرام حراما بل غايته ان لا تبرأ ذمته فكأنه لم يقبض الثمن ولا يحرم ما اكل وان ابرأ ذمته مع العلم بكون الثمن حراماً فهو يوجب براءة الذمة والحل والله اعلم

﴿ فصل في مدح الايثار ﴾

وعن ابي هريرة رضي الله عنه أن رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فبعث الى نسائه هل عندكن من شيء فقلن ما عندنا الا الماء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يضم او يضيف هذا فقال رجل من الانصار أنا فانطلق به الى امرأته فقال اكرمي ضيف رسول الله صلى عليه وسلم فقالت ما عندنا الا قوت الصبيان فقال هيئي طعامك وأصبحي سراجك ونومي صبيانك اذا ارادوا عشاء فهيأت طعامها واصبحت سراجها ونومت صبيانها ثم قامت كأنها تصلح سراجها فاطفأته فجعلا يريانه انهما يأكلان فباتا طاويين فلما اصبح غدا الى رسول صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة الآية وقال صلى الله عليه وسلم أيما امرئ اشتهى شهوة فرد شهوته وآثر على نفسه غفر له وقالت عائشة رضي الله عنها ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام متوالية حتى فارق الدنيا ولو شئنا لشبعنا ولكن كنا نؤثر على انفسنا

حكي ابن خلكان عن المسعودي في كتاب مروج الذهب ان الواقدي قال كان لي صديقان احدهما هاشمي وكنا كنفس واحدة فنالتني ضيقة شديدة وحضر العيد فقالت امرأتي اما نحن في انفسنا فنصبر على البؤس والشدة واما صبياننا هؤلاء فقد قطعوا قلبي رحمة لهم لانهم يرون صبيان الجيران قد تزينوا في عيدهم واصلحوا ثيابهم وهم على هذه الحالة من الثياب الرثة فلو احتلت في شيء تصرفه في كسوتهم قال فكتبت الى صديقي الهاشمي اسأله التوسعة فوجه كيسا مختوما ذكر ان فيه الف درهم فما استقر قراري حتى كتب الى الصديق الآخر يشكوا مثل ما شكوت الى صاحبي الهاشمي فوجهت اليه الكيس بحاله وخرجت الى المسجد واقمت ليلتي مستحيا من امرأتي فلما دخلت عليها استحسنت ما كان مني ولم تعنفني عليه فبينما أنا كذلك اذ وافاني صديقي الهاشمي ومعه الكيس كهيئته فقال لي اصدقني عما فعلته فيما وجهت به اليك فعرفته الخبر فقال انك وجهت الي وما املك على الارض الا ما بعثت به اليك وكتبت الى صديقنا أسأله المواساة فوجه كيسي بخاتمي قال الواقدي فتواسينا الالف درهم فيما بيننا ثم انا اخرجنا للمرأة مائة درهم قبل ذلك ونمى الخبر الى المأمون فدعاني فشرحت له الخبر فأمر لنا بسبعة آلاف دينار لكل واحد منا الفا دينار وللمرأة ألف دينار

﴿ فصل في التقوى ﴾

قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته وقال تعالى ان الله مع الذين اتقو والذين هم محسنون وفي الصحيح في سؤال جبريل عليه السلام للنبي صلى الله عليه وسلم قال يارسول الله ما الاحسان قال أن تعبد الله كأنك

تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وجاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أوصني يارسول الله قال عليك بتقوى الله فانها جماع كل خير وعليك بالجهاد فانه رهبانية المسلمين وعليك بذكر الله فانه نور لك في الارض وذكر لك في السماء وأخزن لسانك الا من خير فان بذلك تغلب الشيطان وروى الترمذي عن أبي ذر ومعاذ بن جبل رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن وفي صحيح مسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول اللهم اني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى وقال تعالى يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله اتقاكم وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا جمع الله الاولين والآخرين لميقات يوم معلوم يقول الله تعالى يا أيها الناس اني قد جعلت نسباً وجعلتم نسباً فوضعتم نسبي ورفعتم نسبكم قلت ان اكرمكم عند الله أتقاكم فابيتم الا فلان ابن فلان وفلان أغنى من فلان فاليوم أضع نسبكم وأرفع نسبي أين المتقون فينصب للقوم لواء فيتبعون لواءهم الى منازلهم فيدخلون الجنة بغير حساب وسأل رجل عيسى عليه السلام أي الناس أفضل فأخذ قبضتين من تراب فقال أي هاتين أفضل الناس خلقوا من تراب فأكرمهم اتقاهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره أن يكون أكرم الناس فليتق الله وقال تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لايحتسب قال اكثر المفسرين نزلت في عوف ابن مالك الاشجعي رضي الله عنه أسر العدو ابنه فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك وشكا اليه الفاقة ايضاً فقال له

اتق الله واصبر واكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله ففعل الرجل ذلك فبينما هو في بيته اذ اتاه ابنه وقد غفل عنه العدو فاصاب ابلا وجاء بها الى ابيه وروى أن حاتما الاصم كان تلميذ الشقيق البلخي رحمهما الله فقال له يوماً يا حاتم منذكم صحبتني قال حاتم منذ ثلاث وثلاثين سنة قال فما تعلمت مني في هذه المدة قال ثمان مسائل قال شقيق انا لله وانا اليه راجعون ذهب عمرى معك ولم تتعلم الا ثمان مسائل فما هي (الاولى) نظرت الى هذا الخلق فرأيت كل واحد يحب شيئاً فلا يزال محبوبه معه فاذا ذهب الى قبره فارقه فجعلت الحسنات محبوبى فاذا دخلت قبري دخل محبوبي معي قال احسنت فما (الثانية) قال نظرت في قول الله عز وجل وأمامن خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى فعلمت ان قوله تعالى حق فاجهدت نفسي في دفع الهوى حتى استقوت على طاعة الله تعالى (الثالثة) اني نظرت الى هذا الخلق فرأيت كل من معه شئ له قيمة وله عنده مقدار يحفظه ثم نظرت في قول الله عز وجل (ما عندكم ينفد وما عند الله باق) فكل ما وقع لي شئ له قيمة ومقدار وجهته الى الله تعالى ليبقى لي عنده . الرابعة نظرت الى هذا الخلق فرأيت كل واحد منهم يرجع الى المال والحسب والشرف والنسب فنظرت فاذا هى لا شئ ثم نظرت الى قوله تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم فعملت على التقوى حتى اكون عند الله كريماً (الخامسة) نظرت الى هذا الخلق فوجدت بعضهم يطعن في بعض ويلعن بعضهم بعضاً فعلمت ان اصل ذلك كله الحسد فنظرت الى قوله تعالى نحن قد قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا فتركت الحسد وعداوة الخلق وعلمت أن الذي قسم لي كائن لا بد منه (السادسة)

نظرت الى هذا الخلق يبغي بعضهم على بعض ويعادي بعضهم بعضاً فنظرت الى عدوي في الحقيقة فاذا هو الشيطان . قد قال الله تعالى ان الشيطان لكم عدوٌ فاتخذوه عدواً فعاديته واحببت الناس اجمعين (السابعة) نظرت الى الخلق فوجدتهم يطلبون هذه الكثرة ويذلون أنفسهم بسببها ثم نظرت الى قوله تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها فعلمت اني من جملة المرزوقين فاشتغلت بالله عز وجل وتركت ما سواه (الثامنة) نظرت الى هذا الخلق فرأيتهم يتوكل بعضهم على بعض ويتكل هذا على تجارته وهذا على صنعته وهذا على صحة بدنه وكل مخلوق يتكل على مخلوق فرجعت الى قوله عز وجل ومن يتوكل على الله فهو حسبه فتوكلت على الله عز وجل فقال شقيق وفقك الله يا حاتم فلقد جمعت الامور كلها

﴿ فصل في الخوف ﴾

قال الله تعالى فاياي فارهبون وقال الله تعالى ان بطش ربك لشديد وقال الله تعالى ويحذركم الله نفسه وقال تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل الا ان سلعة الله غالية الا أن سلعة الله الجنة حسنه الترمذي وفي الصحيحين عن أنس رضي الله عنه قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة ما سمعت مثلها قط فقال لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيراً فغطى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوههم ولهم خنين قال النووي رحمه الله الخنين بالخاء المعجمة وهو البكاء مع غنة وانتشاق الصوت من الانف وقال صلى الله عليه وسلم اني أرى مالا ترون أطت السماء وحق لها

ان تئط. مافيها موضع أربع أصابع الا وملك واضع جبهته ساجد لله تعالى والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيراً وما تلذذتم بالنساء على الفرش ولخرجتم الى الصعدات تجأرون الى الله تعالي رواه الترمذي وقال صلى الله عليه وسلم لا أدري وأنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يفعل بي ولا بكم وقال صلى الله عليه وسلم مارأيت مثل النار نام هاربها ولا مثل الجنة نام طالبها وقال صلى الله عليه وسلم من خاف الله خافه كل شيء ومن خاف غير الله خوفه الله من كل شيء وقال صلى الله عليه وسلم أتمكم عقلا أشدكم لله خوفاً وأحسنكم فيما أمركم الله تعالى به ونهى عنه نظراً وقالت عائشة رضي الله عنها قلت يارسول الله الذين يؤتون ما أتوا وقلوبهم وجلة هو الرجل يسرق ويزني قال لا بل الرجل يصوم ويصلي ويتصدق ويخاف أن لا يقبل منه وقالوا يارسول الله قد شبت فقال شيبتني هود واخواتها وفي رواية شيبتني هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون واذا الشمس كورت .

﴿ فصل في الرجاء ﴾

قال الله تعالى قل ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا أي لمن تاب انه هو الغفور الرحيم قال ثوبان رضي الله عنه لما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أحب ان تكون لي الدنيا وما فيها بهذه الآية قيل هي أرجى آية في القرآن وقال زين العابدين أرجى آية ولسوف يعطيك ربك فترضى وفي الصحيحين عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى

الله عليه وسلم من شهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له وان محمداً عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه والجنة والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل وعن ابي ذر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه يقول الله عز وجل من جاء بالحسنة فله عشر امثالها أو أزيد ومن جاء بالسيئة فجزاء سيئته سيئة مثلها أو أغفر فمن تقرب مني شبراً تقربت منه ذراعاً ومن تقرب مني ذراعاً تقربت منه باعا ومن اتاني يمشي أتيته هرولة ومن لقيني بقراب الارض خطيئة لا يشرك بي شيئا لقيته بمثلها مغفرة رواه مسلم وعن عبد الله ابن عمرو ابن العاص رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم تلا قول الله عزوجل في ابراهيم صلى الله صلى الله عليه وسلم رب انهن اضللن كثيراً من الناس فمن تبعني فانه مني الآية وقال عيسى صلوات الله عليه ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم فرفع يديه وقال اللهم امتي أمتي وبكى فقال الله عز وجل يا جبريل اذهب الى محمد فاسأله ما يبكيك فاتاه جبريل فاخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قال وهو اعلم فقال الله تعالى يا جبريل اذهب الى محمد فقل انا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك رواه مسلم وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال كنت ردف النبي صلى الله عليه وسلم على حمار فقال يامعاذ هل تدري ماحق الله على عباده وما حق العباد علي الله تعالى قلت الله ورسوله أعلم قال فان حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا وحق العباد على الله أن يغفر لمن لا يشرك به شيئا فقلت يا رسول الله أفلا ابشر به الناس قال لا تبشرهم فيتكلوا رواه البخاري ومسلم وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء

﴿ فصل في غض البصر ﴾

قال الله تعالى قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم وقال تعالى ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلا وقال صلى الله عليه وسلم اضمنوا لي ستا من أنفسكم اضمن لكم الجنة اصدقوا اذا حدثتم وأوفوا اذا وعدتم وأدوا أذا إ ئتمنتم واحفظوا فروجكم وغضوا ابصاركم وكفوا أيديكم رواه احمد وابن حبان والحاكم وقال صلى الله عليه وسلم لاتتبع النظرة النظرة فانما لك الاولى وليست لك الآخرة وقال صلى الله عليه وسلم النظرة سهم مسموم من سهام ابليس فمن غض بصره عن محاسن امرأة لله أورث الله قلبه حلاوة الى يوم القيامة وقد قيل حبس اللحظات أيسر من دوام الحسرات وقال بعض الحكماء يابني امش خلف الاسد والاسود ولاتمش خلف المرأة قال ابو عبد الله الجيلي كنت امشي يوما مع استاذي فرأيت حدا جميلا فقلت يا استاذي ترى يعذب الله هذه الصورة قال فنظر الي وقال سترى عقوبته قال فنسيت القرآن بعد ذلك بعشرين سنة قال ابن القيم في كتاب الداء والدواء العشق قسمان عشق الرجل امرأته وجاريته وهو نافع فانه أدعى الى المقاصد التي شرع الله لها النكاح وأكف للبصر والقلب عن التطلع الى غير اهله وعشق هو مقت من الله وبعد من رحمته وهوأضر شئ على العبد في دينه ودنياه وهو عشق غير امرأته وهو من أعظم الحجب القاطعة عن الله

﴿ فصل في حقوق الجيران ﴾

قال الله تعالى « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيأ وبالوالدين احسانا وبذى

القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب » وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياأباذر اذا طبخت مرقة فاكثر ماءها وتعاهد جيرانك رواه مسلم وقال صلى الله عليه وسلم والله لايؤمن والله لايؤمن والله لايؤمن قيل من يارسول الله قال الذي لايأمن جاره بوائقه رواه البخاري ومسلم وفي رواية مسلم لايدخل الجنة من لايأمن جاره بوائقه البوائق الغوائل والشرور وقال النووي وفي معنى لايدخل الجنة جوابان يجريان في كل ماأشبه هذا أحدهما أنه محمول على من يستحل الايذاء مع علمه بتحريمه فهذا كافر لايدخلها أصلا والثاني معناه جزاؤه لا يدخلها وقت دخول الفائزين اذا فتحت ابوابها بل يؤخر ثم قد يجازي وقد يعفي عنه فيدخلها اولا وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يمنع جار جاره أن يغرز خشبة في جداره ثم يقول أبو هريرة مالي اراكم عنها معرضين والله لارمين بها بين اكتافكم رواه البخاري ومسلم قال النووي رحمه الله روى خشبه بالاضافه وخشبه بالتنوين على الافراد وقوله مالي اراكم عنها يعني عن هذه السنة وعنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليسكت رواه البخاري ومسلم وعن عائشة رضي الله عنها قالت قلت يارسول الله ان لي جارين فالى أيهما أهدى قال الى اقربهما بابا منك رواه البخاري وقال صلى الله عليه وسلم خير الاصحاب عند الله خيرهم لاصحابه وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره رواه الترمذي وقال حديث حسن وقيل

يا رسول الله فلانة تصلي الليل وتصوم النهار وفي لسانها شيء يؤذي جيرانها سلاطة قال لا خير فيها هي في النار وقال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم كيف لي اعلم اذا احسنت أو اذا اسأت فقال النبي صلى الله عليه وسلم اذا سمعت جيرانك يقولون قد احسنت فقد احسنت واذا سمعتهم يقولون قد أسأت فقد اسأت ويروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال استعيذوا بالله من جار السوء الذي ان رأى خيراً ستره وان رأى شراً اظهره ويروى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال الجيران ثلاثة جار له حق واحد وجار له حقان وجار له ثلاثة حقوق فالجار الذي له ثلاثة حقوق الجار المسلم ذو الرحم فله حق الجوار وحق الاسلام وحق الرحم وأما الذي له حقان فالجار المسلم له حق الجوار وحق الاسلام واما الذي له حق واحد فالجار المشرك له حق الجوار وذكر في الاخبار ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اتدرون ما حق الجار قال ان استغاث بك اغثته وان استقرضك اقرضته وان وان افتقر عدت عليه وان مرض عدته وان مات اتبعت جنازته وان اصابه خير هنأته وان اصابه مصيبة عزيته ولا تستطيل عليه بالبناء فتحجز عنه الريح الا باذنه وان اشتريت فاكهة فاهد له فان لم تفعل فادخلها سراً ولا تخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده ولا تؤذه بقتار قدرك الا ان تغرف له منها أتدرون ما حق الجار والذي نفسي بيده لا يبلغ حق الجار الا من رحمه الله ويقال ان الجار الفقير يتعلق بجاره الغني يوم القيامة ويقول يارب سل هذا لم منعني معروفه وسد بابه دوني قال الغزالي رحمه الله شكا بعضهم كثرة الفار في داره فقيل له لو اقتنيت هراً فقال اخشى ان يسمع الفار صوت الهر فيهرب الى دور الجيران فاكون قد احببت لهم ما لا احب لنفسي وقال صلى الله عليه

وسلم أربع من السعادة المرأة الصالحة والمسكن الواسع والجار الصالح والمركب الهني واربع من الشقاوة الجار السوء والمسكن الضيق والمركب السوء والمرأة السوء رواه بن حبان وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اليمن والشؤم في المرأة والمسكن والفرس قال الغزالي رحمه الله يمن المرأة خفة مهرها ويسر نكاحها وسوء خلقها ويمن المسكن سعته وحسن جوار اهله وشؤمه ضيقه وسوء جواره ويمن الفرس ذله وحسن خلقه وشؤمه صعوبته .

﴿ فصل في النهى عن التهاجر والتقاطع ﴾

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحل لمسلم ان يهجر أخاه فوق ثلاث ليالي يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام رواه البخارى ومسلم وقال صلى الله عليه وسلم تفتح ابواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله الا رجل كانت بينه وبين اخيه شحناء فيقال انظروا هذين حتى يصطلحا رواه مسلم قال النووي رحمه الله قال الباجي معنى فتحها كثرة الصفح والغفران ورفع المنازل واعطاء الثواب الجزيل قال الغزالي رحمه الله الهجران فوق ثلاثة جائز في موضعين احدهما أن يرى اصلاحا للمهجور في الزيادة والثاني ان يرى لنفسه فيها سلامه

﴿ فصل في عيادة المريض ﴾

في الصحيحين عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال امرنا رسول

الله صلي الله عليه وسلم بعيادة المريض واتباع الجنائز وتشميت العاطس وابرار المقسم ونصر المظلوم واجابة الداعي وافشاء السلام وقال صلى الله عليه وسلم من عاد مريضا أو زار أخاله في الله ناداه مناد بان طبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة منزلا وقال صلي الله عليه وسلم ما من مسلم يعود مسلما غدوة الاصلي عليه سبعون الف ملك حتى يمسي وان عاده عشية الاصلي عليه سبعون الف ملك حتى يصبح وكان له خريف في الجنة حسنه الترمذي وقال صلى الله عليه وسلم اذا دخلتم على مريض فنفسوا له في اجله فان ذلك لا يرد شيئا ويطيب نفسه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تكرهوا مرضاكم على الطعام فان الله يطعمهم ويسقيهم

﴿ فصل في صلة الارحام ﴾

قال الله تعالى وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا اما يبلغن عندك الكبر أحدهما او كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما اي حسنا جميلا لينا قليلا (واخفض لهما جناح الذل من الرحمة) اي الن جانبك لهما واخضع (وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا) أي اذا كانا مسلمين لقوله تعالى ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ربكم أعلم بما في نفوسكم وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال سألت النبي صلى الله عليه وسلم أي الاعمال أحب الى الله تعالى قال الصلاة على وقتها قلت ثم أي قال بر الوالدين قلت ثم أي قال الجهاد في سبيل الله رواه البخاري ومسلم وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال جاء رجل الى رسول الله صلي الله عليه وسلم فقال يارسول الله من أحق

الناس بحسن صحابتي قال أمك قال ثم من قال أمك قال ثم من قال أمك قال ثم من قال أبوك رواه البخاري ومسلم وفي رواية يارسول الله من أحق بحسن الصحبة قال أمك ثم امك ثم اباك ثم ادناك ادناك قال النووي رحمه الله الصحابة بمعنى الصحبة قال صلى الله عليه وسلم من احب ان يبسط له في رزقه وينسأ له في اثره فليصل رحمه رواه البخاري ومسلم قال النووي رحمه الله معنى ينسأ له في اثره اي يؤخر له في اجله وعمره قال بعضهم الخبر على ظاهره ان من يصل رحمه يزاد في عمره وقال بعضهم لا يزاد في الاجل الذي اجل الله تعالى لان الله تعالى قال فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ولكن معنى زيادة العمر ان يكتب ثوابه بعد موته فكانه زيد في عمره قال والصحيح ان هذه الزيادة بالبركة في عمره والتوفيق للطاعات وعمارة اوقاته بما ينفعه في الآخرة وصيانتها عن الضياع في غير ذلك وقال صلى الله عليه وسلم ليس الواصل بالمكافئ ولكن الواصل الذي اذا قطعت رحمه وصلها رواه البخاري ومسلم وعن ابي ايوب الانصاري رضي الله عنه ان رجلا قال يارسول الله اخبرني بعمل يدخلني الجنة فقال النبي صلى الله عليه وسلم تعبد الله ولا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصل الرحم رواه البخاري ومسلم قال ابن الملقن اختلفوا في حد الرحم التي يجب صلتها فقيل في كل رحم محرم بحيث لو كان احدهما ذكراً والآخر انثى حرمت منا كحتهما فعلى هذا لا يدخل اولاد الاعمام واولاد الاخوال واحتج هذا القائل بتحريم الجمع بين المرأة وعمتها وخالتها في النكاح ونحوه وجوز ذلك في بنات الاعمام والاخوال وقيل هو عام في كل رحم من الارحام في الميراث يستوي فيه المحرم وغيره ويدل عليه

قوله عليه السلام ثم ادناك ادناك قلت وروي اذا افتتحتم مصر فاستوصوا بأهلها خيراً فان لهم ذمة ورحما اخرجه مسلم وعن ابن عمر رضى الله عنه قال كان تحتي امرأة وكنت احبها وكان عمر يكرهها فقال لي طلقها فأبيت فأتى عمر رضى الله عنه النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فقال النبي صلى الله عليه وسلم طلقها رواه ابو داوود والترمذي وقال حديث حسن صحيح وقال رجل يا رسول الله اني اصبت ذنبا عظيما فهل لي من توبة قال هل لك من ام قال لا قال وهل لك من خالة قال نعم قال فبرها وقال صلى الله عليه وسلم أبر البر ان يصل الرجل ود أبيه رواه مسلم وروى أبو داود أن رجلا من بني سلمة قال يا رسول الله هل بقي من بر ابوي شيء ابرهما به بعد موتهما فقال نعم الصلاة عليهما والاستغفار لهما وانفاذ عهدهما من بعدهما وصلة الرحم التي لا توصل الا بهما واكرام صديقهما وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكبر الكبائر الاشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس واليمين الغموس رواه البخاري وقال صلى الله عليه وسلم من الكبائر شتم الرجل والديه قالوا يارسول الله وهل يشتم الرجل والديه قال نعم يسب ابا الرجل فيسب اباه ويسب امه فيسب امه رواه البخاري ومسلم وقال صلى الله عليه وسلم ان الله حرم عليكم عقوق الامهات ومنعا وهات ووأد البنات وكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال واضاعة المال رواه البخاري ومسلم قال النووي رحمه الله قوله منعا معناه منع ماوجب عليه وهات طلب ما ليس له ووأد البنات دفنهن في الحياة وقيل وقال معناه الحديث بكل ما يسمعه فيقول قيل كذا وقال فلان كذا مما لا يعلم صحته ولا يظنها وكفى بالمرء كذبا ان يحدث بكل ما سمع واضاعة المال تبذيره

وصرفه في غير الوجوه المأذون فيها من مقاصد الآخرة والدنيا وترك حفظه مع امكان الحفظ وكثرة الالحاح فيه بلا حاجة اليه وقال صلى الله عليه وسلم رضا الله في رضا الوالد وسخط الله في سخط الوالد وقال صلى الله عليه وسلم الجنة تحت اقدام الامهات وقال صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة عاق ولا منان ولا مدمن خمر وذكر ابو الليث السمرقندي رحمه الله عن انس رضي الله عنه ان شابا كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمى علقمه فمرض واشتد مرضه فقيل له قل لا اله الا الله فلم ينطلق لسانه فاخبر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال هل له ابوان فقيل ما ابوه فقد مات وله ام كبيرة فارسل اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءت فسألها عن حاله فقالت يارسول الله كان يصلي كذا وكذا وكان يصوم كذا وكذا وكان يتصدق بجملة دراهم ماندري ما وزنها ولا عددها قال فما حالك وحاله قالت يارسول الله انا عليه ساخطة واجدة قال لها ولم ذلك قالت كان يؤثر على امرأته ويطيعها في الاشياء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سخط امه حجب لسانه عن شهادة ان لا إله الا الله ثم قال لبلال انطلق واجمع حطبا كثيراً حتى احرقه بالنار فقالت يارسول الله ابني وثمرة فؤادي تحرقه بالنار بين يدي وكيف يحتمل قلبي ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يسرك ان يغفر الله له فأرضى عنه فوالذي نفسي بيده لا ينتفع بصلاته ولا بصدقته ولا بصومه ما دمت عليه ساخطة فرفعت يدها وقالت اشهد الله تعالى في سمائه وانت يا رسول الله ومن حضر اني قد رضيت عنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يابلال انطلق فانظر هل يستطيع علقمه ان يقول لا اله الا الله فلعل امه تكلمت بما ليس في قلبها حياء من رسول

الله صلى الله عليه وسلم فانطلق بلال فلما انتهى الى الباب سمع علقمة يقول لا إله الا الله ومات من يومه وغسل وكفن وصلى عليه

فصل في قضاء حوائج المسلمين

في الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ومن فرّج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من عبد انعم الله عليه نعمة فاسبغها عليه ثم جعل من حوائج الناس اليه فتبرم فقد عرض تلك النعمة للزوال رواه الطبراني باسناد وقال صلى الله عليه وسلم من مشي في حاجة اخيه ساعة من ليل او نهار قضاها او لم يقضها كان خيراً له من اعتكاف شهرين وقال صلى الله عليه وسلم ان لله عباداً خلقهم لحوائج الناس آلى على نفسه أن لا يعذبهم بالنار واذا كان يوم القيامة وضعت لهم منابر من نور يحدثون الله عزوجل والناس في الحساب وروى عن بن عمر رضي الله عنهما أن رجلا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أي الناس احب الى الله قال احب الناس عند الله انفعهم للناس واحب الاعمال الى الله عز وجل سرور تدخله على مسلم تكشف عنه كربة او تقضي عنه دينا أو تطرد عنه جوعاً ولان أمشي مع اخ في حاجة احب الى من أن اعتكف في هذا المسجد يعني مسجد المدينة شهراً ومن كظم غيظه ولو شاء أن يمضيه امضاه ملأ الله قلبه يوم القيامة رضا ومن مشي مع اخيه في حاجته حتى يقضيها له

ثبت الله قدميه يوم تزل الاقدام رواه الاصبهاني وقال صلى الله عليه وسلم ان لله عز وجل خلقا خلقهم لحوائج الناس تفزع اليهم الناس في حوائجهم أولئك هم الآمنون غدا من عذاب الله وقال صلى الله عليه وسلم من كان وصلة لاخيه المسلم الى ذي سلطان في منفعة بر او تيسير عسير عين على اجازة الصراط يوم دحض الاقدام وقال صلى الله عليه وسلم من أقر عين مؤمن اقر الله عينه يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم الخلق كلهم عيال الله واحبهم اليه انفعهم الى عياله وقال صلى الله عليه وسلم ان لله عباداً خصهم بالنعم لمنافع العباد يقرها فيهم ما بذلوا فاذا منعوها حولها عنهم وجعلها في غيرهم وقال صلى الله عليه وسلم كل معروف صدقة والدال على الخير كفاعله والله يحب اغاثة الملهوف وقال صلى الله عليه وسلم اصنع المعروف الى اهله فان لم تصب أهله فانت اهله وقال صلى الله عليه وسلم رأس العقل بعد الايمان التودد الى الناس واصطناع المعروف الى كل بر وفاجر

﴿ فصل في انظار المعسر والقرض ﴾

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أنظر معسراً ووضع له اظله الله يوم القيامة تحت ظل عرشه يوم لا ظل الا ظله رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وقال صلى الله عليه وسلم رأيت ليلة اسرى بي على باب الجنة مكتوبا الصدقة بعشر امثالها والقرض بثمانية عشر فقلت يا جبريل ما بال القرض افضل من الصدقة قال ان السائل يسأل وعنده والمستقرض لا يستقرض الا من حاجة هذا الحديث في سنن بن ماجه

﴿ فصل في فضل الشفاعه ﴾

عن أبي موسى الاشعري رضي الله عنه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا اتاه طالب حاجة اقبل على جلسائه فقال اشفعوا تؤجروا ويقضي الله على لسان نبيه ما شاء وقال صلى الله عليه وسلم ما من صدقة افضل من صدقة اللسان قيل وكيف ذلك قال الشفاعة يحقن بها الدم وتجري بها المنفعة الى آخر ويدفع بها المكروه عن آخر وقال صلى الله عليه سلم أفضل الشفاعة ان يشفع بين الاثنين في النكاح قال النووي رحمه الله أجمع العلماء على تحريم الشفاعة في الحد بعد بلوغه الى الامام وعلى أنه يحرم التشفع فيه فاما قبل بلوغه الى الامام فقد اجاز الشفاعة فيه اكثر العلماء اذا لم يكن المشفوع فيه صاحب شر واذى للناس فيه وأما المعاصي التي لا حد فيها وواجبها التعزير فيجوز الشفاعة فيها والتشفع فيها سواء بلغت الامام أم لا لانها أهون ثم الشفاعة فيها مستحبة اذا لم يكن المشفوع فيه صاحب أذى

﴿ فصل في الاصلاح بين الناس ﴾

قال الله تعالى لاخير في كثير من نجواهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس وقال تعالى انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين اخويكم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فينمي خيراً أو يقول خيراً رواه البخاري ومسلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الكذب مكتوب الا ان يكذب الرجل في الحرب الا فان الحرب خدعة او يكذب بين اثنين فيصلح بينهما او يكذب لامرأته

ايرضيها وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل الصدقة اصلاح ذات البين

﴿ فصل في الاحسان الى المستضعفين من المؤمنين ﴾

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لا يرحم لا يرحم وقال صلى الله عليه وسلم لا تنزع الرحمة من قلب تقي وقال صلى الله عليه وسلم الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الارض يرحمكم من السماء وقال مالك بن دينار رحمه الله تعالى ما ضرب عبد بعقوبة اعظم من قسوة قلب وما غضب الله عز وجل على قوم الا نزع منهم الرحمة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل ترزقون وتنصرون الا بضعفائكم رواه البخاري وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مهلا عن الله مهلا فانه لولا شباب خشع وبهائم رتع وشيوخ ركع واطفال رضع لصب عليكم العذاب صباً وقال صلى الله عليه وسلم ليس منا من لم يرحم صغيرنا ولم يوقر كبيرنا ولم يأمر بالمعروف ولم ينه عن المنكر وقال صلى الله عليه وسلم ما أكرم شاب شيخاً من أجل سنه الا قيض الله له عند سنه من يكرمه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما رواه البخاري وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسو الله صلى الله عليه وسلم والذي بعثني بالحق لا يعذب الله يوم القيامة من رحم اليتيم ولان له في الكلام ورحم يتمه وضعفه ولم يتطاول على جاره بفضل ما اتاه الله وقال يا امة محمد والذي بعثني بالحق لا يقبل الله صدقة من رجل وله قرابة محتاجون الى صلته ويصرفها الى غيرهم والذي نفسي بيده لا ينظر الله اليه يوم القيامة رواه الطبراني ورواته ثقات وقال صلى الله عليه وسلم خير بيت في المسلمين بيت

فيه يتيم يحسن اليه وشر بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يساء اليه وقال صلى الله عليه وسلم من مسح رأس يتيم لم يمسحه الا لله كان له بكل شعرة تمر عليها يده حسنات ومن أحسن الى يتيمة ويتيم عنده كنت أنا وهو في الجنة كهاتين وقرن أصبعيه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من آوى يتيما الى طعامه وشرابه أوجب الله له الجنة البتة الا أن يعمل ذنباً لا يغفر ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال حرم الله على كل آدمي دخول الجنة قبلي غير أني أنظر عن يميني فاذا امرأة تبادرني الى باب الجنة فأقول مالهذه تبادرني فيقال لي يا محمد هذه امرأة حسناء جميلة وكان عندها يتامى لها فصبرت عليهن حتى بلغ أمرهن الذي بلغ فشكر الله لها وفي الصحيحين عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الساعي على الارملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله وأحسبه قال وكالقائم الذي لا يفتر وكالصائم الذي لا يفطر وفي الصحيحين عنه ايضاً صلى الله عليه وسلم انه قال من ابتلى من هذه البنات بشيء فاحسن اليهن كن له ستراً من النار وقال صلى الله عليه وسلم من عال ثلاث بنات أو مثلهن من الاخوات فادبهن ورحمهن حتى يغنيهن الله أوجب الله له الجنة فقال رجل يا رسول الله أو ثنتين قال او اثنتين حتى لو قال او واحدة لقال أو واحدة وقال صلى الله عليه وسلم من كانت له انثى فلم يئدها ولم يهنها ولم يؤثر ولده عليها يعني الذكور ادخله الله الجنة ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قاد مكفوفاً اربعين خطوة غفر له وقال صلى الله عليه وسلم يا ابا هريرة ان أرشدت اعمى فخذ يده اليسرى بيدك اليمنى فانها صدقة يا أبا هريرة أتريد ان يكون اجرك كاجر شهيد ببدر فانظر رجلا مسلما ليس له ثوب يجمع فيه الجمعة فاعره

ثوباً اوهبه له وعن انس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اللهم احيني مسكيناً وامتني مسكيناً واحشرني في زمرة المساكين فقالت عائشة رضي الله عنها لمَ يا رسول الله قال انهم يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بأربعين خريفاً ياعائشة لا تردي المسكين ياعائشة أحبي المساكين وقربيهم فان الله يقربك يوم القيامة وروى الحسن البصري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اكثروا من معرفة الفقراء واتخذوا عندهم الايادي فان لهم دولة قالوا يا رسول الله وما دولتهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة قيل لهم انظروا الى من اطعمكم كسرة وكساكم ثوباً أو سقاكم شربة في الدنيا فخذوا بيده ثم أفيضوا به الى الجنة قال أبو الدرداء رضي الله عنه أوصاني رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبع خصال اوصاني أن انظر الى من دونى واوصاني بحب المساكين والتقرب منهم واوصاني ان اصل رحمي وان بعدت وان أقول الحق وان كان مرا وان لا أخاف في الله لومة لائم وان لا أسأل شيئاً وان استكثر من قول لاحول ولا قوة الا بالله فانها من كنوز الجنة وقال عليه السلام ارحموا ثلاثة عالماً بين الجهال وعزيز قوم ذل وغنى قوم افتقر وقال الفضيل بن عياض رحمه الله بلغني ان نبياً من الانبياء قال يا رب كيف لي أن أعلم رضاك عني قال الله انظر كيف رضا المساكين عنك ويروى ان موسى عليه السلام قال الهى كيف ابغيك قال عند المنكسرة قلوبهم وذكر ابو محمد رحمه الله في معالم التنزيل ان عبد الله بن ام مكتوم أتى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يناجي عتبة ابن ربيعة وأبا جهل والعباس وأبي بن خلف واخاه أمية يدعوهم الى الله يرجو اسلامهم فقال ابن أم مكتوم يارسول الله أقرئني وعلمني مما علمك الله

فجعل يناديه ويكرر النداء ولا يدري انه مقبل على غيره حتى ظهرت الكراهية في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لقطعه كلامه وقال في نفسه يقول هؤلاء الصناديد انما اتباعه العميان والعبيد والسفلة فعبس وجهه وأعرض عنه واقبل على القوم الذين يكلمهم فانزل الله عبس وتولى الآية فكان رسول الله صلى الله علية وسلم بعد ذلك يكرمة واذا رآه قال مرحباً بمن عاتبني فية ربي ويقول له هل لك من حاجة واستخلفة على المدينة مرتين في غزوتين غزاهما قوله تعالى عبس كلح وتولى اعرض أن جاءه الاعمى هو ابن ام مكتوم وما يدريك لعله يزكى يتطهر من الذنوب بالعمل الصالح

﴿ فصل في النصيحة على للمسلمين ﴾

عن تميم الداري رضي الله عنة أن النبي صلى الالة علية وسلم قال الدين النصيحة قلنا لمن قل لله ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم قال العلماء أما النصيحة لله تعالى أن تؤمن بالالة وتدعو الناس الى ذلك وتمنى ان يكون الناس كلهم جيماً مؤمنين واما النصيحة لنبيه عليه السلام ان تصدقه عما جاء به من عند الله تعالى واما النصيحة للائمة ان لا تخرج عليهم بالسيف وتدعو لهم بالعدل والانصاف وأما النصيحة للمسلمين فهو ان تحب لهم ما تحب لنفسك وتكره لهم ما تكره لنفسك وتمنى أن يكونوا فيما بينهم على الالفة والمودة وعن جرير بن عبد الله رضي الله عنه أنه قال بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على اقام الصلاة وايتاء الزكاة والنصح لكل مسلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حق المسلم على المسلم ستة

اذا لقيته فسلم عليه واذا دعاك فاجبه واذا استنصحك فانصح له واذا عطس فحمد الله فشمته واذا مرض فعده واذا مات فاتبعه رواه مسلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن احدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه رواه البخاري ومسلم

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا رواه البخاري ومسلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى رواه البخاري ومسلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لا يرحم الناس لا يرحمه الله رواه البخاري ومسلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انصر أخاك ظالمًا او مظلوما فقال رجل يارسول الله انصره اذا كان مظلوما أرأيت ان كان ظالما كيف انصره قال تحجزه او تمنعه من الظلم فان ذلك نصره رواه البخاري وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حق المسلم على المسلم خمس رد السلام وعيادة المريض واتباع الجنائز واجابة الدعوة وتشميت العاطس رواه البخاري ومسلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خلق كل انسان من بني آدم

﴿ فصل في الضيافة ﴾

في الصحيحين عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر

فليقل خيراً او ليصمت والضيافة ثلاثة ايام فما بعد ذلك فهو صدقة ولا يحل له ان يثوى عنده حتى يحرجه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيما مسلم ضاف قوما فاصبح الضيف محروما كان حقا على كل مسلم نصره حتى يأخذ له بقراه من ماله وزرعه وعن أبي الاحوص الجشمي عن ابيه قال قلت يا رسول الله أرأيت ان مررت برجل فلم يقرني ولم يضفني ثم مر بي بعد ذلك اقريه أم اجزيه قال بل اقره وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تتكلفوا للضيف فتبغضوه فانه من أبغض الضيف فقد أبغض الله ومن ابغض الله ابغضه الله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا خير فيمن لا يضيف ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل له ابل وبقر كثير فلم يضفه ومر بامرأة لها شويهات فذبحت له شاة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انظروا اليهما انما هذه الاخلاق بيد الله فمن شاء ان يمنحه خلقا حسنا فعل وقال ابو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه نزل عليه الصلاة والسلام ضيف فقال لفلان اليهودي نزل بي ضيف فاسلفني شيئا من الدقيق الى رجب فقال اليهودي والله لا اسلفته الا برهن فاخبرته فقال والله اني لامين في السماء أمين في الارض ولو اسلفني لاديته فاذهب بدرعي وارهنه عنده

﴿ فصل في اعطاء الصدقات ﴾

قال الله تعالى خذ من اموالهم صدقة تطهرهم تزكيهم بها وقال تعالى وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيراً واعظم اجراً أي تجدوا ثوابه في الآخرة أفضل مما اعطيتم واعظم اجراً عن ابن مسعود

رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيكم مال وارثه أحب اليه من ماله قالوا يا رسول الله ما منا احد الا ماله احب اليه من مال وارثه قال فان ماله ما قدم ومال وارثه ما أخر رواه البخاري وقال صلى الله عليه وسلم ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبداً بعفو الاعزا وما تواضع احد لله الا رفعه الله عز وجل رواه مسلم وقال صلى الله عليه وسلم ما نقص مال عبد من صدقة ولا ظلم عبد مظلمة صبر عليها الا زاده الله عزاً ولا فتح عبد بابب مسألة الا فتح الله عليه باب فقر رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وقال صلى الله عليه وسلم من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يقبل الله الا الطيب فان الله يقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبها كما يربي احدكم فلوه حتى تكون مثل الجبل رواه البخاري ومسلم قال النووي رحمه الله الفلو بفتح الفاء وضم اللام وتشديد الواو ويقال ايضا بكسر الفاء واسكان اللام وتخفيف الواو وهو المهر وقال صلى الله عليه وسلم أيما مسلم كسا مسلما ثوبا على عري كساه الله من خضر الجنة وأيما مسلم أطعم مسلما على جوع اطعمه الله من ثمار الجنة وأيما مسلم سقى مسلما على ظما سقاه الله عز وجل من الرحيق المختوم رواه ابوداود وقال صلى الله عليه وسلم على كل مسلم صدقة قالوا فان لم يجد قال فيعمل بيديه فينفع نفسه ويتصدق قالوا فان لم يستطع اولم يفعل قال فيعين ذا الحاجة الملهوف قالوا فان لم يفعل قال فيمسك عن الشر فانه له صدقة وقال صلى الله عليه وسلم الصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار وقال صلى الله عليه وسلم كل معروف صدقة وان من المعروف ان تلقى اخاك بوجه طلق وان تفرغ من دلوك في اناء اخيك وقال صلى الله عليه وسلم يقول بن آدم مالي مالي

وهل لك يا ابن آدم من مالك الا ما اكلت فافنيت او لبست فابليت أو تصدقت فامضيت وروى عن عائشة رضي الله عنها انها قالت يا رسول الله ما الشيء الذي لا يحل منعه قال الماء والملح والنار قالت قلت يا رسول الله هذا الماء فقد عرفناه فما بال الملح والنار فقال ياحميراء من أعطى ناراً فكأنما تصدق بجميع ما انضجت تلك النار ومن اعطى ملحاً فكانما تصدق بجميع ما طيبت تلك الملح فمن سقى مسلما شربة من ماء حيث يوجد الماء فكأنما أعتق رقبة ومن سقى شربة من ماء حيث لا يوجد الماء فكأنما أحياها رواه ابن ماجه وقال عبيد بن عمير يحشر الناس يوم القيامة أجوع ما كانوا وأعطش ما كانوا فمن أطعم في الدنيا اطعمه الله ومن سقا سقاه الله ومن كسا كساه الله وقال الحسن البصري لو شاء الله لجعلكم اغنياء لا فقير فيكم ولكنه ابتلى بعضكم ببعض ويقال ان الحسن مر به نخاس ومعه جارية فقال اترضي في ثمنها الدرهم والدرهمين قال لا قال فاذهب فان الله قد رضي في ثمن الحور العين بالفلس واللقمة

قسم الرذائل

﴿ فصل في الكبائر والصغائر ﴾

اعلم ان من الكبائر التمرد والاباء عن الحق والسخط للقضاء والجزع والشكوى عند المحن وبغض بني هاشم وبغض الانصار والغدر أي نقض العهد والسجود لغير الله للتحية والرضا بالكفر للغير ممن كان مؤذيا أو شريرا والطيرة وقيل صغيرة واسناد العلم الى الله تعالى بما لم يكن كان يقول الله يعلم انني فعلت كذا والحال انه لم يفعله ونحو ذلك وفعل الانسان

مانسب الى نفسه الكفر بفعله كان قال ان فعل كذا فهو كافر ثم فعله والذبح لقدوم حاج أو غاز أو أمير أو غيره والزنا ولو بشبهة ووطء الرجل امرأته الحائض أو النفساء أو الصائمة أو المحرمة والوطء من صائم ومن محرم والظهار وعدم العدل بين الزوجات والاستمناء بالكف والخلوة باجنبية وملاطفة امرأة الغير واغواء الرجل حليلة جاره ومساحقة النساء والقيادة والديانة وقتل النفس التي حرم الله وقطع الطريق والبغي في الارض والاضرار بالناس والسعي بينهم بالنميمة واخافة المؤمن وضربه ظلما وتمني الشر فيه واضمار فعل مايضر به وقول يا كافر له وقول يامرائي وشرب الخمر وكل ماشانه الاسكار والسرقه والغصب من غنى نصاباً ومن فقير دونه والغلول أي الاخذ من الغنيمة خفية وكل مايجرى مجراه واكل الربا والشهادة عليه وكتابته أي الذي يحرر وثيقته وهو عارف به والحيلة فيه واكل مال اليتيم واخذ او الرشوة والواسطة بها واعطاؤها واخذ غير المحتاج الزكاة او الفطرة الكفارة او النذر او اللقطة وعقوق الوالدين وعدم استماع كلامهما وقطع الرحم وترك المقتدر مواساة رحمه والغيبة لغير متجاهر بالفسق والوقيعة في العلماء وقذف المحصنين والطعن في الانساب وتعييب أحد في خلقه والتعريض والاستهزاء والفحش في القول وسكوت الرجل اذا وقع في أحد عنده وسروره بما يسمع في حق اخيه المسلم والفتنة أي الفاء المفسدة بين الناس والسعاية عند الظالم والسعي بين اثنين بالفساد وإيذاء الجار والنظر الى داخل بيت الغير من شق ونحو ذلك والتجسس أي تفتيش عيوب الناس والتحسس أي استراق حديث قوم وترك الصلاة وتأخيرها عن وقتها وتقديمها عليه عمداً وترك صلاة الجمعة وترك سجود السهو قصداً وترك صلاة الوتر ومنع

الزكاة وتأخيرها بعد وجوبها والبخل عن أداء واجب والمن والاذى في الصدقة والاعطاء للرياء والاعطاء للمعصية وافطار رمضان وتأخير الصوم عمداً وترك الحج مستطيعاً وشهادة الزور وكتم الشهادة والكذب على النبي صلى الله عليه وسلم في غير تحليل حرام أو تحريم حلال فيكون كفراً والتفضيل على الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وسب أحد من الصحابة رضوان الله عليهم وبغض العرب وبغض العلماء وبغض الصالحين وحب الفسقة ومصاحبتهم وكتم العلم وترك المتعلم العلم مؤاثرة للدنيا وأمل العالم بعلمه الدنيا وعدم عمل العالم بعلمه وترك الامر بالمعروف من قادر عليه ومصادقة الامير الجائر وحب الظلمة والركون اليهم والضحك في وجه الظالم والدعاء له بالبقاء وتعظيم الاغنياء لاجل غناهم وازدراء الفقراء وتعظيم ماصغره الله وتحقير ماعظمه الله وأكل مال الناس بالباطل وأخذ ماعلم انه مغصوب أو حرام وبخس الكيل وتخسير الوزن والغش والخيانة والسرور بالغلاء للمسلمين واليمين الغموس والحلف بغير اسم الله تعالى وأكل لحم الخنزير وأكل لحم الميتة والموقوذة أي التي ضربت حتى استرخت والمتردية أي التي سقطت من علو أو في بئر وما اكله السبع أي بعضه وما ذبح على النصب وما اهل به لغير الله كالذي يذبح لقدوم حاج أو غاز أو أمير لانه ميتة ومالم يذكر اسم الله عليه وماقرن فيه مع اسمه تعالى اسم غيره والدم المسفوح واكل نجس ولعب القمار أي كل مايشترط فيه تغريم شئ المحرم والاعانة على المعاصي والجلوس مع اهل السيئة اعتيادا والامر بمنكر والنهي عن معروف والرضا بكبيرة والتكذيب بالقدر واسناد افعال العباد اليهم وتفسير القرآن بالرأي ونسيان القرآن بحيث لا يعود يقدر على قراءته

والعناد أي مكابرة الحق ومحبة الدنيا والركون اليها وطول الامل فيها الا لقصد فعل خير وبر والمنافسة فيها والمباهاة بها وحب العلا وحب تكثير المال لحظ الدنيا وخوف الذم فيما لا يخالف امر الشرع وتزكية النفس والتبختر في المشي واسبال الازار خيلاء واتيان باب سلطان جائر والاعانة على المظالم والبدعة وسن سنة سيئة والنفاق في القول أي مخالفته للباطن في الثناء واظهار الحب وترك الحكم بما انزله الله وعدم سماع أولى الامر شكوى المظلوم وعدم سماع القاضي كلام الخصمين وعدم سماع المفتي كلام المستفتي والعدول عن الحق وعدم سماع خطاب الامير أو القاضي وعصيان المملوك مولاه وعدم استماع كلامه ومنع الاجير اجرته او ترك الجهاد عند تعينه والفرار من الزحف والقاء النفس في تهلكة واتلاف الانسان عضوا من اعضائه وخصاء العبيد وقطع عضو من اعضائه وتكليفه مالا يطاق والقعود عن انقاذ مسلم واحراق حيوان عبثا والمثلة بانسان ونبش القبر وترك وفاء المتعاقد عليه وترك الامانة مطلقاً ومنع فضل الماء عن محتاج والبطالة أي عدم السعى في طلب المعاش والسؤال عن ظهر غني وكفران النعمة وترك الشكر في القسمة واضاعه الانسان من تجب عليه نفقته وحمل الرجل ولده الى ضلالة والسرف والتبذير وتعليق القلب باسباب حب جاه وترك الاكل والشرب لا لمرض وتشبه الرجل بالمرأة وتشبه المرأة بالرجل المرأة مطلقاً والرقص للنساء والرجال وعصيان المرأة زوجها وعدم سماعها خطابه ومنع نفسها منه واضاعة الجنين بعد اربعة اشهر وضرب الرجل والمرأة رضيعا لهما وعدم الاستنزاه من البول وكشف العورة بحضرة الناس وتصديق نحو كاهن ومنجم والكذب الذي يترتب عليه ضرر والتحديث بما لا أصل له غروراً والاقتطاع من ارض الغير

ولو شبرا وترك اداء حقوق العباد مع التمكن منها والاخذ من الوقف الصحيح على خلاف شرط الواقف لانه يكون غاصباً والاصرار على الصغائر وتسويف التوبة والامن من مكر الله تعالى واليأس من رحمته عز وجل

﴿ فصل ﴾

ومن ذلك ما اختلف فيه هل هو صغائر أم كبائر وذهب كثير من العلماء الى انه كبائر ترك قضاء الفوائت وترك الكفارة وعدم اسباغ الغسل وعدم اسباغ الوضوء ومخالفة الامام ومسابقته في الركوع والسجود وتأخير الحج عن أول سني وجوبه وسؤال الامارة وسؤال القضاء والشفاعة لهما والذهاب الى الامراء والاغنياء طمعاً بما في أيديهم والركوع والانحناء للكبراء وتقبيل اذيال الظلمة وتقبيل ايديهم والتذلل لاجل الدنيا واتباع الهوى أي عدم قطع النفس عن مالوفاتها ومن غلبه الحرام وسوء الظن بالمؤمنين بمجرد الوهم والحسد والكبر والعجب أي استعظام نفسه واحواله وادعاء الافضلية على الغير والتنابز بالالقاب والحقد أي الزام النفس على البغض والمشاحنة والعداوة أي اضمار توقع الضرر باخيه المسلم والشماتة أي اظهار الفرح لتالمه بمصيبة نزلت به والوقاحة اي الجراءة على القبائح والنفاق في الافعال كالتزي بزي أهل الزهد والصلاح لمن ليس كذلك وكثرة المخاصمة بلا مراعاة حق الشرع وعدم استماع عذر المعتذر والخطا في الفتيا والجراءة عليها والسؤال عن حل وطهارة في غير محله اظهار اللورع والتقليد لمن هو ليس بعدل وترك الجهاد والنياحة على الميت وسماعها والنياحة لاجل الدنيا وضرب ذمي ظلما والمثلة بحيوان أي اتخاذ الروح غرضا وسماع اللهو

والتلذذ به والجلوس في مجلسه وعمل آلات الملاهي ومد الرجل الى القبلة أو المصحف او كتب الشريعة عمداً والتسمية بملك الاملاك وحاكم الحكام وقاضي القضاة وترك السنن المؤكدة لأنه من ترك سنتي لم ينل شفاعتي

﴿ فصل في الصغائر ﴾

منها العبث في الصلاة والالتفات فيها يميناً وشمالا والنظر الى غير موضع السجود وعدم تعديل اركانها والاختصار فيها وتعيين السورة الواحدة والسدل اي ارسال ازار او ثوب من غير لبس ولبس الثوب كالاحرام والانفراد عن الجماعة والسجود على بساط فيه تصاوير والصلاة بين يديه أو بحذائه صورة والصلاة وقت كراهة وترك الجماعة لغير عذر وانتظار الاقامة في بيته بعد سماع الاذان وتخطى رقاب الناس في المسجد والتفريق بين اثنين والجلوس موضع الغير والكلام وقت الخطبة ولو تلاوة أو ذكراً والكلام عند الاقامة الادعاء وتشبيك الاصابع في المسجد وكذلك عند الذهاب اليه وقطع الصفوف وعدم تسويتها وصلاة المحصور ببول أو غائط وادخال المسجد نجاسة أو مجنونا أو صبياً تغلب نجاسته ودخول الجنب فيه وجلوسه أيضاً والدخول اليه متنعلا والتكلم فيه بكلام الناس وفعل ماليس عبادة والبيع والشراء لغير المعتكف وطلب الصدقة فيه واعطاؤها الا اذا كان محتاجاً ولم يتخط الرقاب واتخاذ الطريق فيه والنوم لغير معتكف والقاء نجاسة على سطحه أو على جوانبه والتباهي أى التفاخر فيه وترك التهجد في الليل وابطال العبادة بعد الشروع فيها واذان الجنب واقامته ولو خارج المسجد وامامة الرجل لقوم وهم له كارهون وقراءة القرآن في الاسواق وفي موضع اللغو وفي

موضع اشتغل فيه الناس باعمالهم والصعق والصياح عند سماع قراءة القرآن ولو ذكراً وعند الاذان ولو تلاوة أو ذكراً والوضوء من طست أو ابريق من ذهب أو فضة والسرف في الوضوء أي الزيادة فيه على السنة وفي الغسل كذلك والصوم في يوم منهي عنه والوصال في الصوم وصوم يوم عرفة للحاج وتقبيل الصائم زوجته اذا لم يامن على نفسه ومباشرة الصائم زوجته بالفخذ أو البطن ودفع الزكاة من أدني المال والنظر الى الفقراء والضعفاء بالاستخفاف والحقارة ونظر الانسان الى من فوقه في أمر الدنيا ومشاهدة المعاصي والمنكرات بلا ضرورة وادامة النظر الى المجذوم والاشراف على بيوت الناس وان لم تتعمد والنظر الى محرم وبذاءة اللسان والسخرية أي كل فعل يتضمن الاستصغار والتعبير عن الامور المستقبحة بالعبارة الصريحة والتكلم بما لايعني وكثار الكلام والتصنع فيه والتكلف في السجع وللفصاحة والخوض في الباطل كذكر تنعم الملوك والاغنياء ونحوه والسؤال عن الاغلوطات وسؤال العوام عمالا يبلغ فهمهم والاخبار عن الشئ على غير ماهو عليه والكذب الذى لاضرر فيه وكثرة المجادلة بلا علم كوكلاء القضاة والتهليل بقصد الاعلام بامر ما كقول لااله الا الله قاصداً الاعلام بانه مستيقظ ونحو ذلك وكذلك التسبيح والتكبير وكلام ذى لسانين أي وجهين بين الخصمين وهجر المسلم ورد اعتذار المعتذر والافراط في المدح وكثرة المزاح والتناجي أى تكلم اثنين عند ثالث سراً واللعن ولو بهيمة وقول المسلم لذمي ياكافر أو يامشرك وسؤال الناس شيأ ولو مناولة شئ وسؤال التولية مع علمه بخيانة نفسه والشفاعة السيئة والتسابب والتكلم مع شابة أجنبية بلا حاجة والكلام وقت الجماع والتشدق في الكلام أي التوسع

فيه والتعصب للمذاهب والاهواء وسب الاموات وعدم ذكرهم بخير وعدم اخلاص الدعاء للميت والبكاء بصوت عند المصيبة كمرض أو موت وترك الدعاء والضراعة الى الله تعالى والدعاء بحق فلان كالانبياء والاولياء ونحوه ودعاء الانسان على نفسه وافشاء ما استودعه الانسان من سر ولو في أقاربه والاذن فيما هو معصية كالاذن للمرأة بالخروج من دارها الى مالا ينبغي الخروج اليه والوعد المقصود اخلافه الا لصبيانه والخطا في التعبير في الاحكام ونحوها وترك التسمية عند الاكل وعند الشرب وترك التحميد بعده والتسمية سهواً أو نسياناً عند أكل حرام وعند شرب حرام وان تعمد ذلك يكفر وأكل الجنب قبل غسل يده وفمه وكذلك شربه والاكل بآنية الذهب والفضة والشرب والادهان والتطيب باوانيهما للرجال والنساء وكذلك الاكل بملعقة منهما والاكتحال بميلهما واستعمال ظروف فناجين القهوة منهما وكذلك المجمرة والاكل بالشمال والاكل منبطحا واكل الطعام الحار كثيراً والاكل لغير جوع والاكل فوق الشبع الا لاجل صوم أو ضيف يخجل وتعييب الطعام وعدم الايجاب به والتكلف للضيف واطعام غير تقي على المواخاة لا التصدق وعدم استحياء الضيف وأكل منتن واكل السمك الطافي واكل ما يضر كالتراب وغيره وأكل لحم الخيل وأكل لحم البغال وأكل لحم الحمير واكل كل ذي ناب من السباع وكل ذى مخلب من الطير والاكل من طعام أرض مغصوبة والاكل من طعام اتخذ للرياء والافتخار والاكل من طعام من غلبه الحرام واجابة دعوته الا لعذر واكل طعام ضيافة عند لعب ومنكرات والاكل مما أخذ من مكره وترك الوليمة للعرس واتخاذ الضيافة فيه فوق ثلاثة ايام والذهاب الى ضيافة بلا دعوة

واطعام مسكين مما لا يأكل وسرقة لقمة لانه يدل على الدناءة والخفة والجلوس في مقام الغير والتفريق بين اثنين للجلوس ومجالسة جليس السوء ولو ساعة والجلوس وسط الحلقة كحلقة الدرس والذكر ونحوه والجلوس على كرسي من ذهب أو من فضة للرجال والنساء وكذلك استعمال القلم والدواة منهما والجلوس في الطريق واذا لم يعطه حقه ووضع احدى الرجلين على الاخرى في الجلوس اوالنوم والاستلقاء والجلوس على قبر وجلوس ساعة مع اهل الغدر والظلم لغير ضرورة مجمع الناس والمشي في ارض الغير بغير اذنه ودخول ارض مغصوبة ولو للصلاة والمشي على المقابر بلا ضرورة والمشي بين النساء والمشي في نعل واحد أو في خف واحد والالتفات يميناً وشمالا عند المشي والخفة في الاعضاء أي عدم الاعتدال في المشي وسائر الحركات والخفة في الاطوار أي عدم الرزانة فيها والحماقة أي عدم التحلم والعجلة في الامور والجبن أي عدم الانبعاث لدفع المؤذيات والفظاظة أي عدم الرقة واللين والضحك اختياراً والقيام لفاسق ونحوه وقيام قارئ لغير أبيه ومعلمه وتحقير مجالس الذكر ومجالس الوعظ ونحوها والغفلة في المحادثة والكلام فيها والسلام باليد والرأس وانحناء المسلم مثل الركوع ابتداء اورداً ولبس مايوجب الشهرة والباس الصبي مالا يجوز لبسه للبالغ والوشم اى النقش على البدن وعدم دفع التثاؤب وحلق رأس المرأة أو بعضه والامساك عن قص الاظفار وترك نتف الابط وترك حلق العانة أربعين يوما بل وترك الختان والاستنجاء بماله قيمة وبما له تعظيم وبماله ضرر وفى الظل يستظل فيه والبول في المغتسل أى محل الاغتسال وفي مناهل الماء وفي قرب مسجد أو مصلى وفي مكان مشرف او لازم وجعل البول منتقعا في الاناء وكشف العورة في

الحمام بغير مرأى الناس وكشفها لغير ضرورة والنكاح المؤقت اى التزوج الى زمان معين كالمتعة ونكاح الشغار كتزويج الاخت في مقابلة البنت ونحوه والنكاح بلا شاهدين وخطبة الرجل على خطبة غيره ان وجد دليل الرضا للاول والجماع قبل الاستبراء ودواعيه كالقبلة واللمس والاستمتاع بالحائض والنفساء تحت الازار ووطء المظاهرة قبل التكفير ودواعيه كاللمس والتقبيل والايلاء معتادا به اي الحلف على ترك وطء الزوجة وعدم الجماع مع زوجته أصلا وتركه اربعين يوما لغير عذر والعزل بغير اذن الزوجة ووطء الزوجة او الامة بحضرة من يعقل ولو نائما واقتناء امرأة لاتصلي واظهار النساء زينتهن ولبس ثوب يصف ميلهن واما لتهن كالحبر اللاتي يتخذنها ازارا وكصورة اشتمالهن بها وضعف الحمية كالتهاون بترك التعرض لحرمته وعرضه وعدم رعاية حقوق الزوجة وعدم رعاية المرأة حقوق الزوج وقعود المرأة عن خدمة داخل بيتها وتكلمها بغير اذن زوجها في بيته اوخارجه أي بمسمع من اجنبي وتطليق الزوجة في طهر جامعها فيه والطلاق في الحيض والطلاق بائنا بغير عذر والطلاق أكثر من واحدة والرجعة بالفعل دون القول والتفريق بين المرأة وولدها وبين الاخ واخته بغير ضرورة والشره أي الحرص على الطعام والجماع والتفضيل بين الاولاد في العطية الا لعلم أو صلاح والنوم في أول النهار وفي آخره والنوم على سطح غير محجور عليه والنوم في بيت ليس فيه آخر والنوم منبطحاً أي على الوجه ومد الرجلين الى القبلة او الى مصحف وقبلة وتوسد كتب أي وضع الرأس عليها في النوم الا لخوف سرقة والسكنى في دار مغصوبة وحبس الطير في القفص ماعدا البط والدجاج وما كان للمنفعة وتملك العبد الخصي وكذلك استخدامه وسوء الملكة

أي اساءة الصنيع الى المملوك وقعود المملوك عن خدمة المالك والاجير عن خدمة المستأجر واقتناء الكلب لغير صيد او حفظ بيت او زرع وترك الرجل صدقة الفطر لنفسه ولطفله الصغير ولمملوكه ولو كافر أو ترك الاضحية لنفسه واعطاء الزكاة الى أصوله وفروعه وكذلك النذر والكفارة وصدقة الفطر واعطاء الطحان أجرة الرحى من القفيز والذبح عند بناء أو شراء دار والذبح عند النزول اليها وذبح شاة ذات لبن وكذلك ذبح ذوات اللبن من الابل والبقر والمعز والنخع في الذبح أي الشدة فيه وعدم قطع الاوداج وقطع رأس الذبيحة قبل الموت والنذر لتحصيل الغرض ولدفع مكروه وعدم الوفاء به والتسويف في العمل أي التأخير وعدم المسارعة والتصدق على مسرف وعلى صارف الى معصية وان قل والاخذ من وقف باطل والاخذ من بيت المال اكثر من الكفاية ان كان من أهله ورفع اللقطة بنية نفسه وأخذ مال الغير للانتفاع به ثم رده واهداء قليل لاخذ كثير وسؤال المال والمنافع الدنيوية لغير حاجة كالامتداح وطلب الجائزة به ونحو ذلك وتمني نعمة الغير أي تمنى أن يكون مثله في نعمته والقاء النجاسة على الطريق وكذا الميتة وكل الخبائث والقاء القمل حيا في أي مكان وتلطيخ البدن او الثوب بنجاسة وكذلك كل مكان مشرف ومعظم والمثلة بحيوان أي قطع بعض اعضائه وقتل الدواب صبراً أي حبسها حتى تموت ومنع المرعى في أرض مباحة والامساك عن دفع الظلم عن الحيوان والامساك عن انقاذه من تهلكة وأذية والامساك عن خلاص مظلوم عند القدرة وعن اراقة خمر لمسلم وعن كسر طنبور وآلة لهو واللعب بالشطرنج بلا قمار ولا لهو ولا اسباب ولعب المنقلة والذهاب لمجالس المعصية لقصد فعلها أو لقصد النظر اليها والذهاب الى

طريق يخاف فيه الهلاك والذهاب الى الجهاد بغير اذن الوالدين ولو كافرين والفرار من الطاعون والدخول على مكان الوباء الا بنية الالتجاء ودخول الرجل على أهله بغتة عند القدوم من السفر وعدم النزول عن الدابة عند وقوف طويل وركوب المياثر أي السروج التي لها وطاء من الحرير والديباج واتخاذها من جلود السباع وافتراش جلودها ايضاً وعدم تأمير الجماعة واحداً عليهم في السفر ومجيء المسافر أهله ليلا ومعانقة الرجال مالم يكن له مقتضى كالتكرمة أو القدوم من سفر وتقبيل الرجل فم الرجل أو وجهه أو شيئاً منه والانس بمخلوق أي علاقة نفسه به وجعله اكبر همه واستماع كلام شابة اجنبية بلا حاجة واستماع القرآن ممن يقرأ بتلحين وخطا وعدم استماع المسؤل منه كلام السائل المضطر وعدم استماع الكبراء الاغنياء كلام الضعفاء والحقد على الخصوم وهجر المسلم فوق ثلاثة أيام بلا عذر كالتأديب والسكوت عند سماع عيب مسلم أو غيبته وقراءة القرآن للجنب وللحائض وللنفساء ومسه للمحدث والحائض والنفساء واشتراط الاجرة على الحديث وكذا على الذكر وعلى قراءة القرآن وبيع المصحف للكافر وكذلك بيع كتب الشرع ونحوها وبيع السلاح لاهل الفتنة وللكافر وبيع الخمر للمسلم بالثمن أو بالعروض حالا أو مؤجلا وشراؤه للمسلم كذلك وشراؤه للبيع ولو غير مسلم وامساكه الا للتخليل قليلا أو كثيرا في بيته أو خارجه وبيع الثمار قبل ان يبدو صلاحها وعدم اجتناء الثمار والخضروات حتى تهلك وبيع اللحم بالحيوان، بيع الطعام بالطعام بدون جرى الصاعين وبيع الجنس بجنسه الا مثلا بمثل وبيع فضل الماء أي ما فضل عن الحاجة وبيع بئر بفلاة والبيع على بيع غيره والبيع عند أذان الجمعة وكتمان عيب السلعة عند بيعها ولو غير ظاهر

والتسبيح والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم عند اراءة المتاع للمشتري بقصدا علامه بجودة المرئي والنجس أى جعل القيمة للمال الذي لا يشتريه والزيادة في المبيع بلا رغبة فيه وتلقي الجلب بخارج المصر والسوم على سوم الغير والتصرية أي عدم حلب الشاه اذا اريد بيعها والاحتكار أي حبس المأكولات للقيمة الكثيرة وكثرة الحلف والايمان والانتفاع ببدل ما اخذ غلطاً علم صاحبه أو لم يعلم وأجرة عسب الفحل أي انكاح الحيوانات وشغل الطريق ببيع أو شراء أو وقوف وحبس الدين ومطله مع القدرة على وفائه وانتزاع الغريم أي التسبب في فراره والرجوع في الهبة والخروج لقدوم امير لا يستحق التعظيم وترك القاضي والامير التسوية بين الخصمين مجلسا واقبالا واخافة مؤمن من غير ذنب يدعو اليها وقتل حربي ومرتد قبل الاستتابة وقتل المرتدة لان المرأة تحبس حتى تتوب والتسمية بكليب أو كلب أو ذئب ونحوها واتباع النساء الجنائز ولطم الوجه لحلول مصيبة وترك التطيب والزينة لاجل الميت قصداً واتباع جنازة معها صائحة والصلاة على الجنازة لجهة القبر بلا حائل ودفن الميت في الليل بلا ضرورة ودفن اثنين أو أكثر في قبر واحد ولو رجلا والزيادة في الكفن عدد او قيمة على السنة وايقاد الشموع على القبور وتجصيص القبر والبناء عليه كرفع قبة او وضع جدار حوله والكتابة على القبور مطلقا الاعالما مقتدى ليعرف وقطع الحشيش النابت عليها وكذلك الاشجار وكل ما كان رطبا وقراءة ما كتب عليها وانفاق المال بلا فائدة يعتدبها شرعا او عرفا والاستئجار بلا تعيين الاجرة وكذا بلا تعيين المنافع والمدة وعدم تشميت عاطس حمداً لله تعالى ويكفي فيه واحد عن الجماعة والجمع بين اسم وكنية النبي كمحمد

وأبي القاسم صلى الله تعالى عليه وسلم

﴿ فصل في الكلام فيما لا يعنيك ﴾

اعلم ان أحسن أحوالك أن تحفظ ألفاظك من جميع الآفات من الغيبة والنميمة والكذب والمراء والجدال وغيره وتتكلم فيما هو مباح لاضرر عليك فيه ولا على مسلم أصلا الا انك تتكلم بما أنت مستغن عنه ولا حاجة بك اليه فانك مضيع به زمانك ومحاسب على عمل لسانك ومستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير رأس مال العبد أوقاته ومهما صرفها الى مالا يعنيه ولم يدخر بها ثوابا في الآخرة فقد ضيع رأس ماله ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم من حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه بل ورد ماهو أشد من هذا قال أنس استشهد غلام منا يوم احد فوجدنا على بطنه حجرا مربوطا من الجوع فمسحت أمه عن وجهه التراب وقالت هنيئالك الجنة يابني فقال صلى الله عليه وسلم وما يدريك لعله كان يتكلم فيما لايعنيه ويمنع مالا يضره وفي حديث آخر أن النبي صلى الله عليه وسلم فقد كعبا فسأل عنه فقالوا مريض فخرج يمشي حتى أتاه فلما دخل عليه قال أبشر يا كعب فقالت أمه هنيئالك الجنة يا كعب فقال صلى الله عليه وسلم من هذه المتألية على الله قال هي أمي يارسول الله قال وما يدريك ياأم كعب لعل كعبا قال مالا يعنيه أو منع مالا يغنيه ومعناه انه انما تتهيأ الجنة لمن لايحاسب ومن تكلم فيما لايعنيه حوسب عليه وان كان كلامه مباحا فلا تتهيأ الجنة له مع المناقشة في الحساب فانه نوع من العذاب وعن محمد بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أول من يدخل من هذا الباب رجل من اهل الجنة فدخل عبدالله

ابن سلام فقام اليه ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبروه بذلك وقالوا أخبرنا بأوثق عمل في نفسك ترجوبه فقال اني لضعيف وان أوثق ماأرجوبه سلامة الصدر وترك مالا يعنيني وقال أبوذر قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا اعلمك بعمل خفيف على البدن ثقيل في الميزان قلت بلى يارسول الله قال هو الصمت وحسن الخلق وترك مالا يعنيك وقال مجاهد سمعت ابن عباس يقول خمس لهن أحب الى من الدهم الموقوفة لاتتكلم فيما لايعنيك فانه فضل ولا آمن عليك الوزر ولا تتكلم فيما يعنيك حتى تجد له موضعا فانه رب متكلم في أمر يعنيه قد وضعه في غير موضعه فعنت ولا تمار حليما ولا سفيها فان الحليم يقليك والسفيه يؤذيك واذكر أخاك اذا غاب عنك بما تحب ان يذكرك به واعفه مما تحب أن يعفيك منه وعامل أخاك بما تحب أن يعاملك به واعمل عمل رجل يعلم أنه مجازى بالاحسان مأخوذ بالاجترام وقيل للقمان الحكيم ماحكمتك قال لاأسأل عما كفيت ولا أتكلف مالا يعنيني وقال مورق العجلي امر أنا في طلبه منذ عشرين سنة لم أقدر عليه ولست بتارك طلبه قالوا وما هو قال السكوت عما لا يعنيني وقال عمر رضي الله عنه لاتتعرض لما لايعنيك واعتزل عدوك واحذر صديقك من القوم الا الامين ولا امين الا من خشي الله تعالى ولا تصحب الفاجر فتعلم من فجوره ولا تطلعه على سرك واستشر في أمرك الذين يخشون الله تعالى وحد الكلام فيما لايعنيك أن تتكلم بكل مالو سكت عنه لم تأثم وكثرة الاسئلة فيها آفات فانك تسأل غيرك عن عبادته مثلا فتقول له هل أنت صائم فان قال نعم كان مظهراً لعبادته فيدخل عليه الرياء وان لم يدخل سقطت عبادته من ديوان السر وعبادة السر تفضل عبادة الجهر بدرجات وان قال لاكان كاذبا وان سكت

كان مستحقراً لك وتأذيت به وان احتال لمدافعة الجواب افتقر الى جهد وتعب فيه فقد عرضته بالسؤال اما للرياء أو للكذب أو للاستحقار أو للتعب في حيلة الدفع وكذلك سؤالك عن سائر عباداته وكذلك سؤالك عن المعاصي وعن كل مايخفيه ويستحي منه وسؤالك عما حدث به غيرك فتقول له ماذا تقول فيم أنت وكذلك ترى انسانا في الطريق فتقول من أين فربما يمنعه مانع من ذكره فان ذكر تأذى به واستحيي وان لم يصدق وقع في الكذب وكنت السبب فيه وكذلك تسأل عن مسألة لاحاجة بك اليها والمسؤل ربما لم تسمح نفسه بان يقول لاادري فيجيب عن غير بصيرة واست اعني بالتكلم فيما لايعني هذه الاجناس فان هذا يتطرق اليه اثم اوضرر وانما مثال مالا يعني ماروي ان لقمان الحكيم دخل على داود عليه السلام وهو يسرد درعا ولم يكن رآها قبل ذلك اليوم فجعل يتعجب مما رأى فأراد ان يسأله عن ذلك فمنعته حكمته فامسك نفسه ولم يسأله فلما فرغ قام داود ولبسه ثم قال نعم الدرع للحرب فقال لقمان الصمت حكم وقليل فاعله اي حصل العلم به من غير سؤل فاستغنى عن السؤال فهذا وأمثاله من الاسئلة اذا لم يكن فيه ضرر وهتك ستر وتوريط في رياء وكذب فهو مما لايعني وتركه من حسن الاسلام فهذا حده * وأما سببه الباعث عليه فالحرص على معرفة مالا حاجة به اليه او المباسطة بالكلام على سبيل التودد أو تزجية الاوقات بحكايات احوال لافائدة فيها وعلاج ذلك كله ان يعلم ان الموت بين يديه وانه مسؤل عن كل كلمة وان انفاسه رأس ماله وان لسانه شبكة يقدر على أن يقتنص بها الحور العين فاهماله ذلك وتضييعه خسران مبين هذا علاجه من حيث العلم واما من حيث العمل فالعزلة وان يلزم نفسه السكوت عن

بعض مايعنيه حتى يعتاد اللسان ترك مالا يعنيه وضبط اللسان في هذا على غير المعتزل شديد جداً .

﴿ فصل في المراء ﴾

قال بعضهم صاف من شئت ثم أغضبه بالمراء فليرمينك بداهية تمنعك العيش وقال ابن أبي ليلي لا أماري صاحبي فاما ان أكذبه واما ان اغضبه وقال أبو الدرداء كفى بك اثماً أن لا تزال ممارياً وقال عمر رضي الله عنه لا تتعلم العلم لثلاث ولا تتركه لثلاث لا تتعلمه لتماري به ولا لتباهي به ولا لترائي به ولا تتركه حياء من طلبه ولا زهادة فيه ولا رضا بالجهل منه وقال آخر من كثر كذبه ذهب جماله ومن لاحى الرجال سقطت مروءته ومن كثر همه سقم جسمه ومن ساء خلقه عذبت نفسه وقيل لميمون ابن مهران مالك لاتترك أخاك عن قلى قال لاني لا أشاريه ولا أماريه وما ورد في ذم المراء والجدال اكثر من ان يحصى وحد المراء هو كل اعتراض على كلام الغير باظهار خلل فيه اما في اللفظ واما في المعنى واما في قصد المتكلم وترك المراء بترك الانكار والاعتراض فكل كلام سمعته فان كان حقاً فصدق به وان كان باطلا او كذباً ولم يكن متعلقاً بأمور الدين فاسكت عنه والطعن في كلام الغير تارة يكون في لفظه باظهار خلل فيه من جهة النحو او من جهة اللغة او من جهة العربية او من جهة النظم والترتيب بسوء تقديم او تأخير وذلك يكون تارة من قصور المعرفة وتارة يكون بطغيان اللسان وكيف ما كان فلا وجه لاظهار خلله وأما في المعنى فبأن يقول ليس كما تقول وقد اخطأت فيه من وجه كذا وكذا وأما في قصده فمثل ان

يقول هذا الكلام حق ولكن ليس قصدك منه الحق وانما أنت فيه صاحب غرض وما يجري مجراه وهذا الجنس ان جرى في مسألة علمية ربما خص باسم الجدل وهو ايضا مذموم بل الواجب السكوت او السؤال في معرض الاستفادة لا على وجه العناد والنكادة أو التلطف في التعريف لا في معرض الطعن وأما المجادلة فعبارة عن قصد افحام الغير وتعجيزه وتنقيصه بالقدح في كلامه ونسبته الى القصور والجهل فيه وآية ذلك أن يكون تنبيهه للحق من جهة أخرى مكروها عند المجادل بحيث ان يكون هو المظهر له خطأه ليبين به فضل نفسه ونقص صاحبه ولا نجاة من هذا الا بالسكوت عن كل مالا يأثم به لو سكت عنه وأما الباعث على هذا فهو الترفع باظهار العلم والفضل والتهجم على الغير باظهار نقصه وهما شهوتان للنفس قويتان لها اما اظهار الفضل فهو من قبل تزكية النفس وهي من مقتضى ما في العبد من طغيان دعوى العلو والكبرياء وهي من صفات الربوبية وأما تنقيص الاخر فهو من مقتضى طبع السبعية فانه يقتضي أن يمزق غيره ويقصمه ويصدمه ويؤذيه وهاتان صفتان مذمومتان مهلكتان وانما قوتهما المراء والجدال فالمواظب على المراء والجدال مقو لهذه الصفات المهلكة وهذا مجاوز حد الكراهة بل هو معصية مهما حصل فيه ايذاء الغير ولا تنفك المماراة عن الايذاء وتهييج الغضب وحمل المعترض عليه على ان يعود فينصر كلامه بما يمكنه من حق أو باطل ويقدح في قائله بكل مايتصور له فيثور الشجار بين المتمارين كما يثور الهراش بين الكلبين يقصد كل واحد منهما ان يعض صاحبه بما هو اعظم نكاية وأقوى في افحامه وانجائه وأما علاجه فهو بأن يكسر الكبر الباعث له على اظهار فضله والسبعية الباعثة له على تنقيص غيره علاج كل علة باماطة

سببها وسبب المراء والجدال ماذكرناه ثم المواظبة عليه تجعله عادة وطبعا حتى يتمكن من النفس ويعسر الصبر عنه روي ان أبا حنيفة رحمة الله عليه قال لداود الطائي لم آثرت الانزواء قال لاجاهد نفسي بترك الجدال فقال احضر المجالس واستمع مايقال ولا تتكلم قال ففعلت ذلك فما رأيت مجاهدة أشد علي منه وهو كما قال لان من سمع الخطا من غيره وهو قادر على كشفه تعسر عليه الصبر عند ذلك جداً ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من ترك المراء وهو محق بنى الله له بيتا في اعلى الجنة لشدة ذلك على النفس واكثر مايغلب ذلك في المذاهب والعقائد فان المراء طبع فاذا ظن ان له عليه ثوابا اشتد عليه حرصه وتعاون الطبع والشرع وذلك خطأ محض بل ينبغي للانسان ان يكف لسانه عن اهل الغفلة واذا رأى مبتدعا تلطف في نصحه في خلوة لابطريق الجدال فان الجدال يخيل اليه انها حيلة منه في التلبيس وان ذلك صيغة يقدر المجادلون من اهل مذهبه على امثالها لو ارادوا فتستمر البدعة في قلبه بالجدل وتتأكد فاذا عرف ان النصح لاينفع اشتغل بنفسه وتركه وقال صلى الله عليه وسلم رحم الله من كف لسانه عن اهل القبلة الا بأحسن مايقدر عليه وقال هشام بن عروة كان عليه السلام يردد قوله هذا سبع مرات وكل من اعتاد المجادلة مدة واثنى الناس عليه ووجد لنفسه بسببه عزاً وقبولا قويت فيه هذه المهلكات ولا يستطيع عنها نزوعا اذا اجتمع عليه سلطان الغضب والكبر والرياء وحب الجاه والتعزز بالفضل وآحاد هذه الصفات يشق مجاهدتها فكيف بمجموعها

﴿ فصل في الخصومة ﴾

وهي ايضا مذمومة وهي وراء الجدال والمراء فالمراء طعن في كلام

الغير باظهار خلل فيه من غير ان يرتبط به غرض سوى تحقير الغير واظهار مزية الكياسة والجدال عبارة عن امر يتعلق باظهار المذاهب وتقريرها والخصومة لجاج في الكلام ليستوفي به مال او حق مقصود وذلك تارة بان يكون ابتلاء وتارة يكون اعتراضا والمراء لايكون الا باعتراض على كلام سبق فقد قالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابغض الرجال الى الله الالد الخصم وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جادل في خصومة بغير علم لم يزل في سخط الله حتى ينزل وقال بعضهم اياك والخصومة فانها تمحق الدين ويقال ماخاصم ورع قط في الدين وقال ابن قتيبة مر بي بشر بن عبد الله بن ابي بكرة فقال مايجلسك ههنا قلت خصومة بيني وبين ابن عم لي فقال ان لابيك عندي يداً واني اريد أن اجزيك بها واني والله ما رأيت شيئاً اذهب للدين ولا انقص للمروءة ولا اضيع للذة ولا اشغل للقلب من الخصومة قال فقمت لانصرف فقال لي خصمي مالك قلت لا اخاصمك قال انك عرفت ان الحق لي قلت لا ولكن اكرم نفسي عن هذا قال فاني لا اطلب منك شيئا هو لك فان قلت فاذا كان للانسان حق فلا بد له من الخصومة في طلبه او في حفظه مهما ظلمه ظالم فكيف يكون حكمه وكيف تذم خصومته فاعلم ان هذا الذم يتناول الذي يخاصم بالباطل والذي يخاصم بغير علم مثل وكيل القاضي فانه قبل ان يتعرف ان الحق في اي جانب هو يتوكل في الخصومة من اي جانب كان فيخاصم بغير علم ويتناول الذي يطلب حقه ولكنه لايقتصر على قدر الحاجة بل يظهر اللدد في الخصومة على قدر التسلط او على قصد الايذاء ويتناول الذي يمزج بالخصومة كلمات مؤذية ليس يحتاج اليها في نصرة الحجة واظهار الحق ويتناول الذي يحمله

على الخصومة محض العناد لقهر الخصم وكسره مع انه قد يستحقر ذلك القدر من المال وفي الناس من يصرح به ويقول انما قصدي عناده وكسر غرضه اوني ان اخذت منه هذا المال ربما رميت به في بئر ولا ابالى وهذا مقصوده اللدد والخصومة واللجاج وهو مذموم جداً فاما المظلوم الذي ينصر حجته بطريق الشرع من غير لدود واسراف وزيادة لجاج على قدر الحاجة ومن غير قصد عناد وإيذاء ففعله ليس بحرام ولكن الاولى تركه ماوجد اليه سبيلا فان ضبط اللسان في الخصومة على قدر الاعتدال متعذر والخصومة توغر الصدور وتهيج الغضب واذا هاج الغضب نسي المتنازع فيه وبقي الحقد بين المتخاصمين حتى يفرح كل واحد بمساءة صاحبه ويحزن بمسرته ويطلق اللسان في عرضه فمن بدأ بالخصومة فقد تعرض لهذه المحذورات وأقل مافيه تشويش خاطره حتى انه في صلاته يشتغل بمحاجة خصمه فلا يبقى الامر على حد الواجب فالخصومة مبدأ كل شر وكذا المراء والجدال فينبغي ان لايفتح بابه الالضرورة وعند الضرورة ينبغي ان يحفظ اللسان والقلب عن تبعات الخصومة وذلك متعذر جداً فمن اقتصر على الواجب في خصومته فيسلم من الاثم ولا بد من خصومته الا انه ان كان مستغنيا عن الخصومة فيما خاصم فيه لان عنده مايكفيه فيكون تاركا للاولى ولايكون آثماً نعم أقل مايفوته في الخصومة والمراء والجدال طيب الكلام وما ورد فيه من الثواب اذ أقل درجات طيب الكلام اظهار الموافقة ولا خشونة في الكلام اعظم من الطعن والاعتراض الذى حاصله اما تجهيل واما تكذيب فان من جادل غيره أو ماراه أو خاصمه فقد جهله او كذبه فيفوت به طيب الكلام وقد قال صلى الله عليه وسلم يمكنكم من الجنة طيب الكلام واطعام الطعام وقد قال الله

تعالى وقولوا للناس حسناً وقال ابن عباس رضي الله عنهما من سلم عليك من خلق الله فاردد عليه السلام وان كان مجوسيا ان الله تعالى يقول واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها أوردوها وقال ابن عباس أيضا لو قال لي فرعون خيراً لرددت عليه وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها أعدها الله تعالى لمن أطعم الطعام وألان الكلام وروي ان حكيما مر به خنزير فقال مر بسلام فقيل ياروح الله أتقول هذا لخنزير فقال اكره ان اعود لساني الشر وقال نبينا عليه السلام الكلمة الطيبة صدقة وقال اتقوا النار ولو بشق تمرة فان لم تجدوا فبكلمة طيبة وقال عمر رضي الله عنه البر شيء هين وجه طليق وكلام لين وقال بعض الحكماء الكلام اللين يغسل الضغائن المستكنة في الجوارح وقال بعض الحكماء كل كلام لايسخط ربك الا انك ترضي به جليسك فلا تكن به عليه بخيلا فانه لعله يعوضك منه ثواب المحسنين هذا كله فى فضل الكلام الطيب وتضاده الخصومة والمراء والجدال واللجاج فانه الكلام المستكره الموحش المؤذي للقلب المنغص للعيش المهيج للغضب الموغر للصدر نسأل الله حسن التوفيق بمنه وكرمه

﴿ فصل في التكلف في الكلام ﴾

التقعر في الكلام بالتشدق وتكلف السجع والفصاحة والتصنع فيه بالتشبيبات والمقدمات وما جرت به عادة المتفاصحين للخطابة وكل ذلك من التصنع المذموم ومن التكلف الممقوت الذي قال فيه صلى الله عليه وسلم أنا ان ابغضكم الي وابعدكم مني مجلسا الثرثارون المتفيهقون المتشدقون في الكلام وقالت فاطمه رضي الله

عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم شرار أمتي الذين غذوا بالنعيم يأكلون الوان الطعام ويلبسون الوان الثياب ويتشدقون في الكلام وقال صلى الله عليه وسلم الا هلك المتنطعون ثلاث مرات والتنطع هو التعمق والاستقصاء وقال عمر رضي الله عنه ان شقاشق الكلام من شقاشق الشيطان وجاء عمر ابن سعد بن ابي وقاص الى ابيه سعد يسأله حاجة فتكلم بين يدي حاجته بكلام فقال له سعد ما كنت من حاجتك بابعد منك اليوم اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يأتي على الناس زمان يتخللون الكلام بالسنتهم كما تتخلل البقر الكلاء بالسنتها وكانه أنكر عليه ماقدمه على الكلام من التشبب والمقدمة المصنوعة المتكلفة وهذا أيضاً من آفات اللسان ويدخل فيه كل سجع متكلف وكذلك التفاصح الخارج عن حد العادة وكذلك التكلف بالسجع في المحاورات اذ قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بغرة في الجنين فقال بعض قوم الجاني كيف ندى من لاشرب ولا اكل ولا صاح ولا استهل ومثل ذلك فقال اسجعا كسجع الاعراب وانكر ذلك لان أثر التكلف والتصنع بين عليه بل ينبغي ان يقتصر في كل شيء على مقصوده ومقصود الكلام والتفهيم للغرض وما وراء ذلك تصنع مذموم ولا يدخل في هذا تحسين الفاظ الخطابة والتذكير من غير افراط واغراب فان المقصود منها تحريك القلوب وتشويقها وقبضها وبسطها فلراشقة اللفظ تأثير فيه فهو لائق به فأما المحاورات التي تجري لقضاء الحاجات فلايليق بها السجع والتشدق والاشتغال به من التكلف المذموم ولا باعث عليه الا الرياء واظهار الفصاحة والتميز بالبراعة وكل ذلك مذموم يكرهه الشرع ويزجر عنه

﴿ فصل في الفحش والسب وبذاءة اللسان ﴾

وهو مذموم ومنهي عنه ومصدره الخبث واللؤم قال صلى الله عليه وسلم اياكم والفحش فان الله تعالى لا يحب الفحش ولا التفحش ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ان تسب قتلى بدر من المشركين فقال لا تسبوا هؤلاء فانه لا يخلص اليهم شيء مما تقولون وتؤذون الاحياء الا ان البذاء لؤم وقال صلى الله عليه وسلم ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء وقال صلى الله عليه وسلم الجنة حرام على كل فاحش ان يدخلها وقال صلى الله عليه وسلم لعائشة ياعائشة لو كان الفحش رجلا كان رجل سوء وقال صلى الله عليه وسلم البذاء والبيان شعبتان من شعب النفاق ويحتمل ان يراد بالبيان كشف مالا يجوز كشفه ويحتمل ايضا المبالغة في الايضاح حتى ينتهى الى حد التكلف ويحتمل ايضا البيان في امور الدين وفي صفات الله تعالى فان القاء ذلك مجملا الى اسماع العوام اولى من المبالغة في بيانه اذ قد يثور من غاية البيان فيه شكوك ووساوس فاذا اجملت بادرت القلوب الى القبول ولكن ذكره مقرونا بالبذاء يشبه ان يكون المراد به المجاهرة بما يستحيي الانسان من بيانه فان الاولى في مثله الاغماض والتغافل دون الكشف والبيان وقال صلى الله عليه وسلم ان الله لا يحب الفاحش المتفحش الصياح في الاسواق وقال جابر ابن سمرة كنت جالساً عند النبي صلى الله عليه وسلم وأبي امامي فقال صلى الله عليه وسلم ان الفحش والتفاحش ليسا من الاسلام في شيء وان احسن الناس اسلاما احاسنهم أخلاقا وقال ابراهيم بن ميسرة يقال يؤتى بالفاحش المتفحش يوم القيامة في صورة كلب أو في جوف كلب وقال الاحنف بن قيس الا أخبركم بأدوأ الداء

اللسان البذيء والخلق الدنيء فهذه مذمة الفحش فأما حده وحقيقته فهو التعبير عن الامور المستقبحة بالعبارات الصريحة وأكثر ذلك يجري في ألفاظ الوقاع وما يتعلق به فان لاهل الفساد عبارات صريحة فاحشة يستعملونها فيه وأهل الصلاح يتحاشون عنها بل يكنون عنها ويدلون عليها بالرموز فيذكرون ما يقاربها ويتعلق بها وقال ابن عباس ان الله حي كريم يعفو ويكنو كنى باللمس عن الجماع فالمسيس والمس والدخول والصحبة كنايات عن الوقاع وليست بفاحشة وهناك عبارات فاحشة يستقبح ذكرها ويستعمل اكثرها في الشتم والتعيير وهذه العبارات متفاوتة في الفحش وبعضها افحش من بعض وربما اختلف ذلك بعادة البلاد واوائلها مكروهة واواخرها محظورة وبينهما درجات يتردد فيها وليس يختص هذا بالوقاع بل الكناية بقضاء الحاجة عن البول والغائط أولى من لفظ التغوط ونحوه وغيرهما فان هذا أيضا مما يخفى وكل ما يخفى يستحيي منه فلا ينبغي ان يذكر الفاظه الصريحة فانه فحش وكذلك يستحسن في العادة الكناية عن النساء فلا يقال قالت زوجتك كذا بل يقال قيل في الحجرة أو من وراء الستر أو قالت أم الاولاد فالتلطف في هذه الالفاظ محمود والتصريح فيها يفضي الى الفحش وكذلك من به عيوب يستحي منها فلا ينبغي ان يعبر عنها بصريح لفظها كالبرص والقرع والبواسير بل يقال العارض الذي يشكوه وما يجرى مجراه فالتصريح بذلك داخل في الفحش وجميع ذلك من آفات اللسان قال العلاء بن هرون كان عمر بن عبد العزيز يتحفظ في منطقه فخرج تحت ابطه خراج فأتيناه نسأله لنرى مايقول فقلنا من اين خرج فقال من باطن البدن والباعث على الفحش اما قصد الايذاء واما الاعتياد الحاصل من مخالطة

الفساق واهل الخبث واللؤم ومن عادتهم السب وقال اعرابي لرسول الله صلى الله عليه وسلم اوصني فقال عليك بتقوى الله وان امرؤ غيرك بشيء يعلمه فيك فلا تعيره بشيء تعلمه فيه يكن وباله عليه واجره لك ولا تسبن شيئاً قال فما سببت شيئاً بعده وقال عياض بن حماد قلت يارسول الله ان الرجل من قومي يسبني وهو دوني هل علي من باس ان انتصر منه فقال المستبان شيطانان يتكاذبان ويتهاتران وقال صلى الله عليه وسلم سباب المؤمن فسوق وقتاله كفر وقال صلى الله عليه وسلم المستبان ما قالا فعلى البادىء حتى يعتدى المظلوم وقال صلى الله عليه وسلم ملعون من سب والديه وفي رواية من اكبر الكبائر ان يسب الرجل والديه قالوا يارسول الله كيف يسب الرجل والديه قال يسب أبا الرجل فيسب الآخر أباه

﴿ فصل في اللعن ﴾

اما لحيوان او جماد او انسان وكل ذلك مذموم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمن ليس بلعان وقال صلى الله عليه وسلم لا تلاعنوا بلعنة الله ولا بغضبه ولا بجهنم وقال حذيفة ما تلاعن قوم قط الا حق عليهم القول وقال عمران بن حصين بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره اذ امرأة من الانصار على ناقة لها فضجرت منها فلعنتها فقال صلى الله عليه وسلم خذوا ما عليها وأعروها فانها ملعونة قال فكاني أنظر الى تلك الناقة تمشي بين الناس لا يعرض لها أحد وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اللعانين لا يكونون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة وقال انس كان رجل يسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على بعير فلعن بعيره فقال صلى الله عليه وسلم ياعبد الله لا تسر معنا على بعير ملعون وقال ذلك انكارا عليه واللعن

عبارة عن الطرد والابعاد من الله تعالى وذلك غير جائز الا على من اتصف بصفة تبعده من الله عز وجل وهو الكفر والظلم بان يقول لعنة الله على الظالمين وعلى الكافرين وينبغي أن يتبع فيه لفظ الشرع فان في اللعنة خطراً لانه حكم على الله عز وجل بانه قد ابعد الملعون وذلك غيب لا يطلع عليه غير الله تعالى ويطلع عليه رسوله صلى الله عليه وسلم اذا أطلعه الله عليه والصفات المقتضية للعن ثلاثة الكفر والبدعة والفسق * وللعن في كل واحدة ثلاث مراتب الاولى اللعن بالوصف الاعم كقولك لعنة الله على الكافرين والمبتدعين والفسقة الثانية اللعن باوصاف أخص منه كقولك لعنة الله على اليهود والنصارى والمجوس وعلى القدرية والخوارج والروافض أو على الزناة والظلمة وآكلي الربا وكل ذلك جائز ولكن في لعن اوصاف المبتدعة خطر لان معرفة البدعة غامضة ولم يرد فيه لفظ مأثور فينبغى أن يمنع منه العوام لان ذلك يستدعي المعارضة بمثله ويثير نزاعا بين الناس وفساداً الثالثة اللعن للشخص المعين وهذا فيه خطر كقولك زيد لعنه الله وهو كافر أو فاسق أو مبتدع والتفصيل فيه ان كل شخص ثبتت لعنته شرعا فتجوز لعنته كقولك فرعون لعنه الله وأبو جهل لعنه الله لانه قد ثبت أن هؤلاء ماتو على الكفر وعرف ذلك شرعا أما شخص بعينه في زماننا كقولك زيد لعنه الله وهو يهودي مثلا فهذا فيه خطر فانه ربما يسلم فيموت مقربا عند الله فكيف يحكم بكونه ملعونا فان قلت يلعن لكونه كافرا في الحال كما يقال للمسلم رحمه الله لكونه مسلما في الحال وان كان يتصور أن يرتد فاعلم أن معنى قولنا رحمه الله أي ثبته الله على الاسلام الذى هو سبب الرحمة وعلى الطاعة ولا يمكن أن يقال ثبت الله الكافر على ماهو سبب اللعنة فان هذا سؤال للكفر وهو في نفسه كفر بل الجائز أن

يقال لعنه الله ان مات على الكفر ولا لعنه الله ان مات على الاسلام وذلك غيب لايدري والمطلق متردد بين الجهتين ففيه خطر وليس في ترك اللعن خطر واذا عرفت هذا في الكافر فهو في زيد الفاسق أو زيد المبتدع أولى فلعن الاعيان فيه خطر لان الاعيان تتقلب في الاحوال الامن رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه يجوز أن يعلم من يموت على الكفر ولذلك عين قوما باللعن فكان يقول في دعائه على قريش اللهم عليك بأبي جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وذكر جماعة قتلوا على الكفر ببدر حتى ان من لم تعلم عاقبته كان يلعنه فنهى عنه اذروي انه كان يلعن الذين قتلوا أصحاب بئر معونة في قنوته شهراً فنزل قوله تعالي ليس لك من الامر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون يعنى انهم ربما يسلمون فمن أين تعلم انهم ملعونون وكذلك من بان لنا موته على الكفر جاز لعنه وجاز ذمه ان لم يكن فيه أذى على مسلم فان كان لم يجز كما روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل أبا بكر رضى الله عنه عن قبر مر به وهو يريد الطائف فقال هذا قبر رجل كان عاتيا على الله ورسوله وهو سعيد بن العاص فغضب ابنه عمرو بن سعيد وقال يارسول الله هذا قبر رجل كان أطعم للطعام وأضرب للهام من أبى قحافة فقال أبو بكر يكلمنى هذا يارسول الله بمثل هذا الكلام فقال صلى الله عليه وسلم اكفف عن ابي بكر فانصرف ثم اقبل على ابى بكر فقال ياابا بكر اذا ذكرتم الكفار فعمموا فانكم اذا خصصتم غضب الابناء للآباء فكف الناس عن ذلك وشرب نعيمان الخمر فحد مرات في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعض الصحابة لعنه الله ما اكثر ما يؤتى به فقال صلى الله عليه وسلم لا تكن عونا للشيطان على اخيك وفي رواية لا تقل هذا فانه يحب الله ورسوله فنهاه عن

ذلك وهـذا يدل على ان لعن فاسق بعينه غـير جائز وعلى الجملة ففي لعن الاشخاص خطر فليجتنب ولا خطر في السكوت عن لعن ابليس مثلا فضلا عن غيره ولا يجوز أن يرمي مسلم بفسق وكفر من غير تحقيق قال صلى الله عليه وسلم لا يرمي رجل رجلا بالكفر ولا يرميه بالفسق الا ارتدت عليه ان لم يكن صاحبه كذلك وقال صلى الله عليه وسلم ماشهد رجل على رجل بالكفر الا باء به أحدهما ان كان كافرا فهو كما قال وان لم يكن كافرا فقد كفر بتكفيره اياه وهذا معناه أن يكفره وهو يعلم انه مسلم فان ظن انه كافر ببدعة أو غيرها كان مخطئاً لا كافراً وقال معاذ قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهاك ان تشتم مسلماً أو تعصي اماماً عادلا والتعرض للاموات أشد قال مسروق دخلت على بعض الصحابيات فقالت ما فعل فلان لعنـه الله قلت توفي قالت رحمه الله قلت وكيف هذا قالت قال رسول الله صـلى الله عليه وسلم لا تسبوا الاموات فانهم قد أفضوا الى ماقدموا وقال عليه السلام لا تسبوا الاموات فتؤذوا به الاحياء وقال عليه السلام أيها الناس احفظوني في أصحابي واخواني واصهاري ولا تسبوهم أيها الناس اذا مات الميت فاذكروا منه خيراً فان قيل فهل يجوز أن يقال قاتل الحسين لعنه الله او الآمر بقتله لعنـه الله قلنا الصواب أن يقال قاتل الحسين ان مات قبل التوبة لعنه الله لانه يحتمل ان يموت بعد التوبة فان وحشيا قاتل حمزة عم رسول الله صلى الله عليه وسلم قتله وهو كافر ثم تاب عن الكفر والقتل جميعاً ولا يجوز أن يلعن والقتل كبيرة ولا تنتهى الى رتبـة الكفر فاذا لم يقيد بالتوبة واطلق كان فيه خطر وليس في السكوت خطر فهو أولى وانما اوردنا هذا لتهاون الناس باللعنة واطلاق اللسان بها والمؤمن ليس بلعان فلا ينبغي أن يطلق اللسـان باللعنة الاعلى من

مات على الكفر أو على الاجناس المعروفين باوصافهم دون الاشخاص المعينين فالاشتغال بذكر الله اولى فان لم يكن ففي السكوت سلامة قال مكي بن ابراهيم كنا عند ابن عون فذكروا بلال بن أبي برده فجعلوا يلعنونه ويقعون فيه وابن عون ساكت فقالوا ياابن عون انما نذكره لما ارتكب منك فقال انما هما كلمتان تخرجان من صحيفتي يوم القيامة لااله الا الله ولعن الله فلاناً فلأن يخرج من صحيفتي لااله الا الله أحب الي من ان تخرج منها لعن الله فلانا وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أوصني فقال أوصيك ان لا تكون لعانا وقال ابن عمران أبغض الناس الى الله كل طعان لعان وقال بعضهم لعن المؤمن يعدل قتله وقال حماد بن زيد بعد أن روى هذا لو قلت انه مرفوع لم أبال وعن أبي قتادة قال كان يقال من لعن مؤمنا فهو مثل أن يقتله وقد نقل ذلك مرفوعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقرب من اللعن الدعاء على الانسان بالشر حتى الدعاء على الظالم كقول الانسان مثلا لا صحح الله جسمه ولا سلمه الله وما يجري مجراه فان ذلك مذموم وفي الخبر ان المظلوم ليدعو على الظالم حتى يكافئه ثم يبقى للظالم عنده فضلة يوم القيامة .

﴿ فصل في المزاح ﴾

وأصله مذموم منهي عنه الا قدراً يسيرا يستثنى منه قال صلى الله عليه وسلم لا تمار أخاك ولا تمازحه فان قلت المماراة فيها ايذاء لان فيها تكذيبا للأخ والصديق أو تجهيلا له وأما المزاح فمطايبة وفيه انبساط وطيب قلب فلم ينهي عنه فاعلم ان المنهي عنه الافراط فيه أو المداومة عليه أما المداومة عليه فلانه اشتغال باللعب والهزل واللعب مباح ولكن المواظبة

عليه مذمومة وأما الافراط فيه فانه يورث كثرة الضحك وكثرة الضحك تميت القلب وتورث الضغينة في بعض الاحوال وتسقط المهابة والوقار فما يخلو عن هذه الامور فلا يذم كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اني لامزح ولا أقول الا حقا الا أن مثله يقدر على ان يمزح ولا يقول الا حقا وأما غيره اذا فتح باب المزاح كان غرضه ان يضحك الناس كيف ما كان وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها جلساءه يهوى بها في النار أبعد من الثريا وقال عمر رضي الله عنه من كثر ضحكه قلت هيبته ومن مزح استخف به ومن اكثر من شيء عرف به ومن كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه قل حياؤه ومن قل حياؤه قل ورعه ومن قل ورعه مات قلبه ولان الضحك يدل على الغفلة عن الاخرة قال صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما اعلم لبكيتم كثيراً ولضحكتم قيلا وقال رجل لاخيه يا أخي هل أتاك انك وارد النار قال نعم قال فهل أتاك انك خارج منها قال لا قال ففيم الضحك قيل فما رؤي ضاحكا حتى مات وقال يوسف بن أسباط أقام الحسن ثلاثين سنة لم يضحك وقيل أقام عطاء السلمي أربعين سنة لم يضحك ونظر وهيب بن الورد الى قوم يضحكون في عيد فطر فقال ان كان هؤلاء قد غفر لهم فما هذا فعل الشاكرين وان كان لم يغفر لهم فما هذا فعل الخائفين وكان عبد الله بن أبي يعلى يقول اتضحك ولعل اكفانك قد خرجت من عند القصار وقال ابن عباس من أذنب ذنبا وهو يضحك دخل النار وهو يبكي وقال محمد بن واسع اذا رأيت في الجنة رجلا يبكي ألست تعجب من بكائه قيل بلى قال فالذي يضحك في لدنيا ولا يدري الى ماذا يصير هو أعجب

منه فهذه آفة الضحك والمذموم منه ان يستغرق ضحكا والمحمود منه التبسم الذي ينكشف فيه السن ولا يسمع له صوت وكذلك كان ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال القاسم مولى معاوية أقبل اعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم على قلوص له صعب فسلم فجعل كلما دنا من النبي صلى الله عليه وسلم ليسأله يفر به فجعل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحكون منه ففعل ذلك مراراً ثم وقصه فقتله فقيل يارسول الله ان الاعرابي قد صرعه قلوصه وقد هلك فقال نعم وأفواهكم ملأى من دمه وأما اذا أدى المزاح الى سقوط الوقار فقد قال عمر رضي الله عنه من مزح استخف به وقال محمد بن المنكدر قالت لي أمي يابني لا تمازح الصبيان فتهون عندهم وقال سعيد بن العاص لابنه يابنيّ لا تمازح الشريف فيحقد عليك ولا الدنيء فيجترئ عليك وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى اتقوا الله واياكم والمزاح فانه يورث الضغينة ويجرّ الى القبيح تحدّثوا بالقرآن وتجالسوا به فان ثقل عليكم فحديث حسن من حديث الرجال وقال عمر رضي الله عنه أتدرون لم سمي المزاح مزاحا قالوا لا قال لانه أزاح صاحبه عن الحق وقيل لكل شيء بذر وبذر العداوة المزاح ويقال المزاح مسلبة للنهي مقطعة الاصدقاء فان قلت فقد نقل المزاح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فكيف ينهى عنه فأقول ان قدرت على ماقدر عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وهو أن تمزح ولا تقول الا حقا ولا تؤذي قلبا ولا تفرط فيه وتقتصر عليه احيانا على الندور فلا حرج عليك فيه ولكن من الغلط العظيم أن يتخذ الانسان المزاح حرفة يواظب عليه ويفرط فيه ثم يتمسك بفعل الرسول صلى الله عليه وسلم وهو كمن يدور نهاره مع الزنوج ينظر

اليهم والى رقصهم ويتمسك بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أذن لعائشة في النظر الى رقص الزنوج في يوم عيد وهو خطأ اذ من الصغائر مايصير كبيرة بالاصرار ومن المباحات مايصير صغيرة بالاصرار فلا ينبغي أن يغفل عن هذا نعم روى أبو هريرة أنهم قالوا يارسول الله انك تداعبنا فقال اني وان داعبتكم لا أقول الا حقا وقال عطاء أن رجلا سأل ابن عباس أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمزح فقال نعم قال فما كان مزاحه قال كان مزاحه انه صلى الله عليه وسلم كسا ذات يوم امرأة من نسائه ثوبا واسعاً فقال لها البسيه واحمليه وجرى منه ذيلا كذيل العروس وقال انس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان من أفكه الناس مع نسائه وروي انه كان كثير التبسم وعن الحسن قال أتت عجوز الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال لها صلى الله عليه وسلم لايدخل الجنة عجوز فبكت فقال انك لست بعجوز يومئذ قال الله تعالى انا انشأناهن انشاء فجعلناهن أبكاراً وقال زيد بن اسلم ان امرأة يقال لها أم أيمن جاءت الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت ان زوجي يدعوك قال ومن هو أهو الذي بعينه بياض قالت والله مابعينه بياض فقال بلى ان بعينه بياضا فقالت لا والله فقال صلى الله عليه وسلم مامن أحد الا وبعينه بياض وأراد بالبياض المحيط بالحدقة وجاءت امرأة أخرى فقالت يارسول الله احملني على بعير فقال بل نحملك على ابن البعير فقالت ماأصنع به انه لايحملني فقال صلى الله عليه وسلم مامن بعير الا وهو ابن بعير فكان يمزح وقال أنس كان لابي طلحة ابن يقال له أبو عمير وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتيهم ويقول أبا عمير ما فعل النغير (لنغير كان يلعب به وهو فرخ العصفور) وقالت عائشة رضى الله عنها خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

في غزوة بدر فقال تعالى حتى أسابقك فشددت على درعي ثم خططنا خطا
فقمنا عليه واستبقت فسبقني وقال هذه مكان ذي المجاز وذلك انه جاء يوما
ونحن بذى المجاز وأنا جارية قد بعثني أبي بشيء فقال أعطينيه فأبيت وسعيت
وسعى في اثرى فلم يدركني وقالت أيضا سابقني رسول الله صلى الله عليه وسلم
فسبقته فلما حملت اللحم سابقني فسبقني وقال هذه بتلك وقالت أيضا رضى
الله عنها كان عندي رسول الله صلى الله عليه وسلم وسودة بنت زمعة
فصنعت خزيرا وجئت به فقلت لسودة كلي فقالت لاأحبه فقلت والله
لتأكلن أو لالطخن به وجهك فقالت ماأنا ذائقته فأخذت بيدي من الصحفه
شيئا منه فلطخت به وجهها ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس بيني
وبينها فخفض لها ركبته لتستقيد فتناولت من الصحفة شيئا فمسحت به
وجهي وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك وروى ان الضحاك
ابن سفيان الكلابي كان رجلا دميما قبيحا فلما بايعه النبي صلى الله عليه وسلم
قال ان عندي امرأتين أحسن من هذه الحميراء وذلك قبل ان تنزل آية
الحجاب أفلا انزل لك عن احداهما فتتزوجها وعائشة جالسة تسمع فقالت أهي أحسن
أم أنت فقال بل أنا أحسن منها واكرم فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم من
سؤالها اياه لانه كان دميما وروى علقمة عن أبي سلمة انه كان صلى الله عليه وسلم يدلع
لسانه للحسن بن على رضي الله عنهما فيرى الصبي لسانه فيهش له فقال له عيينة بن بدر
الفزاري رضي الله عنهما والله ليكونن لى الابن قد تزوج وبقل وجهه وماقبلته قط
فقال صلى الله عليه وسلم ان من لا يرحم لا يرحم فأكثر هذه المطايبات منقولة مع
النساء والصبيان وكان ذلك منه صلى الله عليه وسلم معالجة لضعف قلوبهم
من غير ميل الى هزل وقال صلي الله عليه وسلم مرة لصهيب وبه رمد وهو

يأكل تمراً أتأكل التمر وأنت رمد فقال انما آكل بالشق الاخر يارسول الله فتبسم صلى الله عليه وسلم قال بعض الرواة حتى نظرت الى نواجذه وروي أن خوات بن جبير الانصاري كان جالساً الى نسوة من قريش بطريق مكة فطلع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أبا عبد الله مالك مع النسوة فقال يفتلن ضفيراً لجمل لي شرود قال فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجته ثم عاد فقال يا أبا عبد الله أما ترك ذلك الجمل الشراد بعد قال فسكت واستحييت وكنت بعد ذلك اتفرر منه كلما رأيته حياء منه حتى قدمت المدينة وبعد ماقدمت المدينة قال فرآني في المسجد يوماً أصلي فجلس الي فطولت فقال لا تطول فاني انتظرك فلما سلمت قال يا أبا عبد الله أما ترك ذلك الجمل الشراد بعد قال فسكت واستحييت فقام وكنت بعد ذلك اتفرر منه حتى لحقني يوماً وهو على حمار وقد جعل رجليه في شق واحد فقال يا أبا عبد الله أما ترك ذلك الجمل الشراد بعد فقلت والذي بعثك بالحق ما شرد منذ أسلمت فقال الله أكبر الله أكبر اللهم اهد أباعبد الله قال فحسن اسلامه وهداه الله وكان نعيمان الانصارى رجلا مزاحا فكان يشرب الخمر في المدينة فيؤتى به الى النبي صلى الله عليه وسلم فيضربه بنعله ويأمر اصحابه فيضربونه بنعالهم فلما كثر ذلك منه قال له رجل من الصحابة لعنك الله فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لا تفعل فانه يحب الله ورسوله وكان لا يدخل المدينة رسل ولا طرفة الا اشترى منها ثم اتى بها النبي صلى الله عليه وسلم فيقول يارسول الله هذا قد اشتريته لك واهديته لك فاذا جاء صاحبها يتقاضاه بالثمن جاء به الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال يارسول الله اعطه ثمن متاعه فيقول له صلى الله عليه وسلم او لم تهده لنا فيقول يارسول الله انه لم يكن عندي ثمنه

واحببت ان تأكل منه فيضحك النبى صلي الله عليه وسلم ويأمر لصاحبه بثمنه فهذه مطايبات يباح مثلها على الندور

﴿ فصل في السخرية ﴾

السخرية الاستهزاء وهذا محرم مهما كان مؤذيا كما قال تعالى يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ومعنى السخريه الاستهانة والتحقير والتنبيه على العيوب والنقائص على وجه يضحك منه وقد يكون ذلك بالمحاكاة في الفعل والقول وقد يكون بالاشارة والايماء واذا كان بحضرة المستهزأ به لم يسم ذلك غيبة وفيه معنى الغيبة وقالت عائشة رضى الله عنها حاكيت انسانا فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم والله ما أحب اني حاكيت انسانا ولى كذا وكذا وقال ابن عباس في قوله تعالى ياويلتنا مالهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها ان الصغيرة التبسم استهزاء بالمؤمن

وقال صلى الله عليه وسلم ان المستهزئين بالناس يفتح لاحدهم باب من الجنة فيقال هلم هلم فيجيء بكربه وغمه فاذا اتاه اغلق دونه ثم يفتح له باب آخر فيقال هلم هلم فيجيء بكربه وغمه فاذا اتاه اغلق دونه فما يزال كذلك حتى ان الرجل ليفتح له الباب فيقال له هلم هلم فلا يأتيه وقال معاذ بن جبل قال النبي صلى الله عليه وسلم من عير اخاه بذنب قد تاب منه لم يمت حتى يعمله وكل هذا يرجع الى استحقار الغير والضحك عليه والاستهانة به والاستصغار له وعليه نبه قوله تعالى عسى ان يكونوا خيرا منهم اي لا تستحقره استصغاراً فلعله خير منك وهذا انما يحرم في حق من يتأذى به فأما من جعل نفسه مسخرة وربما فرح من ان يسخر به كانت السخرية في حقه من

جملة المزح وقد سبق مايذم منه وما يمدح وانما المحرم استصغار يتأذى به المستهزأ به لما فيه من التحقير والتهاون وذلك تارة بأن يضحك على كلامه اذا تخبط فيه ولم ينتظم او على افعاله اذا كانت مشوشة كالضحك على حفظه وعلى صنعته أو على صورته وخلقته اذا كان قصيراً او ناقصا لعيب من العيوب فالضحك من جميع ذلك داخل في السخرية المنهى عنها

﴿ فصل افشاء السر ﴾

افشاء السر منهي عنه لما فيه من الايذاء والتهاون بحق المعارف والاصدقاء قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا حدث الرجل الحديث ثم التفت فهي امانة وقال مطلقا الحديث بينكم امانة وقال الحسن ان من الخيانة ان تحدث بسر اخيك ويروى ان معاوية رضى الله عنه اسر الى الوليد بن عتبة حديثا فقال لابيه يا ابت ان امير المؤمنين اسر الى حديثا وما اراه يطوى عنك قال فلا تحدثني به فان من كتم سره كان الخيار اليه ومن افشاه كان الخيار عليه قال فقلت يا ابت وان هذا ليدخل بين الرجل وبين ابنه فقال لا والله يابني ولكن احب ان لا تذلل لسانك باحاديث السر قال فاتيت معاوية فاخبرته فقال ياوليد اعتقك ابوك من رق الخطا فافشاء السر خيانة وهو حرام اذا كان فيه اضرار ولؤم ان لم يكن فيه اضرار

﴿ فصل في خلف الوعد ﴾

ان اللسان سباق الى الوعد ثم النفس ربما لا تسمح بالوفاء فيصير الوعد خلفا وذلك من امارات النفاق قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اوفوا بالعقود وقال صلى الله عليه وسلم العدة عطية وقال صلى الله عليه وسلم الوأى مثل الدين او افضل والوأى الوعد وقد اثنى الله تعالى على نبيه اسمعيل

عليه السلام في كتابه العزيز فقال انه كان صادق الوعد قيل انه واعد انسانا في موضع فلم يرجع اليه ذلك الانسان بل نسي فبقي اسمعيل اثنين وعشرين يوماً في انتظاره ولما حضرت عبد الله بن عمر الوفاة قال انه كان خطب الى ابنتى رجل من قريش وقد كان مني اليه شبه الوعد فوالله لا القى الله بثلث النفاق أشهدكم أني قد زوجته ابنتى وعن عبد الله بن أبي الخنساء قال بايعت النبي صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث وبقيت له بقية فواعدته ان آتيه بها في مكانه ذلك فنسيت يومى والغد فاتيته اليوم الثالث وهو في مكانه فقال يافتي لقد شققت على انا ههنا منذ ثلاث انتظرك وقيل لابراهيم الرجل يواعد الميعاد فلا يجيء قال ينتظره الى ان يدخل وقت الصلاة التى تجيء وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا وعد وعدا قال عسى وكان ابن مسعود لايعد وعدا الا ويقول ان شاء الله وهو الاولى ثم اذا فهم مع ذلك الجزم في الوعد فلا بد من الوفاء الا أن يتعذر فان كان عند الوعد عازماً على ان لايفي فهذا هو النفاق وقال أبو هريرة قال النبى صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا أئتمن خان وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع من كن فيه كان منافقاً ومن كانت فيه خلة منهن كان فيه خلة من النفاق حتى يدعها اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا عاهد غدر واذا خاصم فجر وهذا ينزل على من وعد وهو على عزم الخلف او ترك الوفاء من غير عذر فأما من عزم على الوفاء فمن له عذر منعه من الوفاء لم يكن منافقا وان جرى عليه ماهو صورة النفاق ولكن ينبغي أن يحترز من صورة النفاق أيضاً كما يحترز من حقيقته ولا ينبغي أن يجعل نفسه

معذورا من غير ضرورة فقد روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان وعد أبا الهيثم ابن التيهان خادما فأتي بثلاثة من السبي فأعطى اثنين وبقي واحد فأتت فاطمة رضي الله عنها تطلب منه خادماً وتقول ألا ترى أثر الرحى بيدي فذكر موعده لابي الهيثم فجعل يقول كيف بموعدي لابي الهيثم فآثره به على فاطمة لما كان قد سبق من موعده له مع انها كانت تدير الرحى بيدها الضعيفة ولقد كان صلى الله عليه وسلم جالساً يقسم غنائم هوازن بحنين فوقف عليه رجل من الناس فقال ان لى عندك موعدا يارسول الله قال صدقت فاحتكم ماشئت فقال احتكم ثمانين ٣ صائبة وراعيها قال هي لك وقال احتكمت يسيراً

﴿ فصل في الغيبه ﴾

قال الله تعالى ولا يغتب بعضكم بعضاً أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله ان الله تواب رحيم قال النووى رحمه الله أعلم أنه ينبغي لكل مكلف أن يحفظ لسانه عن جميع الكلام الا كلاما ظهرت فيه المصلحة ومتى استوي الكلام وتركه في المصلحة فالسنة لامساك عنه لانه قد يجر الكلام المباح الى حرام أو مكروه وذلك كثير في العادة والسلامة لا يعدلها شيء وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من كان يؤمن بالله واليوم لآخر فليقل خيراً أو ليصمت رواه البخاري ومسلم قال النووي رحمه الله تعالى وهذا صريح في أنه ينبغى أن لا يتكلم الا اذا كان الكلام خيراً وهو الذي ظهرت مصلحته ومتى شك في ظهور المصلحة فلا يتكلم وعن أبي موسى الاشعري رضي الله عنه قال قلت يارسول الله أي المسلمين أفضل قال من سلم المسلمين من لسانه ويده رواه البخاري ومسلم

وقال صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى ما كان يظن ان تبلغ ما بلغت يكتب الله تعالى له بها رضوانه الى يوم يلقاه وان الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما كان يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله تعالى له بها سخطه الى يوم يلقاه رواه مالك في الموطا والترمذي وقال حديث حسن صحيح وقال صلى الله عليه وسلم لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله فان كثرة الكلام بغير ذكر الله قسوة القلب وان أبعد الناس من الله القلب القاسي رواه الترمذي وعن معاذ قال قلت يارسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار قال لقد سألت عن عظيم وانه ليسير على من يسره الله عليه تعبد الله ولا تشرك به شيأ وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان ثم قال ألا أدلك على أبواب الخير الصوم جنة والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار وصلاة الرجل في جوف الليل ثم تلا تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا حتى بلغ يعملون ثم قال ألا أخبرك برأس الامر وعموده وذروة سنامه الجهاد ثم قال ألا أخبرك بملاك ذلك كله قلت بلى يارسول الله فأخذ بلسانه ثم قال كف عليك هذا قلت يارسول الله وانا لمؤاخذون بما نتكلم به فقال ثكلتك أمك وهل يكب الناس في النار على وجوههم أو على مناخرهم الاحصائد ألسنتهم رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال لمن حوله من أمته اكفلوا لي بست أكفل لكم بالجنة قلت ماهي يارسول الله قال الصلاة والزكاة والامانة والفرج والبطن واللسان رواه الطبراني في الاوسط باسناد لابأس به وعن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتدرون ما الغيبة قالوا الله ورسوله أعلم

قال ذكرك أخاك بما يكره قيل أفرأيت ان كان في أخي ما أقول قال ان
كان فيه ما تقول فقد اغتبته وان لم يكن فيه ما تقول فقد بهته رواه
مسلم وعن عائشة رضي الله عنها قالت قلت للنبي صلى الله عليه وسلم
حسبك من صفية كذا وكذا قال بعض الرواة تعني قصيرة فقال لقد قلت
كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته قال وحكيت له انسانا فقال ما أحب اني
حكيت انسانا وان لي كذا وكذا رواه أبو داود والترمذي وقال
حديث حسن صحيح ومعنى مزجته أي خالطته مخالطة يتغير طعمه بها أو ريحه
لشدة نتنها وقبحها وقال صلى الله عليه وسلم لما عرج بي مررت بقوم لهم
اظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم فقلت من هؤلاء ياجبريل
قال هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم رواه أبو داود
وقال صلى الله عليه وسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه رواه
مسلم وقال صلى الله عليه وسلم يامعشر من آمن بلسانه ولم يدخل الايمان
قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فانه من يتبع عورة أخيه يتبع
الله عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه في جوف بيته وقال أبو هريرة رضي
الله عنه من أكل لحم أخيه في الدنيا قرب الله اليه لحمه في الآخرة وقيل له
كله ميتا كما أكلته حيا فيأكله ويصيح ويكلح وقال مجاهد في قوله تعالي ويل
لكل همزة لمزة الهمزة الطعان في الناس واللمزة الذى يأكل لحوم الناس وقال
ابن عباس رضي الله عنهما اذا أردت أن تذكر عيوب صاحبك فاذكر
عيوبك وقال صلى الله عليه وسلم ما النار في اليابس بأسرع من الغيبة في
حسنات العبد وروي أن رجلا قال للحسن بلغني انك تغتابني فقال مابلغ من
قدرك عندي أن أحكمك في حسناتي وقال ابن المبارك لو كنت مغتابا

أحداً لاغتبت والديَّ فانهما أحق بحسناتي وقال ابن مسعود رضي الله عنه مامن شيء أحق بطول السجن من اللسان وقال غيره مثل اللسان مثل السبع ان لم توثقه عدا عليك وعن يحيي بن مسعود أن عيسى بن مريم عليهما السلام لقي خنزيرا على الطريق فقال له اذهب بسلام فقيل له تقول هذا للخنزير فقال عيسى انى أكره أن أعود لساني النطق بسوء

وروى الترمذى عن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من رد عن عرض أخيه رد الله عن وجهه النار يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم من اغتيب عنده أخوه المسلم وهو يقدر على نصره فنصره نصره الله في الدنيا والآخرة فان لم ينصره وهو يقدر على نصره أذله الله بها في الدنيا والآخرة وقال ميمون بن يسار بينا أنا نائم اذا انا بجيفة زنجي وقائل يقول كل قلت ياعبد الله ولم آكل قال بما اغتبت عبدك فلان قلت والله ماذكرت فيه خيرا ولا شرا قال لكنك سمعت ورضيت فكان ميمون لايغتاب أحدا ولا يدع أحدا ان يغتاب عنده احدا وقال صلى الله عليه وسلم المستمع احد المغتابين

وقال النووى رحمه الله تباح الغيبة بستة اسباب احدها التظلم فيجوز للمظلوم ان يتظلم الى السلطان والقاضي وغيرهما ممن له ولاية او قدرة على انصافه من ظالمه فيقول ظلمني فلان او فعل بى كذا الثاني الاستعانة على تغيير المنكر ورد العاصي الى الصواب فيقول لمن يرجو قدرته على ازالة المنكر فلان يعمل كذا فازجره عنه ونحو ذلك الثالث الاستفتاء بأن يقول للمفتي ظلمني أبي او اخي بكذا فهل له ذلك ام لا وما طريقي في الخلاص منه ودفع ظلمه عني ونحو ذلك وكذا قوله زوجتي تفعل معى كذا وزوجي

يضربني ويقول لي كذا فهذا جائز للحاجة والاحوط أن يقول ماتقول في رجل
أو زوج أو والد كان من أمره كذا وكذا ومع ذلك فالتعيين جائز لحديث
هند في الصحيحين ان أبا سفيان شحيح الحديث الرابع تحذير المسلمين من
الشر وذلك من وجوه منها جرح المجروحين من الرواة والشهود والمصنفين
وذلك جائز بالاجماع بل واجب صونا للشريعة ومنها الاخبار بعيبه عند
المشاورة في مواصلته ومنها اذا رأيت من يشترى شيئا معيبا أو عبدا سارقا
أو شاربا أو زانيا تذكره للمشتري اذا لم يعلمه نصيحة لابقصد الايذاء
والافساد ومنها اذا رأيت متفقها يتردد الى فاسق أو مبتدع يأخذ عنه علما
وخفت عليه ضرورة فعليك نصيحته ببيان حاله قاصدا للنصيحة ومنها أن
تكون له ولاية لايقوم بها على وجهها لعدم أهليته أو فسقه فيذكره لمن
له عليه ولاية ليستبدل به أو يعرف حاله فلا يغتر به أو يلزمه الاستقامة
الخامس أن يكون مجاهرا بفسقه أو بدعته كالخمر ومصادرة الناس وجباية
المكوس وتولى الامور الباطلة فيجوز ذكره بما يجاهر به ولا يجوز بغيره
الا بسبب آخر السادس التعريف فاذا كان معروفا بلقب كالاعمش والأعرج
والازرق والقصير ونحوها جاز تعريفه وقال أبو الليث السمرقندى رحمه
الله الغيبة على أربعة أوجه ففي الوجه الاول هي كفر وهو اذا اغتاب المسلم
فقيل له لاتغتب فيقول ليس هذا غيبة وأنا صادق في ذلك فقد استحل
ماحرم الله تعالى ومن استحل ماحرم الله كان كافرا وفي الوجه الثاني هي
نفاق وهو أن يغتاب انسانا ولا يسميه عند من يعرفه أنه يريد به فلانا فهو
يغتابه ويرى من نفسه أنه متورع وفي وجه هي معصية وهو ان يغتاب انسانا
ويسميه ويعلم أنها معصية وهو عاص وعليه التوبة وفي الوجه الرابع مباحة

وهو أن يغتاب فاسقا معلنا بفسقه اوصاحب بدعةفهو مأجورلانهم يحذرون منه اذا عرفوا حاله وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال اذكروا الفاجر بما فيه كي يحذره الناس قال الامام أبو حامد الغزالي رحمه الله كانوا يقولون ثلاثة لاغيبة لهم الامام الجائر والمبتدع والمجاهر بفسقه وقال صلى الله عليه وسلم من ألقى جلباب الحياء عن وجهه فلا غيبة له وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليس لفاجر حرمة وأراد به المجاهر بفسقه دون المستتر اذ المستتر لابد من مراعاة حرمته

﴿ فصل في النميمة ﴾

قال الله تعالى همّاز مشاء بنميم في الصحيحين عن حذيفة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لايدخل الجنة نمام وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بقبرين فقال انهما ليعذبان وما يعذبان في كبير بلى انه كبير أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة وأما الآخر فكان لايستنزه من بوله رواه البخاري قال العلماء معنى وما يعذبان في كبير أي كبير في زعمهما وقيل كبير تركه عليهما وقال يحي ابن كثير يفسد النمام في ساعة مالا يفسد الساحر في شهر وقال صلى الله عليه وسلم شر عباد الله المشاؤن بالنميمة المفرقون بين الاحبة وقال الحسن من نم اليك نم عليك وقيل لمحمد بن كعب القرظي أي خصال المؤمن أوضع له قال كثرة الكلام وافشاء السر وقبول قول كل احد وقال الغزالي رحمه الله وكل من حملت اليه نميمة وقيل له قال فيك فلان كذا لزمه ستة أمور الاول ان لايصدقه لان النمام فاسق وهو مردود الخبر الثاني أن ينهاه عن ذلك وينصحه ويقبح فعله الثالث أن يبغضه في الله تعالى فانه يبغض عند الله تعالى والبغض في الله

تعالى واجب الرابع أن لا يظن بالمنقول عنه السوء لقوله تعالى اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم الخامس ان لا يحملك ماحكي على التجسيس والبحث عن تحقيق ذلك قال الله تعالى ولا تجسسوا السادس ان لا يرضى لنفسه ما نهى النمام عنه فلا يحكي نميمته وقد جاء ان رجلا ذكر لعمر بن عبد العزيز رجلا بشيء فقال عمر رضي الله عنه ان شئت نظرنا في امرك فان لم تكن كاذبا فانت من اهل هذه الآية ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا وان كنت كاذبا فأنت من اهل هذه الآية هماز مشاء بنميم وان شئت عفونا عنك قال العفو يا أمير المؤمنين ولا اعود ورفع انسان رقعة الى الصاحب بن عباد يحثه فيها على اخذ مال يتيم وكان مالا كثيرا فكتب على ظهرها النميمة قبيحة وان كانت صحيحة والميت رحمه الله واليتيم جبره الله والمال أثمره الله والساعي لعنه الله (وحكي) ان رجلا اراد شراء عبد فقال له مولاه اني أبرأ اليك من النميمة والكذب فقال نعم انت بريء منهما فاشتراه فجعل يقول لمولاه ان امرأتك تبغي وتفعل وانها تريد ان تقتلك ويقول للمرأة ان زوجك يريد ان يتزوج عليك ويتسرى فان اردت ان اعطفه عليك فلا يتزوج ولا يتسرى فخذي الموسى واحلقي شعرة من حلقه اذا نام وقال للزوج انها تريد ان تقتلك اذا نمت قال فذهب فتناوم لها فجاءت بالموسى لتحلق شعرة من حلقه فأخذ بيدها فقتلها فجاء اهلها فاستعدوا عليه فقتلوه

﴿ فصل في الكذب ﴾

قال الله تعالى ولا تقف ماليس لك به علم قال قتادة اي لا تقل رأيت وانت لم تره وسمعت ولم تسمعه وعلمت ولم تعلمه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الصدق يهدي الى البر وان البر يهدي الى الجنة وان الرجل

ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا وان الكذب يهدي الى الفجور وان الفجور يهدي الى النار وان الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كاذبا وقال صلى الله عليه وسلم اربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من نفاق حتى يدعها اذا ائتمن خان واذا حدث كذب واذا عاهد غدر واذا خاصم فجر رواهما البخاري ومسلم وقال صلى الله عليه وسلم من تحلم بحلم لم يره كلف ان يعقد بين شعيرتين ولن يفعل ومن استمع الى حديث قوم وهم له كارهون صب في أذنيه الآنك يوم القيامة ومن صور صورة عذب وكلف ان ينفخ فيها الروح وليس بنافخ رواه البخاري تحلم اي قال انه حلم في نومه ورأى كذا وكذا وهو كاذب الآنك بضم النون والمد وتخفيف الكاف هو الرصاص المذاب قاله النوري وقال صلى الله عليه وسلم يطبع المؤمن على كل شيء الا الخيانة والكذب وقال صلى الله عليه وسلم كفى بالمرء اثما ان يحدث بكل ماسمع وقال صلى الله عليه وسلم يكون في آخر الزمان دجالون كذابون يأتونكم من الاحاديث بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم فاياكم واياهم لا يضلونكم ولا يفتنونكم وعن عبد الله بن جراد قال قلت يارسول الله المؤمن يزني قال قد يكون ذلك قلت المؤمن يسرق قال قد يكون ذلك قلت المؤمن يكذب قال لا قال الله انما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وقال صلى الله عليه وسلم ويل لمن يحدث فيكذب ليضحك به القوم ويل له ويل له وقال صلى الله عليه وسلم ان العبد ليقول الكلمة لا يقولها الا ليضحك به الناس يهوى بها العبد مابين السماء والارض وانه ليزل عن لسانه أشد مما يزل عن قدمه وقال صلى الله عليه وسلم من قال لصبي تعال هاك ثم لم يعطه فهي كذبة رواه احمد وعن عبد الله بن عامر

رضي الله عنه قال دعتني أمي يوما ورسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد في بيتنا فقالت ها تعال أعطيك فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم أما انك لو لم تعطه شيئا كتبت عليك كذبة رواه ابو داود والبيهقي وقال عبد الله بن مبارك من عقوبة الكذاب أنه يرد عليه صدقه

﴿ فصل في تغليظ الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴾

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان كذبا على ليس ككذب على غيري من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار وقال صلى الله عليه وسلم من روى عني حديثا وهو يرى أنه كذب فهو أحد الكذابين قال النووى رحمة الله من كذب على النبي صلى الله عليه وسلم لم يكفر الا ان يستحله هذا هو المشهور من مذاهب العلماء وقال الشيخ أبو محمد الجويني يكفر بتعمد الكذب عليه ثم ان من كذب عليه عمدا في حديث واحد فسق وردت رواياته كلها وبطل الاحتجاج بجميعها ولو تاب وحسنت توبته فقد قال جماعة من العلماء منهم أحمد بن حنبل وأبو بكر الحميدي شيخ البخاري وصاحب الشافعي وأبو بكر العراقي من أصحابنا لا تؤثر توبته في ذلك ولا تقبل رواياته أبدا والمختار القطع بصحة توبته في هذا وقبول رواياته بعدها اذا صحت توبته بشروطها وقد أجمعوا على صحة رواية من كان كافرا فاسلم وأجمعوا على قبول شهادته ولا فرق بين الشهادة والرواية في هذا انتهى كلام النووي رحمه الله وروى ابن الصلاح بسنده عن الاصمعي انه قال ان أخوف ما أخاف على طالب العلم اذا لم يعرف النحو ان يدخل في جملة قول النبي صلى الله عليه وسلم من كذب على فليتبوأ مقعده من النار لانه لم يكن يلحن فمهما رويت عنه كذا ولحنت فيه كذبت عليه

وشر الكذب الكذب على الله ورسوله ومن الكتب المشحونة بالموضوعات والخرافات كتاب نزهة المجالس وكتاب تنبيه الغافلين وكتاب الجامع الصغير للسيوطي وكتاب حياة الحيوان للدميري وكتاب قصص الانبياء للثعالبي وكتاب المستطرف وكتاب نور الابصار في مناقب آل بيت النبي المختار وكتاب اخبار الانبياء وكتاب خريدة العجائب وكتاب الروض الفائق في المواعظ وكتاب فتوح الشام للواقدي والاحاديث الواردة في الملاحم موضوعه وما ينسب لكثير من الصوفية في تفسير القرآن وتأويل معانيه هو خلط وتحريف وتخريف وكل مايقال فيه بان للقرآن والحديث ظاهر وباطن هو جهل وعمى . واغلب ماينقله القصاص المسمون بالوعاظ هو موضوع وكذب وقد الف السيوطي كتابا سماه تحذير الخواص من اكاذيب القصاص

ومن علامات الاحاديث الموضوعة المجازفات التى لا يقولها الرسول صلى الله عليه وسلم والاشياء التي تنكرها بداهة العقل ومنها سماجة الكلام وانه مما يسخر منه كاحاديث الارز والباذنجان ونحـوهما التي لاتليق الا بفقهاء الريف ومنها مخالفته لفحوى القرآن كحديث مقدار الدنيا ومنها ركة الالفاظ وركة المعنى كمن صلى كذا فله في الجنة سبعون داراً في كل دار سبعون الف بيت الخ

﴿ فصل في شهادة الزور وكتم الشهادة ﴾

قال الله تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور وفي الصحيحين عن أبي بكر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أنبئكم باكبر الكبائر قلنا بلى يارسول الله قال الاشراك بالله وعقوق الوالدين وكان متكئا فجلس فقال ألا وقول الزور وشهادة الزور فما زال

يكررها حتى قلنا ليته سكت وفي الحديث لاتزول قدما شاهد الزور يوم القيامة حتى تجب له النار وفي الأثر عدلت شهادة الزور الاشراك بالله قال الله تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور وكما تحرم شهادة الزور يحرم كتمان الشهادة قال الله تعالى ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه وقال صلى الله عليه وسلم من كتم شهادة اذ ادعى اليها كان كمن شهد بالزور

﴿ فصل في النهى عن الحلف بغير الله تعالى ﴾

عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من حلف على مال امريء مسلم بغير حق لقي الله وهو عليه غضبان قال عبدالله ثم قرأ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مصداقه في كتاب الله عز وجل ان الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا الى آخر الآية رواه البخاري ومسلم وقال صلى الله عليه وسلم من اقتطع حق امريء مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة قالوا وان كان شيئا يسيرا يارسول الله فقال وان كان قضيبا من أراك رواه مسلم وعن عبد الله بن عمر وبن العاص رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أكبر الكبائر الاشراك بالله وعقوق الوالدين واليمين الغموس رواه البخاري وسميت غموسا لانها تغمس صاحبها في الاثم أو في النار وعن جبير بن مطعم رضي الله عنه أنه افتدى يمينه بعشرة آلاف درهم ثم قال ورب الكعبة لو حلفت حلفت صادقا وانما هو شي افتديت به يميني رواه الطبراني في الا وسط باسناد جيد وروى أيضا عن الاشعث بن قيس رضي الله عنه قال اشتريت يميني مرة بسبعين ألفا وفي الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله

عليه وسلم أدرك عمر بن الخطاب وهو يسير في ركب يحلف بابيه فقال ألا ان الله ينها كم ان تحلفوا بآبائكم من كان حالفا فليحلف بالله او ليصمت قال النووي قال العلماء الحكمة في النهى عن الحلف بغير الله تعالى ان الحلف يقتضي تعظيم المحلوف به وحقيقة العظمة مختصة بالله تعالى ولا يضاهي به غيره وقد جاء عن ابن عباس لان احلف بالله تعالى مائة مرة فآثم خير من ان احلف بغيره فابر فان قيل هذا الحديث مخالف لقوله صلى الله عليه وسلم افلح وابيه فجوابه ان هذه كلمة تجري على اللسان لا يقصد بها اليمين فان قيل فقد اقسم الله تعالى بمخلوقاته فقال تعالى والصافات والزاريات والطور والنجم فالجواب ان الله تعالى يقسم بما شاء من مخلوقاته تنبيها على شرفه وعن ابن عمر ايضا انه سمع رجلا يقول لا و الكعبة فقال ابن عمر لا تحلف بغير الله وعن بريدة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من حلف بالامانة فليس منا رواه ابو داود

﴿ فصل في السب ﴾

قال الله تعالى والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سباب المؤمن فسوق وقتاله كفر رواه البخاري ومسلم قال النووى في تأويله أقوال أحدها أنه في المستحل والثاني أن المراد كفر الاحسان والنعمة وأخوة الاسلام لا كفر الجحود والثالث أن يؤول الى الكفر بشؤمه والرابع أنه كفعل الكفار وقال صلى الله عليه وسلم لا يرمى رجل رجلا بالفسق أو الكفر الا ارتدت عليه ان لم يكن صاحبه كذلك رواه البخارى وقال صلى الله عليه وسلم ما أكفر رجل رجلا الا باء أحدهما بها فان كان كافرا والا كفر

بتكفيره رواه ابن حبان وقال صلى الله وسلم من قذف مملوكه بالزنا يقام عليه الحد يوم القيامة الا أن يكون كما قال رواه البخارى ومسلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا الاموات فانهم قد أفضوا الى ماقدموا رواه البخارى وقال صلى الله عليه وسلم من أكبر الكبائر شتم الرجل والديه قالوا يارسول الله وهل يشتم الرجل والديه قال نعم يسب أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه رواه البخارى ومسلم

وقال تعالى (ولا تلمزوا أنفسكم) الآية قوله ولا تلمزوا انفسكم أي لا يعب بعضكم بعضاً ولا يطعن بعضكم على بعض (ولا تنابزوا بالألقاب) التنابز التفاعل من النبز وهو اللقب وهو أن يدعى الانسان بغير مايدعى به قال عكرمة هو قول الرجل للرجل يافاسق يامنافق يا كافر وقال الحسن كان اليهودى والنصرانى يسلم فيقال له بعد اسلامه يايهودى يانصراني فنهوا عن ذلك قال عطاء هو أن تقول لاخيك يا كلب ياحمار ياخنزير قال النخعى اذا قال الرجل للرجل ياحمار ياخنزير قيل له يوم القيامة أرأيتنى خلقته حماراً أو رأيتنى خلقته خنزيراً وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال التنابز بالألقاب أن يكون الرجل عمل السيئات ثم تاب عنها فنهى أن يعير بما سلف من عمله بئس الاسم الفسوق بعد الايمان أي بئس الاسم أن تقول له يايهودى أو يافاسق بعدما آمن ومن لم يتب من ذلك فأولئك هم الظالمون

﴿ فصل في التجسس ﴾

قال الله تعالى ولا تجسسوا وعن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اياكم والظن فان الظن أكذب الحديث ولا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا ولا تباغضوا وكونوا

عباداً لله اخواناً كما أمركم المسلم أخو المسلم لايظلمه ولا يخذله ولا يحقره التقوى ههنا التقوى ههنا ويشير الى صدره بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله ان الله لاينظر الى أجسادكم ولا الى صوركم وأعمالكم ولكن ينظر الى قلوبكم رواه مسلم قيل التحسس بالحاء الاستماع لحديث القوم وبالجيم البحث عن العورات وقيل هما بمعنى وهو طلب معرفة الاخبار الغائبة والاحوال

﴿ فصل في الحسد ﴾

قال الله تعالى أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله الحسد ان يتمنى زوال النعمة عن صاحبه ويتمناها لنفسه وهو حرام والغبطة أن يتمنى لنفسه مثل مالصاحبه وهو جائز قال الكلبي ولا يتمنى الرجل مال أخيه ولا امرأته ولا خادمه ولكن ليقل اللهم ارزقني مثله وهو كذلك في التوراة وفي القرآن قوله تعالى واسألوا الله من فضله وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبغ بعضكم على بعض وكونوا عباداً لله اخواناً المسلم أخو المسلم لايظلمه ولا يخذله ولا يحقره التقوي ههنا و يشير الى صدره ثلاث مرار بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دب اليكم داء الامم قبلكم الحسد والبغضاء وقال صلى الله عليه وسلم ان الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب وروي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال يطلع عليكم من هذا الفج رجل من أهل الجنة فاطلع رجل فسئل عن عمله فقال اني لا أجد لأحد من المسلمين في قلبي غشا ولا حسداً على خير أعطاه الله اياه

وقال صلى الله عليه وسلم لا تظهر الشماتة لأخيك فيرحمه الله ويبتليك وقال صلى الله عليه وسلم أخوف ما أخاف على امتي أن يكثر لهم المال فيتحاسدون ويقتتلون وقال صلى الله عليه وسلم استعينوا على قضاء الحوائج بالكتمان فان كل ذي نعمة محسود وقال صلى الله عليه وسلم ان لنعم الله أعداء فقيل ومن ذلك قال الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله وقال صلى الله عليه وسلم ستة يدخلون النار قبل الحساب بستة قيل يارسول الله من هم قال الامراء بالجور والعرب بالعصبية والدهاقون بالكبر والتجار بالخيانة وأهل الرستاق بالجهالة والعلماء بالحسد ويروى ان الله تعالى قال الحاسد عدو نعمتي سخط لقضائي غير راض بقسمتي التي قسمت بين عبادي وقال ابن سيرين رحمه الله ما حسدت احدا على شيء من أمر الدنيا لانه ان كان من اهل الجنة فكيف أحسده على شيء من امر الدنيا وهو يصير الى الجنة وان كان من اهل النار فكيف احسده على شيء من امر الدنيا وهو يصير الى النار وقال بعض السلف ان اول خطيئة كانت هي الحسد حسد ابليس آدم فأبى ان يسجد له فحمله الحسد على المعصية وقال أبو الدرداء ما أكثر عبد ذكر الموت الا قل فرحه وقل حسده وقال الحسن يا ابن آدم لم تحسد أخاك فان كان الذي اعطاه الله لكرامته عليه فلم تحسد من اكرمه الله وان كان غير ذلك فلم تحسد من مصيره الى النار وقال بعضهم الحاسد لا ينال من المجالس الا مذمة وذلا ولا ينال من الملائكة الا لعنة وبغضا ولا ينال من الخلق الا جزعا وغما ولا ينال عند النزع الا شدة وهولا ولا ينال عند الموقف الا فضيحة ونكالا (حكاية) قال الغزالي رحمه الله في الاحياء قيل كان رجل يغشى بعض الملوك فيقوم بحذاء الملك فيقول احسن الي المحسن باحسانه والمسيء سيكفيك

مساويه فحسده رجل على ذلك المقام والكلام فسعى به الى الملك فقال ان هذا الذي يقوم بحذائك ويقول مايقول زعم ان الملك ابخر فقال الملك وكيف يصح ذلك عندي قال تدعـو به اليك فاذا دنا منك وضع يده على أنفه ان لايشم ريح البخر قال له انصرف حتى انظر فخرج من عند الملك فدعا الرجل الى منزله فاطعمه طعاما فيه ثوم فخرج الرجل من عنده وقام بحذاء الملك فقال احسن الى المحسن باحسانه والمسيء سيكفيك مساويه فقال له الملك ادن مني فدنا منه فوضع يده على فمه مخافة ان يشم الملك ريح الثوم فقال الملك في نفسه ما أرى فلانا الا وقد صدق قال وكان الملك لا يكتب بخطه الا بجائزة او بصله فكتب له كتابا بخطه الى عامل من عماله اذا اتاك صاحب كتابي فاذبحه واسلخه واحش جلده تبنا وابعث به الي فاخذ الكتاب وخرج فلقيه الرجل الذي سعى به فقال ماهذا الكتاب فقال خط لي الملك بصله فقال هبه لي فقال هو لك فاخذه ومضى الى العامل فقال ان في كتابك ان أذبحك وأسلخك قال ان الكتاب ليس هو لي الله الله في امري حتى اراجع الملك فقال ليس لكتاب الملك مراجعة فذبحه وسلخه وحشا جلده تبنا وبعث به ثم عاد الرجل الى الملك كعادته وقال مثل قوله فتعجب الملك وقال مافعلت بالكتاب قال لقيني فلان فاستوهبه مني فوهبته قال الملك انه ذكر لي انك تزعم اني ابخر قال مافعلت قال فلم وضعت يدك على انفك قال كان اطعمني طعاما فيه ثوم كرهت ان تشمه قال صدقت .ارجع الى مكانك فقد كفاك المسيء مساويه

﴿ فصل في العجب ﴾

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع

واعجاب المرء بنفسه وقال صلى الله عليه وسلم اذا قال الرجل هلك الناس فانه أهلكهم وهذا النهي لمن قال ذلك عجبا بنفسه وتصاغرا للناس وارتفاعا عليهم فهذا هو الحرام وأما من قاله لما يرى في الناس من نقص في أمر دينهم وقاله تحزنا عليهم وعلى الدين فلا باس به هكذا فسره العلماء وقيل لعائشة رضي الله عنها متى يكون المرء مسيئاً قالت اذا ظن أنه محسن وقال صلى الله عليه وسلم لاصحابه ما منكم من أحد ينجيه عمله قال ولا أنت يارسول الله قال ولا أنا الا ان يتغمدني الله برحمته وقال صلى الله عليه وسلم ان الله اذهب عنكم عبية الجاهلية اي كبرها وفخرها بالآباء كلكم بنو آدم وآدم من التراب وروي ان رجلا من بني اسرائيل يقال له خليع بني اسرائيل لكثرة فساده مر برجل آخر يقال له عابد بني اسرائيل وكانت على رأس العابد غمامة تظله فلما مر الخليع قال في نفسه أنا خليع بني اسرائيل وهذا عابد بني اسرائيل فلو جلست اليه لعل الله يرحمني فجلس اليه فقال العابد أنا عابد بني اسرائيل وهذا خليع بني اسرائيل كيف يجلس الي فأنف وقال له قم عني فاوحى الله الى نبي ذلك الزمان مرهما فليستأنفا العمل فقد غفرت للخليع وأحبطت عمل العابد وروي أن رجلا من بني اسرائيل أتى عابداً من بني اسرائيل فوطئ على رقبته وهو ساجد فقال ارفع فوالله لايغفر الله لك فأوحى الله تعالى أيها المتألى عليّ بل أنت لايغفر لك قال ابن الجوزى رحمه الله في روضة المشتاق ورد في الخبر أن الله سبحانه وتعالى يقول في بعض كتبه المنزلة على بعض أنبيائه قل للغنى لايعجبك غناك فان اعجبك فارزق عبادى رزق يوم واحد وقل للقوى لا تعجبك قوتك فأن عجبتك فلم غلبتك شهوتك وقل للفطن المعوّل على تدبيره لايعجبك تدبيرك وفطنتك فان أعجبك فمالك

عمرت الدار الفانية وأخربت الدار الباقية روي ان ابليس قال اذا ظفرت من ابن آدم بثلاث لا أطالبه بغيرهن اذا أعجب بنفسه واستكثر عمله ونسي ذنوبه وقال بعضهم من أراد أن يكسر العجب فعليه بأربعة أشياء (أولها) أن يرى التوفيق من الله تعالى فاذا رأى التوفيق منه فانه يشتغل بالشكر ولا يعجب بنفسه (الثاني) ينظر الى نعم الله تعالى التي أنعم الله عليه بها فاذا نظر الى نعمه استقل عمله واشتغل بالشكر عليها ولا يعجب به (الثالث) أن يخاف أن لا يقبل منه فاذا اشتغل بخوف عدم القبول لم يعجب بنفسه (الرابع) أن ينظر في ذنوبه التي أذنب قبل ذلك فاذا خاف أن ترجح سيآته على حسناته فقد كسر عجبه فكيف يعجب المرء بعمله ولا يرى ما يخرج له يوم القيامة وانما يتبين عجبه وسروره بعد قراءته كتابه

﴿ فصل في البخل ﴾

قال الله تعالى ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون وروي مسلم عن جابر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتقوا الظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الشح فان الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على ان سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم وقال صلى الله عليه وسلم ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه وقال صلى الله عليه وسلم خصلتان لا يجتمعان في مؤمن البخل وسوء الخلق وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجتمع غبار في سبيل الله عز وجل ودخان جهنم في جوف عبد أبداً ولا يجتمع الشح ولا الايمان في قلب عبد أبداً وقال صلى الله عليه وسلم اذا أراد الله بقوم خيراً أولى أمرهم الحكماء وجعل المال عند السمحاء واذا أراد الله بقوم شراً ولي أمرهم السفهاء وجعل المال عند البخلاء رواه أبو داوود في

مراسيله وقال صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة بخيل ولا جبار ولا منان ولا سيئ الملكة وقال صلى الله عليه وسلم اللهم اني أعوذ بك من البخل وقال بشر النظر الى البخيل يقسي القلب وبقاء البخلاء كرب على قلوب المؤمنين وقال ابن المعتز أبخل الناس بماله أجودهم لعرضه لعلك تقول قد عرف بشواهد الشرع ان البخل من المهلكات ولكن ما حدّ البخلُ وبماذا يصير الانسان بخيلا وما من انسان الا وهو يرى نفسه سخياً وربما يراه غيره بخيلا وقد يصدر فعل من انسان فيختلف فيه الناس فيقول قوم هذا بخل ويقول آخرون ليس هذا من البخل وما من انسان الا ويجد من نفسه حباً للمال ولأجله يحفظ المال ويمسكه فان كان يصير بامساك المال بخيلا فاذا لا ينفعك أحد عن البخل واذا كان الامساك مطلقاً لا يوجب البخل ولا معنى للبخل الا الامساك فما البخل الذي يوجب الهلاك وما حد السخاء الذي يستحق به العبد صفة السخاوة وثوابها فنقول قد قال قائلون حد البخل منع الواجب فكل من ادى ما يجب عليه فليس ببخيل وهذا غير كاف فان من يرد اللحم مثلا الى القصاب والخبز للخباز بنقصان حبة أو نصف حبة فانه يعد بخيلا بالاتفاق وكذلك من يسلم الى عياله القدر الذي يفرضه القاضي ثم يضايقهم في لقمة ازدادوها عليه أو تمرة أكلوها من ماله يعد بخيلا ومن كان بين يديه رغيف فحضر من يظن انه يأكل معه فاخفاه عد بخيلا وقال قائلون البخيل هو الذي يستصعب العطية وهو أيضاً قاصر فانه ان أريد به انه يستصعب كل عطية فكم من بخيل لا يستصعب العطية القليلة كالحبة وما يقرب منها ويستصعب مافوق ذلك وان أريد به انه يستصعب بعض العطايا فما من جواد الا وقد يستصعب بعض العطايا وهو مايستغرق جميع ماله أو المال

العظيم فهذا لا يوجب الحكم بالبخل وكذلك تكلموا في الجود فقيل الجود عطاء بلا من واسعاف من غير رؤية وقيل الجود عطاء من غير مسألة على رؤية التقليل وقيل الجود السرور بالسائل والفرح بالعطاء لما أمكن وقيل الجود عطاء على رؤية ان المال لله تعالى والعبد لله عز وجل فيعطي عبد الله مال الله على غير رؤية الفقر وقيل من اعطى البعض وأبقى البعض فهو صاحب سخاء ومن بذل الاكثر وأبقى لنفسه شيئاً فهو صاحب جود ومن قاسى الضر وآثر غيره بالبلغة فهو صاحب إيثار ومن لم يبذل شيئاً فهو صاحب بخل وجملة هذه الكلمات غير محيطة بحقيقة الجود والبخل بل نقول المال خلق لحكمة ومقصود وهو صلاحه لحاجات الخلق ويمكن امساكه من الصرف الي ماخلق الصرف اليه ويمكن بذله بالصرف الي مالا يحسن الصرف اليه ويمكن التصرف فيه بالعدل وهو ان يحفظ حيث يجب الحفظ ويبذل حيث يجب البذل فالامساك حيث يجب البذل بخل والبذل حيث يجب الامساك تبذير وبينهما وسط وهو المحمود وينبغي ان يكون السخاء والجود عبارة عنه اذ لم يؤمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الا بالسخاء وقد قيل له ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط وقال تعالى والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما فالجود وسط بين الاسراف والاقتار وبين البسط والقبض وهو ان يقدر بذله وامساكه بقدر الواجب ولا يكفي ان يفعل ذلك بجوارحه ما لم يكن قلبه طيبا به غير منازع له فيه فان بذل في محل وجوب البذل ونفسه تنازعه وهو يصابرها فهو متسخ وليس بسخي بل ينبغي ان لا يكون لقلبه علاقة مع المال الا من حيث يراد المال وهو صرفه الى مايجب صرفه اليه فان

قلت فقد صار هذا موقوفا على معرفة الواجب فما الذي يجب بذله فاقول ان الواجب قسمان واجب بالشرع وواجب بالمروءة والعادة والسخي هو الذي لايمنع واجب الشرع ولا واجب المروءة فان منع واحداً منهما فهو بخيل ولكن الذي يمنع واجب الشرع أبخل كالذي يمنع أداء الزكاة ويمنع عياله واهله النفقة أو يؤديها ولكنه يشق عليه فانه بخيل بالطبع وانما يتسخي بالتكلف أو الذي يتمم الخبيث من ماله ولا يطيب قلبه ان يعطي من أطيب ماله أو من وسطه فهذا كله بخل * وأما واجب المروءة فهو ترك المضايقة والاستقصاء في المحقرات فان ذلك مستقبح واستقباح ذلك يختلف بالاحوال والاشخاص فمن كثر ماله استقبح منه مالا يستقبح من الفقير من المضايقة ويستقبح من الرجل المضايقة مع اهله واقاربه ومماليكه مالا يستقبح مع الاجانب ويستقبح من الجار مالا يستقبح مع البعيد ويستقبح في الضيافة من المضايقة مالا يستقبح في المعاملة فيختلف ذلك بما فيه من المضايقة في ضيافة أو معاملة وبما فيه المضايقة من طعام أو ثوب اذ يستقبح في الاطعمة مالا يستقبح في غيرها ويستقبح في شراء الكفن مثلا أو شراء الاضحية أو شراء خبز الصدقة مالا يستقبح في غيره من المضايقة وكذلك بمن معه المضايقة من صديق أو أخ أو قريب أو زوجة أو ولد أو أجنبي وبمن منه المضايقة من صبي أو امرأة أو شيخ أو شاب أو عالم أو جاهل أو موسر أو فقير فالبخيل هو الذي يمنع حيث ينبغي ان لايمنع اما بحكم الشرع واما بحكم المروءة وذلك لايمكن التنصيص على مقداره ولعل حد البخل هو امساك المال عن غرض ذلك الغرض هو أهم من حفظ المال فان صيانة الدين أهم من حفظ المال فمانع الزكاة والنفقة بخيل وصيانة المروءة أهم من حفظ المال والمضايق في الدقائق من لاتحسن

المضايقة معه هاتك ستر المروءة لحب المال فهو بخيل ثم تبقى درجة أخرى
وهو ان يكون الرجل مما يؤدي الواجب ويحفظ المروءة ولكن معه مال
كثير قد جمعه ليس يصرفه الى الصدقات والى المحتاجين فقد تقابل غرض
حفظ المال ليكون له عدة على نوائب الزمان وغرض الثواب ليكون رافعاً
لدرجاته في الآخرة وامساك المال عن هـذا الغرض بخل عند الاكياس
وليس ببخل عند عوام الخلق وذلك لان نظر العوام مقصور على حظوظ الدنيا
فيرون امساكه لدفع نوائب الزمان مهماً وربما يظهر عند العوام أيضاً سمة البخل
عليه ان كان في جواره محتاج فمنعه وقال قد أديت الزكاة الواجبة وليس علي
غيرها ويختلف استقباح ذلك باختلاف مقدار ماله وباختلاف شدة حاجة
المحتاج وصلاح دينه واستحقاقه فمن أدى واجب الشرع وواجب المروءة
اللائقة به فقد تبرأ من البخل نعم لا يتصف بصفة الجود والسخاء ما لم يبذل
زيادة على ذلك لطلب الفضيلة ونيل الدرجات فاذا اتسعت نفسه لبذل المال حيث
لا يوجبه الشرع ولا تتوجه اليه الملامة في العادة فهو جواد بقدر ما تتسع نفسه
من قليل أو كثير ودرجات ذلك لا تحصر وبعض الناس أجود من بعض
فاصطناع المعروف وراء ما توجبه العادة والمروءة هو الجود ولكن بشرط
ان يكون عن طيب نفس ولا يكون عن طمع ورجاء خدمة أو مكافأة أو
شكر أو ثناء فان من طمع في الشكر والثناء فهو بياع وليس بجواد فانه
يشتري المدح بماله والمدح لذيذ وهو مقصود في نفسه والجود هو بذل
الشيء من غير عوض هـذا هو الحقيقة ولا يتصور ذلك الا من الله تعالى
واما الآدمي فاسم الجود عليه مجاز اذ لا يبذل الشيء الا لغرض ولكنه اذا لم يكن
غرضه الا الثواب في الآخرة أو اكتساب فضيلة الجود وتطهير النفس عن رذيلة

البخل فيسمى جواداً فان كان الباعث عليه الخوف من الهجاء مثلا أو من
ملامة الخلق أو ماتوقعه من نفع يناله من المنعم عليه فكل ذلك ليس من
الجود لانه مضطر اليه بهذه البواعث وهي أعواض معجلة له عليه فهو معتاض
لا جواد كما روي عن بعض المتعبدات انها وقفت على حيان بن هلال وهو جالس مع
أصحابه فقالت هل فيكم من أسأله عن مسألة فقالوا لها سلي عما شئت وأشاروا الي
حيان بن هلال فقالت ما السخاء عندكم قالوا العطا والبذل والايثار قالت هذا
السخاء في الدنيا فما السخاء في الدين قالوا ان نعبد الله سبحانه عبادة سخية بها
أنفسنا غير مكرهة قالت افتريدون على ذلك أجراً قالوا نعم قالت ولم قالوا الان
الله تعالى وعدنا بالحسنة عشر أمثالها قالت سبحان الله فاذا اعطيتم واحدة وأخذتم
عشرة فبأي شيء تسخيتم عليه قالوا لها فما السخاء عندك يرحمك الله قالت السخاء
عندي ان تعبدوا الله متنعمين متلذذين بطاعته غير كارهين لا تريدون على
ذلك أجراً حتى يكون مولاكم يفعل بكم مايشاء الا تستحيون من الله ان
يطلع على قلوبكم فيعلم منها انكم تريدون شيئاً بشيء ان هذا في الدنيا لقبيح
وقالت بعض المتعبدات أتحسبون أن السخاء في الدرهم والدينار فقط قيل
ففيم قالت السخاء عندي في المهج وقال المحاسبي السخاء في الدين ان تسخوا
بنفسك تتلفها لله عز وجل ويسخوا قلبك ببذل مهجتك واهراق دمك
لله تعالى بسماحة من غير اكراه ولا تريد بذلك ثواباً عاجلا ولا آجلا
وان كنت غير مستغن عن الثواب ولكن تغلب على ظنك حسن كمال
السخاء بترك الاختيار على الله حتى يكون مولاك هو الذي يفعل لك مالا
تحسن ان تختاره لنفسك

﴿ بيان علاج البخل ﴾

اعلم ان البخل سببه حب المال ولحب المال سببان * أحدهما حب الشهوات التي لاوصول اليها الا بالمال مع طول الامل فان الانسان لو علم انه يموت بعد يوم ربما انه كان لايبخل بماله اذ القدر الذي يحتاج اليه في يوم أو في شهر أو في سنة قريب وان كان قصير الامل ولكن كان له أولاد أقام الولد مقام طول الامل فانه يقدر بقاءهم كبقاء نفسه فيمسك لاجلهم ولذلك قال عليه الصلاة والسلام الولد مبخلة مجبنة مجهلة . فاذا انضاف الى ذلك خوف الفقر وقلة الثقة بمجيء الرزق قوي البخل لامحالة . والسبب الثاني ان يحب عين المال فمن الناس من معه مايكفيه لبقية عمره اذا اقتصر على ماجرت به عادته بنفقته وتفضل آلاف وهو شيخ بلا ولد ومعه أموال كثيرة ولا تسمح نفسه باخراج الزكاة ولا بمداواة نفسه عند المرض بل صار محباً للدنانير عاشقاً لها يلتذ بوجودها في يده وبقدرته عليها فيكنزها تحت الارض وهو يعلم انه يموت فتضيع أو يأخذها أعداؤه ومع هذا فلا تسمح نفسه بان يأكل أو يتصدق منها بحبة واحدة وهذا مرض للقلب عظيم عسير العلاج لاسيما في كبر السن وهو مرض مزمن لايرجى علاجه ومثال صاحبه مثال رجل عشق شخصاً فاحب رسوله لنفسه ثم نسي محبوبه واشتغل برسوله فان الدنانير رسول يبلغ الى الحاجات فصارت محبوبة لذلك لان الموصل الى اللذيذ لذيذ ثم قد تنسى الحاجات ويصير الذهب عنده كانه محبوب في نفسه وهو غاية الضلال بل من رأى بينه وبين الحجر فرقاً فهو جاهل الامن حيث قضاء حاجته به فالفاضل عن قدر حاجته والحجر بمثابة واحدة فهذه أسباب حب المال وانما علاج كل علة بمضادة سببها فتعالج حب الشهوات

بالقناعة باليسير وبالصبر وتعالج طول الامل بكثرة ذكر الموت والنظر في موت الاقران وطول تعبهم في جمع المال وضياعه ابعدهم وتعالج التفات القلب الي الولد بان خالقه خلق معه رزقه وكم من ولد لم يرث من أبيه مالا وحاله أحسن ممن ورث وبان يعلم انه يجمع المال لولده يريد ان يترك ولده بخير وينقلب هوالى شر وان ولده ان كان تقياً صالحاً فالله كافيه وان كان فاسقاً فيستعين بماله على المعصية وترجع مظامته اليه ويعالج أيضاً قلبه بكثرة التأمل في الاخبار الواردة في ذم البخل ومدح السخاء وما توعد الله به على البخل من العقاب العظيم ومن الادوية النافعة كثرة التأمل في أحوال البخلاء ونفرة الطبع عنهم واستقباحهم له فانه ما من بخيل الا ويستقبح البخل من غيره ويستثقل البخيل من أصحابه فيعلم انه مستثقل ومستقذر في قلوب الناس مثل سائر البخلاء في قلبه ويعالج أيضاً قلبه بان يتفكر في مقاصد المال وانه لماذا خلق ولا يحفظ من المال الا بقدر حاجته اليه والباقي يدخره لنفسه في الآخرة بان يحصل له ثواب بذله فهذه الادوية من جهة المعرفة والعلم فاذا عرف بنور البصيرة ان البذل خير له من الامساك في الدنيا والآخرة هاجت رغبته في البذل ان كان عاقلا فاذا تحركت الشهوة فينبغي ان يجيب الخاطر الأول ولا يتوقف فان الشيطان يعده بالفقر ويخوفه ويصده عنه * حكى أن أبا الحسن البوشنجي كان ذات يوم في الخلاء فدعا تلميذاً له وقال انزع عني القميص وادفعه الى فلان فقال هلا صبرت حتى تخرج قال لم آمن على نفسي ان تتغير وكان قد خطر لي بذله ولا تزول صفة البخل الا بالبذل تكلفاً كما لا يزول العشق الا بمفارقة المعشوق بالسفر عن مستقره حتى اذا سافر وفارق تكلفاً وصبر عنه مدة تسلى عنه قلبه فكذلك الذي يريد علاج البخل ينبغي ان يفارق المال تكلفاً بان يبذله بل لو رماه في الماء كان أولى به من امساكه

إياه مع الحب له ومن لطائف الحيل فيه ان يخدع نفسه بحسن الاسم والاشتهار بالسخاء فيبذل على قصد الرياء حتى تسمح نفسه بالبذل طمعاً في حشمة الجود فيكون قد أزال عن نفسه خبث البخل وا كتسب بها خبث الرياء ولكن ينعطف بعد ذلك على الرياء ويزيله بعلاجه ويكون طلب الاسم كالتسلية للنفس عند فطامها عن المال كما قد يسلى الصبي عند الفطام عن الثدى باللعب بالعصافير وغيرها لا ليخلى واللعب ولكن لينفك عن الثدى اليه ثم ينقل عنه الى غيره فكذلك هذه الصفات الخبيثة ينبغي ان يسلط بعضها على بعض كما تسلط الشهوة على الغضب وتكسر سورته بها ويسلط الغضب على الشهوة وتكسر رعونتها به الا ان هذا مفيد في حق من كان البخل أغلب عليه من حب الجاه والرياء فيبدل الاقوى بالاضعف فان كان الجاه محبوباً عنده كالمال فلا فائدة فيه فانه يقطع من علة ويزيد في أخرى مثلها الا ان علامة ذلك ان لا يثقل عليه البذل لاجل الرياء فبذلك يتبين ان الرياء اغلب عليه فان كان البذل يشق عليه مع الرياء فينبغي ان يبذل فان ذلك يدل على ان مرض البخل أغلب على قلبه ومثال دفع هذه الصفات بعضها ببعض مايقال ان الميت يستحيل جميع أجزائه دودا ثم يأ كل بعض الديدان البعض حتى يقل عددها ثم يا كل بعضها بعضا حتى ترجع الى اثنتين قويتين عظيمتين ثم لا تزال تتقاتلان الى ان تغلب احداهما الاخرى فتا كلها وتسمن بها ثم لا تزال تبقى جائعة وحدها الى ان تموت فكذلك هذه الصفات الخبيثة يمكن ان يسلط بعضها على بعض حتى يقمعها ويجعل الاضعف قوتا للاقوى الى ان لا يبقى الا واحدة ثم تقع العناية بمحوها واذابتها بالمجاهدة وهو منع القوت عنها ومنع القوت عن الصفات ان لا يعمل بمقتضاها فانها

تقتضي لا محالة أعمالا واذا خولفت خمدت الصفات وماتت مثل البخل فانه يقتضي امساك المال فاذا منع مقتضاه وبذل المال مع الجهد مرة بعد أخرى ماتت صفة البخل وصار البذل طبعا وسقط التعب فيه فان علاج البخل بعلم وعمل فالعلم يرجع الى معرفة آفة البخل وفائدة الجود والعمل يرجع الى الجود والبذل على سبيل التكلف ولكن قد يقوى البخل بحيث يعمى ويصم فيمنع تحقق المعرفة فيه واذا لم تتحقق المعرفة لم تتحرك الرغبة فلم يتيسر العمل فتبقى العلة مزمنة كالمرض الذي يمنع معرفة الدواء وامكان استعماله فانه لاحيلة فيه الا الصبر الى الموت وكان من عادة بعض شيوخ الصوفية في معالجة علة البخل في المريدين ان يمنعهم من الاختصاص بزواياهم وكان اذا توهم في مريد فرحه بزاويته وما فيها نقله الى زاوية غيرها ونقل زاوية غيره اليه وأخرجه عن جميع ماملكه واذارآه يلتفت الى ثوب جديد يلبسه أو سجادة يفرح بها يامره بتسليمها الى غيره ويلبسه ثوباً خلقا لايميل اليه قلبه فبهذا يتجافى القلب عن متاع الدنيا فمن لم يسلك هذا السبيل أنس بالدنيا وأحبها فان كان له الف متاع كان له الف محبوب ولذلك اذا سرق كل واحد منه ألمت به مصيبة بقدر حبه له فاذا مات نزلت به الف مصيبة دفعة واحدة لانه كان يحب الكل وقد سلب عنه بل هو في حياته على خطر المصيبة بالفقد والهلاك * حمل الى بعض الملوك قدح من فيروزج مرصع بالجواهر لم ير له نظير ففرح الملك بذلك فرحا شديدا فقال لبعض الحكماء عنده كيف ترى هذا قال أراه مصيبة أو فقرا قال كيف قال ان كسر كان مصيبة لاجبر لها وان سرق صرت فقيرا اليه ولم تجد مثله وقد كنت قبل ان يحمل اليك في أمن من المصيبة والفقر ثم اتفق يوما ان

كسر أو سرق وعظمت مصيبة الملك عليه فقال صدق الحكيم ليته لم يحمل الينا وهذا شأن جميع أسباب الدنيا فان الدنيا عدوة لاعداء الله اذ تسوقهم الى النار وعدوة أولياء الله اذ تغمهم بالصبر عنها وعدوة لله اذ تقطع طريقه على عباده

﴿ فصل في أخبار البخلاء ﴾

أجمع الناس على بخل أهل مرو ثم أهل خراسان قال ثمامة بن أشرس ما رأيت الديك قط في بلدة الا وهو يدعو الدجاج ويثير الحب اليها ويلطف بها الا في مرو فاني رأيته يأكل وحده فعلمت ان لؤمهم في الماء كل ورأيت في مرو طفلا صغيراً في يده بيضة فقلت له أعطني هذه البيضة فقال ليس تسع يدك فعلمت ان اللؤم والمنع فيهم بالطبع المركب والجبلة المفطورة واشتكي رجل مروي ضراراً من سعال فدلوه على سويق اللوز فاستثقل النفقة ورأى الصبر على الوجع أخف عليه فلم يزل يماطل الايام ويدافع الاوقات حتي أتيح له بعض الموفقين فدله على ماء النخالة وقال له أنه يجلو الصدر فامر بالنخالة فطبخت له وشرب ماءها فجلا صدره ووجده بعضهم فلما حضر غداؤه أمر به فرفع الى العشاء وقال لام عياله أطبخى لاهل بيتنا النخالة فانى وجدت ماءها يعصم ويجلي فقالت له زوجته قد جمع الله لك في هذا الدواء دواء وغذاء وقال خاقان بن صبيح دخلت على رجل ليلا من أهل خراسان فاذا هو قد أتي بمسرجة فيها فتيل رقيق وقد ألقى في دهن المسرجة شيأ من ملح وقد علق فيها عوداً بخيط معقود الى المسرجة فاذا عشا المصباح أخرج به رأس الفتيل فقلت ما بال هذا العود مربوطاً فقال هذا عود قد شرب الدهن فاذا لم نحفظه وضاع إحتجنا إلى غيره فلا نجده

الا عطشانا فاذا كان هذا ضاع دائباً من دهننا في الشهر بقدر كفايتنا ليلة قال فبينا أنا أتعجب وأسأل الله العافية إذ دخل علينا شيخ من أهل مرو ونظر إلى العود فقال أبا فلان فررت من شيء ووقعت فيما هو شر منه أما علمت ان الشمس والريح يأخذان من سائر الاشياء أو ليس كان البارحة هذا العود عند إطفاء السراج أروى وهو عند إسراجك الليلة أعطش قد كنت أنا جاهلا مثلك زماناً حتى وفقني الله الى ماأرشد اربط عافاك الله مكان العود إبرة كبيرة أو مسلة صغيرة فان الحديد أبقى وهو مع ذلك غير نشاف والعود والقصبة ربما تعلقت بهما الشعرة من قطن الفتيلة فتشخص لها وربما كان ذلك سبباً لاطفائها قال الخراساني إلا وانك لاتعلم إنك من المسرفين حتى تعمل بأعمال المصلحين قال الاصمعى قال لي أبو محمد الخزامى واسمه عبد الله بن حاسب ونحن في العسكران للشعر شهد او بياض الشعر الاسود هو موته كما أن سواده حياته الاترى ان موضع دبرة الحمار الاسود لا يثبت فيها الا شعر أبيض والناس لا يرضون منا في هـذا العسكر الا بالعناق والمشامة والطيب غال ممتنع الجانب فلست أرى شيأ هو أحسن بنا من إتخاذ مشط صندل فان ريحه طيبة والشعر سريع القبول وأقل مايصنع ان ما يبقى ينهك الشيب حتى يكون حاله لا لنا ولا علينا وكان ثمامة بن أشرس يقول اياكم وأعداء الخبزان تأتدموا بها واعلموا ان أعدى عدو له المملوح فلولا أن الله أعان عليه بالماء لاهلك الحرث والنسل وكان يقول كلوا الباقلا بقشره فان الباقلا تقول من أكلني بقشري فقد أكلني ومن أكلني بغير قشري فقد أكلته (ومن البخلاء) هشام بن عبد الملك قال خالد بن صفوان دخلت على هشام فأطرفته وحدثته فقال سل حاجتك فقلت ياأمير المؤمنين

تزيد في عطائي عشرة دنانير فاصرق حينا وقال فيم ولم وبم العبادة أحدثتها أم لبلاء حسن أبليته في أمير المؤمنين الا لا ياابن صفوان ولو كان لكثر السؤال ولم يحتمله بيت المال فقلت وفقك الله ياأمير المؤمنين وسددك فأنت والله كما قال أخو خزاعة

اذا المال لم يوجب عليك عطاءه * صنيعة قربى أو صديق توافقه
منعت وبعض المنع حزم وقوة * ولم يستلبك المال الا حقائقه

قيل لخالد بن صفوان ماحملك على تزيين البخل له قلت أحببت ان يمنع غيري فيكثر من يلومه وخرج هشام ابن عبد الملك متنزها ومعه الابرش الكلبي فمر براهب في دير فعدل اليه فأدخله الراهب بستانا له وجعل يجتني له أطايب الفاكهة فقال له هشام ياراهب بعني بستانك فسكت عنه الراهب ثم أعاد عليه فسكت عنه فقال له مالك لاتجبنى فقال وددت ان الناس كلهم ماتوا غيرك قال لماذا ويحك قال لعلك ان تشبع فالتفت هشام الى الابرش فقال أما سمعت ماقال هذا قال والله ان لقيك حر غيره * (ومن البخلاء) * عبد الله بن الزبير وكانت تكفيه اكلة لأم ويقول انما بطنى شبر في شبر فما عسى ان يكفيه اكلة وقال فيه أبو وجرة مولى الزبير

لو كان بطنك شبراً قد شبعت وقد * أبقيت فضلا كثيراً للمساكين
فان تصبك من الايام جائحة * لم نبك منك على دنيا ولا دين
مازلت في سورة الاعراف تدرسها * حتى فؤادي كمثل الخز فى اللين
ان امرأ كنت مولاه فضيعنى * يرجو الفلاح لعبد غير مغبون

وابن الزبير هو الذي قال اكلتم تمري وعصيتم أمري فقال فيه الشاعر

رأيت أبا بكر وربك غالب * على أمره يبغي الخلافة بالتمر

واقبل اليه اعرابي فقال اعطني واقاتل عنك أهل الشام فقال له اذهب فقاتل فان اغنيت أعطيناك قال أراك تجعل روحي نقدا ودراهمك نسيئة واتاه اعرابي يسئله حملا ويذكر ان ناقته نقبت فقال انعلها من النعال السبتية واخصفها بها قال له الاعرابي انما أتيتك مستوصلا ولم آتك مستوصفا فلا حملت ناقة حملتني اليك قال ان وصاحبها * (ومن رؤساء اهل البخل) * محمد بن الجهم وهو الذي قال وددت ان عشرة من الفقهاء وعشرة من الشعراء وعشرة من الخطباء وعشرة من الادباء تواطؤا على ذمي واستهلوا بشتمي حتى ينشر ذلك عنهم في الافاق حتى لا يمتد الى أمل آمل ولا ينبسط نحوي رجاء راج وقال له أصحابه انما نخشى ان نقعد عندك فوق مقدار شهوتك فلو جعلت لنا علامة نعرف بها وقت استحسانك لقيامنا قال علامة ذلك ان أقول ياغلام هات الغداء وذكر ثمامة بن اشرس محمد بن الجهم فقال لم يطمع أحد قط في ماله الا شغله عن الطمع في غيره ولا شفع في صديق ولا تكلم في حاجة محرم الا ليلقن المسؤل حاجة المنع ويفتح على السائل باب الحرمان * (ومن البخلاء اللئام) * مروان بن أبي حفصة الشاعر قال ابو عبيد عن ابن الجهم قال أتيت اليمامة فنزلت على مروان بن أبي حفصة فقدم الى تمراً وأرسل غلامه بفلس وسكرجة يشتري زيتا فأتى الغلام بالزيت فقال له خنتني وسرقتني قال وفيم كنت أخونك وأسرقك في فلس قال أخذت الفلس لنفسك واستوهبت الزيت * (ومن البخلاء) * زبيدة بن حميد الصيرفى استلف من بقال على بابه درهمين وقيراطا فمطله بهما ستة أشهر ثم قضاه درهمين وثلاث حبات فاغتاظ البقال وقال سبحان

الله انت صاحب مائة الف دينار وانا بقال لاأملك مائة فلس وانما
أعيش بكدي واستقضي الحبة على بابك والحبتين صاح على بابك
جمال ولا يحضر تلك الساعة وكيلك فاعنتك واسلفتك درهمين وأربع
شعيرات فتقضيني بعد ستة أشهر درهمين وثلاث شعيرات فقال زبيدة
يامجنون اسلفتني في الصيف وقضيتك في الشتاء وثلاث شعيرات شتوية
أوزن من أربعة صيفية لان هذي ندية وتلك يابسة وما أشك ان معك
بعد هذا كله فضلا قال الاصمعي كنت عند رجل من الأم الناس وأبخلهم
وكان عنده لبن كثير فسمع به رجل ظريف فقال الموت أو اشرب من
لبنه فأقبل مع صاحب له حتى اذا كان بباب صاحب اللبن تغاشي وتماوت
فقعد صاحبه عند رأسه يسترجع فخرج اليه صاحب اللبن فقال ماباله ياسيدي
قال هذا سيد بنى تميم أتاه أمر الله ههنا وكان قال لى اسقنى لبنا قال صاحب
اللبن هذا هين موجود ائتني ياغلام بعلبة من لبن فاتاه به فأسنده صاحبه الى
صدره وسقاه حتى أتى عليها ثم تجشأ فقال صاحبه لصاحب اللبن أترى
هذه الجشأة راحة الموت قال أماتك الله وإياه (ومن أمثال العرب في البخل)
قولهم ماهو الا ابنة عصا أو عقدة رشا لان عقدة الرشاء المبلول لاتكاد
تنحل قيل لمدنية ماالجرح الذي لايندمل قالت حاجة الكريم الى اللئيم ثم يرده
قيل لها فما الذل قالت وقوف الشريف بباب الدنيء ثم لايؤذن له قيل لها
فما الشرف قالت اتخاذ المنن في رقاب الرجال والعرب تقول لمن لم يظفر
بحاجته وجاء خائبا جاء فلان على غبيراء الظهر وجاء على حاجبه صوفة وجاء
بخفي حنين وقال أبو عطاء السندى في يزيد بن عمرو بن هبيره

ثلاث خلتهن لقوم قيس * طلبت بها الاخوة والثناء

رجعن على حواجبهن صوف * وعند الله يحتسب الجزاء

قال الاصمعى كان يقول المروزي لزواره اذا أتوه هل تغديتم اليوم فان قالوا نعم قال والله لولا انكم تغديتم لاطعمتكم لونا ما اكلتم مثله ولكن ذهب أول الطعام بشهوتكم وان قالوا لا قال والله لولا انكم لم تتغدوا لسقيتكم أقداحا من نبيذ الزبيب ماشربتم مثله فلا يصير في أيديهم منه شيء وكان ثمامة اذا دخل عليه اصحابه وقد تعشوا عنده قال لهم كيف كان مبيتكم ومنامكم فان قال أحدهم انه نام ليلته في هدوء وسكون قال النفس اذا أخذت قوتها اطمأنت واذا قال أحدهم انه لم ينم ليلته قال انه من افراط الكظة والاسراف من البطنة ثم يقول كيف كان شربكم للماء فان قال أحدهم كثيرا قال التراب الكثير لا يبله الا الماء الكثير وان قال قليلا قال ماتركت للماء مدخلا وكان اذا اطعم اصحابه استلقى على قفاه ثم يتلو قوله تعالى انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكوراً ودخل عليه رجل وبين يديه طبق فراريج فغطى الطبق بذيله وأدخل رأسه في جيبه وقال للرجل الداخل ادخل في البيت الآخر حتى أفرغ من بخوري وشوى لابى جعفر الهاشمي دجاج ففقد فخذا من دجاجة فأمر فنودى في منزله من هذا الذي تعاطى فعقر والله لا أخبز في التنور شهرا أو ترد فقال ابنه الاكبر ياابت لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا وقال دعبل الشاعر كنا يوما عند سهل بن هرون فاطلنا الحديث حتى أضر به الجوع فدعا بغدائه فاذا بصحفة عدلية فيها مرق لحم ديك قد هرم لا تحز فيه السكين ولا يؤثر فيه الضرس فاخذ قطعة خبز فغار بها جميع مافي الصحفة ففقد الرأس فاطرق ساعة ثم رفع رأسه الى الغلام وقال أين الرأس قال رميت به قال لم قال لم أظنه تاكله ولا

تسأل عنه قال ولأي شيء ظننت ذاك فوالله اني لابغض من يرمي برجله فضلا عن رأسه والرأس رئيس الاعضاء وفيه الحواس الخمس ومنه يصيح الديك وفيه العين التي يضرب بها المثل في الصفاء فيقال شراب مثل عين الديك ودماغه عجيب لوجع الكلية ولم ير قط عظم أهش من عظم رأسه فان كان بلغ من جهلك ان لا تأكله فعندنا من يأكله انظر أين هو قال والله ما أدري أين رميته قال لكني والله أدري رميت به في بطنك وأهدى رجل من قريش لزياد بن عبد الله وهو على المدينة طعاماً فثقل عليه ذلك فقال اجمعوا المساكين وأطعموهم اياه فجمعوا وكشف عن الطعام فاذا طعام له بال فندم على الارسال للمساكين وقال للغلام انطلق الى هؤلاء المساكين وقل لهم انكم تجتمعون في المسجد فتفسون فيه فتؤذون الناس لا أعلم أنه اجتمع فيه منكم اثنان (وقال) دخلت على عبد الله بن يحيي بن خالد بن أمية وقوم يأكلون عنده فمد يده الي رغيف من الخوان فرفعه وجعل يرطله بيده ويقول يزعمون ان خبزى صغير فمن هذا الزاني ابن الزانية الذي يأكل نصف رغيف منه (قال) ودخلت عليه يوماً والمائدة موضوعة والقوم يأكلون وقد رفع بعضهم يده فمددت يدي لآكل فقال اجهز على الجرحي ولا تعرض للاصحاء يقول تعرض للدجاجة التي قد نيل منها والفرخ المأخوذ منه فاما الصحيح فلا تتعرض له هذا معناه في الجرحى (وسئل) يحيي بن خالد عن طعام رجل فقال أما مائدته فمغبية وأما صحافه فمخروطة من حب الخردل وبين الرغيف والرغيف فترة نبي قال فمن يحضرها قال الكرام الكاتبون قال فمن يأكل معه قال الذباب قال له يحيي وأرى ثوبك مخرقاً فلا يكسوك ثوبا وأنت في صحبته قال جعلت فداك والله لو ملك

بيتا من بغداد الى الكوفة مملوأً ابراً وفي كل ابرة منه خيط وجاء يعقوب يسأله ابرة منها يخيط بها قميص يوسف الذي قد من دبر ومعه جبريل وميكائيل يضمنان عنده لم يفعل (أخذ) هذا المعنى محمد بن مسلمة فقال يهجو الاغلب

لو أن قصرك يا ابن أغلب كله إبر يضيق بهن رحب المنزل
وأتاك يوسف يستعيرك إبرة ليخيط قد قميصه لم تفعل

(وقيل) لحصين أتغديت عند فلان قال لا ولكني مررت به يتغدى قيل فكيف علمت أنه يتغدى قال رأيت غلمانه ببابه في أيديهم قسي البندق يرمون الذباب في الهواء (وقال أبو الحرث) حصين دخلت على فلان فوضع بين أيدينا مائدة كنا أشوق الى الطعام اذ رفعت منا اليه اذ وضعت (وحضر) اعرابي سفرة هشام بن عبد الملك فبينا هو يأكل اذ تعلقت شعرة في لقمة الاعرابي فقال له هشام عندك شعرة في لقمتك يا أعرابي قال وانك لتلاحظني ملاحظة من يرى الشعرة فى لقمتي والله لا أكلت أبداً وخرج وهو يقول

وللموت خير من زيارة باخل * يلاحظ أطراف الأكيل على عمد

وقال آخر

ولو عليك اتكالي في الغداء إذا * لكنت أو مقتول من الجوع
يقول عند دعاء الضيف مبتدئاً * صوت ضعيف وداع غير مسموع

(قال المدائني) كان للمغيرة بن عبد الله الثقفي وهو والي الكوفة جدي يوضع على مائدته بعد الطعام يمسه هو ولا أحد ممن يحضر فحضر فائدته اعرابي فبسط يده وأسرع في الاكل فقال يا أعرابى انك لتأكل

الجدي بحرد كأن أمه نطحتك فقال له الاعرابي أصلحك الله وأنت تشفق عليه كأن أمه أرضعتك ثم بسط الاعرابي يده الى بيضة بين يده فقال أخذها فانها بيضة العقر فلم يحضر طعامه بعد ذلك (ودخل) أشعب على والي المدينة فحضر صعامه وكان له جدي على مائدته يتحاماه على من حضر فبدر اليه أشعب فمزقه فقال له ياأشعب ان أهل السجن ليس لهم امام يصلي بهم فان رأيت أن تكون لهم إماماً تصلي بهم فان في ذلك أجراً فقال والله ما أحب هذا الاجر ولكن زوجتي طالق ان أكلت لحم جدي عندك حتى ألقى الله (قال) عمر بن ميمون تغديت يوماً عند الكندي فدخل عليه رجل كان جاراً وصديقاً لي فلم يعرض عليه الطعام ونحن نأكل فاستحيت أنا منه فقلت سبحان الله لو دنوت فاصبت معنا قال قد والله فعلت قال الكندي مابعد الله شيء قات فكيف قال والله لو بسط يده ليأكل لكان كافياً * قال ومررت ببعض طرق الكوفة فاذا أنا برجل يخاصم جاراً له فقلت ما بالكما فقال أحدهما ان صديقاً لي زارني واشتهي علي رأساً فاشتريته له وتغدينا فاخذت عظامه فوضعتها عند باب داري أتجمل بها عند جيراني فجاء هذا وأخذها ووضعها على باب داره يوهم الناس أنه هو الذي أكل الرأس (قال) رجل من البخلاء لولده اشتروا لي لحماً فاشتروا له وأمر بطبخه حتى تهرى فأكل منه حتى انتهت نفسه وشرعت اليه عيون ولده فقال ماأنا مطعمه أحداًمنكم الا من أحسن صفة أكله فقال الاكبر أتعرقه ياأبت حتى لا أدع للذرة فيه مقيلا قال لست بصاحبه فقال الاوسط أتعرفه ياأبت حتى لايدري العامة هو أم لعام أول قال لست بصاحبه فقال الاصغر أتعرقه ياأبت ثم أدقه دقا وأسفه سفاً قال أنت صاحبه وهو

لك دونهم (وقال عمرو بن بحر الجاحظ) كان أبو عبدالرحمن الثوري يعجبه الرؤس ويصفها ويسميها العرس لما فيها من الالوان الطيبة وربما سماه الكامل والجامع ويقول الرأس شيء واحد وهو ذو ألوان عجيبة وطعوم مختلفة والرأس فيه الدماغ وطعمه مفرد وفيه العينان وطعمهما مفرد والشحمة التي بين أصل الأذن ومؤخر العين وطعمهما مفرد على ان هذه الشحمة خاصة أطيب من المخ وأرطب من الزبد وأدسم من السلاي وفي الرأس اللسان وطعمه مفرد والخيشوم والغضروف ولحم الخدين وكل شيء من هذه طعمه مفرد والرأس سيد البدن والدماغ هو معدن العقل وحاسة الحواس وبه قوام البدن وفيه يقول الشاعر

اذا نزعوا رأسي وفي الرأس أكثري * وغودر عند الملتقى ثم سائري

(وقيل) لاعرابي أتحسن ان تأكل الرأس قال نعم أعض العينين وأفك لحييه وأنقى خديه وأرمي الدماغ الى من هو أحق به مني وكانوا يكرهون أكل الدماغ ولذا يقول قائلهم * ولا أبتغي المخ الذي في الجماجم *

(وكان) أبو عبد الرحمن يجلس مع ابنه يوم الرأس ويقول له إياك ونهم الصبيان وبغر السباع وأخلاق النوابح ونهش الاعراب وكل مابين يديك فانما حظك منه ماقابلك وأعلم أنه اذا كان فى الطعام شيء ظريف من لقمة كريمة أو مضغة شهية فانما ذلك للشيخ المعظم والصبي المدلل ولست بواحد منهما وقد قالوا مد من اللحم كمد من الخمر أي بني لا تخضم خضم البراذين ولا تدمن الا كل أدمان النعاج ولا تلقم لقم الجمال ولا تنهش نهش السباع وعود نفسك الأثرة ومجاهدة الهوى والشهوة فان الله جعلك إنساناً فلا تجعل نفسك بهيمة واحذر سرعة الكظة وسرف البطنة فقد قال بعض

الحكماء اذا كنت نهما فعد نفسك من الزمنى واعلم ان الشبع داعية البشم والبشم داعية السقم والسقم داعية الموت ومن مات هذه الميتة فقد مات ميتة جاهلية لانه قاتل نفسه وقاتل نفسه ألأم من غيره أي بنى والله ماأدى حق الركوع والسجود ذو كظة ولا خشع لله ذو بطنة والصوم صحة والوصال عيش الصالحين أي بني لامر ماطالت أعمار الرهبان وصحت أبدان الاعراب ولله در الحرث بن كلدة حيث زعم ان الدواء هو الازم وان الدواء كله هو من فضول الطعام فكيف لا يرغب في شيء يجمع لك صحة البدن وذكاء الذهن وصلاح الدين والدنيا والقرب عن عيش الملائكة أي بنى ماصار الضب أطول شيء عمرا الا أنه يتبلع النسيم وما زعم الرسول ان الصوم وجاء الا أنه جعله حاجزاً دون الشهوات فافهم تأديب الله وتأديب الرسول أي بني قد بلغت تسعين عاماً ماانفض لي سن ولا انتشر لي عصب ولا عرفت وكف أنف ولا سيلان عين ولا سلس بول وما لذلك علة الا التخفف من الزاد فان كنت تحب الحياة فهذه سبيل الحياة وان كنت تحب الموت فلا أبعد الله غيرك (ومن البخلاء) أبو الاسود الدؤلي وقفت عليه امرأة وهو في فسطاط وبين يديه طبق تمر فقالت السلام عليك قال أبو الاسود كلمة مقبولة * ووقف عليه أعرابي وهو يأكل فقال الاعرابي أدخل قال وراءك أوسع لك قال الرمضاء أحرقت رجلي قال بل عليهما يبردان وقال أتأذن لي ان آكل معك قال سيأتيك ما قدر لك قال تالله مارأيت رجلا ألأم منك قال بلى قد رأيت الا انك نسيت ثم أقبل أبو الاسود يأكل حتى لم يبق في الطبق الا تميرات يسيرة نبذها له فوقعت تمرة منها فأخذها الاعرابي ومسحها بكسائه فقال أبو الاسود ياهذا ان الذي تمسحها به أقذر من الذي تمسحها له

قال كرهت ان أدعها للشيطان قال لا والله ولا لجبريل وميكائيل ما كنت لتدعها (الاصمعي) قال مر رجل بأبي الاسود الدؤلي وهو يقول من يعشى الجائع فقال أبو الاسود علي به فأتاه بعشاء كثير وقال كل حتى تشبع فلما أكل ذهب ليخرج قال أين تريد قال أريد أهلي قال لا أدعك تؤذى المسلمين الليلة بسؤالك إطرحوه في الادهم فبات عنده مكبولا حتى أصبح (قال الهيثم بن عدى) نزل بابن أبي حفصة ضيف باليمامة فاخلى له المنزل ثم هرب عنه مخافة ان يلزمه قراه تلك الليلة نخرج الضيف فاشترى ما يحتاجه ثم رجع وكتب عليه

يا أيها الخارج من بيته * وهاربا من شدة الخوف
ضيفك قد جاء بزاد له * فارجع تكن ضيفا على الضيف

وقال آخر بت ضيفا لهشام * في شرابي وطعامي
وسراجي الكوكب الد * زي في داجي الظلام
لا حراما أجد الخبـ * ـز ولا غير الحرام

وله بت ضيفاً لهشام * فشكا الجوع عدمته
وبكي لا صنع الله * ه له حتى رحمته

وكان شيخ من البخلاء يأتي ابن المقفع فالح عليه ان يتعدى عنده في منزله فيمطله ابن المقفع فيقول أتراني أتكلف لك شيأ لا والله لا أقدم لك الا ماعندي فلا تتثاقل على فلم يزل به حتى أجابه وأتى به الى منزله فاذا ليس عنده الا كسر يابسة وملح جريش فقدمه له ووقف سائل بالباب فقال له بورك فيك فألح في السؤال فقال والله لئن خرجت اليك لادقن ساقيك فقال ابن المقفع للسائل أرح نفسك وأنج والله لو علمت من صدق وعيده

ماعلمت أنا من صدق وعده ماوقفت ساعة ولا راجعته كلمة (وانتقل) رجل من البخلاء الى دار فابتاعها فلما حلها وقف سائل فقال له صنع الله لك ثم وقف ثان فقال له مثل ذلك ثم وقف ثالث فقال له مثل ذلك فقال لابنته ما أكثر السؤال في هذا المكان فقالت له يا أبت ماتمسكت لهم بهذا القول فما تبالي كثروا أم قلوا (الاصمعي) تقول العرب ماعلمتك الا برما قرونا البرم الذي يا كل مع أصحابه ولا يجعل شيئاً والقرون الذي يا كل تمرتين تمرتين (وألأم اللئام وأبخل البخلاء) حميد الارقط الذي يقال له هجاء الاضياف وهو القائل في ضيف نزل به وآكله

مابين لقمته الاولى اذا انحدرت * وبين أخرى تليها قيدأ ظفور

وله يجهز كفاه ويحدر حلقه * الى الزور ماضمت عليه الانامل

أتانا وماسواه سحبان وائل * بيانا وعلما بالذي هو قائل

فما زال عنه اللقم حتى كأنه * من العى لما ان تكلم باقل

﴿ وله في الاضياف ﴾

لامرحباً بوجوه القوم اذ دخلوا * دسم العمائم تحكيها الشياطين * باتو وجلة تمرحل بينهم كأن ايديهم فيها السكاكين * فاصبحوا والنوى عالى معرسهم * وليس كل النوى تلقى المساكين

* ﴿ ماقالت الشعراء في طعام البخلاء ﴾ *

(فمن أهجى) ماقيل في طعام البخلاء قول جرير فى بني تغلب

والتغلبي اذا تنحنح للقرى * حك استه وتمثل الامثالا

وقوله فيهم

قوم اذا أكلوا أخفوا كلامهم * واستوثقوا من رتاج الباب والدار

قوم اذا نبح الاضياف كلبهم * قالوا لامهم بولى على النار

وقال الراعي

اللاقطين النوى تحت الشياه كما * تحت كرادم دهم في مخاليها

فأين هؤلاء من قول الآخر

أبلج بين حاجبيه نوره * اذا تغدى رفعت ستوره

ولآخر

أبو نوح اتيت اليه يوماً * فغدانى برائحة الطعام

وقدم بيننا لحماً سميناً * أكلناه على طبق الكلام

فلما ان رفعت يدى سقاني * كؤساً حشوها ريح المدام

فكنت كمن سقى ظمآن ماء * وكنت كمن تغدى في المنام

ولآخر

تراهم خشية الاضياف خرساً * يصلون الصلاة بلا أذان

﴿ ولحماد بن جعفر ﴾

حديث أبى الصلت ذو خبرة * بما يصلح المعدة الفاسدة تخوف تخمة اخوانه فعودهم أكلة واحدة

ولآخر أتانا بخبز له حامض * كمثل الدراهم في رقته

إذا ما تنفس حول الخوان * تطاير في البيت من خفته

فنحن كظوم له كلنا * يرد التنفس من خشيته

فيكلمه اللحظ من رقة * ويأكله الوهم من قلته

(نزل) رجل من العرب ببخيل فقدم اليه جراد فعافها وأمر برفعه

وقال لحا الله بيتاً ضمني بعدهجعة * اليه دجوجي من الليل مظلم
فابصرت شيخاً قاعداً بفنائه * هو العير الا أنه يتكلم
أتانا ببرقان الدبى في إنائه * ولم يك برقان الدبى لي مطعم
فقلت له غيب انائك واعتزل * فهذا وهذا لا أبالك مسلم

(ضاف القطامي) الشاعر في ليلة ريح ممطرة عجوزاً من محارب فلم تقره شيأ فرحل عنها وقال

تضيفت في برد وريح تلفني * وفي طرمساء غير ذات كواكب
الى حيز بون توقد النار بعد ما * تلفعت الظلماء من كل جانب
تصلي بها برد العشاء ولم تكن * تخال وميض النار يبدي لراكب
فما راعها الا بغام مطيتي * تريح بمحصور من الصدر لاغب
فجنت جنوناً من أولات مناحة * ومن رجل عاري الاشاجع شاحب
سرى في جليد الليل حتى كانما * يحزم بالاطراف شوك العقارب
تقول وقد قربت كوري وناقتي * اليك فلا تذعر على ركائبي
فسلمت والتسليم ليس يسرها * ولكنه حق على كل جائب
فردت سلاما كارهاً ثم أعرضت * كما انحاشت الافعى مخافة ضارب
فلما تنازعنا الحديث سألتها * من الحي قالت معلنا من محارب
من المشتوين القد في كل شتوة * وان كان عام الناس ليس بناصب
فلما بدا حرمانها الضيف لم يكن * علي مبيت السوء ضربة لازب
وقمت الى مهرية قد تعودت * يداها ورجلاها حثيث المواكب
الا إنها نيران قيس اذا شتوا * لطارق ليل مثل نار الحباحب

(وقال الخليل بن أحمد)

كفاه لم يخلقا للندى * ولم يكن خلقهما بدعه
فكف عن الخير مقبوضة * كما نقصت مائة سبعة
وكف ثلاثة آلافها * وتسع مياه لها سرعه

قال غيره

وجيرة لا ترى في الناس مثلهم * اذا يكون لهم عيد وإفطار
ان يوقدوا يوسعونا من دخانهم * وليس يبلغنا ما تنضج النار

﴿ وقال أحمد بن نعيم السلمي في بني حسان ﴾

اذا احتفلوا للضيف لهوج قدرهم * جراديم أشباه النخاعة تبلع
تبل جيار الضيف حتي ترده * وتصبح من عين استه تتطلع
ويقريك من أكرهته من سوادهم * قرى الحي أو أدنى تجوع ويشبع
عظاماً وأرواثا وبعراوان يكن * لدى القوم نار يشتوى لك ضفدع

ولآخر فبتنا كانا بينهم أهل مأتم * على ميت مستودع بطن ملحد
يحدث بعض بعضنا بمصابه * ويأمر بعض بعضنا بالتجلد

ولآخر ذهب الكرام فلا كرام * وبقى الغطاريف اللئام
من لا يقيل ولا ينيل * ولا يشم له طعام

ولآخر صدق أليته ان قام مجتهداً * لا والرغيف فذاك البر من قسمه
فان هممت به فافتك بخبزته * فان موقعها من لحمه ودمه
قد كان يعجبني لوان غيرته * على جرادقه كانت على حرمه

ولآخر ان هذا الفتى يصون رغيفا * ماإليه لناظر من سبيل
هو في سفرتين من أدم الطا * ئف في سلتين في منديل

في جراب في جوف تابوت موسى * والمفاتيح عند ميكائيل

(وقال أبو نواس في فضل الرقاشي)

رأيت قدور الناس سوداً من الطلا * وقدر الرقاشيين زهراء كالبدر
يضيق بحيزوم البعوضة صدرها * ويخرج ما فيها على قلم الظفر
اذا ما تنادوا للرحيل سعى بها * أمامهم الحولي من ولد الذر

وقال في اسمعيل الكاتب

خبز اسمعيل كالوشـ ... ـي اذا ما انشق يرفى
عجباً من أثر الصنـ ... ـعة فيه كيف يخفى
ان رفاءك هذا ... ألطف الامة كفا
فاذا قابل بالنصـ ... ـف من الجردق نصفاً
أحكم الصنعة حتى ... ما يرى مغرز اشفا

ولآخر

ارفع يمينك من طعامه ... ان كنت ترغب في كلامه
سيان كسر رغيفه ... أو كسر عظم من عظامه

ولآخر

رأيت الخبز عز لديك حتى ... حبست الخبز في جوف السحاب
وما روحتنا لتذب عنا * ... ولكن خفت من دب الذباب

ولآخر

يحذر أن تتخم اخوانه ... ان أذى التخمة محذور
ويشتهي ان يؤجروا عنده ... بالصوم والصائم مأجور

(ومن قولنا في نحوه)

لا يفطر الصائم من أكله ... لكنه صوم لمن أفطرا
في وجهه من لؤمه شاهد ... يكفي به الشاهد أن يخبرا
لم يعرف المعروف أفعاله ... قط كما لم ينكر المنكرا

وقال آخر

خليلي من كعب أعينا أخاكما　　على دهره ان الكريم معين
ولا تبخلا بخل ابن قرعة انه　　مخافة أن يرجى نداه حزين
كأن عبيد الله لم يلق ماجداً　　ولم يدر أن المكرمات تكون
فقل لابي يحيي متى تدرك العلا　　وفي كل معروف عليك يمين
اذا جئته في حاجة سد بابه　　فلم تلقه الا وأنت كمين

(الرياشي) قال صاحب رجل رجلا من البخلاء فقال له احملني فقال ما كنت لانزل واحملك قال ما أنت بحاتمي حتى تقول

أنخها فاردفها فان حملتكما　　فذاك وان كان العقاب فعاقب

قال ما فيها محمل ولابي طاقة على المشى وقد قال شاعرهم حاتم

أماوي أما مانع فمبين　　واما عطاء لا ينهنه الزجر

وقال كثير عزة

مهين تلاد المال فيما ينوبه　　منوع اذا ما نعته كان أحزما

سأل عبد الرحمن بن حسان بن ثابت من بعض الولاة حاجة فلم يقضها فتشفع اليه برجل فقضاها فقال

ذممت ولم تحمد وأدركت حاجتي　　تولى سوا كم أجرها واصطناعها
أبى لك كسب المجد رأي مقصر　　ونفس أضاق الله بالخير باعها
اذا هى حثته على الخير مرة　　عصاها وان همت بشر أطاعها

احتاج أبو الاسود الدؤلي مرة فبعث الى جار له موسر يستسلفه وكان حسن الظن به فاعتل عليه ورده فقال

لا تشعرن النفس بأسا فانما يعيش بجد حازم وبليد

ولا تطمعن في مال جار لقربه فكل قريب لا ينال بعيد

(وكتب) الى آخر يستسلفه فكتب اليه المؤنة كثيرة والفائدة قليلة والمال مكذوب عليه فكتب اليه أبو الاسود ان كنت كاذبا فجعلك الله صادقا وان كنت صادقاً فجعلك الله كاذباً وقال بعض الشعراء في بخيل

ميت مات وهو في كنف العيش مقيم في ظل عيش ظليل

في عداد الموتى وفي عامر الدنـ يا أبو عامر أخي وخليلي

لم يمت ميتة الحياة ولكن مات عن كل صالح وجميل

ولاخر فاما قراه كله فلنفسه * ومال يزيد كله ليزيد

ولاخر له يومان يوم ندى ويوم * يسل السيف فيه من القراب

فاما جوده فعلى النصارى * واما باسه فعلى الكلاب

ولاخر

قدحت باظفاري واعملت معولى * فصادفت جلمودا من الصخر أملسا

تجهم لما تمت في وجه حاجتى * واطرق حتى قلت قد مات أو عسى

فاجمعت ان انعاه لما رأيته * يفوق فواق الموت حتى تنفسا

(وقال أبو جعفر البغدادي)

جاء بدينارين لى صالح * أصلحه الله واخزاهما

أدناهما تحمله ذرة * وتلعب الريح باقواهما

بل لو وزنا لك كلتيهما * ثم عمدنا فوزناهما

لكان لا كانا ولا أفلحا * عليهما يرجح ظلاهما

(ولحماد عجرد)

أورق بخيرك تؤمل للجزيل فما * ترجى الثمار اذا لم يورق العود

وللبخيل على أمواله علل * زرق العيون عليها أوجه سود

ان الكريم ترى في الناس عفته * حتى يقال غنى وهو مجهود

(وانشد) جاد ابن موسى من دنانيره * لنا بدينارين أسراراً

كلاهما في الكف من خفة * لو نفخا من فرسخ طارا

قلت وقلبي لهما منكر * أيهما للخير قسطارا

فكان هذا عنده بهرجا * وكان هذا عنده بارا

ثم وزنا واحداً منهما كان له القسطار مختارا

فكان في كفة ميزانه ينقص قيراطاً وديناراً

(سمع رجل ابن المناذر ينشد)

فارمي بطرفك حيث شئت فلن ترى الا بخيلا

فقال له بخلت الناس كلهم قال فأرني واحداً سمحا

(وقال بن ابي حازم)

وقالوا لو مدحت فتى كريماً فقلت وأين بفتى لي كريم

بلوت ومر بى خمسون عاماً وحسبك بالمجرب من عليم

فلا أحد يعد ليوم خير ولا أحد يعود على عديم

(ولآخر) لما رآنا فر بوابه واستد من غير يد بابه

كلب له من بعضه حاجب يحجبه ان غاب حجابه

كف من لا يهز عطفيه يوماً لمديح ولا ينال بذم

يتلقى الرجاء منه بوجه رائح الخد والجبين بسم
جئته زائراً فما زال يشكو لي حتى حسبته سيدمي
ألف اللؤم فيه من كل طرف معرقا فيه بين خال وعم
قد نهاني النصيح عنه مراراً بأبي أنت من نصيح وأمي

وقال الاصمعي قال أبو الاسود الدؤلي لو أطعمنا المساكين أموالنا لكنا أسوأ حالا منهم (وقال) لبنيه لا تطيعوا المساكين في أموالكم فانهم لا يقنعون منكم حتى يرونكم مثلهم (وقال) لهم أيضاً لا تجاودوا الله فانه لو شاء ان يغني الناس كلهم لفعل ولكنه علم ان قوماً لا يصلحهم الغنى ولا يصلح لهم الا الفقر وقوما لا يصلحهم الفقر ولا يصلح لهم الا الغنى (وقال) سهل ابن هرون لو قسمت في الناس مائة الف لكان الاكثر لائمي ونحوه قول ابن الجهم منع الجميع أرضى للجميع وقال رجل من تغلب أتيت رجلا من كندة اسأله فقال ياأخا بنى تغلب اني لن أملك حتى أحرم من هو أقرب ألي منك واني والله لو مكنت من داري لنقضوها طوبة طوبة والله ياأخا بنى تغلب مابقى بيدي من مالي واهلي وعرضي الا مامنعته من الناس وقال آخر من أعطى في الفضول قصر عن الحقوق وقال رجل لسهل بن هرون هبني مالا مرزئة عليك فيه قال وما ذاك ياابن أخى قال درهم واحد قال ياابن أخى لقد هونت الدرهم وهو طابع الله فى أرضه الذي لا يعصى والدرهم ويحك عشر العشرة والعشرة عشر المائة والمائة عشر الالف والالف دية المسلم ألا ترى ياابن أخى الى أين انتهاء الدرهم الذي هونته وهل بيوت المال الا درهم على درهم (وروى) عن لقمان الحكيم انه قال لابنه يابني أوصيك باثنتين ماتزال بخير ماتمسكت بهما درهمك لمعاشك ودينك لمعادك

وقال أبو الاسود امساكك مابيدك خير من طلبك ما بيد غيرك وأنشد في المعنى

يلوموني في البخل جهلا وضلة   وللبخل خير من سؤال بخيل

(ونظيره قول المتلمس)

وحبس المال خير من نفاد   وضرب في البلاد بغير زاد
واصلاح القليل يزيد فيه   ولا يبقى الكثير مع الفساد

(وقيل لخالد بن صفوان) مالك لاتنفق فان مالك عريض قال الدهر أعرض منه قيل له كأنك تؤمل ان تعيش الدهر كله قال لا ولكن أخاف أن لاأموت في أوله (وقال الجاحظ) للحرامي اترضى أن يقال لك بخيل قال لا أعدمني الله هذا الاسم لانه لايقال لي بخيل الا وانا ذو مال فسلم لي المال وسمني بأي اسم شئت فقال جمع الله لاسم السخاء المال والحمد وجمع لاسم البخل المال والذم قال بينهما فرق عجيب وبون بعيد ان في قولهم بخيل سببا لمكث المال وفي قولهم سخي سبباً لخروج المال عن ملكي واسم البخيل فيه حزم واسم السخي فيه تضييع وحمد والمال ناض نافع ومكرم لاهله والحمد ريح وسخرية ومسمعة وطرمذة وما أقل غنى الحمد عنه اذا جاع بطنه وعرى ظهره وضاع عياله وشمت به عدوه (وقال محمد بن الجهم) من شان من استغنى عنك ان لايقيم عليك ومن احتاج اليك ان لايزول عنك فمن حبك لصديقك وضنك بمودته ان لاتبذل له مايغنيه عنك وان تتلطف له فيما يحوجه اليك وقد قيل في مثل هذا أجع كلبك يتبعك وسمنه يأكلك فمن أغنى صديقه فقد أعانه على الغدر وقطع أسبابه من الشكر والمعين على الغدر شريك الغادر كما ان مزين الفجور شريك الفاجر (وقال يزيد بن

عمر الاسدى) لبنيه يابني تعلموا الرد فانه أسد من العطاء ولان تعلم بنو تميم ان عند أحدكم مائة الف درهم أعظم له في أعينهم من ان يقسمها عليهم ولان يقال لاحدكم بخيل وهو غني خير له من ان يقال له سخي وهو فقير وقال الخزامى يقولون ثوبك على صاحبك أحسن منه عليك فما ظنك ان كان أقصر مني أليس يتخيل قميصي وان كان أطول مني أليس يصير آية للسائلين فمن أسوأ أثراً على صديقه ممن جعله ضحكة فما ينبغي لى ان اكسوه حتى اعلم انه فيه مثلى فتى يتفق هذا (وقال) أبو نواس كان معنا في السفينة ونحن نريد بغداد رجل من أهل خراسان وكان من فقهائهم وعقلائهم وكان يأكل وحده فقلت له لم تأكل وحدك فقال ليس على في هذا مسئلة انما المسئلة من اكل مع الجماعة لانه يتكلف واكلى وحدى هو الاصل واكلى مع الجماعة تكلف ماليس على (ووقع) درهم بيد سليمان بن مزاحم فجعل يقلبه ويقول في شق لااله الا الله محمد رسول الله وفي شق آخر قل هو الله أحد ماينبغي لهذا ان يكون الا تعويذ اورقية ورمى به في الصندوق وكان أبو عيسى بخيلا وكان اذا وقع الدرهم بيده طنه بظفره وقال يادرهم كم من مدينة دخلتها وأيد دوختها فالآن استقربك القرار واطمأنت بك الدار ثم رمى به في الصندوق (وقال) رجل لثمامة بن اشرس ان لى اليك حاجة قال وانا لى اليك حاجة قال وما حاجتك الي قال لااذكرها حتى تضمن قضاءها قال قد فعلت قال فان حاجتي اليك ان لاتسألني حاجة فانصرف الرجل عنه (وكان) ثمامة يقول مابال أحدكم اذا قال له الرجل اسقني أتى باناء على قدر اليد أو اصغر واذا قال اطعمني أتاه من الخبز بما يفضل عن الجماعة والطعام والشراب اخوان أما انه لولا رخص الماء وغلاء الخبز ما كلبوا على الخبز

وزهدوا في الماء الناس أرغب شيء في المأكول اذا كثر ثمنه أو كان قليلا في منبته ألا ترى الباقلا الاخضر أطيب من الكمثري والباذنجان أطيب من الكماة ولكن أهل التحصيل والنظر قليل وانما يشتهون على قدر الثمن (وكان) يقول اياكم وأعداء الخبز ماتأتدمون به وأعدى عدو له المالح فلولا ان الله أعان عليه بالماء لاهلك الحرث والنسل وكان يقول كلوا الباقلا بقشره فان الباقلا يقول من أكلني بقشري فقد أكلني ومن أكلني بغير قشري فقد أكلته فما حاجتكم ان تصيروا طعاماً الى طعامكم (الاصمعي) قال جاء رجل من بني عقيل الى عمرو بن هبيره فمت اليه بقرابة وسأله ان يعطيه فلم يعطه شيئاً ثم عاد اليه بعد أيام فقال أنا العقيلي الذي سألتك منذ أيام فقال له ابن هبيرة وأنا الفزاري الذي منعتك منذ أيام فقال معذرة اليك اني سألتك وأنا أظناك يزيد بن هبيرة المحاربي قال ذلك الأم لك عندي وأهون بك على فما في قومك مثلي فلم تعرفه ومات مثل يزيد ولم تعلم به ياحرسي اسفع بيده (ومن أشعار البخلاء) الذين يتمثلون بها

وزهدني في كل خير صنعته ... الى الناس ماجربت من قلة الشكر

(ولآخر)

ارفع قميصك ما اهتديت لجيبه ... فاذا أضلك جيبه فاستبدل

(ولابن هرمة)

قد يدرك الشرف الفتى ورداؤه ... خلق وجيب قميصه مرقوع

(ومن أمثالهم) في البخل وخلف الوعد قولهم تختلف الاقوال اذا اختلفت الاخوان وقولهم

« كلام الليل يمحوه النهار » وقولهم * بروق الصيف كاذبة الرعود

(رسالة سهل بن هرون في البخل) بسم الله الرحمن الرحيم أصلح الله أمركم وجمع شملكم وعلمكم الخير وجعلكم من أهله قال الاحنف بن قيس يا معشر بني تميم لا تسرعوا الى الفتنة فان أسرع الناس الى القتال أقلهم حياء من الفرار وقد كانوا يقولون اذ اردت أن ترى العيوب جمة فتأمل عيابا فانه انما يعيب الناس بفضل ما فيه من العيب ومن أعيب العيب ان تعيب ماليس بعيب وقبيح ان تنهى مرشدا وان تغري بمشفق وما أردنا بما قلنا الا هدايتكم وتقويمكم واصلاح فاسدكم وابقاء النعمة عليكم ولئن أخطأنا سبيل ارشادكم فما أخطأ سبيل حسن النية فيما بيننا وبينكم وقد تعلمون أنا ماأوصيناكم الا بما اخترناه لكم ولانفسنا قبلكم وشهرنا به في الافاق دونكم ثم تقول في ذلك ماقال العبد الصالح لقومه وما أريد ان اخالفكم الى ماانهاكم عنه ان أريد الا الاصلاح ما استطعت وما توفيقي الا بالله عليه توكلت فما كان احقنا بكم في حرمتنا بكم ان ترعوا حق قصدنا بذلك اليكم على مارعيناه من واجب حقكم فلا العذر المبسوط بلغتم ولا بواجب الحرمة قمتم ولو كان ذكر العيوب يراد به فخرا لرأينا في انفسنا من ذلك شغلا عبتموني بقولي لخادمي اجيدى العجين فهو اطيب لطعمه وأزيد في ريعه وقد قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه املكوا العجين فانه أحد الريعين وعبتموني حين ختمت على شيء عظيم وفيه شيء ثمين من فاكهة رطبة نقية ومن رطبة غريبة على عبد نهم وصبي جشع وأمة لكعاء وزوجة مضيعة وليس من أصل الادب ولا في ترتيب الحكم ولا في عدالة العادة ولا في تدبير السادة ان يستوى في نفيس المأكول وغريب المشروب وثمين الملبوس وخطير

المركوب التابع والمتبوع والسيد المسود كما لاتستوي مواضعهم في المجالس ومواقع أسمائهم في العنوان ومن شاء أطعم كلبه الدجاج السمين وعلف حماره السمسم المقشر وعبتموني بالختم وقد ختم بعض الائمة على مزود سويق وعلى كيس فارغ وقال طينة خير من طية فامسكتم عمن ختم على وعبتم من ختم على شيء وعبتموني ان قلت للغلام اذا زدت في المرق فزد في الانضاج ليجتمع مع التأدم باللحم طيب المرق وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا طبخ أحدكم لحما فليزد من الماء فمن لم يصب لحما اصاب مرقا وعبتموني بخصف النعل وبتصدير القميص وحين زعمت ان المخصوفة من النعل أبقى وأقوى وأشبه بالشد وان الترقيع من الحزم والتفريط من التضييع والاجماع مع الحفظ وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخصف نعله ويرقع ثوبه ويلعق أصابعه ويقول لو أهدى الي ذراع لقبلت ولو دعيت الي كراع لاجبت وقال عليه الصلاة والسلام من لم يشبع من الحلال خفت مؤنته وقل كبره وقالت الحكماء لاجديد لمن لم يلبس الخلق وبعث زياد رجلا يرتاد له محدثا واشترط عليه ان يكون عاملا فاتاه به موافقا فقال له اكنت به ذا معرفة قال لا ولكني رأيته في يوم قائظ يلبس خلقا ويلبس الناس جديدا فتفرست فيه العقل والادب وقد علمت ان الخلق في موضعه مثل الجديد في موضعه وقد جعل الله لكل شيء قدرا وسما به موضعا كما جعل لكل زمان رجالا ولكل مقام مقالا وقد أحيا الله بالسم وأمات بالدواء واغص بالماء وقد زعموا ان الاصلاح احد الكاسبين كما زعموا ان قلة العيال أحد اليسارين وقد جبر الاحنف بن قيس يد عنز وأمر مالك بن انس بفرك النعل وقال عمر بن الخطاب من اكل بيضة فقد اكل دجاجة ولبس سالم بن عبد الله جلد أضحية

وقال رجل لبعض الحكماء أريد ان أهدي اليك دجاجة فقال ان كان لا بد
فاجعلها بيوضا وعبتموني حين قلت من لم يعرف مواضع السرف في الموجود
الرخيص لم يعرف مواضع الاقتصاد في الممتنع الغالي ولقد أتيت بماء للوضوء
على مبلغ الكفاية وأشد من الكفاية فلما صرت الى تفريق اجزائه على
الاعضاء والى التوفير عليها من وضيمة الماء وجدت في الاعضاء فضلا عن
الماء فعلمت ان لو كنت ملكت الاقتصاد في أوائله لخرج آخره على كفاية
أوله ولكان نصيب الاول كنصيب الآخر فعبتموني بذلك وشنعتم عليّ
وقد قال الحسن وذكر السرف أما انه ليكون في الماء والكلاء فلم يرض
بذكر الماء حتى اردفه الكلاء وعبتموني ان قلت لايغترن أحدكم بطول
عمره وتقويس ظهره ورقة عظمة ووهن قوته وان يرى نحوه اكثر ذريته
فيدعوه ذلك الى اخراج ماله من يده وتحويله الى ملك غيره والى تحكيم
السرف فيه وتسليط الشهوات عليه فلعله ان يكون معمرا وهو لايدري
وممدودا له في السن وهو لايشعر ولعله ان يرزق الولد على الياس ويحدث
عليه من آفات الدهر مالا يخطر على بال ولا يدركه عقل فيسترده ممن
لايرده ويظهر الشكوى الى من لا يرحمه أصعب ماكان عليه الطلب وأقبح
ماكان به ان يطاب فعبتموني بذلك وقد قال عمرو بن العاصي اعمل لدنياك
كأنك تعيش أبداً واعمل لاخرتك كأنك تموت غدا وعبتموني بان قلت
بان السرف والتبذير الى مال المواريث وأموال الملوك وان الحفظ للمال
المكتسب والغنى المجتلب والى من لايعرض فيه بذهاب الدين واهتضام
العرض ونصب البدن واهتضام القلب أسرع ومن لم يحسب نفقته لم يحسب
دخله ومن لم يحسب الدخل فقد أضاع الاصل ومن لم يعرف للغنى قدره فقد

أذن بالفقر وطاب نفسا بالذل وعبتموني بان قلت ان كسب الحلال يضمن الانفاق في الحلال وان الخبيث ينزع الى الخبيث وان الطيب يدعو الى الطيب وان الانفاق في الهوى حجاب دون الهوى فعبتم على هذا القول وقد قال معاوية لم أر تبذيرا قط الا والى جنبه تضييع وقد قال الحسن ان أردتم ان تعرفوا من أين أصاب الرجل ماله فانظروا فيما ذا ينفقه فان الخبيث انما ينفق في السرف وقلت لكم بالشفقة عليكم وحسن النظر مني لكم وأنتم في دار الافات والجوائح غير مأمونات فان أحاطت بمال أحدكم آفة لم يرجع الى نفسه فاحذروا النقم واختلاف الامكنة فان البلية لا تجرى في الجميع الا بموت الجميع وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه في العبد والامة والشاة والبعير فرقوا بين المنايا واجعلوا الرأس رأسين وقال ابن سيرين كيف تصنعون بأموالكم قالوا نفرقها في السفن فان عطب بعض سلم بعض ولولا ان السلامة اكثر ما حملنا أموالنا في البحر قال ابن سيرين يحسبها حذقاء وهي ضياع وعبتموني بان قلت لكم عند اشفاقي عليكم ان للغنى لسكرا او للمال لثروة فمن لم يحفظ الغنى من سكره فقد اضاعه ومن لم يرتبط المال بخوف الفقر فقد اهمله فعبتموني بذلك وقد قال زيد بن جبلة ليس أحد أقصر عقلا من غنى أمن الفقر وسكر الغنى اكثر من سكر الخمر وقال الشاعر في يحيي بن خالد بن برمك

وهوب تلاد المال فيما ينوبه   منوع اذا ما منعه كان أحزما

وعبتموني حين زعمتم اني اقدم المال على العلم لان المال به يفاد العلم وبه تقوم النفس قبل ان تعرف فضل العلم فهو أصل والاصل أحق بالتفضيل من الفرع فقلتم كيف هذا وقد قيل لرئيس الحكماء الاغنياء أفضل أم العلماء قال العلماء قيل له فما بال العلماء يأتون أبواب الاغنياء اكثر ما يأتي

الاغنياء أبواب العلماء قال ذلك لمعرفة العلماء بفضل المال وجهل الاغنياء بحق العلم فقلت حالهما هي القاضية بينهما وكيف يستوي شيء حاجة العامة اليه وشيء يغني فيه بعضهم عن بعض وكان النبي صلى الله عليه وسلم يأمر الاغنياء باتخاذ الغنم والفقراء باتخاذ الدجاج وقال أبو بكر رضي الله عنه اني لابغض اهل بيت ينفقون نفقة الايام في اليوم الواحد وكان أبو الاسود الدؤلى يقول لولده اذا بسط الله لك الرزق فابسط واذا قبض فاقبض وعبتموني حين قلت فضل الغنى على القوت انما وكفضل الالة تكون في البيت ان احتيج اليها استعملت وان استغنى عنها كانت عدة وقد قال الحصين بن المنذر وددت ان لى مثل أحد ذهبا لاانتفع منه بشيء قيل له فما كنت تصنع به قال لكثرة من كان يخدمني عليه لان المال مخدوم وقد قال بعض الحكماء عليك بطلب الغنى فلو لم يكن فيه الا انه عز في قلبك وذل في قلب عدوك لكان الحظ فيه جسيما والنفع فيه عظيما ولسنا ندع سيرة الانبياء وتعليم الخلفاء وتأديب الحكماء لاصحاب اللهو ولستم علي تردون ولا رأيي تفندون فقدموا النظر قبل العزم وأدركوا مالكم قبل ان تدركوا مالكم والسلام عليكم

﴿ فصل في الكبر وآفته ﴾

اعلم ان الكبر ينقسم الى باطن وظاهر فالباطن هو خلق في النفس والظاهر هو أعمال تصدر من الجوارح واسم الكبر بالخلق الباطن أحق وأما الاعمال فانها ثمرات لذلك الخلق وخلق الكبر موجب للاعمال ولذلك اذا ظهر على الجوارح يقال تكبر واذا لم يظهر يقال في نفسه كبر فالاصل هو الخلق الذي في النفس وهو الاسترواح والركون الى رؤية النفس فوق المتكبر عليه فان الكبر يستدعى متكبرا عليه ومتكبرا به

وبه ينفصل الكبر عن العجب فان العجب لا يستدعى غير المعجب بل لو لم يخلق الانسان الا وحده تصور ان يكون معجبا ولا يتصور ان يكون متكبرا الا ان يكون مع غيره وهو يرى نفسه فوق ذلك الغير في صفات الكمال فعند ذلك يكون متكبرا ولا يكفي ان يستعظم نفسه ليكون متكبرا فانه قد يستعظم نفسه ولكنه يرى غيره اعظم من نفسه أو مثل نفسه فلا يتكبر عليه ولا يكفي ان يستحقر غيره فانه مع ذلك لو رأى نفسه أحقر لم يتكبر ولو رأى غيره مثل نفسه لم يتكبر بل ينبغي ان يرى لنفسه مرتبة ولغيره مرتبة ثم يرى مرتبة نفسه فوق مرتبة غيره فعند هذه الاعتقادات الثلاثة يحصل فيه خلق الكبر لا ان هذه الرؤية تنفى الكبر بل هذه الرؤية وهذه العقيدة تنفخ فيه فيحصل في قلبه اعتداد وهزة وفرح وركون الى ما اعتقده وعز في نفسه بسبب ذلك فتلك العزة والهزة والركون الى العقيدة هو خلق الكبر ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم اعوذ بك من نفخة الكبرياء وكذلك قال عمر اخشى ان تنتفخ حتى تبلغ الثريا للذي استأذنه ان يعظ بعد صلاة الصبح فكأن الانسان مهما رأى نفسه بهذه العين وهو الاستعظام كبر وانتفخ وتعزز فالكبر عبارة عن الحالة الحاصلة في النفس من هذه الاعتقادات وتسمى أيضاً عزة وتعظما ولذلك قال ابن عباس في قوله تعالى ان في صدورهم الا كبر ماهم ببالغيه قال عظمة لم يبلغوها ففسر الكبر بتلك العظمة ثم هذه العزة تقتضي اعمالا في الظاهر والباطن هي ثمرات يسمى ذلك تكبرا فانه مهما عظم عنده قدره بالاضافة الى غيره حقر من دونه وازدراه واقصاه عن نفسه وابعده وترفع عن مجالسته ومؤاكلته ورأى ان حقه ان يقوم ماثلا بين يديه ان

اشتد كبره فان كان أشد من ذلك استنكف عن استخدامه ولم يجعله اهلا للقيام بين يديه ولا بخدمة عتبته فان كان دون ذلك فيأنف من مساواته وتقدم عليه من مضايق الطرق وارتفع عليه في المحافل وانتظر ان يبداه بالسلام واستبعد تقصيره في قضاء حوائجه وتعجب منه وان حاج أو ناظر انف ان يرد عليه وان وعظ استنكف من القبول وان وعظ عنف في النصح وان رد عليه شيء من قوله غضب وان علم لم يرفق بالمتعلمين واستذلهم وانتهرهم وامتن عليهم واستخدمهم وينظر الى العامة كانه ينظر الى الحمير استجهالا لهم واستحقارا والاعمال الصادرة عن خلق الكبر كثيرة وهي اكثر من ان تحصى فلا حاجة الى تعدادها فانها مشهورة فهذا هو الكبر وآفته عظيمة وغائلته هائلة وفيه يهلك الخواص من الخلق وقلما ينفك عنه العباد والزهاد والعلماء فضلا عن عوام الخلق وكيف لاتعظم آفته وقد قال صلى الله عليه وسلم لايدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر وانما صار حجابا دون الجنة لانه يحول بين العبد وبين أخلاق المؤمنين كلها وتلك الاخلاق هي أبواب الجنة والكبر وعزة النفس يغلق تلك الابواب كلها لانه لايقدر على ان يحب للمؤمنين مايحب لنفسه وفيه شيء من العزة ولا يقدر على التواضع وهو رأس اخلاق المتقين وفيه العز ولا يقدر على ترك الحقد وفيه العز ولا يقدر ان يدوم على الصدق وفيه العز ولا يقدر على ترك الغضب وفيه العز ولا يقدر على كظم الغيظ وفيه العز ولا يقدر على ترك الحسد وفيه العز ولا يقدر على النصح اللطيف وفيه العز ولا يقدر على قبول النصح وفيه العز ولا يسلم من الازدراء بالناس ومن اغتيابهم وفيه العز ولا معنى للتطويل فما من خلق ذميم الا وصاحب العز والكبر مضطر اليه

ليحفظ به عزه وما من خلق محمود الا وهو عاجز عنه خوفاً من ان يفوته عزه فمن هذا لم يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة منه والاخلاق الذميمة متلازمة والبعض منها داع الى البعض لامحالة وشر أنواع الكبر مايمنع من استفادة العلم وقبول الحق والانقياد له وفيه وردت الآيات التي فيها ذم الكبر والمتكبرين قال الله تعالى والملائكة باسطوا أيديهم الى قوله وكنتم عن آياته تستكبرون ثم قال ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين ثم اخبر ان أشد أهل النار عذاباً أشدهم عتياً على الله تعالى فقال ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا وقال تعالى فالذين لا يؤمنون بالاخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون وقال عز وجل يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا انتم لكنا مؤمنين وقال تعالى ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين وقال تعالى سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق قيل في التفسير سأرفع فهم القرآن عن قلوبهم وفي بعض التفاسير سأحجب قلوبهم عن الملكوت وقال ابن جريج سأصرفهم عن ان يتفكروا فيها ويعتبروا بها ولذلك قال المسيح عليه السلام ان الزرع ينبت في السهل ولا ينبت على الصفا كذلك الحكمة تعمل في قلب المتواضع ولا تعمل في قلب المتكبر ألا ترون ان من شمخ برأسه الى السقف شجه ومن تطأطأ أظله واكنه فهذا مثل ضربه للمتكبرين وانهم كيف يحرمون الحكمة ولذلك ذكر رسول الله صل الله عليه وسلم جحود الحق في حد الكبر والكشف عن حقيقته وقال سفه الحق وغمص الناس

واعلم ان المتكبر عليه هو الله تعالى أو رسله أو سائر خلقه وقد خلق

الانسان ظلوما جهولا فتارة يتكبر على الخلق وتارة يتكبر على الخالق فاذا التكبر باعتبار المتكبر عليه ثلاثة أقسام * الاول التكبر على الله وذلك هو أفحش أنواع الكبر ولا مثار له الا الجهل المحض والطغيان مثل ما كان من نمرود فانه كان يحدث نفسه بان يقاتل رب السماء وكما يحكى عن جماعة من الجهلة بل ما يحكى عن كل من ادعى الربوبية مثل فرعون وغيره فانه لتكبره قال أنا ربكم الاعلى اذا ستنكف ان يكون عبد الله ولذلك قال تعالى ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين وقال تعالى لن يستنكف المسيح ان يكون عبد الله ولا الملائكة المقربون الآية وقال تعالى واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن انسجد لما تأمرنا وزادهم نفورا * القسم الثاني التكبر على الرسل من حيث تعزز النفس وترفعها على الانقياد لبشر مثل سائر الناس وذلك تارة يصرف عن الفكر والاستبصار فيبقى في ظلمة الجهل بكبره فيمتنع عن الانقياد وهو ظان انه محق فيه وتارة يمنع من المعرفة ولكن لا تطاوعه نفسه للانقياد للحق والتواضع للرسل كما حكى الله عن قولهم أنؤمن لبشرين مثلنا وقولهم ان أنتم الا بشر مثلنا ولئن أطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا وقالوا لولا انزل عليه ملك وقال فرعون فيما أخبر الله عنه أو جاء معه الملائكة مقترنين وقال الله تعالى واستكبر هو وجنوده في الارض بغير الحق فتكبر هو على الله وعلى رسوله جميعاً وقالت قريش فيما أخبر الله تعالى عنهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم قال قتادة عظيم القريتين هو الوليد ابن المغيرة وابو مسعود الثقفى طلبوا من هو أعظم رياسة من

النبي صلى الله عليه وسلم اذ قالوا غلام يتيم كيف بعثه الله الينا فقال تعالى أهم يقسمون رحمة ربك وقال الله تعالى ليقولوا اهؤلاء من الله عليهم من بيننا أي استحقارا لهم واستبعادا لتقدمهم وقالت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف نجلس اليك وعندك هؤلاء أشاروا الى فقراء المسلمين فازدروهم باعينهم لفقرهم وتكبروا عن مجالستهم فأنزل الله تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى الى قوله ماعليك من حسابهم وقال تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ثم أخبر الله تعالى عن تعجبهم حين دخلوا جهنم اذ لم يروا الذين ازدروهم فقالوا مالنا لانرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار قيل يعنون عمارا وبلالا وصهيبا والمقداد رضي الله عنهم ثم كان منهم من منعه الكبر عن الفكر والمعرفة فجهل كونه صلى الله عليه وسلم محقا ومنهم من عرف ومنعه الكبر عن الاعتراف قال الله تعالى مخبرا عنهم فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به وقال وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا وهذا الكبر قريب من التكبر على الله عز وجل وان كان دونه ولكنه تكبر على قبول أمر الله والتواضع لرسوله * القسم الثالث التكبر على العباد وذلك بأن يستعظم نفسه ويستحقر غيره فتأبى نفسه عن الانقياد لهم وتدعوه الى الترفع عليهم فيزدريهم ويستصغرهم ويأنف من مساواتهم وهذا وان كان دون الاول والثاني فهو أيضاً عظيم من وجهين * أحدهما ان الكبر والعز والعظمة والعلاء لايليق الا بالملك القادر فأما العبد المملوك الضعيف العاجز الذي لايقدر على شيء فمن أين يليق بحاله الكبر فمهما تكبر العبد فقد نازع الله تعالى في صفة لاتليق الا بجلاله ومثاله ان يأخذ الغلام

قلنسوة الملك فيضعها على رأسه ويجلس على سريره فما أعظم استحقاقه للمقت وما أعظم تهدفه للخزى والنكال وما أشد استجرآءه على مولاه وما أقبح ماتعاطاه والى هـذا المعنى الاشارة بقوله تعالى العظمة ازارى والكبرياء ردائى فمن نازعنى فيهما قصمته أي انه خاص صفتي ولا يليق الابى والمنازع فيه منازع في صفة من صفاتي واذا كان الكبر على عباده لايليق الا به فمن تكبر على عباده فقد جنى عليه اذ الذي يسترذل خواص غلمان الملك ويستخدمهم و يترفع عليهم ويستأثر بما حق الملك ان يستأثر به منهم فهو منازع له في بعض أمره وان لم تبلغ درجته درجة من أراد الجلوس على سريره والاستبداد بملكه والخلق كلهم عباد الله وله العظمة والكبرياء عليهم فمن تكبر على عبد من عباد الله فقد نازع الله في حقه نعم الفرق بين هذه المنازعة وبين منازعة نمرود وفرعون ماهو الفرق بين منازعة الملك في استصغار بعض عبيده واستخدامهم وبين منازعته في أصل الملك * الوجه الثاني الذي تعظم به رذيلة الكبر انه يدعو الى مخالفة الله تعالى في أوامره لان المتكبر اذا سمع الحق من عبد من عباد الله استنكف عن قبوله وتشمر لجحده ولذلك ترى المناظرين في مسائل الدين يزعمون أنهم يتباحثون عن أسرار الدين ثم أنهم يتجاحدون تجاحد المتكبرين ومهما اتضح الحق عن لسان واحد منهم أنف الآخر من قبوله وتشمر لجحده واحتال لدفعه بما يقدر عليه من التلبيس وذلك من أخلاق الكافرين والمنافقين اذ وصفهم الله تعالى فقال وقال الذين كفروا لاتسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون فكل من يناظر للغلبة والافحام لا ليغتنم الحق اذا ظفر به فقد شاركهم فى هذا الخلق وكذلك يحمل ذلك على الانفة من قبول الوعظ كما قال الله تعالى

واذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم وروى عن عمر رضي الله عنه انه قرأها فقال انا لله وانا اليه راجعون قام رجل يأمر بالمعروف فقتل فقام آخر فقال تقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فقتل المتكبر الذي خالفه والذي أمره كبرا وقال ابن مسعود كفى بالرجل اثما اذا قيل له اتق الله قال عليك نفسك وقال صلى الله عليه وسلم لرجل كل بيمينك قال لا أستطيع فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا استطعت فما منعه الا كبره قال فما رفعها بعد ذلك أي اعتلت يده فاذا تكبره على الخلق عظيم لانه سيدعوه الى التكبر على أمر الله وانما ضرب ابليس مثلا لهذا وما حكاه من أحواله الا ليعتبر به فانه قال أنا خير منه وهذا الكبر بالنسب لانه قال أنا خير منه خلقتني من من نار وخلقته من طين فحمله ذلك على أن يمتنع من السجود الذي أمره الله تعالى به وكان مبدأه الكبر على آدم والحسد له فجره ذلك الى التكبر على أمر الله تعالى فكان ذلك سبب هلاكه أبد الآباد فهذه آفة من آفات الكبر على العباد عظيمة ولذلك شرح رسول الله صلى الله عليه وسلم الكبر بهاتين الآفتين اذ سأله ثابت بن قيس بن الشماس فقال يارسول الله اني امرؤ حبب الي من الجمال ما ترى أفمن الكبر هو فقال صلى الله عليه وسلم لا ولكن الكبر من بطر الحق وغمص الناس وفي حديث آخر من سفه الحق وقوله وغمص الناس أي ازدراهم واستحقرهم وهم عباد الله أمثاله أو خير منه وهذه الافة الاولى وسفه الحق هو رده وهي الافة الثانية فكل من رأى انه خير من أخيه واحتقر أخاه وازدراه ونظر اليه بعين الاستصغار أورد الحق وهو يعرفه فقد تكبر فيما بينه وبين الخلق ومن أنف من أن

يخضع لله تعالى ويتواضع لله بطاعته واتباع رسله فقد تكبر فيما بينه وبين الله تعالى ورسله

واعلم انه لايتكبر الا من استعظم نفسه ولا يستعظمها الا وهو يعتقد لها صفة من صفات الكمال وجماع ذلك يرجع الى كمال ديني أو دنيوي فالديني هو العلم والعمل والدنيوي هو النسب والجمال والقوة والمال وكثرة الانصار فهذه سبعة أسباب ﴿ الاول ﴾ العلم وما أسرع الكبر الى العلماء ولذلك قال صلى الله عليه وسلم آفة العلم الخيلاء فلا يلبث العالم أن يتعزز بعز العلم ويستشعر في نفسه جمال العلم وكماله ويستعظم نفسه ويستحقر الناس وينظر اليهم نظره الى البهائم ويستجهلهم ويتوقع أن يبدؤه بالسلام فان بدأ أو احداً منهم بالسلام أورد عليه ببشر او قام له أو أجاب له دعوة راى ذلك صنيعة عنده ويدا عليه يلزمه شكرها واعتقد انه أكرمهم وفعل بهم مالا يستحقون من مثله وانه ينبغي ان يرقوا له ويخدموه شكرا له على صنيعه بل الغالب انهم يبرونه فلا يبرهم ويزورونه فلا يزورهم ويعودونه فلا يعودهم ويستخدم من خالطه منهم ويستسخره في حوائجه فان قصر فيه استنكره كأنهم عبيده أو أجراؤه وكأن تعليمه العلم صنيعة منه اليهم ومعروف لديهم واستحقاق حق عليهم هذا فيما يتعلق بالدنيا أما في أمر الآخرة فتكبره عليهم بأن يرى نفسه عند الله تعالى أعلى وأفضل منهم فيخاف عليهم أكثر مما يخاف على نفسه ويرجو لنفسه أكثر مما يرجو لهم وهذا بأن يسمى جاهلا أولى من أن يسمى عالما بل العلم الحقيقي هو الذي يعرف الانسان به نفسه وربه وخطر الخاتمة وحجة الله على العلماء وعظم خطر العلم فيه كما سيأتي في طريق معالجة الكبر بالعلم وهذا العلم يزيد خوفا وتواضعا وتخشعا ويقتضي ان يرى

كل الناس خيرا منه لعظم حجة الله عليه بالعلم وتقصيره في القيام بشكر نعمة العلم ولهذا قال أبو الدرداء من ازداد علما ازداد وجعا وهو كما قال * فان قلت فما بال بعض الناس يزداد بالعلم كبرا وأمنا فاعلم ان لذلك سببين * أحدهما ان يكون اشتغاله بما يسمي علماً وليس علماً حقيقياً وانما العلم الحقيقي ما يعرف به العبد ربه ونفسه وخطر أمره في لقاء الله والحجاب منه وهذا يورث الخشيه والتواضع دون الكبر والامن قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء فأما ماوراء ذلك كعلم الطب والحساب واللغة والشعر والنحو وفصل الخصومات وطرق المجادلات فاذا تجرد الانسان لها حتى امتلأ منها امتلأ بها كبرا ونفاقا وهذه بأن تسمى صناعات أولى من أن تسمى علوما بل العلم هو معرفة العبودية والربوبية وطريق العبادة وهذه تورث التواضع غالبا * السبب الثاني ان يخوض العبد في العلم وهو خبيث الدخلة رديء النفس سيء الاخلاق فانه لم يشتغل أولا بتهذيب نفسه وتزكية قلبه بأنواع المجاهدات ولم يرض نفسه في عبادة ربه فبقي خبيث الجوهر فاذا خاض في العلم أي علم كان صادف العلم من قلبه منزلا خبيثاً فلم يطب ثمره ولم يظهر في الخير أثره وقد ضرب وهب لهذا مثلا فقال العلم كالغيث ينزل من السماء حلوا صافيا فتشرب به الاشجار بعروقها فتحوله على قدر طعومها فيزداد المر مرارة والحلو حلاوة فكذلك العلم يحفظه الرجال فتحوله على قدر هممها وأهوائها فيزيد المتكبر كبرا والمتواضع تواضعا وهذا لان من كانت همته الكبر وهو جاهل فاذا حفظ العلم وجد ما يتكبر به فازداد كبرا واذا كان الرجل خائفا مع علمه فازداد علما علم أن الحجة قد تأكدت عليه فيزداد خوفا واشفاقا وذلا وتواضعا فالعلم من أعظم ما يتكبر به ولذلك قال تعالى

لنبيه عليه السلام واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين وقال عزوجل ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ووصف أولياءه فقال أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين وكذلك قال صلى الله عليه وسلم فيما رواه العباس رضي الله عنه يكون قوم يقرؤن القرآن لايجاوز حناجرهم يقولون قد قرأنا القرآن فمن أقرأ منا ومن أعلم منا ثم التفت الى أصحابه وقال أولئك منكم أيها الامة أولئك هم وقود النار ولذلك قال عمر رضي الله عنه لاتكونوا جبابرة العلماء فلا يفى علمكم بجهلكم ولذلك استأذن تميم الداري عمر رضي الله عنه في القصص فأبى ان يأذن له وقال له انه الذبح واستأذنه رجل كان امام قوم انه اذا سلم من صلاته ذكرهم فقال اني أخاف ان تنتفخ حتى تبلغ الثريا وصلى حذيفة بقوم فلما سلم من صلاته قال لتلتمسن أما ماغيرى أو لتصلن وحدانا فاني رأيت في نفسي انه ليس في القوم أفضل مني فاذا كان مثل حذيفة لايسلم فكيف يسلم الضعفاء من متأخري هذه الامة فما أعز على بسيط الارض عالما يستحق ان يقال له عالم ثم انه لا يحركه عز العلم وخيلاؤه فان وجد ذلك فهو صديق زمانه فلا ينبغي ان يفارق بل يكون النظر اليه عبادة فضلا عن الاستفادة من أنفاسه وأحواله ولو عرفنا ذلك ولو في أقصى الصين لسعينا اليه رجاء ان تشملنا بركته وتسري الينا سيرته وسجيته وهيهات فأنى يسمح آخر الزمان بمثلهم فهم أرباب الاقبال وأصحاب الدول قد انقرضوا في القرن الاول ومن يليهم بل يعز في زماننا عالم يختاج في نفسه الاسف والحزن على فوات هذه الخصلة فذلك أيضاً أما معدوم واما عزيز واما بشارة رسول الله صلي الله عليه وسلم بقوله سيأتى على الناس زمان من تمسك فيه بعشر ما أنتم عليه نجا لكان جديراً بنا أن نقتحم

والعياذ بالله تعالى ورطة اليأس والقنوط مع مانحن عليه من سوء أعمالنا ومن لنا أيضاً بالتمسك بعشر ما كانوا عليه وليتنا تمسكنا بعشر عشره فنسأل الله تعالى ان يعاملنا بما هو أهله ويستر علينا قبائح أعمالنا كما يقتضيه كرمه وفضله ﴿ الثاني ﴾ العمل والعبادة وليس يخلو عن رذيلة العز والكبر واستمالة قلوب الناس الزهاد والعباد ويترشح الكبر منهم في الدين والدنيا أما في الدنيا فهو أنهم يرون غيرهم بزيارتهم أولى منهم بزيارة غيرهم ويتوقعون قيام الناس بقضاء حوائجهم وتوقيرهم والتوسع لهم في المجالس وذكرهم بالورع والتقوي وتقديمهم على سائر الناس في الحظوظ الى جميع ماذكرناه في حق العلماء وكأنهم يرون عبادتهم منة على الخلق وأما في الدين فهو ان يرى الناس هالكين ويرى نفسه ناجياً وهو الهالك تحقيقاً مهما رأى ذلك قال صلي الله عليه وسلم اذا سمعتم الرجل يقول هلكُ الناس فهو أهلكهم وإنما قال ذلك لان هذا القول منه يدل على أنه مزدر بخلق الله مغتر بالله آمن من مكره غير خائف من سطوته وكيف لايخاف ويكفيه شرا احتقاره لغيره قال صلى الله عليه وسلم كفى بالمرء شراً ان يحقر أخاه المسلم وكم من الفرق بينه وبين من يحبه لله ويعظمه لعبادته ويستعظمه ويرجوا له مالا يرجوه لنفسه فالخلق يدركون النجاة بتعظيمهم اياه لله فهم يتقربون الي الله تعالى بالدنو منه وهو يتمقت الى الله بالتنزه والتباعد منهم كأنه مترفع عن مجالستهم فما أجدرهم اذا أحبوه لصلاحه أن ينقلهم الله الى درجته في العمل وما أجدره اذا ازدراهم بعينه ان ينقله الله الى حد الاهمال كما روى أن رجلا في بني اسرائيل كان يقال له خليع بني اسرائيل لكثرة فساده مر برجل آخر يقال له عابد بني اسرائيل وكان على رأس العابد غمامة تظله لما

مر الخليع به فقال الخليع في نفسه أنا خليع بني اسرائيل وهذا عابد بني اسرائيل فلو جلست اليه لعل الله يرحمني فجلس اليه فقال العابد أنا عابد بني اسرائيل وهذا خليع بني اسرائيل فكيف يجلس الي فانف منه وقال له قم عنى فأوحى الله الى نبي ذلك الزمان مرهما فليستأنفا العمل فقد غفرت للخليع وأحبطت عمل العابد وفي رواية أخرى فتحولت الغمامة الى رأس الخليع وهذا يعرفك ان الله تعالى انما يريد من العبيد قلوبهم فالجاهل والعاصى اذا تواضع هيبة لله وذل خوفاً منه فقد أطاع الله بقلبه فهو أطوع لله من العالم المتكبر والعابد المعجب وكذلك روى ان رجلا فى بني اسرائيل أتي عابداً من بني اسرائيل فوطئ على رقبته وهو ساجد فقال ارفع فو الله لا يغفر الله لك فأوحى الله اليه ايها المتألي علي بل انت لا يغفر الله لك وكذلك قال الحسن وحتى ان صاحب الصوف أشد كبراً من صاحب المطرز الخزأى ان صاحب الخز يذل لصاحب الصوف ويرى الفضل له وصاحب الصوف يرى الفضل لنفسه وهذه الآفة أيضاً قلما ينفك عنها كثير من العباد وهو انه لو استخف به مستخف أو آذاه مؤذ استبعد ان يغفر الله له ولا يشك في انه صار ممقوتا عند الله ولو آذى مسلما آخر لم يستنكر ذلك الاستنكار وذلك لعظم قدر نفسه عنده وهو جهل وجمع بين الكبر والعجب والاغترار بالله وقد ينتهي الحمق والغباوة ببعضهم الى ان يتحدى ويقول سترون ما يجرى عليه واذا أصيب بنكبة زعم ان ذلك من كراماته وان الله ما أراد به الا شفاء غليله والانتقام له منه مع انه يرى طبقات من الكفار يسبون الله ورسوله وعرف جماعة آذوا الانبياء صلوات الله عليهم فمنهم من قتلهم ومنهم من ضربهم ثم ان الله أمهل أكثرهم ولم يعاقبهم في الدنيا بل ربما أسلم بعضهم فلم يصبه مكروه في الدنيا

ولا في الاخرة ثم الجاهل المغرور يظن أنه أكرم على الله من أنبيائه وانه قد انتقم له بما لا ينتقم لانبيائه به واملـه في مقت الله باعجابه وكبره وهو غافل عن هلاك نفسه فهذه عقيدة المغترين وأما الاكياس من العباد فيقولون ما كان يقوله عطاء السلمي حين كان تهب ريح أو تقع صاعقة مايصيب الناس ما يصيبهم الا بسببي ولو مات عطاء لتخلصوا وما قاله الاخر بعد انصرافه من عرفات كنت أرجوا الرحمة لجميعهم لولا كوني فيهم فانظر الى الفرق بين الرجلين هذا يتقي الله ظاهراً وباطناً وهو وجل على نفسه مزدر لعمله وسعيه وذاك ربما يضمر من الرياء والكبر والحسد والغل ما هو ضحكة للشيطان به ثم انه يمتن على الله بعلمه ومن اعتقد جزماً انه فوق أحد من عباد الله فقد أحبط بجهله جميع عمله فان الجهل أفحش المعاصي وأعظم شيء يبعد العبد عن الله وحكمه لنفسه بأنه خير من غيره جهل محض وامن مكر الله ولا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون ولذلك روى ان رجلا ذكر بخير للنبي صلى الله عليه وسلم فأقبل ذات يوم فقالوا يارسول الله هذا الذي ذكرناه لك فقال اني أرى في وجهه سفعة من الشيطان فسلم ووقف على النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم أسألك بالله حدثتك نفسك ان ليس في القوم أفضل منك قال اللهم نعم فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنور النبوة مااستكن في قلبه سفعة في وجهه وهذه آفة لا ينفك عنها أحد من العباد الا من عصمه الله ولكن العلماء والعباد في آفة الكبر على ثلاث درجات الدرجة الاولى ان يكون الكبر مستقرا في قلبه يرى نفسه خيرا من غيره الا انه يجتهد ويتواضع ويفعل فعل من يرى غيره خيرا من نفسه وهذا قد رسخ في قلبه شجرة الكبر ولكنه قطع أغصانها بالكلية * الثانية ان يظهر ذلك على أفعاله

بالترفع في المجالس والتقدم على الاقران واظهار الانكار على من يقصر في حقه وأدنى ذلك في العالم ان يصعر خده للناس كأنه معرض عنهم وفي العابد ان يعبس وجهه ويقطب جبينه كأنه متنزه عن الناس مستقذر لهم أوغضبان عليهم وليس يعلم المسكين ان الورع ليس في الجبهة حتى تقطب ولا في الوجه حتى يعبس ولا في الخد حتى يصعر ولا في الرقبة حتى تطأطأ ولافي الذيل حتى يضم انما الورع في القلوب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم التقوى ههنا وأشار الى صدره فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اكرم الخلق واتقاهم وكان أوسعهم خلقاً واكثرهم بشرا وتبسما وانبساطا ولذلك قال الحرث ابن جزء الزبيدي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبني من القراء كل طليق مضحاك فأما الذي تلقاه ببشر ويلقاك بعبوس يمن عليك بعلمه فلا اكثرالله في المسلمين مثله ولو كان الله سبحانه وتعالى يرضى ذلك لما قال لنبيه صلى الله عليه وسلم واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين وهؤلاء الذين يظهر أثر الكبر على شمائلهم فأحوالهم أخف حالا ممن هو في الرتبة الثالثة وهو الذي يظهر الكبر على لسانه حتى يدعوه الى الدعوى والمفاخرة والمباهاة وتزكية النفس وحكاياته الاحوال والمقامات والتشمر لغلبة الغير في العلم والعمل أما العابد فانه يقول في معرض التفاخر لغيره من العباد من هو وما عمله ومن أين زهده فيطول اللسان فيهم بالنقص ثم يثني على نفسه ويقول اني لم افطر منذ كذا كذا ولا أنام الليل واختم القرآن في كل يوم وفلان ينام سحرا ولا يكثر القراءة وما يجرى مجراه وقد يزكي نفسه ضمنا فيقول قصدني فلان بسوء فهلك ولده وأخذ ماله أو مرض أو ما يجرى مجراه يدعي الكرامة لنفسه واما مباهاته فهو انه لو وقع مع قوم يصلون بالليل قام

وصلى اكثر مما كان يصلي وان كانوا يصبرون على الجوع فيكلف نفسه الصبر ليغلبهم ويظهر لهم قوته وعجزهم وكذلك يشتد في العبادة خوفا من ان يقال غيره أعبد منه أو أقوى منه في دين الله وأما العالم فانه يتفاخر ويقول أنا متفنن في العلوم ومطلع على الحقائق ورأيت من الشيوخ فلاناً وفلاناً ومن انت وما فضلك ومن لقيت وما الذي سمعت من الحديث كل ذلك ليصغره ويعظم نفسه وأما مباهاته فهو ان يجتهد في المناظرة أن يغلب ولا يغلب ويسهر طول الليل والنهار في تحصيل العلوم يتجمل بها في المحافل كالمناظرة والجدل وتحسين العبارة وتسجيع الالفاظ وحفظ العلوم الغريبه ليغرب بها على الاقران ويتعظم عليهم ويحفظ الاحاديث الفاظها وأسانيدها حتى يرد على من أخطأ فيها فيظهر فضله ونقصان اقرانه ويفرح مهما أخطأ واحد منهم ليرده عليه ويسوءه اذا أصاب وأحسن خيفة من أن يرى انه أعظم منه فهذا كله أخلاق الكبر وآثاره التي يثمرها التعزز بالعلم والعمل وأين من يخلو عن جميع ذلك أو عن بعضه فليت شعري من الذي عرف هذه الاخلاق من نفسه وسمع قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لايدخل الجنة من في قلبه مثقال حبه من خردل من كبر كيف يستعظم نفسه ويتكبر على غيره ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انه من أهل النار وانما العظيم من خلا عن هذا ومن خلا عنه لم يكن فيه تعظم وتكبر والعالم هو الذي فهم ان الله تعالى قال له ان لك عندنا قدراً مالم تر لنفسك قدراً فان رأيت لها قدراً فلا قدر لك عندنا ومن لم يعلم هذا من الدين فاسم العالم عليه كذب ومن علمه لزمه أن لا يتكبر ولا يرى لنفسه قدراً فهذا هو التكبر بالعلم والعمل * (الثالث) التكبر بالحسب والنسب فالذي له نسب شريف يستحقر من ليس له ذلك

النسب وان كان أرفع منه عملا وعلما وقد يتكبر بعضهم فيرى ان الناس له
موال وعبيد ويأنف من مخالطتهم ومجالستهم وثمرته على اللسان التفاخر به
فيقول لغيره يا نبطي وياهندي ويا أرمني من أنت ومن أبوك فانا فلان بن
فلان وأين لمثلك أن يكلمني أو ينظر الي ومع مثلي تتكلم وما يجري مجراه
وذلك عرق دفين في النفس لا ينفك عنه نسيب وان كان صالحا وعاقلا الا انه
قد لا يترشح منه ذلك عند اعتدال الاحوال فان غلبه غضب أطفأ ذلك نور
بصيرته وترشح منه كما روى عن أبي ذر أنه قال قاولت رجلا عند النبى صلى
الله عليه وسلم فقلت له يا ابن السوداء فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا أبا ذر
طف الصاع طف الصاع ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل فقال ابو
ذر رحمه الله فاضطجعت وقلت للرجل قم فطأ على خدي فانظر كيف نبهه
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه رأى لنفسه فضلا بكونه ابن بيضاء وان ذلك
خطأ وجهل وانظر كيف تاب وقلع من نفسه شجرة الكبر باخمص قدم من
تكبر عليه اذ عرف ان العز لا يقمعه الا الذل ومن ذلك ما روى ان رجلين
تفاخرا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال احدهما للآخر انا فلان ابن فلان
فمن انت لا أم لك فقال النبي صلى الله عليه وسلم افتخر رجلان عند موسى
عليه السلام فقال أحدهما انا فلان بن فلان حتى عد تسعة فأوحى الله تعالى الى
موسى عليه السلام قل للذى افتخر بل التسعة من أهل النار وأنت عاشرهم
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليدعن قوم بالفخر بآبائهم وقد صاروا
فحما في جهنم أو ليكونن أهون على الله من الجعلان التي تدوف بآنافها القذر
(الرابع) التفاخر بالجمال وذلك أكثر مايجري بين النساء ويدعو ذلك الى
التنقص والثلب والغيبة وذكر عيوب الناس من ذلك ماروى عن عائشة

رضي الله عنها أنها قالت دخلت امرأة على النبي صلى الله عليه وسلم فقلت بيدي هكذا اي انها صغيرة فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد اغتبتها وهذا منشؤه خفاء الكبر لانها لو كانت أيضاً صغيرة لما ذكرتها بالصغر فكانها أعجبت بقامتها واستصغرت المرأة في جنب نفسها فقالت ما قالت (الخامس) الكبر بالمال وذلك يجري بين الملوك في خزائنهم وبين التجار في بضائعهم وبين الدهاقين في أراضيهم وبين المتجملين في لباسهم وخيولهم ومراكبهم فيستحقر الغني الفقير ويتكبر عليه ويقول له أنت مكد ومسكين وانا لو أردت لاشتريت مثلك واستخدمت من هو فوقك ومن أنت وما معك وأثاث بيتي يساوي أكثر من جميع مالك وأنا أنفق في اليوم مالا تأكله في سنة وكل ذلك لاستعظامه للغني واستحقاره للفقر وكل ذلك جهل منه بفضيلة الفقر وآفة الغنى واليه الاشارة بقوله تعالى فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا حتى أجابه فقال ان ترني أنا أقل منك مالا وولداً فعسي ربي أن يؤتيني خيراً من جنتك ويرسل عليها حسباناً من السماء فتصبح صعيداً زلقا أو يصبح ماؤها غوراً فلن تستطيع له طلبا وكان ذلك منه تكبرا بالمال والولد ثم بين الله عاقبة أمره وهو قوله ياليتني لم أشرك بربي أحدا ومن ذلك تكبر قارون اذ قال تعالى أخباراً عن تكبره فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا ياليت لنا مثل ماأوتي قارون انه لذو حظ عظيم * (السادس) * الكبر بالقوة وشدة البطش والتكبر به على أهل الضعف * (السابع) التكبر بالاتباع والانصار والتلامذة والغلمان وبالعشيرة والأقارب ويجرى ذلك بين الملوك في المكاثرة بالجنود وبين العلماء في المكاثرة بالمستفيدين وبالجملة

فكل ماهو نعمة وأمكن ان يعتقد كمالا وان لم يكن في نفسه كمالا أمكن ان يتكبر به حتى ان المخنث ليتكبر على أقرانه بزيادة معرفته وقدرته في صنعة المخنثين لانه يرى ذلك كمالا فيفتخر به وان لم يكن فعله الا نكالا وكذلك الفاسق قد يفتخر بكثرة الشرب وكثرة الفجور بالنسوان والغلمان ويتكبر به لظنه ان ذلك كمال وان كان مخطئاً فيه فهذه مجامع ما يتكبر به العباد بعضهم على بعض فيتكبر من يدلي بشيء منه على من لا يدلي به او على من يدلي بما هو دونه في اعتقاده وربما كان مثله اوفوقه عند الله تعالى كالعالم الذي يتكبر بعلمه على من هو أعلم منه لظنه أنه هو الاعلم ولحسن اعتقاده في نفسه نسأل الله العون بلطفه ورحمته انه على كل شيء قدير

واعلم بان الكبر خلق باطن وأما مايظهر من الاخلاق والافعال فهي ثمرة ونتيجة وينبغي ان تسمى تكبرا ويخص اسم الكبر بالمعنى الباطل الذي هو استعظام النفس ورؤية قدرها فوق قدر الغير وهذا الباطن له موجب واحد وهو العجب الذي يتعلق بالمتكبر كما سيأتي معناه فانه اذا أعجب بنفسه وبعلمه وبعمله أو شيء من أسبابه استعظم نفسه وتكبر وأما التكبر الظاهر فاسبابه ثلاثة سبب في المتكبر وسبب في المتكبر عليه وسبب يتعلق بغيرهما أما السبب الذي في المتكبر فهو العجب والذي يتعلق بالمتكبر عليه هو الحقد والحسد والذي يتعلق بغيرهما هو الرياء فتصير الاسباب بهذا الاعتبار أربعة العجب والحقد والحسد والرياء * أما العجب فقد ذكرنا أنه يورث الكبر الباطن والكبر الباطن يثمر التكبر بالظاهر في الأعمال والاقوال والاحوال * وأما الحقد فانه قد يحمل على التكبر من غير عجب كالذي يتكبر على من يرى أنه مثله أو فوقه ولكن قد غضب عليه بسبب سبق منه فأورثه

الغضب حقداً ورسخ في قلبه بغضه فهو لذلك لاتطاوعه نفسه أن يتواضع له وان كان عنده مستحقاً للتواضع فكم من رذل لا تطاوعه نفسه على التواضع لواحد من الاكابر لحقده عليه أو بغضه له ويحمله ذلك على رد الحق اذا جاءه من جهته وعلى الانفة من قبول نصحه وعلى ان يجتهد في التقدم عليه وان علم أنه لا يستحق ذلك وعلى ان لا يستحله وان ظلمه فلا يعتذر اليه وان جنى عليه ولا يسأله عما هو جاهل به وأما الحسد فانه أيضاً يوجب البغض للمحسود وان لم يكن من جهته ايذاء وسبب يقتضي الغضب والحقد ويدعو الحسد أيضا الى جحد الحق حتى يمنع من قبول النصيحة وتعلم العلم فكم من جاهل يشتاق الى العلم وقد بقي في رذيلة الجهل لاستنكافه أن يستفيد من واحد من أهل بلده أو أقاربه حسدا وبغيا عليه فهو يعرض عنه ويتكبر عليه مع معرفته بأنه يستحق التواضع بفضل علمه ولكن الحسد يبعثه على أن يعامله بأخلاق التكبر وان كان في باطنه ليس يرى نفسه فوقه * وأما الرياء فهو أيضاً يدعو الى اخلاق المتكبرين حتى أن الرجل ليناظر من يعلم أنه أفضل منه وليس بينه وبينه معرفة ولا محاسدة ولا حقد ولكن يمتنع من قبول الحق منه ولا يتواضع له في الاستفادة خيفة من أن يقول الناس انه أفضل منه فيكون باعثه عليه الرياء ولو خلا معه بنفسه لكان لا يتكبر عليه وأما الذي يتكبر بالعجب والحسد والحقد فانه يتكبر أيضاً عند الخلوة به مهما لم يكن معهما ثالث وكذلك قد ينتمي الى نسب شريف كاذباً وهو يعلم انه كاذب ثم يتكبر به على من ليس ينتسب الى ذلك النسب ويترفع عليه في المجالس ويتقدم عليه في الطرق ولا يرضى بمساواته فى الكرامة والتوقير وهو عالم باطنا بأنه لا يستحق ذلك ولا كبر في طنه لمعرفته بأنه كاذب في دعوى النسب

ولـكن يحمله الرياء على أفعال المتـكبرين وكأن اسم المتـكبر انما يطلق في الاكثر على من يفعل هذه الافعال عن كبر فى الباطن صادر عن العجب والنظر الى الغير بعين الاحتقار وهو ان سمي متكبرا فلاجل التشبه بافعال الـكبر نسأل الله حسن التوفيق والله تعالى أعلم

واعلم ان التكبر يظهر في شمائل الرجل كصعر في وجهه ونظره شزرا واطراقه رأسه وجلوسه متربعا أو متكئا وفي أقواله حتى فى صوته ونغمته وصيغته في الايراد ويظهر في مشيته وتبختره وقيامه وجلوسه وحركاته وسكناته وفي تعاطيه لافعاله وفي سائر تقلباته في أحواله وأقواله وأعماله فمن المتكبرين من يجمع ذلك كله ومنهم من يتكبر في بعض ويتواضع في بعض فمنها التكبر بأن يحب قيام الناس له أو بين يديه وقد قال علي كرم الله وجهه من أراد ان ينظر الى رجل من اهل النار فلينظر الى رجل قاعد وبين يديه قوم قيام وقال أنس لم يكن شخص احب اليهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا اذا رأوه لم يقوموا له لما يعلمون من كراهته لذلك ومنها أن لا يمشي الا ومعه غيره يمشي خلفه قال ابو الدرداء لا يزال العبد يزداد من الله بعدا ما مشي خلفه وكان عبد الرحمن بن عوف لا يعرف من عبيده اذ كان لا يتميز عنهم في صورة ظاهرة ومشى قوم خلف الحسن البصري فمنعهم وقال ما يبقى هذا من قلب العبد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض الاوقات يمشي مع بعض الاصحاب فيأمرهم بالتقدم ويمشي في غمارهم اما لتعليم غيره او لينفي عن نفسه وسواس الشيطان بالـكبر والعجب كما اخرج الثوب الجديد في الصلاة وابدله بالخليع لاحد هذين المعنيين ومنها ان لا يزور غيره وان كان يحصل من زيارته خير لغيره في الدين وهو ضد

التواضع روى ان سفيان الثوري قدم الرملة فبعث اليه ابراهيم بن ادهم ان تعال فحدثنا فجاء سفيان فقيل له يا أبا اسحق تبعث اليه بمثل هذا فقال أردت ان أنظر كيف تواضعه ومنها ان يستنكف من جلوس غيره بالقرب منه الا ان يجلس بين يديه والتواضع خلافه قال ابن وهب جلست الى عبدالعزيز بن أبي رواد فمس فخذى فخذه فنحيت نفسي عنه فاخذ ثيابي فجرني الى نفسه وقال لي لم تفعلون بي ما تفعلون بالجبابرة واني لا أعرف رجلا منكم شرا مني وقال أنس كانت الوليدة من ولائد المدينة تأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا ينزع يده منها حتى تذهب به حيث شاءت ومنها ان يتوقى مجالسة المرضى والمعلولين ويتحاشى عنهم وهو من الكبر دخل رجل وعليه جدري قد تقشر على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده ناس من أصحابه يأكلون فما جلس الى أحد الاقام من جنبه فاجلسه النبي صلى الله عليه وسلم الى جنبه وكان عبد الله بن عمر رضى الله عنهما لا يحبس عن طعامه مجذوما ولا أبرص ولا مبتلي الا أقعدهم على مائدته ومنها ان لا يتعاطى بيده شغلا في بيته والتواضع خلافه روى ان عمر بن عبد العزيز أتاه ليلة ضيف وكان يكتب فكاد السراج يطفأ فقال الضيف أقوم الى المصباح فاصلحه فقال ليس من كرم الرجل ان يستخدم ضيفه قال افأنبه الغلام فقال هي أول نومة نامها فقام وأخذ البطة وملأ المصباح زيتاً فقال الضيف قمت أنت بنفسك يا أمير المؤمنين فقال ذهبت وانا عمر ورجعت وانا عمر ما نقص مني شيء وخير الناس من كان عند الله متواضعاً ومنها ان لا يأخذ متاعه ويحمله الى بيته وهو خلاف عادة المتواضعين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك وقال على كرم الله وجهه لا ينقص الرجل الكامل من كماله ما حمل من شيء الى عياله

وكان ابو عبيدة بن الجراح وهو أمير يحمل سطلا له من خشب الى الحمام وقال ثابت بن أبي مالك رأيت ابا هريرة أقبل من السوق يحمل حزمة حطب وهو يومئذ خليفة لمروان فقال أوسع الطريق للامير ياابن ابي مالك وعن الاصبغ ابن نباتة قال كأني انظر الى عمر رضي الله عنه معلقا لحمافي يده اليسرى وفي يده اليمنى الدرة يدور في الاسواق حتى دخل رحله وقال بعضهم رأيت عليا رضي الله عنه قد اشترى لحما بدرهم فحمله في ملحفته فقلت له أحمل عنك ياأمير المؤمنين فقال لاابو العيال أحق ان يحمل ومنها اللباس اذ يظهر به التكبر والتواضع قال النبي صلى الله عليه وسلم البذاذة من الايمان فقال هرون سألت معنا عن البذاذة فقال هو الدون من اللباس وقال زيد بن وهب رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرج الى السوق وبيده الدرة وعليه ازار فيه أربع عشرة رقعة بعضها من أدم وعوتب على كرم الله وجهه في ازار مرقوع فقال يقتدى به المؤمن ويخشع له القلب وقال عيسى عليه السلام جودة الثياب خيلاء القلب وقال طاوس اني لاغسل ثوبي هذين فأنكر قلبي ما داما نقيين ويروى ان عمر بن عبد العزيز رحمه الله كان قبل أن يستخلف تشترى له الحلة بألف دينار فيقول ما أجودها لولا خشونة فيها فلما استخلف كان يشترى له الثوب بخمسة دراهم فيقول ما أجوده لولا لينه فقيل له أين لباسك ومركبك وعطرك ياأمير المؤمنين فقال ان لى نفسا ذواقة تواقة وانها لم تذق من الدنيا طبقة الاتاقت الى الطبقة التي فوقها حتى اذا ذاقت الخلافة وهى ارفع الطباق تاقت الى ماعندالله عزوجل وقال سعيد بن سويد صلى بنا عمر بن عبد العزيز الجمعة ثم جلس وعليه قميص مرقوع الجيب من بين يديه ومن خلفه فقال له رجل ياأمير المؤمنين ان الله قد أعطاك

فلو لبست فنكس رأسه مليا ثم رفع رأسه فقال ان أفضل القصد عند الجدة وان أفضل العفو عند القدرة وقال صلى الله عليه وسلم من ترك زينة لله ووضع ثيابا حسنة تواضعا لله وابتغاء لمرضاته كان حقا على الله أن يدخر له عبقري الجنة فان قلت فقد قال عيسى عليه السلام جودة الثياب خيلاء القلب وقد سئل نبينا صلى الله عليه وسلم عن الجمال في الثياب هل هو من الكبر فقال لا ولكن من سفه الحق وغمض الناس فكيف طريق الجمع بينهما فاعلم أن الثوب الجيد ليس من ضرورته أن يكون من التكبر في حق كل أحد في كل حال وهو الذي أشار اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الذى عرفه رسول الله صلى الله عليه وسلم من حال ثابت بن قيس اذ قال اني امرؤ حبب الى من الجمال ماترى فعرفه ان ميله الى النظافة وجودة الثياب لاليتكبر على غيره فانه ليس من ضرورته ان يكون من الكبر وقد يكون ذلك من الكبر كما ان الرضا بالثوب الدون قد يكون من التواضع وعلامة المتكبر ان يطلب التجمل اذا رآه الناس ولا يبالي اذا انفرد بنفسه كيف كان وعلامة طالب الجمال أن يحب الجمال في كل شيء ولو في خلوته وحتى في ستور داره فذلك ليس من التكبر فاذا انقسمت الاحوال نزل قول عيسى عليه السلام على بعض الاحوال على ان قوله خيلاء القلب يعني قد تؤثر خيلاء في القلب وقول نبينا صلى الله عليه وسلم انه ليس من الكبر يعنى ان الكبر لايوجبه ويجوز ان لايوجبه الكبر ثم يكون هو مورثا للكبر وبالجملة فالاحوال تختلف في مثل هذا والمحبوب الوسط من اللباس الذى لايوجب شهرة بالجودة ولا بالرداءة وقد قال صلى الله عليه وسلم كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا في غير سرف ولا مخيلة ان الله يحب أن يرى

أثر نعمته على عبده وقال بكر بن عبد الله المزني ألبسوا ثياب الملوك وأميتوا قلوبكم بالخشية وانما خاطب بهذا قوما يطلبون التكبر بثياب أهل الصلاح وقد قال عيسي عليه السلام مالكم تأتوني وعليكم ثياب الرهبان وقلوبكم قلوب الذئاب الضوارى ألبسوا ثياب الملوك وأميتوا قلوبكم بالخشية ومنها ان يتواضع بالاحتمال اذا سب وأوذي واخذ حقه فذلك هو الاصل وبالجملة فمجامع حسن الاخلاق والتواضع سيرة النبي صلى الله عليه وسلم فيه فينبغي أن يقتدي به ومنه ينبغى ان يتعلم وقد قال ابن أبي سلمه قلت لابي سعيد الخدري ماترى فيما احدث الناس من الملبس والمشرب والمركب والمطعم فقال يابن أخى كل لله واشرب لله والبس لله وكل شيء من ذلك دخله زهو او مباهاة اورياء او سمعة فهو معصية وسرف وعالج في بيتك من الخدمة ماكان يعالج رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته كان يعلف الناضح ويعقل البعير ويقم البيت ويحلب الشاة ويخصف النعل ويرقع الثوب ويأكل مع خادمه ويطحن عنه اذا أعيا ويشتري الشيء من السوق ولا يمنعه الحياء ان يعلقه بيده او يجعله في طرف ثوبه وينقلب الى اهله يصافح الغني والفقير والكبير والصغير ويسلم مبتدئا على كل من استقبله من صغير أو كبير اسود أو أحمر حر أو عبد من أهل الصلاة ليست له حلة لمدخله وحلة لمخرجه لايستحيي من أن يجيب اذ دعي وان كان اشعث اغبر ولا يحتقر مادعى اليه وان لم يجد الا حشف الدقل لا يرفع غداء لعشاء ولا عشاء لغداء هين المؤنة لين الخلق كريم الطبيعة جميل المعاشرة طليق الوجه بسام من غير ضحك محزون من غير عبوس شديد في غير عنف متواضع في غير

مذلة جواد من غير سرف رحيم لكل ذي قربي ومسلم رقيق القلب دائم الاطراق لم يتشم قط من شبع ولم يمد يده من طمع قال ابو سلمة فدخلت على عائشة رضي الله عنها فحدثتها بما قال ابو سعيد في زهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ما اخطأ منه حرفا ولقد قصر اذ ما اخبرك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يمتلىء قط شبعاً ولم يبث الى احد شكوى وان كانت الفاقة لاحب اليه من اليسار والغنى وان كان ليظل جائعا يلتوي ليلة حتى يصبح فما يمنعه ذلك عن صيام يومه ولو شاء ان يسأل ربه فيؤتي بكنوز الارض وثمارها ورغد عيشها من مشارق الارض ومغاربها لفعل وربما بكيت رحمة له مما أوتي من الجوع فأمسح بطنه بيدي واقول نفسي لك الفداء لو تبلغت من الدنيا بقدر ما يقوتك ويمنعك من الجوع فيقول يا عائشة اخواني من اولى العزم من الرسل قد صبروا على ما هو اشد من هذا فمضوا على حالهم وقدموا على ربهم فاكرم مآبهم واجزل ثوابهم فأجدني استحيي ان ترفهت في معيشتي ان يقصر بي دونهم فاصبر اياما يسيرة احب الى من ان ينقص حظي غدا في الآخرة وما من شيء احب الى من اللحوق باخواني واخلائي قالت عائشة رضي الله عنها فوالله ما استكمل بعد ذلك جمعة حتى قبضه الله عز وجل فما نقل من أحواله صلى الله عليه وسلم يجمع جملة أخلاق المتواضعين فمن طلب التواضع فليقتد به ومن رأى نفسه فوق محله صلى الله عليه وسلم ولم يرض لنفسه بما رضي هو به فما أشد جهله فلقد كان أعظم خلق الله منصباً في الدنيا والدين فلا عز ولا رفعة الا في الاقتداء به ولذلك قال عمر رضي الله عنه أنا قوم أعزنا الله بالاسلام فلا نطلب العز في غيره لما عوتب في بذاذة هيئته عند دخوله الشام وقال ابو

الدرداء اعلم أن لله عبادا يقال لهم الابدال خلف من الانبياء هم اوتاد الارض فلما انقضت النبوة ابدل الله مكانهم قوماً من أمة محمد صلى الله عليه وسلم لم يفضلوا الناس بكثرة صوم ولا صلاة ولا حسن حلية ولكن بصدق الورع وحسن النية وسلامة الصدر لجميع المسلمين والنصيحة لهم ابتغاء مرضاة الله بصبر من غير تجبن وتواضع في غير مذلة وهم قوم اصطفاهم الله واستخلصهم لنفسه وهم اربعون صديقاً أو ثلاثون رجلا قلوبهم على مثل يقين ابراهيم خليل الرحمن عليه السلام لا يموت الرجل منهم حتى يكون الله قد انشأ من يخلفه واعلم يا أخي انهم لا يلعنون شيأ ولا يؤذونه ولا يحقرونه ولا يتطاولون عليه ولا يحسدون احدا ولا يحرصون على الدنيا هم أطيب الناس خبرا وألينهم عريكة وأسخاهم نفسا علامتهم السخاء وسجيتهم البشاشة وصفتهم السلامة ليسوا اليوم في خشية وغدا في غفلة ولكن مداومين على حالهم الظاهر وهم فيما بينهم وبين ربهم لا تدركهم الرياح العواصف ولا الخيل المجراة وقلوبهم تصعد ارتياحا الى الله واشتياقا اليه وقدما في أسباب الخيرات أولئك حزب الله ألا ان حزب الله هم المفلحون قال الراوي فقلت يا أبا الدرداء ما سمعت بصفة أشد على من تلك الصفة وكيف لى ان أبلغها فقال ما بينك وبين أن تكون في أوسعها الا أن تكون تبغض الدنيا فانك اذا أبغضت الدنيا أقبلت على حب الآخرة وبقدر حبك للآخرة تزهد في الدنيا وبقدر ذلك تبصر ما ينفعك واذا علم الله من عبد حسن الطلب أفرغ عليه السداد واكتنفه بالعصمة واعلم يا ابن أخي ان ذلك في كتاب الله تعالى المنزل ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون قال يحيى بن كثير فنظرنا في ذلك فما تلذذ المتلذذون بمثل حب الله وطلب مرضاته اللهم اجعلنا من محبي المحبين لك يارب العالمين

فانه لا يصلح لحبك الا من ارتضيته وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

واعلم ان الكبر من المهلكات ولا يخلو أحد من الخلق عن شيء منه وازالته فرض عين ولا يزول بمجرد التمني بل بالمعالجة واستعمال الادوية القامعة له وفي معالجته مقامان أحدهما استئصال أصله من سنخه وقلع شجرته من مغرسها في القلب ـ الثاني دفع العارض منه بالاسباب الخاصة التي بها يتكبر الانسان على غيره * (المقام الاول) في استئصال أصله وعلاجه علمي وعملي ولا يتم الشفاء الا بمجموعهما أما العلمي فهو ان يعرف نفسه ويعرف ربه تعالى ويكفيه ذلك في إزالة الكبر فانه مهما عرف نفسه حق المعرفة علم أنه أذل من كل ذليل وأقل من كل قليل وانه لايليق به الا التواضع والذل والمهانة واذا عرف ربه علم انه لاتليق العظمة والكبرياء الا بالله أما معرفته ربه وعظمته ومجده فالقول فيه يطول وهو منتهى علم المكاشفة وأما معرفته نفسه فهو أيضاً يطول ولكنا نذكر من ذلك ماينفع في أثارة التواضع والمذلة ويكفيه ان يعرف معنى آية واحدة في كتاب الله فان في القرآن علم الاولين والآخرين لمن فتحت بصيرته وقد قال تعالى قتل الانسان ما أكفره من أي شيء خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره ثم أماته فأقبره ثم اذا شاء انشره فقد أشارت الآية الى أول خلق الانسان والى آخر أمره والى وسطه فلينظر الانسان ذلك ليفهم معنى هذه الآية أما أول الانسان فهو انه لم يكن شيئاً مذكوراً وقد كان في حيز العدم دهورا بل لم يكن لعدمه أول وأي شيء أخس وأقل من المحو والعدم وقد كان كذلك في القدم ثم خلقه الله من أرذل الاشياء ثم من أقذرها اذ قد خلقه من تراب

ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة ثم جعله عظماً ثم كسا العظم لحما فقد
كان هذا بداية وجوده حيث كان شيئاً مذكوراً فما صار شيئاً مذكوراً
الا وهو على أخس الاوصاف والنعوت اذ لم يخلق في ابتدائه كاملا بل خلقه
جمادا ميتا لايسمع ولا يبصر ولا يحس ولا يتحرك ولا ينطق ولا يبطش
ولا يدرك ولا يعلم فبدأ بموته قبل حياته وبضعفه قبل قوته وبجهله قبل علمه
وبعماه قبل بصره وبصممه قبل سمعه وببكمه قبل نطقه وبضلالته قبل هداه
وبفقره قبل غناه وبعجزه قبل قدرته فهذا معنى قوله من أي شيء خلقه من
نطفة خلقه فقدره ومعنى هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن
شيئاً مذكوراً انا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه كذلك خلقه أولا
ثم أمتن عليه فقال ثم السبيل يسره وهذا اشارة الى ماتيسر له في مدة حياته
الى الموت وكذلك قال من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً انا
هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً أو معناه انه أحياه بعد ان كان جمادا
ميتا تراباً أولا ونطفة ثانياً وأسمعه بعد ما كان أصم وبصره بعد ما كان فاقد
البصر وقواه بعد الضعف وعلمه بعد الجهل وخلق له الاعضاء بما فيها من
العجائب والآيات بعد الفقد لها وأغناه بعد الفقر وأشبعه بعد الجوع وكساه
بعد العرى وهداه بعد الضلال فانظر كيف دبره وصوره والى السبيل كيف
يسره والى طغيان الانسان ما اكفره والى جهل الانسان كيف أظهره
فقال أولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين ومن آية أن
خلقكم من تراب ثم اذا انتم بشر تنتشرون فانظر الى نعمة الله عليه كيف
نقله من تلك الذلة والقلة والخسة والقذارة الى هذه الرفعة والكرامة فصار
موجوداً بعد العدم وحيا بعد الموت وناطقاً بعد البكم وبصيرا بعد العمى

وقويا بعد الضعف وعالما بعد الجهل ومهديا بعد الضلال وقادراً بعد العجز وغنيا بعد الفقر فكان في ذاته لاشيء وأي شيء أخس من لاشيء وأي قلة أقل من العدم المحض ثم صار بالله شيئاً وانما خلقه من التراب الذليل الذي يوطأ بالاقدام والنطفة القذرة بعد عدمها المحض أيضاً ليعرفه خسة ذاته فيعرف به نفسه وانما أكمل النعمة عليه ليعرف بها ربه ويعلم بها عظمته وجلاله وانه لايليق الكبرياء الا به جل وعلا ولذلك أمتن عليه فقال ألم نجعل له عينين ولسانا وشفتين وهديناه النجدين وعرف خسته أولا فقال ألم يك نطفة من مني يمنى ثم كان علقة ثم ذكر منته عليه فقال فخلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى ليدوم وجوده بالتناسل كما حصل وجوده أولا بالاختراع فمن كان هذا بدؤه وهذه أحواله فمن أين له البطر والكبرياء والفخر والخيلاء وهو على التحقيق أخس الاخساء وأضعف الضعفاء ولكن هذه عادة الخسيس اذا رفع من خسته شمخ بأنفه وتعظم وذلك لدلالة خسة أوله ولا حول ولا قوة الا بالله نعم لو أكمله وفوض اليه أمره وأدام له الوجود باختياره لجاز أن يطغي وينسى المبدأ والمنتهى ولكنه سلط عليه في دوام وجوده الامراض الهائلة والاسقام العظيمة والآفات المختلفة والطباع المتضادة من المرة والبلغم والريح والدم يهدم البعض من اجزائه البعض شاء أم أبى رضي أم سخط فيجوع كرها ويعطش كرها ويمرض كرها ويموت كرها لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً ولا خيراً ولا شراً يريد أن يعلم الشيء فيجهله ويريد أن يذكر الشيء فينساه ويريد أن ينسى الشيء ويغفل عنه فلا يغفل عنه ويريد أن يصرف قلبه الى ما يهمه فيجول في أودية الوساوس والافكار بالاضطرار فلا يملك قلبه ولا نفسه نفسه تشتهي الشيء وربما يكون هلاكه فيه وتكره الشيء وربما

تكون حياته فيه يستلذ الاطعمة وتهلكه وترديه ويستبشع الادوية وهي تنفعه وتحييه ولا يأمن في لحظة من ليله أونهاره أن يسلب سمعه وبصره وتفلج أعضاؤه ويختلس عقله ويختطف روحه ويسلب جميع ما يهواه في دنياه فهو مضطر ذليل ان ترك بقي وان اختطف فني عبد مملوك لا يقدر على شيء من نفسه ولا شيء من غيره فأي شيء أذل منه لو عرف نفسه وأنى يليق الكبر به لولا جهله فهذا وسط أحواله فليتأمله وأما آخره ومورده فهو الموت المشار اليه بقوله تعالى ثم أماته فأقبره ثم اذا شاء أنشره ومعناه أنه يسلب روحه وسمعه وبصره وعلمه وقدرته وحسه وادراكه وحركته فيعود جمادا كما كان أول مرة لا يبقى الا شكل أعضائه وصورته لا حس فيه ولا حركة ثم يوضع في التراب فيصير جيفة منتنة قذرة كما كان في الاول نطفة مذرة ثم تبلى أعضاؤه وتتفتت أجزاؤه وينخر عظامه ويصير رميما رفاتا ويأكل الدود أجزاءه فيبتدي بحدقتيه فيقلعهما وبخديه فيقطعهما وبسائر اجزائه فيصير روثا في أجواف الديدان ويكون جيفة يهرب منه الحيوان ويستقذره كل إنسان ويهرب منه لشدة الانتان وأحسن أحواله أن يعود الى ما كان فيصير ترابا يعمل منه الكيزان ويعمر منه البنيان فيصير مفقودا بعد ما كان موجوداً وصار كأن لم يغن بالامس حصيداً كما كان في أول أمره أمداً مديداً وليته بقي كذلك فما أحسنه لو ترك ترابا لا بل يحييه بعد طول البلى ليقاسي شديد البلا فيخرج من قبره بعد جمع اجزاءه المتفرقة ويخرج الى أهوال القيامة فينظر الى قيامة قائمة وسماء مشققة ممزقة وأرض مبدلة وجبال مسيرة ونجوم منكدرة وشمس منكسفة وأحوال مظلمة وملائكة غلاظ شداد وجهنم تزفر وجنة ينظر اليها المجرم فيتحسر ويرى صحائف

منشورة فيقال له اقرأ كتابك فيقول وما هو فيقال كان قد وكل بك في حياتك التي كنت تفرح بها وتتكبر بنعيمها وتفتخر بأسبابها ملكان رقيبان يكتبان عليك ماتنطق به أو تعمله من قليل وكثير وصغير وكبير ونقير وقطمير واكل وشرب وقيام وقعود قد نسيت ذلك وأحصاه الله عليك فهلم الى الحساب واستعد للجواب أو تساق الى دار العذاب فينقطع قلبه فزعا من هول هذا الخطاب قبل ان تنتشر الصحيفة ويشاهد ما فيها من مخازيه فاذا شاهده قال ياويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها فهذا آخر أمره وهو معنى قوله تعالى اذا شاء أنشره فما لمن هذا حاله والتكبر والتعظم بل ماله وللفرح في لحظة واحدة فضلا عن البطر والاشر فقد ظهر له أوحاله ووسطه ولو ظهر آخره والعياذ بالله تعالى ربما اختار ان يكون كلباً أو خنزيرا ليصير مع البهائم ترابا ولا يكون انساناً يسمع خطاباً أو يلقى عذاباً وان كان عند الله مستحقا للنار فالخنزير أشرف منه وأطيب وأرفع اذ اوله التراب وآخره التراب وهو بمعزل عن الحساب والعذاب والكلب والخنزير لا يهرب منه الخلق ولو رأى أهل الدنيا العبد المذنب في النار لصعقوا من وحشة خلقته وقبح صورته ولو وجدوا ريحه لماتوا من نتنه ولو وقعت قطرة من شرابه الذي يسقى منه في بحار الدنيا لصارت انتن من الجيفة فمن هذا حاله في العاقبة الا ان يعفو الله عنه وهو على شك من العفو فكيف يفرح ويبطر وكيف يتكبر ويتجبر وكيف يرى نفسه شيئاً حتى يعتقد له فضلا وأي عبد لم يذنب ذنبا استحق به العقوبة الا ان يعفو الله الكريم بفضله ويجبر الكسر بمنه والرجاء منه ذلك لكرمه وحسن الظن به ولا حول ولا قوة الا بالله أرأيت من جذ على بعض

الملوك فاستحق بجنايته ضرب ألف سوط فحبس في السجن وهو ينتظر ان يخرج الى العرض وتقام عليه العقوبة على ملأ من الخلق وليس يدري أيعفي عنه أم لا كيف يكون ذله في السجن افترى انه يتكبر على من في السجن وما من عبد مذنب الا والدنيا سجنه وقد استحق العقوبة من الله تعالى ولا يدري كيف يكون آخر أمره فيكفيه ذلك حزنا وخوفا واشفاقا ومهانة وذلا فهذا هو العلاج العلمي القامع لاصل الكبر وأما العلاج العملي فهو التواضع لله بالفعل ولسائر الخلق بالمواظبة على أخلاق المتواضعين كما وصفناه وحكيناه من أحوال الصالحين ومن أحوال رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انه كان يأكل على الارض ويقول انما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وقيل لسلمان لم لا تلبس ثوبا جديداً فقال انما أنا عبد فاذا اعتقت يوماً لبست جديداً أشار به الى العتق في الآخرة ولا يتم التواضع بعد المعرفة الا بالعمل وذلك أمر العرب الذين تكبروا على الله ورسوله بالايمان وبالصلاة جميعاً وقيل الصلاة عماد الدين وفي الصلاة أسرار لاجلها كانت عمادا ومن جملتها ما فيها من التواضع بالمثول قائما وبالركوع والسجود وقد كان العرب قديما يأنفون من الانحناء فكان يسقط من يد الواحد سوطه فلا ينحني لاخذه وينقطع شراك نعله فلا ينكس رأسه لاصلاحه حتى قال حكيم بن حزام بايعت النبي صلى الله عليه وسلم على أن لا اخر الا قائما فبايعه النبي صلى الله عليه وسلم ثم فقه وكمل ايمانه بعد ذلك فلما كان السجود عندهم هو منتهي والذلة والضعة أمروا به لتنكسر بذلك خيلاؤهم ويزول كبرهم ويستقر التواضع في قلوبهم وبه أمر سائر الخلق فان الركوع والسجود والمثول قائما هو العمل الذي يقتضيه التواضع فكذلك

من عرف نفسه فلينظر كل ما يتقاضاه الكبر من الافعال فليواظب على نقيضه حتى يصير التواضع له خلقا فان القلوب لا تتخلق بالاخلاق المحمودة الا بالعلم والعمل جميعاً وذلك لخفاء القلب بين العلاقة والجوارح وسر الارتباط الذي بين عالم الملك وعالم الملكوت والقلب من عالم الملكوت *(المقام الثاني)* فيما يعرض من التكبر بالاسباب السبعة المذكورة وقد ذكرنا في كتاب ذم الجاه ان الكمال الحقيقي هو العلم والعمل فاما ماعداه مما يفنى بالموت فكمال وهمى فمن هذا يعسر على العالم ان لا يتكبر ولكنا نذكر طريق العلاج من العلم والعمل في جميع الاسباب السبعة * الاول النسب فمن يعتريه الكبر من جهة النسب فليداو قلبه بمعرفة أمرين أحدهما ان هذا جهل من حيث انه تعزز بكمال غيره ولذلك قيل

لئن فخرت بآباء ذوي شرف ۔ لقد صدقت ولكن بئس ماولدوا

فالمتكبر بالنسب ان كان خسيساً في صفات ذاته فمن أين يجبر خسته بكمال غيره بل لو كان الذي ينسب اليه حيا لكان له ان يقول الفضل لي ومن أنت وانما انت دودة خلقت من بولي افترى ان الدودة التي خلقت من بول انسان أشرف من الدودة التي من بول فرس هيهات بل هما متساويان والشرف للانسان لا للدودة * الثاني ان يعرف نسبه الحقيقي فيعرف أباه وجده فان أباه القريب نطفة قذرة وجده البعيد تراب ذليل وقد عرفه الله تعالى نسبه فقال الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين فمن أصله التراب المهين الذي يداس بالاقدام ثم خمر طينه حتى صار حمأ مسنونا كيف يتكبر وأخس الاشياء

ما اليه انتسابه اذ يقال يا أذل من التراب ويا أنتن من الحمأة ويا أقذر من المضغة فان كان كونه من أبيه أقرب من كونه من التراب فنقول افتخر بالقريب دون البعيد فالنطفة والمضغة أقرب اليه من الاب فليحقر نفسه بذلك ثم ان كان ذلك يوجب رفعه لقربه فالاب الاعلى من التراب فمن أين رفعته واذا لم يكن له رفعه فمن أين جاءت الرفعة لولده فاذا أصله من التراب وفصله من النطفة فلا أصل له ولا فصل وهذه غاية خسة النسب فالاصل يوطأ بالاقدام والفصل تغسل منه الابدان فهذا هو النسب الحقيقي للانسان ومن عرفه لم يتكبر بالنسب ويكون مثله بعد هذه المعرفة وانكشاف الغطاء له عن حقيقة أصله كرجل لم يزل عند نفسه من بني هاشم وقد أخبره بذلك والداه فلم يزل فيه نخوة الشرف فبينما هو كذلك اذ أخبره عدول لا يشك في قولهم أنه ابن هندي حجام يتعاطى القاذورات وكشفوا له وجه التلبيس عليه فلم يبق له شك في صدقهم افترى ان ذلك يبقي شيئاً من كبره لا بل يصير عند نفسه أحقر الناس وأذلهم فهو من استشعار الخزي لخسته في شغل عن أن يتكبر على غيره فهذا حال البصير اذا تفكر في أصله وعلم أنه من النطفة والمضغة والتراب اذ لو كان أبوه ممن يتعاطى نقل التراب أو يتعاطى الدم بالحجامة أو غيرها لكان يعلم به خسة نفسه لمماسة أعضاء أبيه للتراب والدم فكيف اذا عرف أنه في نفسه من التراب والدم والاشياء القذرة التي يتنزه عنها هو في نفسه * السبب الثاني الكبر بالجمال ودواؤه أن ينظر الى باطنه نظر العقلاء ولا ينظر الى الظاهر نظر البهائم ومهما نظر الى باطنه رأى من القبائح ما يكدر عليه تعززه بالجمال فانه وكل به الاقدار في جميع أجزائه الرجيع في امعائه والبول في مثانته والمخاط في انفه والبزاق في فيه والوسخ في أذنيه

والدم في عروقه والصديد تحت بشرته والصنان تحت ابطه يغسل الغائط بيده كل يوم دفعة أو دفعتين ويتردد كل يوم الى الخلاء مرة أو مرتين ليخرج من باطنه مالو رآه بعينه لاستقذره فضلا عن أن يمسه أو يشمه كل ذلك ليعرف قذارته وذله هذا في حال توسطه وفي أول أمره خلق من الاقذار الشنيعة الصور من النطفة ودم الحيض وأخرج من مجرى الاقذار اذ خرج من الصلب ثم من الذكر مجري البول ثم من الرحم مفيض دم الحيض ثم خرج من مجرى القذر قال أنس رحمه الله كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يخطبنا فيقذر الينا أنفسنا ويقول خرج أحدكم من مجرى البول مرتين وكذلك قال طاوس لعمر بن عبد العزيز ماهذه مشية من في بطنه خراء اذ رآه يتبختر وكان ذلك قبل خلافته وهذا أوله ووسطه ولو ترك نفسه في حياته يوما لم يتعهدها بالتنظف والغسل لثارت منه الانتان والاقذار وصار أنتن وأقذر من الدواب المهملة التي لاتتعهد نفسها قط فاذا نظر أنه خلق من أقذار وأسكن في أقذار وسيموت فيصير جيفة أقذر من سائر الاقذار لم يفتخر بجماله الذي هو كخضراء الدمن وكلون الازهار في البوادي فبينما هو كذلك اذ صار هشيما تذروه الرياح كيف ولو كان جماله باقيا وعن هذه القبائح خاليا لكان يجب أن لايتكبر به على القبيح اذ لم يكن قبح القبيح اليه فينفيه ولا كان جمال الجميل اليه حتى يحمد عليه كيف ولا بقاء له بل هو في كل حين يتصور أن يزول بمرض أو جدرى أو قرحة أو سبب من الاسباب فكم من وجوه جميلة قد سمجت بهذه الاسباب فمعرفة هذه الامور تنزع من القلب داء الكبر بالجمال لمن أكثر تأملها * السبب الثالث الكبر بالقوة والايدو يمنعه من ذلك ان يعلم ماساط عليه من العلل والامراض

وانه لو توجع عرق واحد في يده لصار اعجز من كل عاجز واذل من كل ذليل وانه لو سلبه الذباب شيئاً لم يستنقذه منه وان بقة لو دخلت في أنفه أو نملة دخلت في أذنه لقتلته أوان شوكة لو دخلت في رجله لاعجزته وان حمى يوم تحلل من قوته مالا ينجبر في مدة فمن لايطيق شوكة ولا يقاوم بقة ولا يقدر على ان يدفع عن نفسه ذبابة فلا ينبغي ان يفتخر بقوته ثم ان قوى الانسان فلا يكون أقوى من حمار اوبقرة أوفيل أوجمل وأي افتخار في صفة يسبقك فيها البهائم * السبب الرابع والخامس الغني وكثرة المال وفي معناه كثرة الاتباع والانصار والتكبر بولاية السلاطين والتمكن من جهتهم وكل ذلك تكبر بمعنى خارج عن ذات الانسان لا كالجمال والقوة والعلم وهذا أقبح أنواع الكبر فان المتكبر بماله كأنه متكبر بفرسه وداره ولو مات فرسه وانهدمت داره لعاد ذليلا والمتكبر بتمكن السلطان وولايته لا بصفة في نفسه بني أمره على قلب هو أشد غليانا من القدر فان تغير عليه كان أذل الخلق وكل متكبر بأمر خارج عن ذاته فهو ظاهر الجهل كيف والمتكبر بالغني لو تأمل لرأى في اليهود من يزيد عليه في الغني والثروة والتجمل فأف لشرف يسبقك به اليهودي وأف لشرف يأخذه السارق في لحظة واحدة فيعود صاحبه ذليلا مفلسا فهذه أسباب ليست في ذاته وما هو في ذاته ليس اليه دوام وجوده وهو في الآخرة وبال ونكال فالتفاخر به غاية الجهل وكل ماليس اليك فليس لك وشيء من هذه الامور ليس اليك بل الى واهبه ان أبقاه بقي لك وان استرجعه زال عنك وما أنت الا عبد مملوك لاتقدر على شيء ومن عرف ذلك لابد وأن يزول كبره ومثاله أن يفخر الغافل بقوته وجماله وماله وحريته واستقلاله وسعة منازله وكثرة خيوله وغلمانه اذ شهد

عليه شاهد ان عدلان عند حاكم متصف بأنه رقيق لفلان وأن أبويه كانا مملوكين له فعلم ذلك وحكم به الحاكم فجاء مالكه فأخذه وأخذ جميع مافي يده وهو مع ذلك يخشى أن يعاقبه وينكل به لتفريطه في أمواله وتقصيره في طلب مالكه ليعرف أن له مالكا ثم نظر العبد فرأى نفسه محبوسا في منزل قد أحدقت به الحيات والعقارب والهوام وهو في كل حال على وجل من كل واحدة منها وقد بقي لا يملك نفسه ولا ماله ولا يعرف طريقاً في الخلاص البتة افترى من هذا حاله هل يفخر بقدرته وثروته وقوته وكماله أم تذل نفسه ويخضع وهذا حال كل عاقل بصير فانه يري نفسه كذلك فلا يملك رقبته وبدنه وأعضاءه وماله وهو مع ذلك بين آفات وشهوات وأمراض وأسقام هي كالعقارب والحيات يخاف منها الهلاك فمن هذا حاله لا يتكبر بقوته وقدرته اذ يعلم أنه لا قدرة له ولا قوة فهذا طريق علاج التكبر بالاسباب الخارجة وهو أهون من علاج التكبر بالعلم والعمل فانهما كمالان في النفس جديران بأن يفرح بهما ولكن في التكبر بهما أيضاً نوع من الجهل خفي كما سنذكره * السبب السادس الكبر بالعلم وهو أعظم الآفات وأغلب الادواء وأبعدها عن قبول العلاج الا بشدة شديدة وجهد جهيد وذلك لان قدر العلم عظيم عند الله عظيم عند الناس وهو أعظم من قدر المال والجمال وغيرهما بل لا قدر لهما أصلا إلا اذا كان معهما علم وعمل ولذلك قال كعب الاحبار ان للعلم طغيانا كطغيان المال وكذلك قال عمر رضي الله عنه العالم اذا زل زل بزلته عالم فيعجز العالم عن أن لا يستعظم نفسه بالاضافة الى الجاهل لكثرة مانطق الشرع بفضائل العلم ولن يقدر العالم على دفع الكبر الا بمعرفة أمرين أحدهما أن يعلم أن حجة الله علي أهل العلم آكد وانه يحتمل

من الجاهل مالا يحتمل عشره من العالم فانه من عصى الله تعالى عن معرفة وعلم فجنايته أفحش اذ لم يقض حق نعمة الله عليه في العلم ولذلك قال صلى الله عليه وسلم يؤتى يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتابه فيدور بها بالعالم كما يدور الحمار بالرحا فيطيف به أهل النار فيقولون مالك فيقول كنت آمر بالخير ولا آتيه وأنهى عن الشر وآتيه وقد مثل الله سبحانه وتعالى من يعلم ولا يعمل بالحمار والكلب فقال جل وعز مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً أراد به علماء اليهود وقال في بلعم بن باعوراء واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها حتى بلغ فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث قال ابن عباس رضي الله عنهما أوتي بلعم كتابا فاخلد الى شهوات الارض أي سكن حبه اليها فمثله بالكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث أي سواء آتيته الحكمة أو لم تؤته لايدع شهوته ويكفي العالم هذا الخطر فأي عالم لم يتبع شهوته وأي عالم لم يأمر بالخير الذي لا يأتيه فمهما خطر للعالم عظم قدره بالاضافة الى الجاهل فليتفكر في الخطر العظيم الذي هو بصدده فان خطره أعظم من خطر غيره كما أن قدره أعظم من قدر غيره فهذا بذاك وهو كالملك المخاطر بروحه في ملكه لكثرة أعدائه فانه اذا أخذ وقهر اشتهى أن يكون قد كان فقيرا فكم من عالم يشتهي في الآخرة سلامة الجهال والعياذ بالله منه فهذا الخطر يمنع من التكبر فانه ان كان من أهل النار فالخنزير أفضل منه فكيف يتكبر من هذا حاله فلا ينبغي أن يكون العالم اكبر عند نفسه من الصحابة رضوان الله عليهم وقد كان بعضهم يقول ياليتني كنت هذه التبنة ويقول الآخر ليتني كنت طيراً أوكل ويقول الآخر ليتني لم اك شيئاً مذ كوراً كل ذلك

خوفاً من خطر العاقبة فكانوا يرون أنفسهم أسوأ حالا من الطير ومن
التراب ومهما أطال فكره في الخطر الذي هو بصدده زال بالكلية كبره
ورأى نفسه كأنه شر الخلق ومثاله مثال عبد أمره سيده بأمور فشرع
فيها وترك بعضها وأدخل النقصان في بعضها وشك في بعضها انه هل أداها
على مايرتضيه سيده أم لا فأخبره مخبران سيده أرسل اليه رسولا يخرجه
من كل ما هو فيه عريانا ذليلا ويلقيه على بابه في الحر والشمس زماناطويلا
حتى اذا ضاق عليه الامر وبلغ به المجهود أمر برفع حسابه وفتاش عن
جميع أعماله قليلها وكثيرها ثم أمر به الى سجن ضيق وعذاب دائم لا يروح
عنه ساعة وقد علم أن سيده قد فعل بطوائف من عبيده مثل ذلك وعفا
عن بعضهم وهو لا يدري من أي الفريقين يكون فاذا تفكر في ذلك انكسرت
نفسه وذل وبطل عزه وكبره وظهر حزنه وخوفه ولم يتكبر على أحد
من الخلق بل تواضع رجاء أن يكون هو من شفعائه عند نزول العذاب به
فكذلك العالم اذا تفكر فيما ضيعه من أوامر ربه بجنايات على جوارحه وبذنوب
في باطنه من الرياء والحقد والحسد والعجب والنفاق وغيره وعلم ما هو
بصدده من الخطر العظيم فارقه كبره لا محالة * الامر الثاني ان العالم يعرف
أن الكبر لا يليق الا بالله عز وجل وحده وأنه اذا تكبر صار ممقوتا عند
الله بغيضا وقد أحب الله منه أن يتواضع وقال له ان لك عندي قدراً مالم
تر لنفسك قدرا فان رأيت لنفسك قدراً فلا قدر لك عندي فلا بد وان
يكلف نفسه مايحبه مولاه منه وهذا يزيل التكبر عن قلبه وان كان يستيقن
أنه لا ذنب له مثلا أو تصور ذلك وبهذا زال التكبر عن الانبياء عليهم
السلام اذ علموا أن من نازع الله تعالى في رداء الكبرياء قصمه وقد أمرهم

الله بأن يصغروا أنفسهم حتى يعظم عند الله محلهم فهذا أيضاً مما يبعثه على التواضع لا محالة فان قلت فكيف يتواضع للفاسق المتظاهر بالفسق والمبتدع وكيف يرى نفسه دونه وهو عالم عابد وكيف يجهل فضل العلم والعبادة عند الله وكيف يغنيه ان يخطر بباله خطر العلم وهو يعلم ان خطر الفاسق والمبتدع اكثر فاعلم ان ذلك انما يمكن بالتفكر في خطر الخاتمة بل لو نظر الى كافر لم يمكنه ان يتكبر عليه اذ يتصور ان يسلم الكافر فيختم له بالايمان ويضل هذا العالم فيختم له بالكفر والكبير من هو عند الله في الآخرة والكلب والخنزير أعلى رتبة ممن هو عند الله من أهل النار وهو لا يدري ذلك فكم من مسلم نظر الى عمر رضي الله عنه قبل اسلامه فاستحقره وازدراه لكفره وقد رزقه الله الاسلام وفاق جميع المسلمين الا أبا بكر وحده فالعواقب مطوية عن العباد ولا ينظر العاقل إلا الى العاقبة وجميع الفضائل في الدنيا تراد للعاقبة فاذا من حق العبد ان لا يتكبر على أحد بل ان نظر الى جاهل قال هذا عصى الله بجهل وانا عصيته بعلم فهو أعذر مني وان نظر الى عالم قال هذا قد علم مالم أعلم فكيف اكون مثله وان نظر الى كبير هو اكبر منه سناً قال هذا قد أطاع الله قبلى فكيف اكون مثله وان نظر الى صغير قال إني عصيت الله قبله فكيف اكون مثله وان نظر الى مبتدع أو كافر قال مايدريني لعله يختم له بالاسلام ويختم لى بما هو عليه الآن فليس دوام الهداية الى كما لم يكن ابتداؤها الى فبملاحظة الخاتمة يقدر على أن ينفي الكبر عن نفسه وكل ذلك بأن يعلم ان الكمال في سعادة الاخرة والقرب من الله لا فيما يظهر في الدنيا مما لا بقاء له ولعمرى هذا الخطر مشترك بين المتكبر والمتكبر عليه ولكن حق كل واحد أن يكون مصروف الهمة الى

نفسه مشغول القلب بخوفه لعاقبته لا ان يشتغل بخوف غيره فان الشفيق بسوء الظن مولع وشفقة كل انسان على نفسه فاذا حبس جماعة في جناية ووعدوا بأن تضرب رقابهم لم يتفرغوا التكبر بعضهم على بعض وان عمهم الخطر اذ شغل كل واحدهم نفسه عن لالتفات الى هم غيره حتى كأن كل واحد هو وحده في مصيبته وخطره فان قلت فكيف أبغض المبتدع في الله وأبغض الفاسق وقد أمرت ببغضهما ثم مع ذلك أتواضع لهما والجمع بينهما متناقض فاعلم ان هذا أمر مشتبه يلتبس على اكثر الخلق اذ يمتزج غضبك لله في انكار البدعة والفسق بكبر النفس والادلال بالعلم والورع فكم من عابد جاهل وعالم مغرور اذا رأى فاسقاً جلس بجنبه أزعجه من عنده وتنزه عنه بكبر باطن في نفسه وهو ظان انه قد غضب لله كما وقع لعابد بنى اسرائيل مع خليعهم وذلك لان الكبر على المطيع ظاهر كونه شرا والحذر منه ممكن والكبر على الفاسق المبتدع يشبه الغضب لله وهو خير فان الغضبان أيضاً يتكبر على من غضب عليه والمتكبر يغضب وأحدهما يثمر الآخر ويوجبه وهما ممتزجان ملتبسان لا يميز بينهما الا الموفقون والذي يخلصك من هذا أن يكون الحاضر على قلبك عند مشاهدة المبتدع أو الفاسق أو عند أمرهما بالمعروف ونهيهما عن المنكر ثلاثة أمور أحدها التفاتك الى ماسبق من ذنوبك وخطاياك ليصغر عند ذلك قدرك في عينك والثاني أن تكون ملاحظتك لما أنت متميز به من العلم واعتقاد الحق والعمل الصالح من حيث انها نعمة من الله تعالى عليك فله المنة فيه لا لك فترى ذلك منه حتى لا تعجب بنفسك واذا لم تعجب لم تتكبر والثالث لاحظة ابهام عاقبتك وعاقبته وأنه ربما يختم لك بالسوء ويختم له بالحسنى حتى يشغلك

الخوف عن التكبر عليه فان قلت فكيف أغضب مع هذه الاحوال فأقول تغضب لمولاك وسيدك اذ أمرك ان تغضب له لا لنفسك وأنت في غضبك لا ترى نفسك ناجيا وصاحبك هالكا بل يكون خوفك على نفسك بما علم الله من خفايا ذنوبك اكثر من خوفك عليه مع الجهل بالخاتمة وأعرفك ذلك بمثال لتعلم انه ليس من ضرورة الغضب لله أن تتكبر على المغضوب عليه وترى قدرك فوق قدره فأقول اذا كان للملك غلام وولد هو قرة عينه وقد وكل الغلام بالولد ليراقبه وأمره أن يضربه مهما أساء أدبه واشتغل بما لا يليق به ويغضب عليه فان كان الغلام محباً مطيعاً لمولاه فلا يجد بدا من ان يغضب مهما رأى ولده قد أساء الادب وانما يغضب عليه لمولاه ولانه أمره به ولانه يريد التقرب بامتثال أمره اليه ولانه جرى من ولده ما يكره مولاه فيضرب ولده ويغضب عليه من غير تكبر عليه بل هو متواضع له يرى قدره عند مولاه فوق قدر نفسه لان الولد أعز لا محالة من الغلام فاذن ليس من ضرورة الغضب التكبر وعدم التواضع فكذلك يمكنك ان تنظر الى المبتدع والفاسق وتظن أنه ربما كان قدرهما في الآخرة عند الله أعظم لما سبق لهما من الحسنى في الازل ولما سبق لك من سوء القضاء في الازل وأنت غافل عنه ومع ذلك فتغضب بحكم الامر محبة لمولاك اذ جرى ما يكرهه مع التواضع لمن يجوز أن يكون عنده أقرب منك في الآخرة فهكذا يكون بغض العلماء الاكياس فينضم اليه الخوف والتواضع وأما المغرور فانه يتكبر ويرجو لنفسه اكثر مما يرجوه لغيره مع جهله بالعاقبة وذلك غاية الغرور فهذا سبيل التواضع لمن عصى الله أو اعتقد البدعة مع الغضب عليه ومجانبته بحكم الامر (السبب السابع) التكبر بالورع والعبادة وذلك

أيضاً فتنة عظيمة على العباد وسبيله أن يلزم قلبه التواضع لسائر العباد وهو ان يعلم أن من يتقدم عليه بالعلم لاينبغى أن يتكبر عليه كيفما كان لما عرفه من فضيلة العلم وقد قال تعالى هل يستوي الذين يعلمون والذين لايعلمون وقال صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضلى على أدنى رجل من أصحابي الى غير ذلك مما ورد في فضل العالم فان قال العابد ذلك لعالم عامل بعلمه وهذا عالم فاجر فيقال له أما عرفت ان الحسنات يذهبن السئات وكما أن العلم يمكن أن يكون حجة على العالم فكذلك يمكن أن يكون وسيلة له وكفارة لذنوبه وكل واحد منهما ممكن وقد وردت الاخبار بما يشهد لذلك واذا كان هذا الامر غائباً عنه لم يجز له أن يحتقر عالما بل يجب عليه التواضع له فان قلت فان صح هذا فينبغى أن يكون للعالم أن يرى نفسه فوق العابد لقوله عليه السلام فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أصحابى فاعلم أن ذلك كان ممكنا لو علم العالم عاقبة أمره وخاتمة الامر مشكوك فيها فيحتمل ان يموت بحيث يكون حاله عند الله أشد من حال الجاهل الفاسق لذنب واحد كان يحسبه هينا وهو عند الله عظيم وقدمقته به واذا كان هذا ممكناً كان على نفسه خائفا فاذا كان كل واحد من العابد والعالم خائفا على نفسه وقد كلف أمر نفسه لاامر غيره فينبغى أن يكون الغالب عليه في حق نفسه الخوف وفي حق غيره الرجاء وذلك يمنعه من الكبر بكل حال فهذا حال العابد مع العالم فأما مع غير العالم فهم منقسمون في حقه الى مستورين والى مكشوفين فينبغى ان لا يتكبر على المستور فلعله أقل منه ذنوبا وأكثر منه عبادة وأشد منه حبا لله وأما المكشوف حاله ان لم يظهر لك من الذنوب الاما يزيد على ذنوبك في طول عمرك فلا ينبغى ان تتكبر عليه ولا يمكن ان تقول هو

اكثر مني ذنباً لان عدد ذنوبك في طول عمرك وذنوب غيرك في طول العمر لا تقدر على احصائه حتي تعلم الكثرة نعم يمكن ان تعلم ان ذنوبه أشد كما لو رأيت منه القتل والشرب والزنا ومع ذلك فلا ينبغي ان تتكبر عليه اذ ذنوب القلوب من الكبر والحسد والرياء والغل واعتقاد الباطل والوسوسة في صفات الله تعالى وتخيل الخطاء في ذلك كل ذلك شديد عند الله فربما جرى عليك في باطنك من خفايا الذنوب ما صرت به عند الله ممقوتاً وقد جرى للفاسق الظاهر الفسق من طاعات القلوب من حب لله واخلاص وخوف وتعظيم ما أنت خال عنه وقد كفر الله بذلك عنه سيئاته فينكشف الغطاء يوم القيامة فتراه فوق نفسك بدرجات فهذا ممكن والامكان البعيد فيما عليك ينبغى أن يكون قريبا عندك ان كنت مشفقا على نفسك فلا تتفكر فيما هو ممكن لغيرك بل فيما هو مخوف في حقك فانه لا تزر وازرة وزر أخرى وعذاب غيرك لا يخفف شيأ من عذابك فاذا تفكرت في هذا الخطر كان عندك شغل شاغل عن التكبر وعن أن تري نفسك فوق غيرك وقد قال وهب بن منبه ما تم عقل عبد حتى يكون فيه عشر خصال فعد تسعا حتي بلغ العاشرة فقال العاشرة وما العاشرة بها ساد مجده وبها علا ذكره ان يرى الناس كلهم خيرا منه وإنما الناس عنده فرقتان فرقة هي أفضل منه وأرفع وفرقة هى شر منه وأدنى فهو يتواضع للفرقتين جميعاً بقلبه ان يرى من هو خير منه سره ذلك وتمني أن يلحق به وان رأى من هو شر منه قال لعل هذا ينجو وأهلك أنا فلا تراه الا خائفاً من العاقبة ويقول لعل بر هذا باطن فذلك خير له ولا أدري لعل فيه خلقاً كريما بينه وبين الله فيرحمه الله ويتوب عليه ويختم له بأحسن الاعمال وبرى ظاهر فذلك شر

لي فلا أمن فيما أظهره من الطاعـة أن يكون دخلها الآفات فاحبطتها
قال فحينئذ كمل عقله وساد أهل زمانه فهذا كلامه وبالجملة فمن جوز أن يكون
عند الله شقياً وقد سبق القضاء في الازل بشقوته فما له سبيل الى أن يتكبر
بحال من الاحوال نعم اذا غلبه الخوف رأى كل أحد خيراً من نفسه وذلك
هو الفضيلة كما روى ان عابداً أوى الى جبل فقيل له في النوم إئت فلانا
الاسكاف فسله أن يدعو لك فأتاه فسأله عن عمله فاخبره ان يصوم النهار
ويكتسب فيتصدق ببعضه ويطعم عياله ببعضه فرجع وهو يقول ان هـذا
لحسن ولـكن ليس هذا كالتفرغ لطاعة الله فأتى في النوم ثانياً فقيـل له
إئت فلاناً الاسكاف فقل له ما هذا الصفار الذي بوجهك فأتاه فسأله فقال
له ما رأيت أحداً من الناس الا وقع لي انه سينجوا وأهلك أنا فقال العابد
بهذه والذي يدل على فضيلة هذه الخصلة قوله تعالى يؤتون ما آتوا وقلوبهم
وجلة أنهم الى ربهم راجعون أي انهم يؤتون الطاعات وهم على وجل عظيم
من قبولها وقال تعالى ان الذين هم من خشية ربهـم مشفقون وقال تعالى
انا كنا قبل في أهلنا مشفقين وقد وصف الله تعالى الملائكة عليهم السلام
مع تقدسهم عن الذنوب ومواظبتهم على العبادات بالدؤب بالاشفاق فقال
تعالى مخبراً عنهم يسبحون الليل والنهار لا يفترون وهم من خشيته مشفقون
فتى زال الاشفاق والحذر مما سبق به القضاء في الازل وينكشف عند خاتمة
الاجل غلب الامن من مكره الله وذلك يوجب الـكبر وهو سبب الهلاك
فالـكبر دليل الامن والامن مهلك والتواضع دليل الخوف وهو مسعد
فاذن ما يفسده العابد باضمار الـكبر واحتقار الخلق والنظر اليهم بعين الاستصغار
أكثر مما يصلحه بظاهر الاعمال فهذه معارف بها يزال داء الكبر عن

القلب لا غير الا أن النفس بعد هـذه المعرفة قد تضمر التواضع وتدعى البراءة من الـكبر وهى كاذبة فاذا وقعت الواقعة عادت الى طبعها ونسيت وعدها فعن هذا لا ينبغى أن يكتفى في المداواة بمجرد المعرفة بل ينبغى أن تكمل بالعمل وتجرب بأفعال المتواضعين في مواقع هيجان الـكبر من النفس وبيانه أن يمتحن النفس بخمس امتحانات هي أدلة على استخراج مافى الباطن وإن كانت الامتحانات كثيرة * الامتحان الاول أن يناظر في مسألة مع واحد من أقرانه فان ظهر شيء من الحق على لسان صاحبه فثقل عليه قبوله والانقياد له والاعتراف به والشكر له على تنبيهه وتعريفه واخراجه الحق فذلك يدل على أن فيه كبرا دفينا فليتق الله فيه ويشتغل بعلاجه أما من حيث العلم فبأن يذكر نفسه خسة نفسه وخطر عاقبته وان الـكبر لا يليق الا بالله تعالى وأما العمل فبأن يكلف نفسه ما ثقل عليه من الاعتراف بالحق وان يطلق اللسان بالحمـد والثناء ويقر على نفسه بالعجز ويشكره على الاستفادة ويقول ما أحسن ما فطنت له وقد كنت غافلا عنه فجزاك الله خيرا كما نبهتني له فالحـكمة ضالة المؤمن فاذا وجـدها ينبغى أن يشكر من دله عليها فاذا واظب على ذلك مرات متوالية صار ذلك له طبعاً وسقط ثقل الحق عن قلبه وطاب له قبوله ومهما ثقل عليه الثناء على أقرانه بما فيهم ففيه كبر فان كان ذلك لا يثقل عليه في الخلوة ويثقل عليه في الملا فليس فيه كبر وانما فيه رياء فليعالج الرياء بما ذكرناه من قطع الطمع عن الناس ويذكر القلب بأن منفعته في كماله في ذاته وعند الله لا عند الخلق الى غير ذلك من أدوية الرياء وإن ثقل عليه في الخلوة والملا جميعاً ففيه الـكبر والرياء جميعاً ولا ينفعه الخلاص من أحدهما ما لم يتخلص من الثاني فليعالج كلا الداءين

فانهما جميعا مهلكان * الامتحان الثاني أن يجتمع مع الاقران والامثال في
في المحافل ويقدمهم على نفسه ويمشى خلفهم ويجلس في الصدور تحتهم فان
ثقل عليه ذلك فهو متكبر فليواظب عليه تكلفاً حتى يسقط عنه ثقله فبذلك
يزايله الكبر وههنا للشيطان مكيدة وهو أن يجلس في صف النعال أو يجعل
بينه وبين الاقران بعض الارذال فيظن أن ذلك تواضع وهو عين الكبر
فان ذلك يخف على نفوس المتكبرين اذ يوهمون انهم تركوا امكانهم بالاستحقاق
والتفضل فيكون قد تكبر باظهار التواضع أيضاً بل ينبغى أن يقدم أقرانه
ويجلس بجنبهم ولا ينحط عنهم الى صف النعال فذلك هو الذي يخرج خبث
الكبر من الباطن * الامتحان الثالث أن يجيب دعوة الفقير ويمر الى السوق
في حاجة الرفقاء والاقارب فان ثقل ذلك عليه فهو كبر فان هذه الافعال
من مكارم الاخلاق والثواب عليها جزيل فنفور النفس عنها ليس الا لخبث
في الباطن فليشتغل بازالته بالمواظبة عليه مع تذكر جميع ماذكرناه من
المعارف التي تزيل داء الكبر * الامتحان الرابع أن يحمل حاجة نفسه وحاجة
أهله ورفقائه من السوق الى البيت فان أبت نفسه ذلك فهو كبر ورياء فان
كان يثقل ذلك عليه مع خلو الطريق فهو كبر وان كان لا يثقل عليه الا مع
مشاهدة الناس فهو رياء وكل ذلك من أمراض القلب وعلله المهلكة له
ان لم تتدارك وقد أهمل الناس طب القلوب واشتغلوا بطب الاجساد مع
أن الاجساد قد كتب عليها الموت لا محالة والقلوب لا تدرك السعادة الا
بسلامتها اذ قال تعالى الا من أتى الله بقلب سليم ويروى عن عبد الله بن
سلام أنه حمل حزمة حطب فقيل له يا أبا أيوب قد كان غلمانك وبنيك
ما يكفيك قال أجل ولكن أردت ان أجرب نفسي هل تنكر ذلك فلم

يقنع منها بما أعطيته من العزم على ترك الانفه حتى جربها أهي صادقة أم كاذبة وفي الخبر من حمل الفاكهة أوالشيء فقد بريء من الكبر * الامتحان الخامس ان يلبس ثياباً بذلة فان نفور النفس عن ذلك في الملا رياء اوفي الخلوة كبر وكان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه له مسح يلبسه بالليل وقد قال صلى الله عليه وسلم إنما أنا عبد آكل بالارض وألبس الصوف وأعقل البعير والعق أصابعي وأجيب دعوة المملوك فمن رغب عن سنتي فليس مني وروى ان أبا موسى الاشعري قيل له أن أقواماً يتخلفون عن الجمعة بسبب ثيابهم فلبس عباءة فصلى فيها بالناس وهذه مواضع يجتمع فيها الرياء والكبر فما يختص بالملا فهو رياء وما يكون في الخلوة فهو الكبر فاعرف فان من لا يعرف الشر لا يتقيه ومن لا يدرك المرض لا يداويه

﴿ فصل في الطمع ﴾

في صحيح مسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قد أفلح من أسلم ورزق كفافا وقنعه الله بما آتاه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى لهما ثالثاً ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب ويتوب الله على من تاب قوله ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب أي لا يزال حريصاً على الدنيا حتى يموت ويمتلئ جوفه من تراب قبره وقال صلى الله عليه وسلم منهومان لا يشبعان منهوم العلم ومنهوم الدنيا والمال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يهرم ابن آدم ويشب معه اثنتان الحرص على المال والحرص على العمر وقال صلى الله عليه وسلم لا يزال قلب المؤمن شاباً في اثنتين في حب الدنيا وطول الأمل وقال صلى الله عليه وسلم أعذر الله الى امرىء اخر اجله حتى بلغه ستين سنة

وعن عبدالله بن عمر قال مرَّ بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا وأمي نطين شيئاً فقال ما هذا يا عبد الله قلت شيء نصلحه قال الأمر أسرع من ذلك وقال صلى الله عليه وسلم أعمار أمتي ما بين الستين الى السبعين وأقلهم من يجوز ذلك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس الغنى عن كثرة العرض انما الغنى غنى النفس وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أيها الناس اجملوا في الطلب فانه ليس للعبد الا ما كتب الله له ولن يذهب عبد من الدنيا حتى يأتيه ما كتب له في الدنيا وهي راغمة وقال صلى الله عليه وسلم ان روح القدس نفث في روعي ان نفسا لن تموت حتى تستوفي رزقها فاتقوا الله واجملوا في الطلب وكان محمد بن واسع رحمه الله يبل الخبز اليابس ويأكله ويقول من قنع بهذا لم يحتج الى أحد قال بعض الحكماء في قوله تعالى وفي السماء رزقكم وما توعدون فورب السماء والارض انه لحق مثلكم ما أنكم تنطقون يعني كما أن كل انسان ينطق بلسان نفسه لا يمكنه أن ينطق بلسان غيره فكذلك كل انسان يأكل رزق نفسه الذي قسم له ولا يقدر أن يأكل رزق غيره قال أبو الليث السمرقندي رحمه الله من قصر أمله اكرمه الله تعالى باربع كرامات يقوى على الطاعة ويقل همه اذا علم أنه يموت عن قريب ويجعله راضياً بالقليل فانه اذا علم أنه يموت عن قريب يكون اكثر همه هم الآخرة وينور قلبه ويقال نور القلب من أربعة أشياء بطن جائع وصاحب صالح وحفظ الذنب القديم وقصر الامل ومن طال أمله عاقبه الله بأربعة أشياء التكاسل عن الطاعة وتكثر همومه ويصر على جمع المال ويقسو قلبه لانه يقال قسوة القلب من أربعة أشياء بطن ممتلئ وصحبة صاحب السوء ونسيان الذنب الماضي وطول الامل قال ذو

النون المصري انما دخل الفساد على الناس من ستة أمور الاول ضعف النية لعمل الآخرة والثاني صارت أبدانهم رهينة لشهواتهم والثالث غلب عليهم طول الأمل مع قرب الاجل والرابع آثروا رضا المخلوق على رضا الخالق والخامس اتبعوا اهواءهم ونبذوا سنة نبيهم وراء ظهورهم والسادس جعلوا زلات السلف حجة لانفسهم ودفنوا اكثر مناقبهم

واعلم ان دواء الطمع مركب من ثلاثة أركان الصبر والعلم والعمل ومجموع ذلك خمسة أمور الاول وهو العمل الاقتصاد في المعيشة والرفق في الانفاق فمن أراد عز القناعة فينبغي أن يسد عن نفسه ابواب الخرج ما أمكنه ويرد نفسه الى ما لا بدله منه فمن كثر خرجه واتسع انفاقه لم تمكنه القناعة بل ان كان وحده فينبغي أن يقنع بالكافي من الثياب ويقنع بأي طعام كان وان كان له عيال فيرد كل واحد الى هذا القدر فان هذا القدر يتيسر بأدني جهد ويمكن معه الاجمال في الطلب والاقتصاد في المعيشة وهو الاصل في القناعة ونعنى به الرفق في الانفاق وترك الخرق فيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يحب الرفق في الامر كله وقال صلى الله عليه وسلم ما عال من اقتصد وقال صلى الله عليه وسلم ثلاث منجيات خشية الله في السر والعلانية والقصد في الغنى والفقر والعدل في الرضا والغضب وروى أن رجلا أبصر أبا الدرداء يلتقط حباً من الارض وهو يقول ان من فقهك رفقك في معيشتك وقال ابن عباس رضي الله عنهما قال النبي صلى الله عليه وسلم الاقتصاد وحسن السمت

والهدي الصالح جزء من بضع وعشرين جزأ من النبوة وفي الخبر التدبير نصف العيش وقال صلى الله عليه وسلم من اقتصد أغناه الله ومن بذر أفقره الله ومن ذكر الله عز وجل أحبه الله وقال صلى الله عليه وسلم اذا أردت أمراً فعليك بالتؤدة حتى يجعل الله لك فرجا ومخرجا والتؤدة في الانفاق من أهم الامور * الثاني اذا تيسر له في الحال ما يكفيه فلا ينبغي أن يكون شديد الاضطراب لاجل المستقبل ويعينه على ذلك قصر الامل والتحقق بأن الرزق الذى قدر له لابد وأن يأتيه وان لم يشتد حرصه فان شدة الحرص ليست هي السبب لوصول الارزاق بل ينبغي أن يكون واثقاً بوعد الله تعالى اذ قال عز وجل وما من دابة في الارض الا على الله رزقها وذلك ان الشيطان يعده الفقر ويأمره بالفحشاء ويقول ان لم تحرص على الجمع والادخار فربما تمرض وربما تعجز وتحتاج الى احتمال الذل في السؤال فلا يزال طول العمر يتعبه في الطلب خوفاً من التعب ويضحك عليه في احتماله التعب نقداً مع الغفلة عن الله لتوهم تعب في ثاني الحال وربما لا يكون وفي مثله قيل

ومن ينفق الساعات في جمع ماله * مخافة فقر فالذي فعل الفقر

وقد دخل ابنا خالد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهما لا تيأسا من الرزق ما تهزهزت رؤسكما فان الانسان تلده أمه أحمر ليس عليه قشر ثم يرزقه الله تعالى ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم بابن مسعود وهو حزين فقال له لا تكثر همك ما يقدر يكن وما ترزق يأتك وقال صلى الله عليه وسلم ألا أيها الناس أجملوا في الطلب فانه ليس لعبد الا ما كتب له ولن يذهب عبد من الدنيا حتى يأتيه ما كتب له من الدنيا وهي راغمة ولا

ينفك الانسان عن الحرص الا بحسن ثقته بتدبير الله تعالى في تقدير أرزاق العباد وأن ذلك يحصل لا محالة مع الاجمال في الطلب بل ينبغي أن يعلم أن رزق الله للعبد من حيث لا يحتسب اكثر قال الله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب فاذا استد عليه باب كان ينتظر الرزق منه فلا ينبغي ان يضطرب قلبه لاجله وقال صلى الله عليه وسلم ابي الله ان يرزق عبده المؤمن الا من حيث لا يحتسب وقال سفيان اتق الله فما رأيت تقياً محتاجا اي لا يترك التقى فاقدا لضرورته بل يلقي الله في قلوب المسلمين ان يوصلوا اليه رزقه وقال المفضل الضبي قلت لاعرابي من اين معاشك قال نذر الحاج قلت فاذا صدروا فبكى وقال لو لم نعش الا من حيث ندري لم نعش وقال ابو حازم رضي الله عنه وجدت الدنيا شيئين شيئا منهما هو لي فلن اعجله قبل وقته ولو طلبته بقوة السموات والارض وشيأ منهما هو لغيري فذلك لم انله فيما مضى فلا ارجوه فيما بقى يمنع الذي لغيرى منى كما يمنع الذى لى من غيرى ففي اي هذين افنى عمرى فهذا دواء من جهة المعرفه لا بد منه لدفع تخويف الشيطان وانذاره بالفقر * الثالث ان يعرف مافي القناعة من عز الاستغناء وما في الحرص والطمع من الذل فاذا تحقق عنده ذلك انبعثت رغبته الى القناعة لانه في الحرص لا يخلو من ذل وليس في القناعة الا ألم الصبر عن الشهوات والفضول وهذا ألم لا يطلع عليه احد الا الله وفيه ثواب الآخرة وذلك مما يضاف اليه نظر الناس وفيه الوبال والمأثم ثم يفوته عز النفس والقدرة على متابعة الحق فان من كثر طمعه وحرصه كثرت حاجته الى الناس ولا تمكنه دعوته الى الحق ويلزمه المداهنة وذلك يهلك دينه ومن لا يؤثر عز النفس على شهوة البطن فهو ركيك

العقل ناقص الايمان قال الله صلى عليه وسلم عز المؤمن استغناؤه عن الناس ففي القناعة الحرية والعز ولذلك قيل استغن عمن شئت تكن نظيره واحتج الى من شئت تكن اسيره واحسن الى من شئت تكن اميره * الرابع أن يكثر تأمله في تنعم اليهود والنصارى وأراذل الناس والحمق من الاكراد والاعراب الاجلاف ومن لادين لهم ولا عقل ثم ينظر الى أحوال الانبياء والاولياء والى سمت الخلفاء الراشدين وسائر الصحابة والتابعين ويستمع احاديثهم ويطالع احوالهم ويخير عقله بين ان يكون على مشابهة اراذل الناس أو على الاقتداء بمن هو اعز اصناف الخلق عند الله حتى يهون عليه بذلك الصبر على القليل والقناعة باليسير فانه ان تنعم في البطن فالحمار اكثر اكلا منه والله تنعم في الوقاع فالخنزير اعلى رتبة منه وان تزين في الملابس والخيل ففي اليهود من هو اعلى زينة منه وان قنع بالقليل ورضى به لم يساهمه في رتبته الا الانبياء والاولياء * الخامس ان يفهم ما في جمع المال من الخطر كما ذكرنا في آفات المال وما فيه من خوف السرقة والنهب والضياع وما في خلو اليد من الامن والفراغ ويتأمل ماذكرناه في آفات المال مع ما يفوته من المدافعة عن باب الجنة الى خمسمائة عام فانه اذا لم يقنع بما يكفيه ألحق بزمرة الاغنياء واخرج من جريدة الفقراء ويتم ذلك بان ينظر أبدا الى من دونه في الدنيا لا الى من فوقه فان الشيطان ابداً يصرف نظره في الدنيا الى من فوقه فيقول لم تفتر عن الطلب وارباب الاموال يتنعمون في المطاعم والملابس ويصرف نظره في الدين الى من دونه فيقول ولم تضيق على نفسك وتخاف الله وفلان اعلم منك وهو لا يخاف الله والناس كلهم مشغولون بالتنعم فلم تريد أن تتميز عنهم قال أبو ذر اوصاني خليلي صلوات

الله عليه ان انظر الى من هو دوني لا الى من هو فوقي اي في الدنيا وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نظر احدكم الى من فضله الله عليه في المال والخلق فاينظر الى من هو اسفل منه ممن فضل عليه فبهذه الامور يقدر على اكتساب خلق القناعة وعماد الامر الصبر وقصر الامل وأن يعلم ان غاية صبره في الدنيا ايام قلائل للتمتع دهراً طويلا فيكون كالمريض الذي يصبر على مرارة الدواء لشدة طعمه في انتظار الشفاء

﴿ فصل في الرياء ﴾

اعلم أن الرياء مشتق من الرؤية والسمعة مشتقة من السماع وانما الرياء أصله طلب المنزلة في قلوب الناس بايرائهم خصال الخير الا ان الجاه والمنزلة تطلب في القلب بأعمال سوى العبادات وتطلب بالعبادات واسم الرياء مخصوص بحكم العادة بطلب المنزلة في القلوب بالعبادات واظهارها فحد الرياء هو إرادة العباد بطاعة الله فالمرائى هو العابد والمراءى هو الناس المطلوب رؤيتهم بطلب المنزلة في قلوبهم والمراءى به هو الخصال التي قصد المرائى إظهارها والرياء هو قصده اظهار ذلك والمراءى به كثير وتجمعه خمسة أقسام وهي مجامع مايتزين به العبد للناس وهو البدن والزي والقول والعمل والاتباع والاشياء الخارجة وكذلك أهل الدنيا يراؤن بهذه الاسباب الخمسة الا أن طلب الجاه وقصد الرياء بأعمال ليست من جملة الطاعات أهون من الرياء بالطاعات (القسم الاول الرياء في الدين بالبدن) وذلك بأظهار النحول والصفار ليوهم بذلك شدة لاجتهاد وعظم الحزن على أمر الدين وغلبة خوف الآخرة وليدل بالنحول على قلة الاكل وبالصفار على سهر الليل وكثرة الاجتهاد

وعظم الحزن على الدين وكذلك يرائى بتشعيث الشعر ليدل به على استغراق الهم بالدين وعدم التفرغ لتسريح الشعر وهذه الاسباب مهما ظهرت استدل الناس بها على هذه الأمور فارتاحت النفس لمعرفتهم فلذلك تدعوه النفس الى إظهارها لتلك الراحة ويقرب من هذا خفض الصوت وإغارة العينين وذبول الشفتين ليستدل بذلك على انه مواظب على الصوم وان وقار الشرع هو الذي خفض من صوته أو ضعف الجوع هو الذي ضعف من قوته وعن هذا قال المسيح عليه السلام اذا صام أحدكم فليدهن رأسه ويرجل شعره ويكحل عينيه وكذلك روى عن أبي هريرة وذلك كله لما يخاف عليه من نزع الشيطان بالرياء ولذلك قال ابن مسعود أصبحوا صياما مدهنين فهذه مراآة أهل الدين بالبدن فأما اهل الدنيا فيراؤن باظهار السمن وصفاء اللون واعتدال القامة وحسن الوجه ونظافة البدن وقوة الاعضاء وتناسبها (الثاني الرياء بالهيئة والزي) أما الهيئة فتشعيث شعر الرأس وحلق الشارب واطراق الرأس في المشى والهدء في الحركة وإبقاء أثر السجود على الوجه وغلظ الثياب ولبس الصوف وتشميرها الى قريب من الساق وتقصير الاكمام وترك تنظيف الثوب وتركه مخرقا كل ذلك يرائى به لينظر من نفسه أنه متبع للسنة فيه ومقتد فيه بعباد الله الصالحين ومن ذلك لبس المرقعة والصلاة على السجادة ولبس الثياب الزرق تشبها بالصوفية مع الافلاس من حقائق التصوف في الباطن ومنه التقنع بالازار فوق العمامة وإسبال الرداء على العينين ليرى به انه قد انتهى تقشفه الى الحذر من غبار الطريق ولتنصرف اليه الاعين بسبب تميزه بتلك العلامة ومنه الدراعة والطيلسان يلبسه من هو خال عن العلم ليوهم انه من أهل العلم والمراؤن بالزي على

طبقات فمنهم من يطلب المنزلة عند أهل الصلاح بأظهار الزهد فيلبس الثياب المخرقة الوسخة القصيرة الغليظة ليرائى بغلظها ووسخها وقصرها وتخرقها انه غير مكترث بالدنيا ولو كلف ان يلبس ثوباً وسطاً نظيفاً مما كان السلف يلبسه لكان عنده بمنزلة الذبح وذلك لخوفه أن يقول الناس قد بداله من الزهد ورجع عن تلك الطريقة ورغب في الدنيا وطبقة أخرى يطلبون القبول عند أهل الصلاح وعند أهل الدنيا من الملوك والوزرآء والتجار ولو لبثوا الثياب الفاخرة ردهم القرآء ولو لبسوا الثياب المخرقة البذلة ازدرتهم أعين الملوك والاغنياء فهم يريدون الجمع بين قبول أهل الدين والدنيا فلذلك يطلبون الاصواف الدقيقة والاكسية الرقيقة والمرقعات المصبوغة والفوط الرفيعة فيلبسونها ولعل قيمة ثوب أحدهم قيمة ثوب أحد الاغنياء ولونه وهيئته لون ثياب الصلحاء فيلتمسون القبول عند الفريقين وهؤلاء ان كلفوا لبس ثوب خشن أو وسخ لكان عندهم كالذبح خوفاً من السقوط من أعين الملوك والاغنياء ولو كلفوا لبس الديبقى والكتان الدقيق الابيض والمقصب المعلم وان كانت قيمته دون قيمة ثيابهم لعظم ذلك عليهم خوفاً من ان يقول أهل الصلاح قد رغبوا في زي أهل الدنيا وكل طبقة منهم رأى منزلته في زي مخصوص فيثقل عليه الانتقال الى مادونه والى مافوقه وان كان مباحاً خيفة من المذمة وأما أهل الدنيا فمرآتهم بالثياب النفيسة والمراكب الرفيعة وأنواع التوسع والتجمل في الملبس والمسكن وأثاث البيت وفره الخيول وبالثياب المصبغة والطيالسة النفيسة وذلك ظاهر بين الناس فانهم يلبسون في بيوتهم الثياب الخشنة ويشتد عليهم لو برزو اللناس على تلك الهيئة مالم يبالغوا في الزينة (الثالث الرياء بالقول) * ورياء اهل الدين بالوعظ والتذكير والنطق

بالحكمة وحفظ الاخبار والآثار لاجل الاستعمال في المحاورة واظهارا لغزارة العلم ودلالة على شدة العناية باحوال السلف الصالحين وتحريك الشفتين بالذكر في محضر الناس والامر بالمعروف والنهي عن المنكر بمشهد الخلق واظهار الغضب للمنكرات واظهار الاسف على مقارفة الناس للمعاصى وتضعيف الصوت في الكلام وترقيق الصوت بقراءة القرآن ليدل بذلك على الخوف والحزن وادعاء حفظ الحديث ولقاء الشيوخ والدق على من يروي الحديث ببيان خلل في لفظه ليعرف انه بصير بالاحاديث والمبادرة الى ان الحديث صحيح او غير صحيح لاظهار الفضل فيه والمجادلة على قصد افحام الخصم ليظهر للناس قوته في علم الدين والرياء بالقول كثير وابوابه لا تنحصر واما اهل الدنيا فمرآتهم بالقول بحفظ الاشعار والامثال والتفاصح في العبارات وحفظ النحو الغريب للاغراب على اهل الفضل واظهار التودد الى الناس لاستمالة القلوب * (الرابع الرياء بالعمل) كمرآآت المصلي بطول القيام ومد الظهر وطول السجود والركوع واطراق الرأس وتحرك الالتفات واظهار الهدء والسكون وتسوية القدمين واليدين وكذلك بالصوم والغذو والحج وبالصدقة وباطعام الطعام وبالاخبات في المشي عند اللقاء كارخاء الجفون وتنكيس الرأس والوقار في الكلام حتى ان المرائي قد يسرع في المشي الى حاجته فاذا اطلع عليه احد من اهل الدين رجع الى الوقار واطراق الرأس خوفاً من ان ينسبه الى العجلة وقلة الوقار فان غاب الرجل عاد الى عجلته فاذا رآه عاد الى خشوعه ولم يحضره ذكر الله حتى يكون يجدد الخشوع له بل هو لاطلاع انسان عليه يخشى ان لا يعتقد فيه انه من

العباد والصلحاء ومنهم من اذا سمع هذا استحيا من أن تخالف مشيته في الخلوة مشيته برأى من الناس فيكلف نفسه المشية الحسنة في الخلوة حتى اذا رآه الناس لم يفتقر الى التغيير ويظن أنه يتخلص به عن الرياء وقد تضاعف به رياؤه فانه صار في خلوته أيضاً مرائياً فانه انما يحسن مشيته في الخلوة ليكون كذلك في الملا لا لخوف من الله وحياء منه * واما اهل الدنيا فمراآتهم بالتبختر والاختيال وتحريك اليدين وتقريب الخطا والاخذ باطراف الذيل وادارة العطفين ليدلوا بذلك على الجاه والحشمة (الخامس المراآت بالاصحاب والزائرين والمخالطين) كالذي يتكلف أن يستزير عالماً من العلماء ليقال أن فلانا قد زار فلانا أو عابداً من العباد ليقال ان أهل الدين يتبركون بزيارته ويترددون اليه أو ملكا من الملوك أو عاملا من عمال السلطان ليقال أنهم يتبركون به لعظم رتبته في الدين وكالذي يكثر ذكر الشيوخ ليرى انه لقى شيوخا كثيرة واستفاد منهم فتباهي بشيوخه ومباهاته ومراآته تترشح منه عند مخاصمته فيقول لغيره ومن لقيت من الشيوخ وأنا قد لقيت فلاناً وفلاناً ودرت البلاد وخدمت الشيوخ وما يجرى مجراه فهذه مجامع ما يرائي به المراؤون وكلهم يطلبون بذلك الجاه والمنزلة في قلوب العباد ومنهم من يقنع بحسن الاعتقادات فيه فكم من راهب انزوى الى ديره سنين كثيرة وكم من عابد اعتزل الى قلة جبل مدة مديدة وانما خبأته من حيث علمه بقيام جاهه في قلوب الخلق ولو عرف انهم نسبوه الى جريمة في ديره أو صومعته لتشوش قلبه ولم يقنع بعلم الله ببراءة ساحته بل يشتد لذلك غمه ويسعى بكل حيلة في ازالة ذلك من قلوبهم مع انه قد قطع طمعه من أموالهم ولكنه يحب مجرد الجاه فانه لذيذ كما ذكرناه في أسبابه

فانه نوع قدرة وكمال في الحال وان كان سريع الزوال لا يغتر به الا الجهال ولكن اكثر الناس جهال ومن المرائين من لا يقنع بقيام منزلته بل يلتمس مع ذلك اطلاق اللسان بالثناء والحمد ومنهم من يريد انتشار الصيت في البلاد لتكثر الرحلة اليه ومنهم من يريد الاشتهار عند الملوك لتقبل شفاعته وتنجز الحوائج على يده فيقوم له بذلك جاه عند العامة ومنهم من يقصد التوصل بذلك الى جمع حطام وكسب مال ولو من الاوقاف وأموال اليتامي وغير ذلك من الحرام وهؤلاء شر طبقات المرائين الذين يراؤن بالاسباب التي ذكرناها فهذه حقيقة الرياء وما به يقع الرياء فان قلت فالرياء حرام أومكروه أو مباح أو فيه تفصيل فأقول فيه تفصيل فان الرياء هو طلب الجاه وهو اما أن يكون بالعبادات أو بغير العبادات فان كان بغير العبادات فهو كطلب المال فلا يحرم من حيث انه طلب منزلة في قلوب العباد ولكن كما يمكن كسب المال بتلبيسات وأسباب محظورات فكذلك الجاه وكما أن كسب قليل من المال وهو ما يحتاج اليه الانسان محمود فكسب قليل من الجاه وهو ما يسلم به عن الآفات أيضا محمود وهو الذي طلبه يوسف عليه السلام حيث قال اني حفيظ عليم وكما أن المال فيه سم ناقع ودرياق نافع فكذلك الجاه وكما أن كثير المال يلهي ويطغي وينسي ذكر الله والدار الآخرة فكذلك كثير الجاه بل أشد وفتنة الجاه أعظم من فتنة المال وكما أنا لا نقول تملك المال الكثير حرام فلا نقول أيضاً تملك القلوب الكثيرة حرام الا اذا حملته كثرة المال وكثرة الجاه على مباشرة ما لا يجوز نعم انصراف الهم الى سعة الجاه مبدأ الشرور كانصراف الهم الى كثرة المال ولا يقدر محب الجاه والمال على ترك معاصي القلب واللسان وغيرها وأما سعة الجاه من غير حرص منك

على طلبه ومن غير اغتمام بزواله ان زال فلا ضرر فيه فلا جاه أوسع من جاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاه الخلفاء الراشدين ومن بعدهم من علماء الدين ولكن انصراف الهم الى طلب الجاه نقصان في الدين ولا يوصف بالتحريم فعلى هذا نقول تحسين الثوب الذي يلبسه الانسان عند الخروج الى الناس مراآة وهو ليس بحرام لان ليس رياء بالعبادة بل بالدنيا وقس على هذا كل تجمل للناس وتزين لهم والدليل عليه ما روى عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد أن يخرج يوماً الى الصحابة فكان ينظر في جب الماء ويسوي عمامته وشعره فقالت أو تفعل ذلك يا رسول الله قال نعم ان الله تعالى يحب من العبد أن يتزين لاخوانه اذا خرج اليهم نعم هذا كان من رسول الله صلى الله عليه وسلم عبادة لانه كان مأموراً بدعوة الخلق وترغيبهم في الاتباع واستمالة قلوبهم ولو سقط من أعينهم لم يرغبوا في اتباعه فكان يجب عليه أن يظهر لهم محاسن أحواله لئلا تزدريه أعينهم فان أعين عوام الخلق تمتد الى الظواهر دون السرائر فكان ذلك قصد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن لو قصد قاصد به أن يحسن نفسه في أعينهم حذراً من ذمهم ولومهم واستروحا الى توقيرهم واحترامهم كان قد قصد أمرا مباحا اذ للانسان أن يحترز من ألم المذمة ويطلب راحة الانس بالاخوان ومهما استثقلوه واستقذروه لم يأنس بهم فاذا المراآة بما ليس من العبادات قد تكون مباحة وقد تكون طاعة وقد تكون مذمومة وذلك بحسب الغرض المطلوب بها ولذلك نقول الرجل اذا أنفق ماله على جماعة من الاغنياء لا في معرض العبادة والصدقة ولكن ليعتقد الناس أنه سخي فهذا مراآة وليس بحرام وكذلك أمثاله أما العبادات كالصدقة والصلاة والصيام والغزو والحج فللمرائي

فيه حالتان احداهما ان لا يكون له قصد الا الرياء المحض دون الاجر وهذا يبطل عبادته لان الاعمال بالنيات وهـذا ليس بقصد العبادة ثم لا يقتصر على أحباط عبادته حتى نقول صار كما كان قبل العبادة بل يعصي بذلك ويأثم كما دلت عليه الاخبار والآيات والمعنى فيه امر أن أحـدهما يتعلق بالعباد وهو التلبيس والمكر لانه خيل اليهم انه مخلص مطيع لله وانه من أهـل الدين وليس كذلك والتلبيس في أمر الدنيا حرام أيضا حتى لو قضي دين جماعة وخيل للناس انه متبرع عليهم ليعتقدوا سخاوته أثم به لما فيه من التلبيس وتملك القلوب بالخداع والمـكر * الثاني يتعلق بالله وهو انه مهما قصد بعبادة الله تعالى خلق الله فهو مستهزيء بالله ولذلك قال قتادة اذا راءى العبد قال الله لملائكته انظروا اليه كيف يستهزىء بي ومثاله أن يتمثل بين يدي ملك من الملوك طول النهار كما جرت عادة الخدم وانما وقوفه لملاحظة جارية من جواري الملك أو غلام من غلمانه فان هـذا استهزاء بالملك اذ لم يقصد التقرب الى الملك بخدمته بل قصد بذلك عبدا من عبيده فأي استحقار يزيد على أن يقصد العبد بطاعة الله تعالى مراآة عبد ضعيف لا يملك له ضراً ولا نفعا وهل ذلك الا لانه يظن ان ذلك العبد أقدر على تحصيل أغراضه من الله وأنه أولى بالتقرب اليه من الله اذ آثره على ملك الملوك فجعله مقصود عبادته وأي استهزاء يزيد على رفع العبد فوق المولى فهذا من كبائر المهلكات ولهذا سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الشرك الاصغر نعم بعض درجات الرياء أشد من بعض كما سيأتي بيانه ان شاء الله تعالى ولا يخلو شيء منـه عن اثم غليظ أو خفيف بحسب ما به المراآة ولو لم يكن في الرياء الا أنه يسجد ويركع لغير الله لكان فيه كفاية فانه وان لم يقصد التقرب الى الله

فقد قصد غير الله لعمري ولو عظم غير الله بالسجود لكفر كفرا جليا الا أن
الرياء هو الكفر الخفي لان المرائي عظم في قلبه الناس فاقتضت تلك العظمة
ان يسجد ويركع فكان الناس هم المعظمون بالسجود من وجه ومهما زال
قصد تعظيم الله بالسجود وبقي تعظيم الخلق كان ذلك قريباً من الشرك الا
انه أن قصد تعظيم نفسه في قلب من عظم عنده باظهاره من نفسه صورة
التعظيم لله فمن هذا كان شركا خفياً لا شركا جلياً وذلك غاية الجهل ولا يقدم
عليه الا من خدعه الشيطان وأوهم عنده أن العباد يملكون من ضره
ونفعه ورزقه وأجله ومصالح حاله ومآله أكثر مما يملكه الله تعالى فلذلك
عدل بوجهه عن الله اليهم وأقبل بقلبه عليهم ليستميل بذلك قلوبهم ولو
وكله الله تعالى اليهم في الدنيا والآخرة لكان ذلك أقل مكافأة له على صنيعه
فان العباد كلهم عاجزون عن أنفسهم لا يملكون لانفسهم نفعاً ولا ضراً
فكيف يملكون لغيرهم هذا في الدنيا فكيف في يوم لا يجزى والد عن ولده
ولا مولود هو جاز عن والده شيأ بل تقول الانبياء فيه نفسي نفسي فكيف
يستبدل الجاهل عن ثواب الآخرة ونيل القرب عند الله ما يرتقبه بطمعه
الكاذب في الدنيا من الناس فلا ينبغي أن تشك في ان المرائي بطاعة الله في
سخط الله من حيث النقل والقياس جميعاً هذا اذا لم يقصد الاجر فأما اذا
قصد الاجر والحمد جميعاً في صدقته أو صلاته فهو الشرك الذي يناقض
الاخلاص

واعلم ان بعض أبواب الرياء أشد وأغلظ من بعض واختلافه باختلاف
أركانه وتفاوت الدرجات فيه وأركانه ثلاثة المراءى به والمراءى لاجله ونفس
قصد الرياء * (الركن الاول) * نفس قصد الرياء وذلك لا يخلوا اما ان يكون

مجردا دون ارادة عبادة الله تعالى والثواب وأما أن يكون مع ارادة الثواب فان كان كذلك فلا يخلوا ما أن تكون ارادة الثواب أقوى وأغلب أو أضعف أو مساوية لارادة العبادة فتكون الدرجات أربعا * الاولى وهي أغلظها أن لا يكون مراده الثواب أصلا كالذي يصلي بين أظهر الناس ولو انفرد لكان لا يصلي بل ربما يصلي من غير طهارة مع الناس فهذا جرد قصده الى الرياء فهو الممقوت عند الله تعالى وكذلك من يخرج الصدقة خوفا من مذمة الناس وهو لا يقصد الثواب ولو خلا بنفسه لما أداها فهذه الدرجة العليا من الرياء * الثانية أن يكون له قصد الثواب أيضا ولكن قصدا ضعيفا بحيث لو كان في الخلوة لكان لا يفعله ولا يحمله ذلك القصد على العمل ولو لم يكن قصد الثواب لكان الرياء يحمله على العمل فهذا قريب مما قبله وما فيه من شائبة قصد ثواب لا يستقل بحمله على العمل لا ينفي عنه المقت والاثم الثالثة ان يكون له قصد الثواب وقصد الرياء متساويين بحيث لو كان كل واحد منهما خالياً عن الآخر لم يبعثه على العمل فلما اجتمعا انبعثت الرغبة أو كان كل واحد منهما لو أنفرد لاستقل بحمله على العمل فهذا قد افسد مثل ما أصلح فنرجو أن يسلم رأسا برأس لا له ولا عليه أو يكون له من الثواب مثل ما عليه من العقاب وظواهر الاخبار تدل على أنه لا يسلم * الرابعة أن يكون اطلاع الناس مرجحا ومقويا لنشاطه ولو لم يكن لكان لا يترك العبادة ولو كان قصد الرياء وحده لما أقدم عليه فالذي نظنه والعلم عند الله أنه لا يحبط أصل الثواب ولكنه ينقص منه أو يعاقب على مقدار قصد الرياء ويثاب على مقدار قصد الثواب وأما قوله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى أنا أغني الاغنياء عن الشرك

فهو محمول على ماإذا تساوى القصد ان أو كان قصد الرياء أرجح * (الركن الثاني)* المراءي به وهو الطاعات وذلك ينقسم الى الرياء بأصول العبادات والى الرياء بأوصافها * القسم الاول وهو الاغلظ الرياء بالاصول وهو على ثلاث درجات * الاولي الرياء بأصل الايمان وهذا أغلظ أبواب الرياء وصاحبه مُخلد في النار وهو الذي يظهر كلمتى الشهادة وباطنه مشحون بالتكذيب ولكنه يرائي بظاهر الاسلام وهو الذي ذكره الله تعالى في كتابه في مواضع شتى كقوله عز وجل اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد أنك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد أن المنافقين لكاذبون أي في دلالتهم بقولهم على ضمائرهم وقال تعالى ومن الناس من يعجبك قوله في الحيوة الدنيا ويشهد الله على مافي قلبه وهو ألد الخصام واذا تولي سعي في الارض ليفسد فيها الآية وقال تعالي واذا لقوكم قالوا آمنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ وقال تعالي يراؤن الناس ولا يذكرون الله الا قليلا مذبذبين بين ذلك والآيات فيهم كثيرة وكان النفاق يكثر في ابتداء الاسلام ممن يدخل في ظاهر الاسلام ابتداء لغرض وذلك مما يقل في زماننا ولكن يكثر نفاق من ينسل عن الدين باطنا فيجحد الجنة والنار والدار الآخرة ميلا الى قول الملحدة أو يعتقد طي بساط الشرع والاحكام ميلا الى أهل الاباحة أو يعتقد كفرا أو بدعة وهو يظهر خلافه فهؤلاء من المنافقين المرائين المخلدين في النار وليس وراء هذا الرياء رياء وحال هؤلاء أشد حالا من الكفار المجاهرين لانهم جمعوا بين كفر الباطن ونفاق الظاهر * الثانية الرياء باصول العبادات مع التصديق بأصل الدين وهذا أيضا عظيم عند الله ولكنه دون الاول بكثير ومثاله ان يكون مال

الرجل في يد غيره فيأمره باخراج الزكاة خوفاً من ذمه والله يعلم منه انه لو كان في يده لما أخرجها أو يدخل وقت الصلاة وهو في جمع وعادته ترك الصلاة في الخلوة وكذلك يصوم رمضان وهو يشتهي خلوة من الخلق ليفطر وكذلك يحضر الجمعة ولولا خوف المذمة لكان لايحضرها أو يصل رحمه أو يبر والديه لاعن رغبة لكن خوفاً من الناس أو يغزوا ويحج كذلك فهذا مراء معه أصل الايمان بالله يعتقد انه لامعبود سواه ولو كلف ان يعبد غير الله أو يسجد لغيره لم يفعل ولكنه يترك العبادات للكسل وينشط عند اطلاع الناس فتكون منزلته عند الخلق أحب اليه من منزلته عند الخالق وخوفه من مذمة الناس أعظم من خوفه من عقاب الله ورغبته في محمدتهم أشد من رغبته في ثواب الله وهذا غاية الجهل وما أجدر صاحبه بالمقت وان كان غير منسل عن أصل الأيمان من حيث الاعتقاد * الثالثة ان لايرائي بالايمان ولا بالفرائض ولكنه يرائي بالنوافل والسنن التي لو تركها لايعصى ولكنه يكسل عنها في الخلوة لفتور رغبته في ثوابها ولا يثار لذة الكسل على مايرجى من الثواب ثم يبعثه الرياء على فعلها وذلك كحضور الجماعة في الصلاة وعيادة المريض واتباع الجنازة وغسل الميت وكالتهجد بالليل وصيام يوم عرفه وعاشوراء ويوم الاثنين والخميس فقد يفعل المرائي جملة ذلك خوفاً من المذمة وطلبا للمحمدة ويعلم الله تعالى منه انه لو خلا بنفسه لما زاد على أداء الفرائض فهذا أيضاً عظيم ولكنه دون ماقبله فان الذي قبله آثر حمد الخلق على حمد الخالق وهذا أيضاً قد فعل ذلك واتقى ذم الخلق دون ذم الخالق فكان ذم الخلق أعظم عنده من عقاب الله وأما هذا فلم يفعل ذلك لانه لم يخف عقاباً على ترك النافلة لو تركها وكأنه

على الشطر من الاول وعقابه نصف عقابه فهذا هو الرياء بأصول العبادات*
القسم الثاني الرياء بأوصاف العبادات لا باصولها وهو أيضاً على ثلاث درجات
الاولى ان يرائي بفعل ما في تركه نقصان العبادة كالذي غرضه ان يخفف
الركوع والسجود ولا يطول القراءة فاذا رآه الناس أحسن الركوع والسجود
وترك الالتفات وتمم القعود بين السجدتين وقد قال ابن مسعود من فعل
ذلك فهو استهانة يستهين بها ربه عز وجل أي انه ليس يبالي باطلاع الله
عليه في الخلوة فاذا اطلع عليه آدمي أحسن الصلاة ومن جلس بين يدي
انسان متربعا أو متكئاً فدخل غلامه فاستوى وأحسن الجلسة كان ذلك
منه تقديماً للغلام على السيد واستهانة بالسيد لا محالة وهذا حال المرائى بتحسين
الصلاة في الملا دون الخلوة وكذلك الذي يعتاد اخراج الزكاة من الدنانير
الرديئه أو من الحب الردئ فاذا اطلع عليه غيره أخرجها من الجيد خوفاً
من مذمته وكذلك الصائم يصون صومه عن الغيبة والرفث لاجل الخلق
لا اكمالا لعبادة الصوم خوفاً من المذمة فهذا أيضاً من الرياء المحظور لان
فيه تقديماً للمخلوقين على الخالق ولكنه دون الرياء بأصول التطوعات فان
قال المرائي انما فعلت ذلك صيانة لالسنتهم عن الغيبة فانهم اذا رأوا تخفيف
الركوع والسجود وكثرة الالتفات أطلقوا االلسان بالذم والغيبة وانما قصدت
صيانتهم عن هذه المعصية فيقال له هذه مكيدة للشيطان عندك وتلبيس و ليس
الامر كذلك فان ضررك من نقصان صلاتك وهي خدمة منك لمولاك
أعظم من ضررك بغيبة غيرك فلو كان باعثك الدين لكان شفقتك على
نفسك اكثر وما أنت في هذا الا كمن يهدي وصيفة الى ملك لينال منه
فضلا وولاية يقلدها فيهديها اليه وهي عوراء قبيحة مقطوعة الاطراف ولا

يبالي به اذا كان الملك وحده واذا كان عنده بعض غلمانه امتنع خوفاً من مذمة غلمانه وذلك محال بل من يرائي جانب غلام الملك ينبغي ان تكون مراقبته للملك اكثر نعم للمرائي فيه حالتان احداهما ان يطلب بذلك المنزلة والمحمدة عند الناس وذلك حرام قطعاً والثانية ان يقول ليس يحضرني الاخلاص في تحسين الركوع والسجود ولو خففت كانت صلاتي عند الله ناقصة وآذاني الناس بذمهم وغيبتهم فاستفيد بتحسين الهيئة دفع مذمتهم ولا أرجو عليه ثوابا فهو خير من ان أترك تحسين الصلاة فيفوت الثواب وتحصل المذمة فهذا فيه أدنى نظر والصحيح ان الواجب عليه ان يحسن ويخلص فان لم تحضره النية فينبغي أن يستمر على عادته في الخلوة فليس له أن يدفع الذم بالمراآة بطاعة الله فان ذلك استهزاء كما سبق * الدرجة الثانية ان يرائي بفعل مالا نقصان في تركه ولكن فعله في حكم التكملة والتتمة لعبادته كالتطويل في الركوع والسجود ومد القيام وتحسين الهيئة ورفع اليدين والمبادرة الى التكبيرة الأولى وتحسين الاعتدال والزيادة في القراءة على السورة المعتادة وكذلك كثرة الخلوة في صوم رمضان وطول الصمت وكاختيار الاجود على الجيد في الزكاة واعتاق الرقبة الغالية في الكفارة وكل ذلك مما لو خلا بنفسه لكان لا يقدم عليه * الثالثة أن يرائي بزيادات خارجة عن نفس النوافل أيضاً كحضوره الجماعة قبل القوم وقصده للصف الاول وتوجهه الى يمين الامام وما يجرى مجراه وكل ذلك مما يعلم الله منه انه لو خلا بنفسه لكان لا يبالى أين وقف ومتى يحرم بالصلات فهذه درجات الرياء بالاضافة الى مايرائي به وبعضه أشد من بعض والكل مذموم (الركن الثالث) * المرائي لاجله فان للمرائي مقصوداً لامحال وانما يرائي

لادراك مال أو جاه أو غرض من الاغراض لا محالة وله أيضاً درجتان الأولى وهي أشدها وأعظمها ان يكون مقصوده التمكن من معصية كالذي يرائي بعبادته ويظهر التقوى والورع بكثرة النوافل والامتناع عن اكل الشبهات وغرضه ان يعرف بالامانة فيولي القضاء أو الاوقاف أو الوصايا أو مال الايتام فيأخذها أو يسلم اليه تفرقة الزكاة أو الصدقات ليستأثر بما قدر عليه منها أو يودع الودائع فيأخذها ويجحدها أو تسلم اليه الاموال التي تنفق في طريق الحج فيختزل بعضها أو كلها أو يتوصل بها الى استتباع الحجيج ويتوصل بقوتهم الى مقاصده الفاسدة في المعاصي وقد يظهر بعضهم زي التصوف وهيئة الخشوع وكلام الحكمة على سبيل الوعظ والتذكير وانما قصده التحبب الى امرأة أو غلام لاجل الفجور وقد يحضرون مجالس العلم والتذكير وحلق القرآن يظهرون الرغبة في سماع العلم والقرآن وغرضهم ملاحظة النسوان والصبيان أو يخرج الى الحج ومقصوده الظفر بمن في الرفقة من امرأة أو غلام وهؤلاء أبغض المرائين الى الله تعالى لانهم جعلوا طاعة ربهم سلما الى معصيته واتخذوها آلة ومتجرا او بضاعة لهم في فسقهم ويقرب من هؤلاء وان كان دونهم من هو مقترف جريمة اتهم بها وهو مصر عليها ويريد ان ينفي التهمة عن نفسه فيظهر التقوى لنفي التهمة كالذي جحد وديعة واتهمه الناس بها فيتصدق بالمال ليقال انه يتصدق بمال نفسه فكيف يستحل مال غيره وكذلك من ينسب الى فجور بامرأة أو غلام فيدفع التهمة عن نفسه بالخشوع واظهار التقوى * الثانية أن يكون غرضه نيل حظ مباح من حظوظ الدنيا من مال أو نكاح امرأة جميلة أو شريفة كالذي يظهر الحزن والبكاء ويشتغل بالوعظ والتذكير لتبذل له الاموال

ويرغب في نكاحه النساء فيقصدا ما امرأة بعينها لينكحها أو امرأة شريفة على الجملة كالذي يرغب في ان يتزوج بنت عالم عابد فيظهر له العلم والعبادة ليرغب في تزويجه ابنته فهذا رياء محظور لانه طلب بطاعة الله متاع الحياة الدنيا ولكنه دون الاول فان المطلوب بهذا مباح في نفسه

﴿ فصل في الغضب ﴾

قال الله تعالى اذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين الآية ذم الكفار بما تظاهروا به من الحمية الصادرة عن الغضب بالباطل ومدح المؤمنين بما أنزل عليهم من السكينة وروى أبو هريرة أن رجلا قال يارسول الله مرني بعمل وأقلل قال لاتغضب ثم أعاد عليه فقال لاتغضب وقال ابن عمر قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم قل لي قولا وأقلله لعلي أعقله فقال لاتغضب فأعدت عليه مرتين كل ذلك يرجع الي لاتغضب وعن عبد الله بن عمر انه سأل رسول الله صلى الله وسلم ماذا ينقذني من غضب الله قال لا تغضب وقال ابن مسعود قال النبي صلى الله عليه وسلم ماتعدون الصرعة فيكم قلنا الذي لاتصرعه الرجال قال ليس ذلك ولكن الذي يملك نفسه عند الغضب وقال أبو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم ليس الشديد بالصرعة وانما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب وقال ابن عمر قال النبي صلى الله عليه وسلم من كف غضبه ستر الله عورته وقال سليمان بن داود عليهما السلام يابني إياك وكثرة الغضب فان كثرة الغضب تستخف فؤاد الرجل الحكيم وعن عكرمة في قوله تعالى وسيدا وحصورا قال السيد الذي لايغلبه الغضب وقال أبو الدرداء قلت يارسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة قال لاتغضب

وقال يحيي لعيسى عليهما السلام لا تغضب قال لا استطيع ان لا أغضب انما أنا بشر قال لا تقتني مالا قال هذا عسى وقال صلى الله عليه وسلم الغضب يفسد الايمان كما يفسد الصبر العسل وقال صلى الله عليه وسلم ماغضب أحد الا أشفي على جهنم وقال له رجل أي شيء أشد قال غضب الله فما يبعدني من غضب الله قال لا تغضب (الآثار قال) الحسن يا ابن آدم كلما غضبت وثبت يوشك أن تثب وثبة فتقع في النار وقال جعفر ابن محمد الغضب مفتاح كل شر وقال بعض الانصار رأس الحمق الحدة وقائده الغضب ومن رضى بالجهل استغنى عن الحلم والحلم زين ومنفعة والجهل شين ومضرة والسكوت عن جواب الاحمق جوابه وقيل لحكيم ما أملك فلانا لنفسه قال اذا لا تذله الشهوة ولا يصرعه الهوي ولا يغلبه الغضب وقال بعضهم اياك والغضب فانه مصيرك الى ذلة الاعتذار وقيل اتقوا الغضب فانه يفسد الايمان كما يفسد الصبر العسل وقال عبد الله بن مسعود انظروا الى حلم الرجل عند غضبه وأمانته عند طمعه وما علمك بحلمه اذا لم يغضب وما علمك بأمانته اذا لم يطمع وكتب عمر بن عبد العزيز الى عامله أن لا تعاقب عند غضبك واذا غضبت على رجل فأحبسه فاذا سكن غضبك فأخرجه فعاقبه على قدر ذنبه ولا تجاوز به خمسة عشر سوطاً وقال على بن زيد أغلظ رجل من قريش لعمر بن عبد العزيز القول فأطرق عمر زماناً طويلا ثم قال أردت أن يستفزنى الشيطان بعز السلطان فأنال منك اليوم ما تناله مني غدا وقال بعضهم لابنه يا بني لا يثبت العقل عند الغضب كما لا تثبت روح الحي في التنانير المسجورة فأقل الناس غضبا أعقلهم فان كان للدنيا كان دهاء ومكرا وان كان للآخرة كان حلما وعلما فقد قيل الغضب عدو العقل والغضب غول العقل وكان عمر رضي

الله عنه اذا خطب قال في خطبته أفلح منكم من حفظ من الطمع والهوى والغضب وقال بعضهم من أطاع شهوته وغضبه قاداه الي النار وقال الحسن من علامات المسلم قوة في دين وحزم في لين وإيمان في يقين وعلم في حلم وكيس في رفق واعطاء في حق وقصد في غنى وتجمل في فاقة واحسان في قدرة وتحمل في رفاقة وصبر في شدة لا يغلبه الغضب ولا تجمح به الحمية ولا تغلبه شهوة ولا تفضحه بطنه ولا يستخفه حرصه ولا تقصر به نيته فينصر المظلوم ويرحم الضعيف ولا يبخل ولا يبذر ولا يسرف ولا يقتر يغفر اذا ظلم ويعفو عن الجاهل نفسه منه في عناء والناس منه في رخاء وقيل لعبد الله بن المبارك أجمل لنا حسن الخلق في كلمة فقال ترك الغضب وقال نبي من الانبياء لمن تبعه من يتكفل لي أن لا يغضب ويكون معى في درجتي ويكون بعدي خليفتي فقال شاب من القوم أنا ثم أعاد عليه فقال الشاب أنا ورضي به فلما مات كان في منزلته بعده وهو ذو الكفل سمي به لانه تكفل بالغضب ووفي به وقال وهب بن منبه للكفر أربعة أركان الغضب والشهوة والخوف والطمع

واعلم أن الله تعالى لما خلق الحيوان معرضاً للفساد والموتان بأسباب في داخل بدنه وأسباب خارجة عنه أنعم عليه بما يحميه عن الفساد ويدفع عنه الهلاك الى أجل معلوم سماه في كتابه * أما السبب الداخل فهو انه ركبه من الحرارة والرطوبة عداوة ومضادة فلاتزال الحرارة تحلل الرطوبة وتجففها وتبخرها حتى تصير أجزاؤها بخارا يتصاعد منها فلو لم يتصل بالرطوبة مدد من الغذاء يجبر ما انحل ويبخر من اجزائها لفسد الحيوان فخلق الله الغذاء الموافق لبدن الحيوان وخلق في الحيوان شهوة تبعثه على تناول الغذاء كالموكل

به في جبر ما انكسر وسد ما انثلم ليكون ذلك حافظا له من الهلاك بهذا السبب * وأما الاسباب الخارجة التي يتعرض لها الانسان فكالسيف والسنان وسائر المهلكات التي يقصد بها فافتقر الى قوة وحمية تثور من باطنه فتدفع المهلكات عنه فخلق الله طبيعة الغضب من النار وغرزها في الانسان وعجنها بطينته فمهما صد عن غرض من أغراضه ومقصود من مقاصده اشتعلت نار الغضب وثارت به ثورانا يغلي به دم القلب وينتشر في العروق ويرتفع الى أعالي البدن كما ترتفع النار وكما يرتفع الماء الذي يغلي في القدر فلذلك ينصب الى الوجه فيحمر الوجه والعين والبشرة لصفائها تحكي لون ماوراءها من حمرة الدم كما تحكي الزجاجة لون ما فيها وانما ينبسط الدم اذا غضب على من دونه واستشعر القدرة عليه فان صدر الغضب ممن فوقه وكان معه تأثير من الانتقام تولد منه انقباض الدم من ظاهر الجلد الي جوف القلب وصار خوفا ولذلك يصفر اللون وان كان الغضب على نظير يشك فيه تولد منه تردد الدم بين انقباض وانبساط فيحمر ويصفر ويضطرب وبالجملة فقوة الغضب محلها القلب ومعناها غليان دم القلب بطلب الانتقام وانما تتوجه هذه القوة عند ثورانها الي دفع المؤذيات قبل وقوعها والي التشفي والانتقام بعد وقوعها والانتقام قوت هذه القوة وشهوتها وفيه لذتها ولا تسكن الا به ثم ان الناس في هذه القوة على درجات ثلاث في أول الفطرة من التفريط والافراط والاعتدال * أما التفريط فقد هذه القوة أو ضعفها وذلك مذموم وهو الذي يقال فيه أنه لا حمية له فمن فقد قوة الغضب والحمية أصلا فهو ناقص جداً وقد وصف الله سبحانه أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بالشدة والحمية فقال أشداء

على الكفار وقال لنبيه صلى الله عليه وسلم جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم الآية وانما الغلظة والشدة من آثار قوة الحمية وهو الغضب * وأما الافراط فهو أن تغلب هذه الصفة حتى تخرج عن سياسة العقل والدين وطاعته ولا يبقى للمرء معه بصيرة ونظر وفكرة ولا اختيار بل يصير في صورة المضطر وسبب غلبته أمور غريزية وأمور اعتيادية فرب انسان هو بالفطرة مستعد لسرعة الغضب حتى كان صورته في الفطرة صورة غضبان ويعين على ذلك حرارة مزاج القلب لان الغضب من النار كما قال صلى الله عليه وسلم فبرودة المزاج تطفئه وتكسر سورته * وأما الاسباب الاعتيادية فهو أن يخالط قوماً يتبجحون بتشفي الغيظ وطاعة الغضب ويسمون ذلك شجاعة ورجولية فيقول الواحد منهم أنا الذي لا أصبر على المكر ولا أحمل من أحد أمراً ومعناه لا عقل في ولا حلم ثم يذكره في معرض الفخر بجهله فمن سمعه رسخ في نفسه حسن الغضب وحب التشبه بالقوم فيقوي به الغضب ومهما اشتدت نار الغضب وقوى اضطرامها أعمت صاحبها وأصمته عن كل موعظة فاذا وعظ لم يسمع بل زاده ذلك غضباً وان استضاء بنور عقله وراجع نفسه لم يقدر اذ ينطفيء نور العقل وينمحي في الحال بدخان الغضب فان معدن الفكر الدماغ ويتصاعد عند شدة الغضب من غليان دم القلب دخان مظلم الى الدماغ يستولى على معادن الفكر وربما يتعدى الى معادن الحس فيظلم حتى لا يرى بعينه وتسود عليه الدنيا بأسرها ويكون دماغه على مثال كهف أضرمت فيه نار فاسود جوه وحمى مستقره وامتلأ بالدخان جوانبه وكان فيه سراج ضعيف فانمحي أو انطفأ نوره فلا تثبت فيه قدم ولا يسمع فيه كلام ولا ترى فيه صورة ولا يقدر على اطفائه لا من داخل

ولا من خارج بل ينبغي أن يصبر الى أن يحترق جميع ما يقبل الاحتراق فكذلك يفعل الغضب بالقلب والدماغ وربما تقوى نار الغضب فتقوي الرطوبة التي بها حياة القلب فيموت صاحبه غيظاً كما تقوى النار في الكهف فينشق وتهد أعاليه على أسافله وذلك لابطال النار ما في جوانبه من القوة الممسكة الجامعة لاجزائه فهذا حال القلب عند الغضب وبالحقيقة فالسفينة في ملتطم الامواج عند اضطراب الرياح في لجة البحر أحسن حالا وأرجى سلامة من النفس المضطربة غيظاً اذ في السفينة من يحتال لتسكينها وتدبيرها وينظر لها ويسويها وأما القلب فهو صاحب السفينة وقد سقطت حيلته اذ أعماه الغضب وأصمه ومن آثار هذا الغضب في الظاهر تغير اللون وشدة الرعدة في الاطراف وخروج الافعال عن الترتيب والنظام واضطراب الحركة والكلام حتى يظهر الزبد على الاشداق وتحمر الاحداق وتنقلب المناخر وتستحيل الخلقة ولو رأى الغضبان في حال غضبه قبح صورته لسكن غضبه حياء من قبح صورته واستحالة خلقته وقبح باطنه أعظم من قبح ظاهره فان الظاهر عنوان الباطن وانما قبحت صورة الباطن أولا ثم انتشر قبحها الى الظاهر ثانياً فتغير الظاهر ثمرة تغير الباطن فقس المثمر بالثمرة فهذا أثره في الجسد وأما أثره في اللسان فانطلاقه بالشتم والفحش من الكلام الذي يستحي منه ذو العقل ويستحي منه قائله عند فتور الغضب وذلك مع تخبط النظم واضطراب اللفظ وأما أثره على الاعضاء فالضرب والتهجم والتمزيق والقتل والجرح عند التمكن من غير مبالاة فان هرب منه المغضوب عليه أوفاته بسبب وعجز عن التشفي رجع الغضب على صاحبه فمزق ثوب نفسه فيلطم نفسه وقد يضرب بيده على الارض ويعدو عدو الواله السكران والمدهوش المتحير وربما يسقط

سريعا لا يطيق العدو والنهوض بسبب شدة الغضب ويعتريه مثل الغشية وربما يضرب الجمادات والحيوانات فيضرب القصعة مثلا على الارض وقد يكثر المائدة اذا غضب عليها ويتعاطي أعمال المجانين فيشتم البهيمة ويخاطبها ويقول الى متى منك هذا يا كيت وكيت كانه يخاطب عاقلا وربما رفسته دابة فيرفس الدابة ويقابلها بذلك وأما أثره في القلب مع المغضوب عليه فالحقد والحسد واضمار السوء والشماتة بالمساءآت والحزن بالسرور والعزم على افشاء السر وهتك الستر والاستهزاء وغير ذلك من القبائح فهذه ثمرة الغضب المفرط وأما ثمرة الحمية الضعيفة فقلة الانفة مما يؤنف منه من التعرض للحرم والزوجة والامة واحتمال الذل من الاخساء وصغر النفس والقماءة وهو أيضاً مذموم اذ من ثمراته عدم الغيرة على الحرم وهو صونها قال صلى الله عليه وسلم ان سعدا لغيور وأنا أغير من سعد والله أغير مني وانما خلقت الغيرة لحفظ الانساب ولو تسامح الناس بذلك لاختلطت الانساب ولذلك قيل كل أمة وضعت الغيرة في رجالها وضعت الصيانة في نسائها ومن ضعف الغضب الخور والسكوت عند مشاهدة المنكرات وقد قال صلى الله عليه وسلم خير أمتي أحداؤها يعني في الدين وقال تعالى ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله بل من فقد الغضب عجز عن رياضة نفسه اذ تتم الرياضة بتسليط الغضب على الشهوة حتى يغضب على نفسه عند الميل الى الشهوات الخسيسة ففقد الغضب مذموم وانما المحمود غضب ينتظر إشارة العقل والدين فينبعث حيث تجب الحمية وينطفىء حيث يحسن الحلم وحفظه على حد الاعتدال هو الاستقامة التي كلف الله بها عباده وهو الوسط الذي وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال خير الأمور أوسطها فمن مال غضبه الى الفتور حتى أحس

من نفسه بضعف الغيرة وخسة النفس في احتمال الذل والضيم في غير محله فينبغي أن يعالج نفسه حتى يقوى غضبه ومن مال غضبه الى الافراط حتى جره الى التهور واقتحام الفواحش فينبغي ان يعالج نفسه ليغض من سورة الغضب ويقف على الوسط الحق بين الطرفين فهو الصراط المستقيم وهو أرق من الشعرة وأحد من السيف فان عجز عنه فليطلب القرب منه قال تعالى ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة فليس كل من عجز عن الاتيان بالخير كله ينبغي أن يأتي بالشر كله ولكن بعض الشر أهون من بعض وبعض الخير أرفع من بعض فهذه حقيقة الغضب ودرجاته واعلم انه ظن ظانون أنه يتصور محو الغضب بالكلية وزعموا ان الرياضة اليه تتوجه وإياه تقصد وظن آخرون انه أصلا لايقبل العلاج وهذا رأى من يظن ان الخلق كالخلق وكلاهما لا يقبل التغيير وكلا الرأيين ضعيف بل الحق فيه مانذكره وهو انه مابقي الانسان يحب شيئاً و يكره شيئاً فلا يخلو من الغيظ والغضب وما دام يوافقه شيء ويخالفه آخر فلا بد من أن يحب مايوافقه ويكره مايخالفه والغضب يتبع ذلك فانه مهما أخذ منه محبوبه غضب لامحالة واذا قصد بمكروه غضب لامحالة الا ان مايحبه الانسان ينقسم الى ثلاثة أقسام * الاول ماهو ضرورة في حق الكافة كالقوت والمسكن والملبس وصحة البدن فمن قصد بدنه بالضرب والجرح فلا بد وان يغضب وكذلك اذا أخذ منه ثوبه الذي يستر عورته وكذلك اذا أخرج من داره التي هي مسكنه أو أريق ماؤه الذي يعطشه فهذه ضرورات لايخلو الانسان من كراهة زوالها ومن غيظ على من يتعرض لها * القسم الثاني ماليس ضروريا لاحد من الخلق كالجاه والمال

الكثير والغلمان والدواب فان هذه الامور صارت محبوبة بالعادة والجهل بمقاصد الامور حتى صار الذهب والفضة محبوبين في أنفسهما فيكثران ويغضب على من يسرقهما وان كان مستغنياً عنهما في القوت فهذا الجنس مما يتصور أن ينفك الانسان عن أصل الغيظ عليه فاذا كانت له دار زائدة على مسكنه فهدمها ظالم فيجوز ان لايغضب اذ يجوز أن يكون بصيراً بأمر الدنيا فيزهد في الزيادة على الحاجة فلا يغضب بأخذها فانه لايحب وجودها ولو أحب وجودها يغضب على الضرورة بأخذها واكثر غضب الناس على ماهو غير ضروري كالجاه والصيت والتصدر في المجالس والمباهاة في العلم فمن غلب هذا الحب عليه فلا محالة يغضب اذا زاحمه مزاحم على التصدر في المحافل ومن لايحب ذلك فلا يبالي ولو جلس في صف النعال فلا يغضب اذا جلس غيره فوقه وهذه العادات الرديئة هي التي اكثرت محاب الانسان ومكارهه فاكثرت غضبه وكلما كانت الارادات والشهوات اكثر كان صاحبها احط رتبة وانقص لان الحاجة صفة نقص فمهما كثرت كثر النقص والجاهل أبدا جهده في أن يزيد في حاجاته وهى شهواته وهو لايدري انه مستكثر من أسباب الغم والحزن حتى ينتهي بعض الجهال بالعادات الرديئة ومخالطة قرناء السوء الى ان يغضب لو قيل له انك لاتحسن اللعب بالطيور واللعب بالشطرنج ولا تقدر على شرب الخمر الكثير وتناول الطعام الكثير وما يجرى مجراه من الرذائل فالغضب على هذا الجنس ليس بضروري لان حبه ليس بضروري * القسم الثالث مايكون ضروريا في حق بعض الناس دون البعض كالكتاب مثلا في حق العالم فانه مضطر اليه فيحبه فيغضب على من يحرقه ويغرقه وكذلك أدوات الصناعات في حق المكتسب الذي

لايمكنه التوصل الى القوت الا بها فان ماهو وسيلة الى الضروري والمحبوب يصير ضروريا ومحبوبا وهـذا يختلف بالاشخاص وانما الحب الضروري ماأشار اليـه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله من أصبح آمنا في سربه معافي في بدنه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها ومن كان بصيراً بحقائق الأمور وسلم له هذه الثلاثة يتصور ان لايغضب في غيرها فهذه ثلاثة أقسام فلنذكر الرياضة في كل واحد منها * (أما القسم الاول) فليست الرياضة فيه لينعدم غيظ القلب ولـكن لـكي يقدر على أن لايطيع الغضب ولا يستعمله في الظاهر الا على حد يستحبه الشرع ويستحسنه العقل وذلك ممكن بالمجاهدة وتكلف الحلم والاحتمال مدة حتى يصير الحلم والاحتمال خلقا راسخا فأما قمع أصل الغيظ من القلب فذلك ليس مقتضى الطبع وهو غير ممكن نعم يمكن كسر سورته وتضعيفه حتى لا يشتد هيجان الغيظ في الباطن وينتهي ضعفه الى ان لايظهر أثره في الوجه ولـكن ذلك شديد جداً وهذا حكم القسم الثالث أيضاً لان ماصار ضروريا في حق شخص فلا يمنعه من الغيظ استغناء غيره عنه فالرياضة فيه تمنع العمل به وتضعف هيجانه في الباطن حتى لايشتد التألم بالصبر عليه * (وأما القسم الثاني) فيمكن التوصل بالرياضة الى الانفكاك عن الغضب عليه اذ يمكن اخراج حبه من القلب وذلك بأن يعلم الانسان ان وطنه القبر ومستقره الاخرة وان الدنيا معبر يعبر عليها ويتزود منها قدر الضرورة وما وراء ذلك عليه وبال في وطنه ومستقره فيزهد في الدنيا ويمحو حبها عن قلبه ولو كان للانسان كلب لايحبه لايغضب اذا ضربه غيره فالغضب تبع للحب فالرياضة في هذا تنتهي الى قمع أصل الغضب وهو نادر جداً وقد تنتهي الى المنع من استعمال الغضب والعمل بموجبه وهو

أهون فان قلت الضروري من القسم الاول التألم بفوات المحتاج اليه دون الغضب فمن له شاة مثلا وهي قوته فماتت لا يغضب على أحد وان كان يحصل منه كراهة وليس من ضرورة كل كراهة غضب فان الانسان يتألم بالفصد والحجامة ولا يغضب على الفصاد والحجام فمن غلب عليه التوحيد حتى يرى الاشياء كلها بيد الله ومنه فلا يغضب على أحد من خلقه اذ يراهم مسخرين في قبضة قدرته كالقلم في يد الكاتب ومن وقع ملك بضرب رقبته لم يغضب على القلم فلا يغضب على من يذبح شاته التي هي قوته كما لا يغضب على موتها اذ يرى الذبح والموت من الله عز وجل فيندفع الغضب بغلبة التوحيد ويندفع ايضاً بحسن الظن بالله وهو ان يرى ان الكل من الله وان الله لا يقدر له الا ما فيه الخيرة وربما تكون الخيرة في مرضه وجوعه وجرحه وقتله فلا يغضب كما لا يغضب على الفصاد والحجام انه يرى ان الخيرة فيه

﴿ فصل في قتل النفس ﴾

قال الله تعالى ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجتنبوا السبع الموبقات أي المهلكات فذكر قتل النفس التي حرم الله وقال صلى الله عليه وسلم وقد سئل أي الذنب أعظم قال أن تجعل لله ندا وهو خلقك قال ثم أي قال أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك قال ثم أي قال ان تزاني حليلة جارك وقال صلى الله عليه وسلم اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار قيل يارسول الله هذا القاتل فما بال المقتول قال انه كان حريصاً على قتل صاحبه وقال صلى الله عليه وسلم لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض وقال صلى الله عليه وسلم لقتل مؤمن

أعظم عند الله من زوال الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم لايزال المرء في فسحة من دينه مالم يصب دما حراما وقال صلى الله عليه وسلم أول مايقضي بين الناس في الدماء وقال صلى الله عليه وسلم اكبر الكبائر الاشراك بالله وقتل النفس وعقوق الوالدين وقال صلى الله عليه وسلم من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة وان ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاما وقال صلى الله عليه وسلم من أعان على قتل مؤمن ولو بشرط كلمة لقى الله مكتوباً بين عينيه آيس من رحمة الله وقال الشافعي رضي الله عنه في المختصر القتل بغير حق اكبر الكبائر بعد الكفر

﴿ فصل في الغيبة أيضاً ﴾

اعلم أن سوء الظن حرام مثل سوء القول فكما يحرم عليك ان تحدث غيرك بلسانك بمساوى الغير فليس لك ان تحدث نفسك وتسيء الظن باخيك ولست أعني به الا عقد القلب وحكمه على غيره بسوء الظن فاما الخواطر وحديث النفس فهو معفو عنه بل الشك أيضاً معفو عنه ولكن المنهى عنه ان يظن والظن عبارة عما تركن اليه النفس ويميل اليه القلب فقد قال الله تعالى ياأيها الذين أمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن ان بعض الظن اثم وسبب تحريمه ان أسرار القلوب لايعلمها الا علام الغيوب فليس لك ان تعتقد في غيرك سوءا الا اذا انكشف لك بعيان لايقبل التأويل فعند ذلك لايمكنك ان لاتعتقد ماعلمته وشاهدته وما لم تشاهده بعينك ولم تسمعه باذنك ثم وقع في قلبك فانما الشيطان يلقيه اليك فينبغي ان تكذبه فانه افسق الفساق وقد قال الله تعالى ياأيها الذين أمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوماً بجهالة فلا يجوز تصديق ابليس وان كان ثم مخيلة تدل على فساد واحتمل

خلافه لم يجز ان تصدق به لان الفاسق يتصور ان يصدق في خبره ولكن لايجوز لك ان تصدق به حتى ان من استنكه فوجد منه رائحة الخمر لايجوز ان يحد اذ يقال يمكن أن يكون قد تمضمض بها ومجها وما شربها أو حمل عليه قهرا فكل ذلك لامحالة دلالة محتملة فلا يجوز تصديقها بالقلب وإساءة الظن بالمسلم بها وقد قال صلى الله عليه وسلم ان الله حرم من المسلم دمه وماله وأن يظن به ظن السوء الا بما يستباح به المال وهو بعين مشاهدة أو بينة عادلة فاذا لم يكن كذلك وخطر لك وسواس سوء الظن فينبغي ان تدفعه عن نفسك وتقرر عليها ان حاله عندك مستور كما كان وان مارأيته منه يحتمل الخير والشر فان قلت فبماذا يعرف عقد الظن والشكوك تختلج والنفس تحدث فنقول أمارة عقد الظن ان يتغير القلب معه عما كان فينفر عنه نفورا ما ويستثقله ويفتر عن مراعاته وتفقده واكرامه والاغتمام بسببه فهذه أمارات عقد الظن وتحقيقه وقد قال صلى الله عليه وسلم ثلاث في المؤمن وله منهن مخرج فمخرجه من سوء الظن ان لايحققه أي لايحقق في نفسه بعقد ولا فعل لافي القلب ولا في الجوارح أما في القلب فبتغيره الى النفرة والكراهة واما في الجوارح فبالعمل بموجبه والشيطان قد يقرر على القلب بأدنى مخيلة مساءة الناس ويلقي اليه أن هذا من فطنتك وسرعة تنبهك وذكائك وان المؤمن ينظر بنور الله تعالى وهو على التحقيق ناظر بغرور الشيطان وظلمته وأما اذا أخبرك به عدل فمال ظنك الى تصديقه كنت معذورا لانك لو كذبته لكنت جانيا على هذا العدل اذ ظننت به الكذب وذلك أيضاً من سوء الظن فلا ينبغي ان تحسن الظن بواحد وتسيء بالآخر نعم ينبغي ان تبحث هل بينهما عداوة ومحاسدة وتعنت

فتتطرق التهمة بسببه فقد رد الشرع شهادة الاب العدل للولد للتهمة ورد شهادة العدو فلك عند ذلك أن تتوقف وان كان عدلا فلا تصدقه ولا تكذبه ولكن تقول في نفسك المذكور حاله كان عندي في ستر الله تعالى وكان أمره محجوبا عني وقد بقى كما كان لم ينكشف لى شيء من أمره وقد يكون الرجل ظاهره العدالة ولا محاسدة بينه وبين المذكور ولكن قد يكون من عادته التعرض للناس وذكر مساويهم فهذا قد يظن انه عدل وليس بعدل فان المغتاب فاسق وان كان ذلك من عادته ردت شهادته الا ان الناس لكثرة الاعتياد تساهلوا في أمر الغيبة ولم يكترثوا بتناول أعراض الخلق ومهما خطر لك خاطر بسوء على مسلم فينبغي أن تزيد في مراعاته وتدعو له بالخير فان ذلك يغيظ الشيطان ويدفعه عنك فلا يأتي اليك الخاطر السوء خيفة من اشتغالك بالدعاء والمراعاة ومهما عرفت هفوة مسلم بحجة فانصحه في السر ولا يخدعنك الشيطان فيدعوك الى اغتيابه واذا وعظته فلا تعظه وأنت مسرور باطلاعك على نقصه لينظر اليك بعين التعظيم وتنظر اليه بعين الاستحقار وتترفع عليه بدالة الوعظ وليكن قصدك تخليصه من الاثم وقيل أوحي الله الى موسى عليه السلام من مات تائباً من الغيبة فهو آخر من يدخل الجنة ومن مات مصراً عليها فهو أول من يدخل النار وقال أنس أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بصوم يوم فقال لا يفطرن أحد حتى آذن له فصام الناس حتى اذا أمسوا جعل الرجل يجيء فيقول يارسول الله ظللت صائماً فائذن لي لافطر فيأذن له والرجل يجيء حتى جاء رجل فقال يارسول الله فتاتان من أهلي ظلتا صائمتين وانهما يستحيان أن يأتيانك فائذن لهما ان يفطرا فأعرض عنه صلى الله عليه وسلم

ثم عاوده فأعرض عنه ثم عاوده فقال انهما لم يصوما وكيف يصوم من ظل نهاره يأكل لحم الناس اذهب فمرهما ان كانتا صائمتين أن يستقيا فرجع اليهما فأخبرهما فاستقاءتا فقاءت كل واحدة منهما علقة من دم فرجع الى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال والذي نفسي بيده لو بقيتا في بطونهما لا كلتهما النار وفي رواية انه لما أعرض عنه جاءه بعد ذلك وقال يارسول الله والله انهما قد ماتتا أوكادتا أن تموتا فقال صلى الله عليه وسلم ائتوني بهما فجاءتا فدعا رسول الله صلي الله عليه وسلم بقدح فقال لاحداهما قيء فقاءت من قيح ودم وصديد حتى ملأت القدح وقال للاخرى قيء فقاءت كذلك فقال ان هاتين صامتا عما أحل الله لهما وأفطرتا على ماحرم الله عليهما جلست احداهما الى الاخرى فجعلتا تأكلان لحوم الناس وقال أنس خطبنا رسول الله صلي الله عليه وسلم فذكر الربا وعظم شأنه فقال أن الدرهم يصيبه الرجل من الربا أعظم عند الله في الخطيئة من ست وثلاثين زنية يزنيها الرجل وأربى الربا عرض الرجل المسلم وقال جابر كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فأتي على قبرين يعذب صاحباهما فقال انهما يعذبان ومايعذبان في كبير أما أحدهما فكان يغتاب الناس وأما الآخر فكان لا يستنزه من بوله فدعا بجريدة رطبة أو جريدتين فكسرهما ثم أمر بكل كسر فغرس على قبر وقال أما إنه سيهون من عذابهما ما كانتا رطبتين أو مالم ييبسا ولما رجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ماعزا في الزنا قال رجل لصاحبه هذا أقعص كما يقعص الكلب فمر صلى الله عليه وسلم وهما معه بجيفة فقال انهشا منها فقالا يارسول الله نهش جيفة فقال ما أصبتما من أخيكما أنتن من هذه وكان الصحابة رضى الله عنهم يتلاقون بالبشر ولا يغتابون عند الغيبة ويرون

ذلك أفضل الاعمال ويرون خلافه عادة المنافقين وقال أبو هريرة من أكل لحم أخيه في الدنيا قرب اليه لحمه في الآخرة وقيل له كله ميتا كما أكلته حياً فيأكله فيضج ويكلح وروى مرفوعاً كذلك وروى إن رجلين كانا قاعدين عند باب من أبواب المسجد فمر بهما رجل كان مخنثاً فترك ذلك فقالا لقد بقى فيه منه شيء وأقيمت الصلاة فدخلا فصليا مع الناس فحاك في أنفسهما ماقالا فاتيا عطاء فسألاه فامرهما أن يعيدا الوضوء والصلاة وأمرهما أن يقضيا الصيام إن كانا صائمين وعن مجاهد انه قال في ويل لكل همزة لمزة الهمزة الطعان في الناس واللمزة الذي يأكل لحوم الناس وقال قتادة ذكر لنا أن عذاب القبر ثلاثة اثلاث ثلث من الغيبة وثلث من النميمة وثلث من البول وقال الحسن والله للغيبة أسرع في دين الرجل المؤمن من الاكلة في الجسد وقال بعضهم أدركنا السلف وهم لايرون العبادة في الصوم ولا في الصلاة ولكن في الكف عن اعراض الناس وقال ابن عباس اذا أردت ان تذكر عيوب صاحبك فاذكر عيوبك وقال أبو هريرة يبصر أحدكم القذى في عين أخيه ولا يبصر الجذع في عين نفسه وكان الحسن يقول ابن آدم انك لن تصيب حقيقة الايمان حتى لاتعيب الناس بعيب هو فيك حتى تبدأ بصلاح ذلك العيب فتصلحه من نفسك فاذا فعلت ذلك كان شغلك في خاصة نفسك وأحب العباد الى الله من كان هكذا وقال مالك بن دينار مر عيسى عليه السلام ومعه الحواريون بجيفة كلب فقال الحواريون ما أنتن ريح هذا الكلب فقال عليه الصلاة والسلام ما أشد بياض أسنانه كأنه صلي الله عليه وسلم نهاهم عن غيبة الكلب ونبههم على أنه لايذكر من شيء من خلق الله الا أحسنه وسمع علي بن الحسين رضى الله عنهما

رجلا يغتاب آخر فقال له إياك والغيبة فانها أدام كلاب الناس وقال عمر رضي الله عنه عليكم بذكر الله تعالى فانه شفاء واياكم والغيبة وذكر الناس فانه داء نسأل الله حسن التوفيق لطاعته

واعلم أن حد الغيبة أن تذكر أخاك بما يكرهه لو بلغه سواء ذكرته بنقص في بدنه أو نسبه أو في خلقه أوفي فعله أوفي قوله أو في دينه أوفي دنياه حتى في ثوبه وداره ودابته * أما البدن فذكرك العمش والحول والقرع والقصر والطول والسواد والصفرة وجميع ما يتصور أن يوصف به مما يكرهه كيف ما كان * وأما النسب فبأن تقول أبوه نبطي أو هندي أو فاسق أو خسيس أو اسكاف أو زبال أو شيء مما يكرهه كيف ما كان * وأما الخلق فبأن تقول هو سيء الخلق بخيل متكبر مرأء شديد الغضب جبان عاجز ضعيف القلب متهور وما يجرى مجراه * وأما في أفعاله المتعلقة بالدين فكقولك هو سارق أو كذاب أو شارب خمر أو خائن أو ظالم أو متهاون بالصلاة أو الزكاة أولا يحسن الركوع أو السجود أولا يحترز من النجاسات اوليس بارا بوالديه أولا يضع الزكاة موضعها أولا يحسن قسمتها أولا يحرس صومه عن الرفث والغيبة والتعرض لاعراض الناس * وأما فعله المتعلق بالدنيا فكقولك انه قليل الادب متهاون بالناس أولا يرى لاحد على نفسه حقا أو يرى لنفسه الحق على الناس أو انه كثير الكلام كثير الاكل نؤم ينام في غير وقت النوم ويجلس في غير موضعه * وأما في ثوبه فكقولك انه واسع الكم طويل الذيل وسخ الثياب وقال قوم لا غيبة في الدين لانه ذم ما ذمه الله تعالى فذكره بالمعاصي وذمه بها يجوز بدليل ماروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرت له أمرأة وكثرة صلاحها وصومها ولكنها

تؤذي جيرانها بلسانها فقال هي في النار وذكرت عنده امرأة أخرى بأنها بخيلة فقال فما خيرها اذا فهذا فاسد لانهم كانوا يذكرون ذلك لحاجتهم الى تعرف الاحوال بالسؤال ولم يكن غرضهم التنقص ولا يحتاج اليه في غير مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم والدليل عليه اجماع الامة على أن من ذكر غيره بما يكرهه فهو مغتاب لانه داخل فيما ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم في حد الغيبة وكل هذا وان كان صادقا فيه فانه به مغتاب عاص لربه وآكل لحم أخيه بدليل ما روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال هل تدرون ما الغيبة قالوا الله ورسوله أعلم قال ذكرك أخاك بما يكرهه قال أرأيت ان كان في اخي ما أقوله قال ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته وقال معاذ بن جبل ذكر رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ما أعجزه فقال صلى الله عليه وسلم اغتبتم أخاكم قالوا يارسول الله قلنا ما فيه قال ان قلتم ما ليس فيه فقد بهتموه وعن حذيفة عن عائشة رضي الله عنها انها ذكرت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة فقالت انها قصيرة فقال صلى الله عليه وسلم اغتبتيها وقال الحسن ذكر الغيبة ثلاثة الغيبة والبهتان والافك وكل في كتاب الله عز وجل فالغيبة أن تقول ما فيه والبهتان ان تقول ماليس فيه والافك ان تقول ما بلغك وذكر ابن سيرين رجلا فقال ذاك الرجل الاسود ثم قال استغفر الله اني اراني قد اغتبته وذكر ابراهيم النخعي فوضع يده على عينه ولم يقل الاعور وقالت عائشة لا تغتابن احدا فاني قلت لامرأة مرة وأنا عند النبي صلى الله عليه وسلم ان هذه لطويلة الذيل فقال الفظي فلفظت مضغة لحم

واعلم أن الذكر باللسان انما حرم لان فيه تفهيم الغير نقصان أخيك

وتعريفه بما يكرهه فالتعريض به كالتصريح والفعل فيه كالقول والاشارة والايماء والغمز والهمز والكتابة والحركة وكل مايفهم المقصود فهو داخل في الغيبة وهو حرام فمن ذلك قول عائشة رضي الله عنها دخلت علينا أمرأة فلما ولت أومأت بيدي أنها قصيرة فقال عليه السلام اغتبتيها ومن ذلك المحاكاة كأن يمشى متعاوجاً أو كما يمشي فهو غيبة بل هو أشد من الغيبة لانه أعظم في التصوير والتفهيم ولما رأى صلى الله عليه وسلم عائشة حاكت أمرأة قال ما يسرني اني حاكيت ولى كذا وكذا وكذلك الغيبة بالكتابة فان القلم أحد اللسانين وذكر المصنف شخصاً معيناً وتهجينه وذكر كلامه في الكتاب غيبة الا ان يقترن به شيء من الاعذار المحوجة الى ذكره كما سيأتي بيانه واما قوله قال قوم كذا فليس ذلك غيبة انما الغيبة التعريض لشخص معين أما حي واما ميت ومن الغيبة ان تقول بعض من مر بنا اليوم او بعض من رأينا اذا كان المخاطب يفهم منه شخصاً معيناً لان المحذور تفهيمه دون مابه التفهيم فأما اذا لم يفهم عينه جاز كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كره من انسان شيأ قال مابال أقوام يفعلون كذا وكذا فكان لايعين وقولك بعض من قدم من السفر أو بعض أهل العلم ان كان معه قرينة تفهم عين الشخص فهي غيبة وأخبث أنواع الغيبة غيبة القراء المرائين فانهم يفهمون المقصود على صيغة أهل الصلاح ليظهروا من أنفسهم التعفف عن الغيبة ويفهمون المقصود ولا يدرون بجهلهم انهم جمعوا بين فاحشتين الغيبة والرياء وذلك مثل أن يذكر عند إنسان فيقول الحمد لله الذي لم يبتلنا بالدخول على السلطان والتبذل في طلب الحطام أو يقول نعوذ بالله من قلة الحياء نسأل الله ان يعصمنا منها وانما قصده ان يفهم عيب الغير فيذكره بصيغة الدعاء وكذلك قد يقدم

مدح من يريد غيبته فيقول ما أحسن احوال فلان ما كان يقصر في العبادات ولكن قد اعتراه فتور وابتلي بما يبتلي به كلنا وهو قلة الصبر فيذكر نفسه ومقصوده أن يذم غيره في ضمن ذلك ويمدح نفسه بالتشبه بالصالحين بأن يذم نفسه ويكون مغتاباً ومرائياً ومزكياً نفسه فيجمع بين ثلاث فواحش وهو بجهله يظن أنه من الصالحين المتعففين عن الغيبة ولذلك يلعب الشيطان بأهل الجهل اذا اشتغلوا بالعبادة من غير علم فانه يتبعهم ويحبط بمكايده عملهم ويضحك عليهم ويسخر منهم ومن ذلك انه يذكر عيب انسان فلا يتنبه له بعض الحاضرين فيقول سبحان الله ما أعجب هذا حتى يصغي اليه ويعلم ما يقول فيذكر الله تعالى ويستعمل اسمه آلة له في تحقيق خبثه وهو يمتن على الله عز وجل بذكره جهلا منه وغرورا وكذلك يقول ساءني ما جرى على صديقنا من الاستخفاف به نسأل الله أن يروح نفسه فيكون كاذباً في دعوى الاغتمام وفي اظهار الدعاء بل لو قصد الدعاء لاخفاه في خلوته عقيب صلاته ولو كان يغتم به لاغتم أيضاً باظهار ما يكرهه وكذلك يقول ذلك المسكين قد بلي بآفة عظيمة تاب الله علينا وعليه وهو في كل ذلك يظهر الدعاء والله مطلع على خبث ضميره وخفي قصده وهو لجهله لا يدري انه قد تعرض لمقت اعظم مما تعرض له الجهال اذا جاهروا ومن ذلك الاصغاء الى الغيبة على سبيل التعجب فانه انما يظهر التعجب ليزيد نشاط المغتاب في الغيبة فيندفع فيها وكانه يستخرج الغيبة منه بهذا الطريق فيقول عجب ما علمت انه كذلك ما عرفته الى الآن الا بالخير وكنت أحسب فيه غير هذا عافانا الله من بلائه فان كل ذلك تصديق للمغتاب والتصديق بالغيبة غيبة بل الساكت شريك المغتاب قال صلى الله عليه وسلم المستمع أحد المغتابين وقد

روى عن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ان أحدهما قال لصاحبه ان فلاناً لنؤوم ثم انهما طلبا ادما من رسول الله صلى الله عليه وسلم ليأ كلا به الخبز فقال صلى الله عليه وسلم قد ائتدمتما فقال مانعلمه قال بلى انكما اكلتما من لحم أخيكما فانظر كيف جمعهما وكان القائل أحدهما والآخر مستمع وقال للرجلين الذين قال أحدهما أقعص الرجل كما يقعص الكلاب انهشا من هذه الجيفة فجمع بينهما فالمستمع لايخرج من أثم الغيبة الا أن ينكر بلسانه أو بقلبه ان خاف وأن قدر على القيام أو قطع الكلام بكلام آخر فلم يفعل لزمه وأن قال بلسانه اسكت وهو مشته لذلك بقلبه فذلك نفاق ولا يخرجه من الاثم مالم يكرهه بقلبه ولا يكفي في ذلك أن يشير باليد أى أسكت أو يشير بحاجبه وجبينه فان ذلك استحقار للمذكور بل ينبغي أن يعظم ذلك فيذب عنه صريحاً وقال صلى الله عليه وسلم من أذل عنده مؤمن فلم ينصره وهو يقدر على نصره اذله الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق وقال أبو الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من رد عن عرض أخيه بالغيب كان حقاً على الله أن يرد عن عرضه يوم القيامة وقال أيضاً من ذب عن عرض أخيه بالغيب كان حقاً على الله أن يعتقه من النار

واعلم أن البواعث على الغيبة كثيرة ولكن يجمعها أحد عشر سببا ثمانية منها تطرد في حق العامه وثلاثة تختص بأهل الدين والخاصة * (أما ثمانية) * فالاول أن يشفى الغيظ وذلك اذا جرى سبب غضب به عليه فانه اذا هاج غضبه فيشتفي بذكر مساويه فسبق اللسان اليه بالطبع ان لم يكن ثم دين

وازع وقد يمتنع تشفي الغيظ عند الغضب فيحتقن الغضب في الباطن فيصير حقدا ثابتاً فيكون سبباً دائماً لذكر المساوى فالحقد والغضب من البواعث العظيمة على الغيبة * الثاني موافقة الاقران ومجاملة الرفقاء ومساعدتهم على الكلام فانهم اذا كانوا يتفكهون بذكر الاعراض فيرى أنه لو أنكر عليهم أو قطع المجلس استثقلوه ونفروا عنه فيساعدهم ويرى ذلك من حسن المعاشرة ويظن أنه مجاملة في الصحبة وقد يغضب رفقاؤه فيحتاج الى أن يغضب لغضبهم اظهاراً للمساهمة في السراء والضراء فيخوض معهم في ذكر العيوب والمساوي * الثالث أن يستشعر من انسان أنه سيقصده ويطول لسانه عليه أو يقبح حاله عند محتشم أو يشهد عليه بشهادة فيبادره قبل أن يقبح هو حاله ويطعن فيه ليسقط أثر شهادته أو يبتدىء بذكر ما فيه صادقا ليكذب عليه بعده فيروج كذبه بالصدق الاول ويستشهد به ويقول مامن عادتي الكذب فانى أخبرتكم بكذا وكذا من أحواله فكان كما قلت * الرابع أن ينسب الى شيء فيريد أن يتبرأ منه فيذكر الذي فعله وكان من حقه أي يبريء نفسه ولا يذكر الذي فعل فلا ينسب غيره اليه أو يذكر غيره بأنه كان مشاركا له في العمل ليمهد بذلك عذر نفسه في فعله * الخامس ارادة التصنع والمباهاة وهو أن يرفع نفسه بتنقيص غيره فيقول فلان جاهل وفهمه ركيك وفكره ضعيف وغرضه أن يثبت في ضمن ذلك فضل نفسه ويريهم انه أعلم منه أو يحذر أن يعظم مثل تعظيمه فيقدح فيه لذلك * السادس الحسد وهو أنه ربما يحسد من يثني الناس عليه ويحبونه ويكرمونه فيريد زوال تلك النعمة عنه فلا يجد سبيلا اليه الا بالقدح فيه فيريد أن يسقط ماء وجهه عند الناس حتى يكفوا عن كرامته والثناء عايه لانه يثقل عليه أن يسمع

كلام النـاس وثناءهم عليه واكرامهم له وهـذا هو عين الحسد وهو غير الغضب والحقد فان ذلك يستدعي جناية من المغضوب عليه والحسد قد يكون مع الصديق المحسن والقريب الموافق * السابع اللعب والهزل والمطايبة وتزجية الوقت بالضحك فيذكر عيوب غيره بما يضحك الناس على سبيل المحاكاة والتعجيب * الثامن السخرية والاستهزاء استحقارا له فان ذلك قـد يجري في الحضور ويجرى أيضاً في الغيبة ومنشؤه التكبر واستجهال المستهزأ به * وأما الاسباب الثلاثة التي هي في الخاصة فهي أغمضها وأدقها لانها شرور عباها الشيطان في معرض الخيرات وفيها خير ولـكن شاب الشيطان بها الشر * الاول ان تنبعث من الدين داعية التعجب في انكار المنكر والخطأ في الدين فيقول ما أعجب ما رأيت من فلان فانه قد يكون به صادقاً ويكون تعجبه من المنكر ولـكن كان حقه أن يتعجب ولا يذكر اسمه فيسهل الشيطان عليه ذكر اسمه في اظهار تعجبه فصار به مغتاباً وآثمـاً من حيث لا يدري ومن ذلك قول الرجل تعجبت من فلان كيف يحب جاريته وهي قبيحة وكيف يجلس بين يدي فلان وهو جاهل الثاني الرحمة وهو ان يغتم بسبب ما يبتلي به فيقول مسكين فلان قد غمني أمره وما ابتلى به فيكون صادقا في دعوى الاغتمام ويلهيه الغم عن الحذر من ذكر اسـمه فيذكره فيصير به مغتاباً فيكون غمه ورحمته خيرا وكذا تعجبه ولـكن ساقه الى شر من حيث لا يدري والترحم والاغتمام ممكن دون ذكر اسمه فيهيجه الشيطان على ذكر اسمه ليبطل به ثواب اغتمامه وترحمه * الثالث الغضب لله تعالى فانه قد يغضب على منكر قارفه انسان اذا رآه أو سـمعه فيظهر غضبه ويذكر اسمه وكان الواجب أن يظهر غضبه عليه بالامر بالمعروف والنهي عن

المنكر ولا يظهره على غيره أو يستر اسمه ولا يذكره بالسوء فهذه الثلاثة مما يغمض دركها على العلماء فضلا عن العوام فانهم يظنون أن العجب والرحمة والغضب اذا كان لله تعالى كان عذرا في ذكر الاسم وهو خطأ بل المرخص في الغيبة حاجات مخصوصة لا مندوحة فيها عن ذكر الاسم كما سيأتي ذكره روى عن عامر بن واثلة ان رجلا مر على قوم في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم عليهم فردوا عليه السلام فلما جاوزهم قال رجل منهم اني لابغض هذا في الله تعالى فقال أهل المجلس لبئس ماقلت والله لننبئنه ثم قالوا يافلان لرجل منهم قم فادركه وأخبره بما قال فادركه رسولهم فاخبره فأتى الرجل رسول الله صلى الله عليه وسلم وحكي له ماقال وسأله ان يدعوه له فدعاه وسأله فقال قد قلت ذلك فقال صلى الله عليه وسلم لم تبغضه فقال أنا جاره وأنا به خابر والله ما رأيته يصلى صلاة قط الا هذه المكتوبة قال فاسأله يارسول الله هل رآني أخرتها عن وقتها أو أسأت الوضوء لها أو الركوع أو السجود فيها فسأله فقال لافقال والله مارأيته يصوم شهراً قط الا هذا الشهر الذي يصومه البر والفاجر قال فاسأله يارسول الله هل رآني قط أفطرت فيه أو نقصت من حقه شيئاً فسأله عنه فقال لافقال والله مارأيته يعطى سائلا ولا مسكيناً قط ولا رأيته ينفق شيئاً من ماله في سبيل الله الا هذه الزكاة التي يؤديها البر والفاجر قال فاسأله هل رآني نقصت منها أو ماكست فيها طالبها الذي ينالها فسأله فقال لافقال صلى الله عليه وسلم للرجل قم فلعله خير منك

واعلم أن مساوي الاخلاق كلها انما تعالج بمعجون العلم والعمل وانما علاج كل علة بمضادة سببها فلنفحص عن سببها وعلاج كف اللسان عن

الغيبة على وجهين أحدهما على الجملة والآخر على التفصيل أما على الجملة فهو ان يعلم أن تعرضه لسخط الله تعالى بغيبته بهذه الاخبار التي رويناها وان يعلم انها تحبط حسناته يوم القيامة فانها تنقل حسناته في القيامة الى من اغتابه بدلا عما اجتاحه من عرضه فان لم تكن له حسنات نقل اليه من سيئات خصمه وهو مع ذلك متعرض لمقت الله عز وجل ومشبه عنده بآكل الميتة بل العبد يدخل النار بأن تترجح كفة سيئاته على كفة حسناته وربما تنقل اليه سيئة واحدة ممن اغتابه فيحصل به الرجحان ويدخل بها النار وانما أقل الدرجات ان تنقص من ثواب أعماله وذلك بعد المخاصمة والمطالبة والسؤال والجواب والحساب قال صلى الله عليه وسلم ماالنار في اليبس بأسرع من الغيبة في حسنات العبد وروى ان رجلا قال للحسن بلغني انك تغتابني فقال مابلغ من قدرك عندي اني أحكمك في حسناتي فمهما آمن العبد بما ورد من الاخبار في الغيبة لم يطلق لسانه بها خوفاً من ذلك وينفعه أيضاً أن يتدبر في نفسه فان وجد فيها عيباً اشتغل بعيب نفسه وذكر قوله صلى الله عليه وسلم طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس ومهما وجد عيبا فينبغي ان يستحيي من أن يترك ذم نفسه ويذم غيره بل ينبغي ان يتحقق ان عجز غيره عن نفسه في التنزه عن ذلك العيب كعجزه وهذا ان كان ذلك عيباً يتعلق بفعله واختياره وان كان أمراً خلقيا فالذم له ذم للخالق فان من ذم صنعة فقد ذم صانعها * قال رجل لحكيم ياقبيح الوجه قال ماكان خلق وجهي الي فاحسنه واذا لم يجد العبد عيبا في نفسه فليشكر الله تعالى ولا يلوثن نفسه بأعظم العبد فان ثلب الناس واكل لحم الميتة من أعظم العيوب بل لو انصف لعلم ان ظنه بنفسه انه بريء من كل عيب جهل بنفسه وهو من أعظم الذنوب وينفعه ان يعلم ان تألم

غيره بغيبته كتألمه بغيبة غيره له فاذا كان لا يرضي لنفسه أن يغتاب فينبغي أن لا يرضي لغيره مالا يرضاه لنفسه فهذه معالجات جميلة أما التفصيل فهو أن ينظر في السبب الباعث له على الغيبة فان علاج العلة يقطع سببها وقد قدمنا الاسباب ثم يقول اني اذا أمضيت غضبي عليه فلعل الله تعالى يمضى غضبه على بسبب الغيبة اذ نهاني عنها فاجترأت على نهيه واستخففت بزجره وقد قال صلى الله عليه وسلم ان لجهنم بابا لا يدخل منه الا من شفي غيظه بمعصية الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم من اتقى ربه كل لسانه ولم يشف غيظه وقال صلى الله عليه وسلم من كظم غيظاً وهو يقدر على ان يمضيه دعاه الله تعالى يوم القيامة على رؤس الخلائق حتى يخيره في أي الحورشاء وأما الموافقة فبأن تعلم أن الله تعالى يغضب عليك اذا طلبت سخطه في رضا المخلوقين فكيف ترضي لنفسك أن توقر غيرك وتحقر مولاك فتترك رضاه لرضاهم الا أن يكون غضبك لله تعالى وذلك لا يوجب أن تذكر المغضوب عليه بسوء بل ينبغي ان تغضب لله أيضاً على رفقائك اذا ذكروه بالسوء فانهم عصوا ربك بأفحش الذنوب وهى الغيبة وأما تنزيه النفس بنسبة الغير الى الخيانة حيث يستغنى عن ذكر الغير فتعالجه بأن تعرف ان التعرض لمقت الله أشد من التعرض لمقت المخلوقين وانت بالغيبة متعرض لسخط الله يقينا ولا تدري انك تتخلص من سخط الناس ام لا فتخلص نفسك في الدنيا بالتوهم وتهلك في الآخرة وتخسر حسناتك بالحقيقة ويحصل لك ذم الله تعالى نقدا وتنتظر دفع ذم الخلق نسيئة وهذا غاية الجهل والخذلان

﴿ فصل في المظالم ﴾

اعلم ان من أعظم المقاصد التي قصدت ببعثة الانبياء عليهم السلام دفع المظالم من بين الناس فان تظالمهم يفسد حالهم ويضيق عليهم ولا حاجة الى شرح ذلك والمظالم على ثلاثة أقسام تعد على النفس وتعد على أعضاء الناس وتعد على أموال الناس فاقتضت حكمة الله أن يذجر كل نوع من هذه الانواع بزواجر قوية تردع الناس عن ان يفعلوا ذلك مرة أخرى ولا ينبغي ان يجعل هذه الزواجر على مرتبة واحدة فان القتل ليس كقطع الطرف ولا قطع الطرف كاستهلاك المال وان الدواعي التي تنبعث منها هذه المظالم لها مراتب فمن البديهي ان تعمد القتل ليس كالتساهل المنجر الى الخطا *

فاعظم المظالم القتل وهو اكبر الكبائر جمع عليه اهل الملل قاطبتهم وذلك لانه طاعة النفس في داعية لغضب وهو أعظم وجود الفساد فيما بين الناس وهو تغيير خلق الله وهدم بنيان الله ومناقضة ما أراد الحق في عباده من انتشار نوع الانسان والقتل على ثلاثة أقسام عمد وخطا وشبه عمد فالعمد هو القتل الذى يقصد فيه ازهاق روحه بما يقتل غالبا جارحا أو مثقلا والخطأ مالا يقصد فيه اصابته فيصيبه فيقتله كما اذا وقع على انسان فمات أو رمى شجرة فاصابه فمات وشبه العمدان يقصد الشخص بما لا يقتل غالبا فيقتله كما اذا ضرب بصوت أو عصا فمات وانما جعل على ثلاثة أقسام لما أشرنا من قبل ان الزاجر ينبغي أن يكون بحيث يقاوم الداعية والمفسدة ولهما مراتب فلما كان العمد اكثر فسادا واشدد داعية وجب ان يغلظ فيه بما يحصل زيادة الزجر ولما كان الخطأ أقل فسادا وأخف داعية وجب ان يخفف في جزائه واستنبط النبي صلى الله عليه وسلم بين العمد والخطأ

نوعاً آخر لمناسبة منهما وكونه برزخا بينهما فلا ينبغي ان يدخل في أحدهما
فالعمد فيه قوله تعالى ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب
الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيما ظاهره انه لا يغفر له واليه ذهب ابن
عباس رضي الله عنهما لكن الجمهور وظاهر السنة على انه بمنزلة سائر
الذنوب وان هذه التشديدات للزجر وانها تشبيه لطول مكثه بالخلود واختلفوا
في الكفارة فان الله تعالى لم ينص عليها في مسئلة العمد قال الله تعالى ياأيها
الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد في العبد والانثى
بالانثى الآية نزلت في حيين من أحياء العرب أحدهما أشرف من الآخر
فقتل الاوضع من الاشرف قتلى فقال الاشرف لنقتلن الحر بالعبد
والذكر بالانثى ولنضاعفن الجراح ومعنى الآية والله اعلم ان خصوص الصفات
لا تعتبر في القتلى كالعقل والجمال والصغر والكبر وكونه شريفا أو ذا مال
ونحو ذلك وانما تعتبر الاسامى والمظان الكلية فكل امرأة مكافئة لكل
امرأة ولذلك كانت ديات النساء واحدة وان تفاوتت الاوصاف وكذلك
الحر يكافئ الحر والعبد يكافئ العبد فمعنى القصاص التكافؤ وأن يجعل اثنان
في درجة واحدة من الحكم لا يفضل أحدهما على الآخر لا القتل مكانه
البتة ثم اثبتت السنة أن المسلم لا يقتل بالكافر وان الحر لا يقتل بالعبد والذكر
يقتل بالانثى لان النبي صلى الله عليه وسلم قتل اليهودي بجارية وفي كتاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أقيال همدان ويقتل الذكر بالانثى
وسره ان القياس فيه مختلف ففضل الذكور على الاناث وكونهم
قوامين عليهن يقتضي ان لا اقاد بها وان الجنس واحد وانما
الفرق بمنزلة فرق الصغير والكبير وعظيم الجثة وحقيرها ورعاية مثل

ذلك عسيرة جداً ورب امرأة هي أتم من الرجال في محاسن الخصال تقتضى أن يقاد فوجب ان يعمل على القياسين وصورة العمل بهما انه اعتبر المقاصة في القود وعدم المقاصة في الدية وانما فعل ذلك لان صاحب العمد قصدها وقصد التعدي عليها والمتعمد المتعدي ينبغى أن يذب عنها اتم ذب فانها ليست بذات شوكة وقتلها ليس فيه حرج بخلاف قتل الرجال فان الرجل يقاتل الرجل فكانت هذه الصورة أحق بايجاب القود ليكون ردعا وزجرا عن مثله وقال صلى الله عليه وسلم لا يقتل مسلم بكافر (أقول) والسر في ذلك أن المقصود الاعظم في الشرع تنويه الملة الحنيفية ولا يحصل الا بأن يفضل المسلم على الكافر ولا يسوى بينهما وقال صلى الله عليه وسلم لا يقاد الوالد بالولد (أقول) السبب في ذلك أن الوالد شفقته وافرة وحدبه عظيم فاقدامه على القتل مظنة انه لم يتعمده وان ظهرت مخايل العمد اوكان لمعنى اباح قتله وليست دلالة هذه أقل من دلالة استعمال مالا يقتل غالبا على انه لم يقصد ازهاق الروح وأما القتل شبه العمد فقال فيه صلى الله عليه وسلم من قتل في عمية في رمي يكون فيهم بالحجارة أو جلد بالسياط أو ضرب بعصا فهو خطأ وعقله عقل الخطا (أقول) معناه انه يشبه الخطأ وانه ليس من العمد وان عقله مثل عقله في الاصل وانما تمايزا في الصفة أو انه لافرق بينه وبينه في الذهب والفضة * واختلفت الرواية في الدية المغلظة فقول ابن مسعود رضي الله عنه انها تكون أرباعا خمسا وعشرين جذعة وخمسا وعشرين حقة وخمسا وعشرين بنت لبون وخمسا وعشرين بنت مخاض وعنه صلى الله عليه وسلم الا ان في قتل العمد الخطا بالسوط أو العصا مائة من الابل منها أربعون خلفة في بطونها

أولادها وفي رواية ثلاثون حقة وثلاثون جذعة وأربعون خلفة وما صولحوا عليه فهو لهم * وأما القتل خطأ ففيه الدية المخففة المخمسة عشرون بنت مخاض وعشرون ابن مخاض وعشرون بنت لبون وعشرون حقة وعشرون جذعة وفي هذين القسمين انما تجب الدية على العاقلة في ثلاث سنين ولما كانت هذه الانواع مختلفة المراتب روعى في ذلك التخفيف والتغليظ من وجوه منها ان سفك دم القاتل لم يحكم به الا في العمد ولم يجعل في الباقين الا الدية وكان في شريعة اليهود القصاص لاغير فخفف الله على هذه الامة فجعل جزاء القتل العمد عليها أحد الامرين القتل والمال فلربما كان المال انفع للاولياء من الثأر وفيه ابقاء نسمة مسلمة ومنها ان كانت الدية في العمد واجبة على نفس القاتل وفي غيره تؤخذ من عاقلته لتكون مزجرة شديدة وابتلاء عظيما للقاتل بنهك ماله اشد انهاك وانما تؤخذ في غير العمد من العاقلة لان هدر الدم مفسدة عظيمة وجبر قلوب المصابين مقصود والتساهل من القاتل مثل هذا الامر العظيم ذنب يستحق التضييق عليه ثم لما كانت الصلة واجبة على ذوي الارحام اقتضت الحكمة الالهية ان يوجب شئ من ذلك عليهم أشاؤا أم أبوا وانما تعين هذه المعنيين أحدهما ان الخطأ وان كان مأخوذاً به لمعنى التساهل فلا ينبغي ان يبلغ به أقصى المبالغ فكان أحق ما يوجب عليهم من ذوي رحمهم ما يكون الواجب فيه التخفيف عليه والثاني ان العرب كانوا يقومون بنصرة صاحبهم بالنفس والمال عند ما يضيق عليه الحال ويرون ذلك صلة واجبة وحقا مؤكدا ويرون تركه عقوقا وقطع رحم فاستوجبت عادتهم تلك ان يبين لهم ذلك ومنها ان جعل دية العمد معجلة في سنة واحدة ودية غيره مؤجلة في ثلاث سنين لما ذكرنا معنى التخفيف

والاصل في الدية انها يجب أن تكون مالا عظيما يغلبهم وينقص من مالهم ويجدون له بالا عندهم ويكون بحيث يؤدونه بعد مقاساة الضيق ليحصل الزجر وهذا القدر يختلف باختلاف الاشخاص وكان اهل الجاهلية قدروها بعشرة من الابل فلما رأى عبد المطلب انهم لاينزجرون بها بلغها الى مائة وابقاها النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك لان العرب يومئذ كانوا أهل ابل غير ان النبي صلى الله عليه وسلم عرف ان شرعه لازم للعرب والعجم وسائر الناس وليسوا كلهم أهل ابل فقدر من الذهب الف دينار ومن الفضه اثنى عشر الف درهم ومن البقر مائتى بقرة ومن الشاء الفي شاة والسبب في هذا ان رجلا اذا وزع عليهم الف دينار في ثلاث سنين أصاب كل واحد منهم في سنة ثلاثة دنانير وشيء ومن الدراهم ثلاثون درهما وشيء وهذا شيء لايجدون لاقل منه بالا والقبائل تتفاوت فيما بينها يكون منها الكبيرة ومنها الصغيرة وضبط الصغيرة بخمسين فانهم أدني ما تتقرى بهم القرية ولذلك جعل القسامة خمسين يميناً متوزعة على خمسين رجلا والكبيرة ضعف خمسين فجعلت الدية مائة ليصيب كل واحد بعير او بعيران أو بعير وشيء في أكثر القبائل عند استواء حالهم والاحاديث التي تدل على ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا رخصت الابل خفض من الدية واذا غلت رفع منها فمعناها عندى انه كان يقضي بذلك على أهل الابل خاصة وأنت ان فتشت عامة البلاد وجدتهم ينقسمون الى أهل تجارات وأموال وهم أهل الحضر وأهل رعي وهم أهل البدو لايجاوزهم حال الا كثرين قال الله تعالى ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة الآية (اقول) انما وجب في الكفارة تحرير رقبة مؤمنة أو اطعام ستين مسكيناً ليكون طاعة مكفرة له فيما بينه وبين الله فان الدية

مزجرة تورث فيه الندم بحسب تضييق الناس عليه والكفارة فيما بينه وبين الله تعالى (قال) رسول الله صلى الله عليه وسلم لايحل دم امرىء مسلم يشهد ان لااله الا الله واني رسول الله الا باحدى ثلاث النفس بالنفس والثيب الزاني والمفارق لدينه التارك للجماعة (اقول) الاصل المجمع عليه في جميع الاديان انه انما يجوز القتل لمصلحة كلية لاتتأتي بدونه ويكون تركها أشد افسادا منه وهو قوله تعالى والفتنة أشد من القتل وعند ما تصدى النبي صلى الله عليه وسلم للتشريع وضرب الحدود وجب أن يضبط المصلحة الكلية المسوغة للقتل ولو لم يضبط وترك سدى لقتل منهم قاتل من ليس قتله من المصلحة الكلية ظناً انه منها فضبط بثلاث القصاص فانه مزجرة وفيه مصالح كثيرة قد أشار الله تعالى اليها بقوله ولكم في القصاص حياة ياأولى الالباب والثيب الزانى لان الزنا من أكبر الكبائر في جميع الاديان وهو من أصل ماتقتضيه الجبلة الانسانيه فان الانسان عند سلامة مزاجه يخلق على الغيرة أن يزاحمه أحد على موطوءته كسائر البهائم الا أن الانسان استوجب أن يعلم مابه اصلاح النظام فيما بينهم فوجب عليهم ذلك والمرتد اجترأ على الله ودينه وناقض المصلحة المرعية في نصب الدين وبعث الرسل وأما ما سوي هؤلاء الثلاث مما ذهبت اليه الامة مثل الصائل ومثل المحارب من غير أن يقتل أحدا عند من يقول بالتخيير بين اجزية المحارب فيمكن ارجاعه الي أحد هذه الاصول (واعلم) انه كان أهل الجاهلية يحكمون بالقسامة وكان أول من قضي بها أبو طالب كما بين ذلك ابن عباس رضي الله عنهما وكان فيها مصلحة عظيمة فان القتل ربما يكون في المواضع الخفية والليالى المظلمة حيث لاتكون البينة فلو جعل مثل هذا القتل هدر الاجترأ الناس عليه

ولعم الفساد ولو أخذ بدعوى أولياء المقتول بلا حجة لادعي ناس على كل من يعادونه فوجب أن يؤخذ بايمان جماعة عظيم تتقري بهاقرينةوهم خمسون رجلا فقضي بها النبي صلى الله عليه وسلم وأبدها واختلف الفقهاء في العلة التي تدار عليها القسامة فقيل وجود قتيل به أثر جراحةمن ضرب أو خنق في موضع هو في حفظ قوم كمحلة ومسجد ودار وهـذا مأخوذ من قصة عبد الله بن سهل وجد قتيلا بخيبر يتشحب في دمه وقيل وجود قتيل وقيام لوث على أحد انه القاتل بأخبار المقتول أو شهادة دون النصاب ونحوه وهذا مأخوذ من قصة القسامة التى قضي بها أبو طالب قال صلى الله عليه وسلم دية الكافر نصف دية المسلم (اقول) السبب في ذلك ما ذكرنا قبل انه يجب أن ينوه بالملة الاسلامية وأن يفضل المسلم على الكافر ولان قتل الكافر اقل افسادا بين المسلمين وأقل معصية فانه كافر مباح الاصل يندفع بقتله شعبة من الكفر وهو مع ذلك ذنب وخطيئة وافساد في الارض فناسب أن تخفف ديته وقضى صلى الله عليه وسلم في الاملاص بغرة عبد اوامة (اعلم) ان الجنين فيه وجهان كونه نفساً من النفوس البشرية ومقتضاه أن يقع في عوضه النفس وكونه طرفا وعضوا من أمه لايستقل بدونها ومقتضاه أن يجعل بمنزلة سائر الجروح في الحكم بالمال فروعى الوجهان فجعل ديته مالا هو آدمى وذلك غاية العدل * وأما التعدى على أطراف الانسان فحكمه مبنى على أصول * أحدها ان ما كان منها عمدا ففيه القصاص الا أن يكون القصاص فيه مفضيا الي الهلاك فذاك مانع من القصاص وفيه قوله تعالى النفس بالنفس والعين بالعين والانف بالانف والاذن بالاذن والسن بالسن والجروح قصاص فالعين بمرآة محماة والسن بالمبرد ولا تقلع لان في القلع

خوف زيادة الاذى وفي الجروح اذا كان كالموضحة القصاص يقبض على السكين بقدر عمق الموضحة فان كان كسر العظم فلا قصاص لانه يخاف منه الهلاك وجاء عن بعض التابعين لطمة بلطمة وقرصة بقرصة * والثاني ان ماكان ازالة لقوة نافعة في الانسان كالبطش والمشي والبصر والسمع والعقل والباءة ويكون بحيث يصير الانسان به كلا على الناس ولا يقدر على الاستقلال بأمر معيشته ويلحق به عار فيما بين الناس ويكون مثلة يتغير بها خلق الله ويبقى أثرها في بدنه طول الدهر فانه يجب فيها الدية كاملة وذلك لانه ظلم عظيم وتغيير لخلقه ومثلة به والحاق عار به وكان الناس لا يقومون بنصرة المظلوم بأمثال ذلك كما يقومون في باب القتل ويحقر أمره الظالم والحاكم وعصبة الظالم وعصبة المظلوم فاستوجب ذلك أن يؤكد الامر فيه ويبلغ مزجرته أقصى المبالغ والاصل فيه قوله صلى الله عليه وسلم في كتابه الى اهل اليمن في الانف اذا اوعب جدعة الدية وفي الاسنان الدية وفي الشفتين الدية وفي البيضتين الدية وفي الذكر الدية وفي الصلب الدية وفي العينين الدية وقال عليه السلام في العقل الدية ثم ما كان اتلافاً لنصف هذه المنفعة ففيه نصف الدية في الرجل الواحدة نصف الدية وفي اليد الواحدة نصف الدية وما كان اتلافاً لعشرها كأصبع من أصابع اليدين والرجلين ففيه عشر الدية وفي كل سن نصف عشر الدية وذلك لان الاسنان تكون ثمانية وعشرين وستة وعشرين والكسر الذي يكون بازاء نسبة الواحد الى ذلك العدد خفي محتاج الى التعمق في الحساب فأخذنا العشرين وواجبنا نصف عشر الدية والثالث ان الجروح التي لا تكون ابطالاً لقوة مستقلة ولا لنصفها ولا تكون مثلة وانما هي تبرأ وتندمل لا ينبغي ان تجعل

بمنزلة النفس ولا بمنزلة اليد والرجل فيحكم بنصف الدية ولا ينبغي ان يهدر ولا يجعل بازائه شي، فأقلها الموضحة اذ ما كان دونها يقال له خدش وخمش لاجرح الموضحة مايوضح العظم ففيه نصف العشر لان نصف العشر أقل حصة يعرف من غير امعان في الحساب وانما يبنى الامر في الشرائع على السهام والمعلوم مقدارها عند الحساب وغيره والمنقلة فيها خمسة عشر بعيرا لانها ايضاح وكسر ونقل فصار بمنزلة ايضاحات والجائفة والامة أعظما الجراحات فمن حقهما أن يجعل في كل واحدة منهما ثلث الدية لان الثلث يقدر به مادون النصف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه وهذه سواء يعنى الخنصر والابهام وقال الثنية والضرس سواء (اقول) والسبب ان المنافع الخاصة بكل عضو عضو لما صعب ضبطها وجب أن يدار الحكم على الاسامي والنوع واعلم ان من القتل والجرح مايكون هدرا وذلك لاحد وجهين أما أن يكون دفعا لشر يلحق به والاصل فيه قوله صلى الله عليه وسلم في جواب من قال يارسول الله أرأيت ان جاء رجل يريد أخذ مالى قال فلا تعطه مالك قال أرأيت ان قاتلنى قال قاتله قال أرأيت ان قتلنى قال فأنت شهيد قال أرأيت ان قتلته قال هو في النار وعض انسان انسانا فانتزع المعضوض يده من فمه فأندر ثنيته فاهدرها صلى الله عليه وسلم فالحاصل ان الصائل على نفس الانسان أو طرفه أو ماله يجوز دفعه بما أمكن فان انجر الامر الى القتل لااثم فيه فان الانفس السبعية كثيرا مايتغلبون في الارض فلو لم يدفعوا لضاق الحال وقال صلى الله عليه وسلم لو اطلع في بيتك أحد ولم تأذن له فحذفته بحصاة ففقأت عينه ما كان عليك من جناح وأما أن يكون بسبب ليس فيه تعدى لاحد وانما هو بمنزلة الآفات السماوية

والاصل فيه قوله صلى الله عليه وسلم العجماء جبار والمعدن جبار والبئر جبار (اقول) وذلك لان البهائم تسرح للمرعى فاذا أصابت أحدا لم يكن ذلك من صنع مالكها وكذلك اذا وقع في البئر أو انطبق عليه المعدن ثم ان النبي صلى الله عليه وسلم سجل عليهم أن يحتاطوا لئلا يصاب أحد منهم بخطافان من القرف التلف ومنه نهيه صلى الله عليه وسلم عن الخذف قال انه لايصاد به صيد لاينكأ به عدو ولكنه قد يكسر السن ويفقأ العين وقال صلى الله عليه وسلم اذا مر أحدكم في مسجدنا أو في سوقنا ومعه نبل فليمسك على نصالها أن يصيب أحدا من المسلمين منها وقال صلى الله عليه وسلم لايشير أحدكم الى أخيه بالسلاح فانه لايدرى لعل الشيطان ينزع من يده فيقع في في حفرة من النار وقال صلى الله عليه وسلم من حمل علينا السلاح فليس منا ونهى عليه السلام أن يتعاطى السيف مسلولا ونهى أن يقد السير بين أصبعين * وأما التعدى على أموال الناس فأقسام غصب واتلاف وسرقة ونهب أما السرقة والنهب فستعرفهما وأما الغصب فانما هو تسلط على مال الغير معتمدا على شبهة واهية لايثبتها الشرع واعتمادا على أن لايظهر على الحكام جلية الحال ونحو ذلك فكان حريا أن يعد من المعاملات ولا يبتنى عليه الحدود ولذلك كان غصب الف درهم لايوجب القطع وسرقة ثلاثة دراهم توجبه وأما الاتلاف فيكون عمدا وشبه عمد وخطأ ولكن الاموال لما كانت دون الانفس لم يجعل لكل واحد منها حكما وكفى الضمان عن جميعها زجرا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أخذ شبرا من الارض ظلما طوقه يوم القيامة من سبع أرضين (اقول) قد علمت مرارا أن الفعل الذى ينقض المصلحة المدنية ويحصل به الايذاء والتعدى يستوجب لعن

الملا الاعلى ويتصور العذاب بصورة العمل أو مجاوره وقال صلى الله عليه وسلم على اليد ما أخذت (أقول) هذا هو الاصل في باب الغصب والعارية يجب رد عينه فان تعذر فرد مثله ودفع عليه السلام صحفة في موضع صحفة كسرت وأمسك المكسورة (أقول) هذا هو الاصل في باب الاتلاف والظاهر من السنة انه يجوز ان يغرم في المتقومات بما يحكم به العامة والخاصة انه مثلها كالصحفة مكان الصحفة وقضى عثمان رضي الله عنه بحضر من الصحابة رضي الله عنهم على المغرور ان يفدي بمثل أولاده قال صلى الله عليه وسلم من وجد عين ماله عند رجل فهو أحق به ويتبع البيع من باعه (أقول) السبب المقتضي لهذا الحكم انه اذا وقعت هذه الصورة فيحتمل ان يكون في كل جانب الضرر والجور فاذا وجد متاعه عند رجل فان كانت السنة ان يهمله حتى يجد بائعه ففيه ضرر عظيم لصاحب المتاع فان الغاصب أو السارق اذا عثر على خيانته ربما يحتج بانه اشترى من انسان يذب بذلك عن نفسه وربما يكون السارق والغاصب وكل بعض الناس بالبيع لئلا يؤاخذ هو ولا البائع وفي ذلك فتح باب ضياع حقوق الناس وربما لا يجد البائع الا عند غيبة هذا المشترى فيؤاخذه فلا يجد عنده شيئاً فيسكت على خيبة وان كان السنة ان يقبضه في الحال ففيه ضرر للمشترى لانه ربما يبتاع من السوق لا يدرى من البائع وأين محله ثم يستحق ماله ولا يجد البائع فيسكت على خيبه وربما يكون له حاجة الى المتاع ويكون في قبض المستحق إياه حوالته على البائع فوت حاجته فلما دار الامر بين ضررين ولم يكن بد من وجود أحدهما وجب أن يرجع الى الامر الظاهر الذى تقبله افهام الناس من غير ريبة وهو هنا ان الحق تعلق بهذه العين والعين تحبس في العين المتعلق به إذا قامت البينة وارتفع الاشكال

وعلى هـذا القياس ينبغى أن تعتبر القضايا وقضي صلى الله عليـه وسـلم ان على أهل الحوائط حفظها بالنهار وان ماافسدت المواشي فهو ضامن على أهلها (أقول) السبب المقتضي لهذا القضاء انه اذا أفسدت المواشي حوائط الناس كان الجور والعذر مع كل واحد فصاحب الماشـية يحتج بانه لابد ان يسرح ماشـيته في المرعى والا هالـكت جوعا واتباع كل بهيمة وحفظها يفسد عليهم الارتفاقات المقصودة وانه ليس له اختيار فيما اتلفته بهيمته وان صاحب الحائط هو الذي قصر في حفظ ماله وتركه ضيعة وصاحب الحائط يحتج بان الحائط لاتكون الا خارج البـلاد فحفظها والذب عنها والاقامة عليها يفسد حاله وان صاحب الماشـية هو الذي سرحها في الحائط أو قصر في حفظها فلما دار الامر بينهما وكان لـكل واحد جور وعذر وجب ان يرجع الى العادة المألوفة الفاشية بينهـم فيبنى الجور على مجاوزتها والعادة ان يكون في كل حائط في النهار من يعمل فيه ويصلح أمره ويحفظه وأما في الليل فيتركونه ويبيتون في القرى والبلاد وان اهل الماشية يجمعون ماشيتهم بالليل في بيوتهم ثم يسرحونها في النهار للرعي فاعتبر الجور ان يجاوز العادة الفاشية بينهم وسئل صلى الله عليه وسلم عن التمر المعلق فقال من أصابه بفيه من ذى حاجة غير متخذ خبنة فلا شيء عليـه (اعـلم) ان دفع التظالم بين الناس انما هو ان يقبض على يد من يضر بالناس ويتعدى عليهم لاان يتبع شحهم وغمر نفوسهم ففي صورة الاكل من التمر المعلق غير المحرز الـكثير الذي لايشح منه بشبع انسان محتاج اذا لم يكن هناك مجاوزة حد العرف ولا اتخاذ خبنة ولا رمي الاشجار بالحجارة فان العرف يوجب المسامحة في مثله فمن ادعى في مثل ذلك فانه اتبع الشح وقصد الضرار فلا يتبع وأما

ما كان من ثمر مشفوه أو اتخاذ خبنة أو رمي الاشجار أو مجاوزة الحد في الاتلاف بوجه من الوجوه ففيه التعذير والغرامة وأما ابن الماشية فالاقيسة فيه متعارضة وقد بينها النبي صلى الله عليه وسلم فقاسها تارة على المتاع المخزون في البيوت فنهى عن حلبه وتارة على الثمر المعلق والاشياء غير المحرزة فاباح منه بقدر الحاجة لمن لم يجد صاحب المال ليستأذنه والاصل فيما اختلف فيه الاحاديث وأظهرت العلل أن يجمع باعتبار تلك العلل فحيثما جرت العادة ببذل مثله وليس هناك شح وتضييق وكانت حاجة جاز والا فلا وعلى مثل ذلك ينبغي أن يعتبر تصرف الزوجة في مال الزوج والعبد في مال سيده

﴿ فصل في الزنا ﴾

قال الله تعالى ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن قال النووي رحمه الله القول الصحيح في معناه لا يفعل هذه المعاصي وهو كامل الأيمان وقال صلى الله عليه وسلم اذا زنى العبد خرج منه الأيمان فكان كالظلة فاذا انقلع منها رجع اليه الأيمان وقال صلى الله عليه وسلم من زنى أو شرب الخمر نزع الله منه الأيمان كما يخلع الانسان القميص من رأسه وقال صلى الله عليه وسلم ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولا ينظر اليهم ولهم عذاب أليم شيخ زان وملك كذاب وعائل متكبر وقال صلى الله عليه وسلم أربعة يبغضهم الله البياع الحلاف والفقير المحتال والشيخ الزاني والامام الجائر وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال يارسول الله أي الذنب أعظم قال ان

تجعل لله ندا وهو خلقك قال قلت ثم أي قال ان تقتل ولدك مخافة ان يطعم معك قال قلت ثم أي قال ان تزاني حليلة جارك فانزل الله تصديقها والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون قال ابن القيم رحمه الله ذكر عليه السلام من كل نوع أعلاه فأعظم الشرك ان تجعل لله ندا وأعظم أنواع القتل أن يقتل ولده خشية أن يشاركه في طعامه وشرابه وأعظم أنواع الزنا أن تزني بحليلة جارك فان مفسدة الزنا تتضاعف بتضاعف ما انتهكه من الحق فالزنا بالمرأة التي لها زوج أعظم اثما وعقوبة من التي لا زوج لها اذ فيه انتهاك حرمة الزوج وافساد فراشه والحاق نسب به لم يكن منه وغير ذلك فان كان جارا له انضاف الى ذلك سوء الجوار وقد ثبت عنه عليه السلام انه قال لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه وأي بائقة أعظم من الزنا بامرأته فان كان الجار أخاه أو قريبا من أقاربه انضم الى ذلك قطيعة الرحم فيتضاعف الاثم فان كان الجار غائباً في طاعة الله كالصلاة وطلب العلم والجهاد تضاعف الاثم فان كانت المرأة رحما منه انضاف الى ذلك قطيعة رحمها فان كان الزاني محصنا كان الاثم أعظم فان كان شيخا كان أعظم اثما وهو أحد الثلاثة الذين لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم فان اقترن بذلك أن يكون في شهر حرام أو بلد حرام أو وقت معظم عند الله كاوقات وخص الصلاة وأوقات الاجابة تضاعف الاثم الله تعالى حد الزنا من بين الحدود بثلاث خصائص (أحدها) القتل فيه أشنع القتلات حيث جمع فيه بين العقوبة على البدن بالجلد وعلى القلب

بتغريبه عن وطنه سنة (الثانية) نهي عباده ان تأخذهم بالزناة رأفة في دينه (الثالثة) أمر الله سبحانه أن يكون حدهما بمشهد من المؤمنين

﴿ فصل في النهي عن شرب الخمر ﴾

قال الله تعالى يا أيها الذين أمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان الى قوله تعالى والله يحب المحسنين ذهب اكثر أهل العلم الى أن كل شراب مسكر كثيره فهو خمر وقليله حرام يحد شاربه لقوله صلى الله عليه وسلم كل مسكر خمر وكل مسكر حرام ومن شرب الخمر في الدنيا فمات وهو يد منها لم يتب منها لم يشربها في الآخرة وقال صلى الله عليه وسلم ان من العنب خمرا وان من التمر خمرا وان من العسل خمرا وان من البر خمرا وان من الشعير خمرا وعن ابن عمر رضي الله عنه قال خطب عمر رضي الله عنه على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انه نزل تحريم الخمر وهي من خمسة أشياء العنب والتمر والحنطة والشعير والعسل والخمر ماخامر العقل وأما الميسر فهو القمار وقال طاوس وعطاء ومجاهد كل شيء فيه قمار فهو من الميسر حتى لعب الصبيان بالجوز والكعاب وأما الانصاب فهي الاوثان سميت بذلك لانهم كانوا ينصبونها واحدها نصب والازلام يعني القداح التي كانوا يستقسمون بها واحدها زلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تكهن أو استقسم أو تطير طيرة ترده عن سفره لم ينظر الى الدرجات العلى من الجنة يوم القيامة رجس خبث من عمل الشيطان من تزيينه فاجتنبوه أي الرجس لعلكم تفلحون انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر قال قتادة كان الرجل يقامر على الاهل والمال ثم يبقى حزينا مسلوب الاهل والمال مغتاظا على حرفائه

ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون أي انتهوا لفظة
استفهام ومعناه الامر تقديره انتهوا وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا
مخالفة أمره وارتكاب منهيه فانما على رسولنا البلاغ المبين وعلينا الانتقام
قوله تعالى ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا الآية
سبب نزولها ان الصحابة قالوا لما نزل تحريم الخمر يارسول الله كيف باخواننا
الذين ماتوا وهم يشربون الخمر وا كلوا من مال الميسر فأنزل الله تعالى
ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا أي شربوا من الخمر
واكلوا من مال الميسر وروى أبو الليث السمرقندي رحمه الله عن عطاء
ابن السائب عن عبد الرحمن السلمي قال شرب نفر من أهل الشام الخمر
وعليهم يومئذ يزيد بن أبي سفيان وقالوا هي لنا حلال لان الله تعالى قال ليس
على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ماتقوا وآمنوا فكتب
فيهم الى أمير المؤمنين عمر بذلك فكتب عمر أن ابعث بهم الى فلما قدموا
على عمر جمع لهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فشاورهم في ذلك
فقالوا ياأمير المؤمنين افتروا على الله وشرعوا في دينه ما لم يأذن فاضرب
أعناقهم فان تابوا فاضربهم ثمانين فاستتابهم فضربهم ثمانين جلدة وقوله تعالى
اذا ماتقوا الشرك وآمنوا صدقوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا الخمر والميسر بعد
تحريمها ثم اتقوا ماحرم عليهم أكله وأحسنوا والله يحب المحسنين عن أنس
رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال بعثني الله تعالى هدي
ورحمة للعالمين وبعثنى لأمحق المعازف والمزامير وأمر الجاهلية والاوثان
وحلف ربي بعزته لايشرب عبد من عبيدى الخمر في الدنيا الاحرمها عليه في
الآخرة ولا يتركها عبد من عبيده الا سقاه الله يوم القيامة إياه في حظيرة

القدس وعن ابن المنكدر أنه قال يقول الله تعالى يوم القيامة أين الذين كانوا ينزهون أنفسهم وأسماعهم في الدنيا عن اللهو ومزامير الشيطان اجعلوهم في رياض المسك ثم يقول للملائكة أسمعوهم حمدى وثنائي وأخبروهم أن لاخوف عليهم ولاهم يحزنون وقال الله تعالى قل انما حرم ربي الفواحش ماظهر منها وما بطن والاثم وقال الحسن رحمه الله الاثم هو الخمر قال لبيد

شربت الاثم حتي ضل عقلى * كذاك الاثم يذهب بالعقول

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال رسول الله صلي الله عليه وسلم كل مسكر حرام وكل خمر حرام ومن شرب الخمر فى الدنيا فمات وهو مد منها لم يشربها في الآخرة رواه مسلم وعن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ان على الله عهدا لمن شرب المسكر أن يسقيه من طينة الخبال قيل وما طينة الخبال قال عرق أهل النار أو قال عصارة أهل النار رواه مسلم وقال صلى الله عليه وسلم مدمن الخمر كعابد وثن ان مات لقى الله كعابد وثن رواه احمد وقال أنس لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخمر عشرة عاصرها ومعتصرها وشاربها وحاملها والمحمولة اليه وساقيها وبائعها وآكل ثمنها والمشتري له وسأل طارق بن سويد النبي صلى الله عليه وسلم عن الخمر فنهاه فقال انما اصنعها للدواء فقال انه ليس بدواء ولكنه داء وعن عامر بن ياسر رضي الله عنه عن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال ثلاثة لايدخلون الجنة أبداً الديوث من الرجال والرجلة من النساء ومدمن الخمر قالوا يارسول الله أما مدمن الخمر فقد عرفناه فما الديوث قال الذى لايبالى بمن دخل على أهله قلنا فما الرجلة من النساء قال التي تشبه بالرجال رواه الطبراني وعن أم أيمن قالت أوصي رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض

أهله لاتشرك بالله شيأ وان عذبت أو خوفت أطع والديك وان أمراك أن تخرج من كل شيء هو لك فاخرج منه لاتترك الصلاة قد برئت منه ذمة الله إياك والخمر فانها مفتاح كل شر اياك والمعصية فانها تسخط الله ولا تفر من الزحف وان أصاب الناس الموتان وأنت فيهم فاثبت فيهم انفق من طوقك على أهل بيتك ولا ترفع عصاك عنهم أخفهم في الله

قال الفقيه أبو الليث رحمه الله اياك وشرب الخمر فان في شربها عشر خصال مذمومة * أولها اذا شرب الخمر يصير بمنزلة المجنون فيصير مضحكة الصبيان ومذموما عند العقلاء كما ذكر عن ابن أبي الدنيا أنه قال رأيت سكران في بعض سكك بغداد يبول ويتمسح بثوبه ويقول اللهم اجعلنى من التوابين واجعلني من المتطهرين وذكر أن سكرانا قاء في بعض الطريق وجاء كلب يلحس فمه وهو يقول ياسيدى ياسيدي * الثانى أنها مذهبة للعقل متلفة للمال كما قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه اللهم أرنا رأيك في الخمر فانها متلفة للمال ومذهبة للعقل وقد ورد في فضل العقل أحاديث منها أنه صلى الله عليه وسلم قال أول ماخلق الله تعالي العقل ثم قال له اقبل فأقبل ثم قال له أدبر فأدبر ثم قال وعزتي وجلالى ما خلقت خلقاً أكرم على منك بك آخذ وبك أعطي وبك أثيب وبك أعاقب وقال عليه الصلاة والسلام ان الاحمق ليصيبن بحمقه أعظم من فجور الفاجر بفجوره وانما يرتفع العباد غدا في الدرجات الزلفي من ربهم على قدر عقولهم وعن عمر رضي الله عنه قال ما اكتسب رجل مثل فضل علم يهدي به صاحبه الى الهدى ويرده عن الردى وما تم ايمان عبد ولا استقام دينه حتي يكمل عقله وقال عليه الصلاة والسلام ان الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم ولا يتم لرجل

حسن خلقه حتي يتم عقله فعند ذلك تم ايمانه وأطاع ربه وعصي عدوه ابليس والثالث أن شربها سبب للعداوة بين الاخوان والاصدقاء كما قال الله تعالى انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة البغضاء في الخمر والميسر وهو القمار والرابع أن شربها يمنعه عن ذكر الله وعن الصلاة كما قال الله تعالى ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون يعنى انتهوا عنها فلما نزلت هذه الآية قال عمر رضي الله عنه قد انتهينا يارب والخامس أن شربها يحمله على الزنا اذا شرب ربما يطلق امرأته ولا يشعر وروي عن بعض الصحابة أنه قال من زوج كريمته من شارب الخمر فكانما ساقها الي الزنا ومعناه ان شارب الخمر اذا سكر كثر كلامه فربما يجري الطلاق على لسانه فيطلق امرأته فتحرم وهو لا يشعر والسادس أنها مفتاح كل شر لأنه اذا شرب الخمر يسهل عليه جميع المعاصي والسابع انه يؤذي الحفظة بادخالهم في مجلس الفسق وبوجود الرائحة المنتنة منه فلا ينبغى ان يؤذى من لا يؤذيه والثامن انه أوجب على نفسه الجلد ثمانين جلدة فان لم يضرب في الدنيا فانه يضرب في الاخرة بسياط من نار على رؤوس الناس ينظر اليه الآباء والاصدقاء والتاسع أنه رد باب السماء على نفسه لا ترفع حسناته ولا دعائه أربعين يوما والعاشر أنه مخاطر بنفسه لانه يخاف عليه أن ينزع منه الايمان عند موته وفي كتاب الذخيرة يجب على آكل الحشيشة الحد والتعزير

﴿ فصل في النهي عن اتيان الكهان والمنجمين ﴾

وعن عائشة رضي الله عنها سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الكهان فقال ليسوا بشيء فقالوا يارسول الله انهم يحدثون أحياناً بشيء فيكون حقاً فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الكلمة من الحق

يخطفها الجني فيقرها في أذن وليه فيخلطون معها مائة كذبة رواه البخاري ومسلم وقال صلى الله عليه وسلم من أتى عرافا فسأله عن شيء فصدقه لم تقبل له صلاة أربعين يوماً رواه مسلم وقال صلى الله عليه وسلم من اقتبس علما من النجوم اقتبس شعبة من السحر زاد مازاد رواه أبو داود

﴿ فصل في الربا ﴾

قال الله تعالى الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس لا يقومون يعني يوم القيامة من قبورهم الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس أي يصرعه الشيطان من الجنون وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اجتنبوا السبع الموبقات قالوا يارسول الله وما هن قال الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق واكل الربا واكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال لعن رسول صلى الله عليه وسلم آكل الربا وموكله رواه مسلم زاد الترمذي وغيره وشاهديه وكاتبه وعن القاسم بن عبد الواحد الوراق قال رأيت عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه في السوق في الصيارفة فقال يامعشر الصيارفة أبشروا قالوا بشرك الله بالجنة بم بشرتنا ياأبا محمد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبشروا بالنار رواه الطبراني بأسناد لا بأس به وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع حق على الله ان لا يدخلهم الجنة ولا يذيقهم نعيمها مدمن الخمر وآكل الربا وآكل مال اليتيم بغير حق والعاق لوالديه رواه الحاكم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليأتين على الناس

زمان لا يبقى أحد الا آكل الربا فان لم يأكله أصابه من بخاره ويروى من غباره وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماأحد اكثر من الربا الا كان عاقبة أمره الى قلة رواه ابن ماجه والحاكم وقال صحيح الاسناد قيل ان الله عز وجل ماأحل الربا في شريعة قط قال الله تعالى وأخذهم الربا وقد نهوا عنه وقال عطاء الخراساني رحمه الله اذا كان خمس كان خمس اذا أكل الربا كان الخسف واذا جار الحكام كان قحط المطر واذا ظهر الزنا كان الموت واذا منعت الزكاة هلكت الماشية واذا تعدى على أهل الذمة كانت الدولة

﴿ فصل في المطل ﴾

في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال مطل الغنى ظلم وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلا تقاضي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأغلظ له فهم به أصحابه فقال دعوه فان لصاحب الحق مقالا واشتروا له بعيرا وأعطوه إياه قالوا لانجد الا أفضل من سنه قال اشتروه فاعطوه إياه فان خيركم أحسنكم قضاء وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نفس المؤمن معلقة بدينه حتى يقضي عنه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدى الله عنه ومن أخذها يريد اتلافها أتلفه الله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم القتل في سبيل الله يكفر كل شيء الا الدين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل يدعو صاحب الدين يوم القيامة فيقول يا ابن آدم أضعت حقوق الناس فيم أذهبت أموالهم فيقول يارب لم أفسده ولكن أصبت اما غرقا واما حرقا فيقول الله عز وجل أنا أحق من قضى عنك اليوم فيرجح حسناته على سيئاته فيأمر به الى الجنة

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الدين يقتص من صاحبه يوم القيامة اذا مات الا من تداين في ثلاث خلال الرجل تضعف قوته في سبيل الله فيستدين يتقوى به لعدو الله وعدوه ورجل يموت عنده رجل مسلم لايجد مايكفنه فيه ويواريه الابدين ورجل خاف على نفسه العزبة فينكح خشية على دينه فان الله يقضي عن هؤلاء يوم القيامة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مشى الى غريمه بحقه صلت عليه دواب الارض ونون الماء وكتب الله عزوجل له بكل خطوة شجرة تغرس في الجنة وذنبه يغفر فان لم يفعل ومطل فهو متعد وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدين راية الله في الارض فاذا أراد الله ان يذل عبده ابتلاه بالدين وجعله في عنقه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم والدين فانه هم بالليل ومذلة بالنهار

﴿فصل في التحذير من أكل الحرام﴾

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى طيب لايقبل الا طيبا وان الله تعالى أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال تعالى يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات مارزقناكم ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه الى السماء يارب يارب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذى بالحرام فانى يستجاب لذلك رواه مسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لايكسب عبد مالا حراما فيتصدق به فيقبل منه ولا ينفق منه فيبارك له فيه ولا يتركه خلف ظهره الا كان زاده

الى النار ان الله لايمحق السيء بالسيء ولكن يمحق السيء بالحسن ان الخبيث يمحو الخبيث وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي على الناس زمان لايبالي المرء ماأخذ منه أمن الحلال أو من الحرام وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل لحم نبت من حرام فالنار أولى به وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصاب مالا من مأثم فوصل به رحما أو تصدق به أو أنفقه في سبيل الله جمع الله ذلك جميعاً ثم قذفه في النار وقال سفيان الثوري من أنفق من الحرام في طاعة الله كان كمن طهر الثوب بالبول والثوب لا يطهره الا الماء والذنب لايكفره الا الحلال وقال ابن عباس رضي الله عنه لا يقبل الله صلاة امرىء وفي جوفه حرام

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الحلال بين وان الحرام بين وبينهما أمور مشتبهات لايعلمهن كثير من الناس فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى يوشك ان يرتع فيه الا وان لكل ملك حمى الا وان حمى الله محارمه الا وان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله الا وهى القلب رواه البخاري ومسلم وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم دع مايريبك الى مالا يريبك رواه النسائي والترمذي وقال حديث حسن صحيح وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لايبلغ العبد ان يكون من المتقين حتى يدع مالا بأس به حذرا مما به بأس وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أكل الحلال أربعين يوماً نور الله قلبه وأجرى ينابيع الحكمة من قلبه وفي رواية زهده الله في الدنيا وروى ان سعد اسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسأل الله

تعالى ان يجعله مجاب الدعوة فقال أطب طعمتك تستجب دعوتك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير دينكم الورع .

﴿ قسم العادات ﴾

﴿ فصل في أدب الزيارة ﴾

أداب الزيارة كثيرة منها انه اذا زار الانسان آخر لا يعرفه فالاولى أن يستصحب معه كتابا من أحد أصحابه يعرفه به أو يبدأ بتعريفه بنفسه ـ ومنها انه اذا زارك أحد قبل زيارتك إياه فلابد أن ترد الزيارة له وإلا عد ذلك علامة على التقاطع واذا كاتبك أحد فلا بد من مجاوبته صغيرا أو كبيرا ـ ولا تزر أحدا في غير وقت لائق بالزيارة ـ واذا جالسته فلا تتجشأ ولا تمخط بحيث يستقذر ذلك منك ولا تخلل أسنانك ولا أصابع رجليك ولا أذنك ولا تطيل الجلوس بعد انتهاء الحديث الا اذا كان ذلك يرضي صاحبك ـ وفي السنة أن تسلم على كل أحد لقيته عرفته أولم تعرفه أما في العوائد الحديثة فلا ينبغى أن يحييه حتى يعرفه به من يعرفه ويجب اتباع السنة ـ ولا يجب على الانسان أن يعطي لآخر جواب توصية ليعرفه بآخر الا اذا كان يستحق ذلك

لا يجب ان يصحب الانسان معه آخر في زيارة صديقه الا اذا أراد أن يعرفه به ـ وعند الزيارة يحيي الداخل صاحب الدار أولا ثم يشير بالسلام على الحاضرين ـ ومن السنة أن يشيع المضيف الضيف الى باب الدار ـ واذا دعاك أحد الناس الى مأدبة عنده فمن حسن الذوق أن تدعوه لمثلها ـ ولا يلزم التذلل في السلام والكلام بل اعطاء كل انسان

حقه فقط - وليس من حسن الذوق أن تمدح المزور في وجهه كثيراً - وليس من الادب أيضاً أن تسأله عن ثمن أمتعته أو ايراده أو خصوصياته - ومن حسن الادب أن لا تجعل جلسة الزيارة مشغولة بالغيبة - وليس من الادب أيضاً تكليف المزور بسماع القصص الطويلة أو أخبارك الخصوصية التي لا تهمه - وليس من الادب أيضاً المجادلة في أمور الدين أو السياسة أو نحوها في اثناء الزيارات - ولا تمدح نفسك أو لا تذكر شيئاً من أعمالك الجديرة بالثناء اثناء الزيارات والمجالسات - واذا حدث محدث بشيء تعلمه فلا تقاطعه ولا تظهر انك تعرفه - ولا تحتقر كلام احد أو تسفهه في اثناء ذلك بل قل فكرك بغاية البساطة - ولا تمزح مزحا يجرح النفوس - ومتى رأيت اغضاء من الجماعة عنك فارحل - وان استطعت أن تجعل أحسن كلامك آخره فافعل

ولا تكن امعة في المجلس ان رأى مادحا مدح أو ذاما ذم بل قل ماتعتقده حقا - وان لاتسيء الجلاس في المجلس فتمد رجلك أو تضطجع أو نحوه - ولا تدخل حتي تستأذن كما هي السنة

﴿ فصل في آداب الملبس ﴾

أول مايجب ان يراعي في الملبس ان لايوجد فيه شيء يشير الى قلة العقل اوالذوق وما يستلفت الانظار بالانتقاد سواء في شكل العمامة أومايلبس على الرأس او في ألوان الملبس او في طولها وقصرها . وان لا يتغالى الرجل في التزين بما يدل على التخنث والعبث او الاشر والبطر ولهذا نهى الشرع عن اطالة الثوب لما كان ذلك من عادة أهل الخيلاء في الجاهلية . ويراعي

في هذا كله اصطلاح اهل البلد والعرف فقد كان في الصدر الاول يلبس
الرجال الثياب ذات الالوان وفي الصحيحين عن البراء رضى الله عنه قال
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مربوعا وقد رأيته في حلة حمراء مارأيت
شيأ قط أحسن منه • وعن المغيرة بن شعبة ان النبي صلى الله عليه وسلم
لبس جبة رومية ضيقة الكمين ويجب أن لايلبس من وعن جابر رضى الله
عنه قال أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم زائراً فرأي رجلا شعثا قد
تفرق شعره فقال ما كان يجد هذا ما يسكن به رأسه ورأي رجلا عليه
ثياب وسخة فقال ما كان يجد هذا مايغسل به ثوبه • فلبس الثياب
الرثة والقذرة مخالف للشرع والعقل معا

ولا مانع شرعي يمنع المرء من أن يلبس نفيس الثياب مع الكمال
وكتب يحي بن يزيد للامام مالك بلغني أنك تلبس الرقيق وتأكل الرقاق
وتجلس على الوطيء وتجعل على بابك حاجبا وقد جلست مجلس العلم واتخذك
الناس اماما فاتق الله يامالك فكتب اليه مالك وصل الي كتابك فوقع
مني موقع النصيحة في الاشفاق والادب وأما ماذكرت فنحن نفعل علم الله
ذلك كله ونتلوا قوله تعالي قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات
من الرزق وروي اسمعيل بن عبد الله بن جعفر عن أبيه قال رأيت النبي
صلى الله عليه وسلم وعليه ثوبان مصبوغان بالزعفران رداء وعمامة وعن أبي
اسحق الشيباني قال مررت بمحمد بن الحنفية واقفا بعرفات وعليه برد وعليه
مطرف خزاصفر (الشيباني) عن ابن جريج ان ابن عباس كان يرتدى رداء
بألف (أبو حاتم) عن الاصمعي ان ابن عون اشترى برنسا فمر على معاذة
العدوية فقالت مثلك يلبس هذا قال قد ذكرت ذلك لابن سيرين فقال ألا

أخبرتها أن تميما الداري اشترى حلة بألف يصلي فيها (وقال) معمر رأيت قميص أيوب السختياني كاد يمس الارض فسألته عن ذلك فقال أن الشهرة كانت فيما مضي في تذييل القميص وانها اليوم في تشميره (وفي موطأ) مالك بن أنس رضى الله عنه ان جابر بن عبد الله قال خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة أنمار فبينا أنا نازل تحت شجرة اذ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت هلم يارسول الله الى الظل فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جابر وعندنا صاحب له نجهزه يذهب يرعى ظهرنا قال فجهزته ثم أدبر يذهب الى الظهر وعليه ثوبان قد أخلقا فنظر اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اله ثوبان غير هذين قلت بلى يارسول الله له ثوبان في العيد كسوته اياهما قال فأدعه فمره فليلبسهما قال فدعوته فلبسهما قال فدعوته فلبسهما ثم ولى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماله ضرب الله عنقه أليس هذا خيرا له قال فسمعه الرجل قال في سبيل الله يارسول الله فقتل الرجل في سبيل الله (العتبى) قال أصابت الربيع بن زياد الحارثي نشابة على جبينه فكانت تنتقض عليه في كل عام فاتاه على بن طالب عائدا فقال كيف تجدك ياأبا عبد الرحمن قال أجدني لو كان لايذهب مابي الاذهاب بصرى لتمنيت ذهابه قال له وما قيمة بصرك عندك قال لو كانت لى الدنيا فديته بها قال لاجرم ليعطينك الله على قدر ذلك ان شاء الله ان الله يعطي على قدر الالم والمصيبة وعنده بعد تضعيف كثير قال له الربيع ياأمير المؤمنين ألا أشكوا اليك عاصم بن زياد قال وماله قال لبس العباء وترك الملاء وغم أهله وأحزن والده فقال علي عاصما فلما أتاه عبس في وجهه وقال ويلك ياعاصم أتري الله أباح لك اللذات ويكره أخذك منها لانت أهون على الله من

ذلك أو ماسمعته يقول مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان ثم قال يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وقوله ومن كل تأكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها أما والله ان ابتذال نعم الله بالفعال أحب اليه من ابتذالها بالمقال وقد سمعته عز وجل يقول وأما بنعمة ربك فحدث ويقول قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق وان الله عز وجل خاطب المؤمنين بما خاطب به المرسلين فقال يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات مارزقناكم وقال يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً اني بما تعملون عليم فقال عاصم فعلام اقتصرت أنت يا أمير المؤمنين على لبس الخشن وأكل الخبيث قال ان الله افترض على ائمة العدل أن يقدروا لانفسهم بالقوام لئلا يتسع على الفقير فقره قال فما برح حتى لبس الملاء ونبذ العباء قدم حماد ابن سلمة البصرة فجاء فرقد السبخي وعليه ثياب صوف فقال له حماد ضع عنك نصرانيتك هذه فلقد رأيتنا ننتظر ابراهيم فخرج علينا وعليه معصفرة ونحن نري ان الميتة قد حلت له قال أبو الحسن المدائني دخل محمد بن واسع على قتيبة بن مسلم والي خراسان وعليه مدرعة صوف فقال له قتيبة أكلمك فلا تجيبني قال اكره ان اقول زهدا فازكي نفسي او اقول فقرا فاشكو ربي (قال ا)بن السماك لاصحاب الصوف والله لئن كان لباسكم وفقا لسرائركم لقد احببتم ان يطلع الناس عليها ولئن كان مخالفاً لها لقد هلكتم (وكان) القاسم بن محمد يلبس الخز وسالم بن عبد الله يلبس الصوف ومقعدهما واحد في مسجد المدينة فلا ينكر بعضهما على بعض شيأ

(التزين والتطيب) دخل رجل على محمد بن المنكدر يسأله عن التزين فوجده قاعدا على حشايا مصبغة وجارية تغلفه بالغالية فقال له يرحمك الله

جئت اسألك عن شيء فوجدتك فيه قال على هذا ادركت الناس (وفي حديث ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اياكم والشعث حتى لو لم يجد أحدكم الا زيتونة فليعصرها وليدهن بها (وقال) صلى الله عليه وسلم مانلت من دنياكم إلا النساء والطيب (وروي) مالك عن يحيي بن سعيدن ابا قتادة الانصارى قال يارسول الله ان لى جمة أفارجلها يارسول الله قال نعم وأكرمها قال فكان أبو قتادة ربما دهنها في اليوم مرتين (وروى) مالك عن زيد بن أسلم ان عطاء بن يسار أخبره قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد فدخل رجل ثائر الرأس واللحية فأشار اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن اخرج فاصلح رأسك ولحيتك ففعل ثم رجع فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم أليس هذا خيرا من أن يأتى أحدكم ثائر الرأس كأنه شيطان (وقد) تمادحت العرب بحسن الهيئة وطيب الرائحة فقال النابغة

رقاق النعال طيب حجزاتهم ... يحيون بالريحان يوم السباسب
يحييهم بيض الولائد بينهم ... وأكسية الا ضريح بين المساحب
يصونون أجساما قديما نعيمها ... بخالصة الاردان حضر المناكب

(وقال الفرزدق)

بنو دارم قومي ترى حجزاتهم ... عتاقا حواشيها رقاقا نعالها
يجرون هداب اليماني كأنهم ... سيوف جلا الاطباع عنها صقالها

(وقال طرفة)

أسد غيل فاذا ماشربوا ... وهبوا كل أمون وطمر
ثم راحوا عبق المسك بهم ... يلحفون الارض هداب الازر

(وقال كثير عزة)

أشم من الغادين في كل حلة يميسون في صبغ من العصب متقن
لهم أزر حمر الحواشي بطونها بأقدامهم في الحضرمي الملسن

(وقال الآخر)

من النفر الشم الذين اذا اعتزوا وهاب الرجال حلقة الباب قعقعوا
جلا الاذفر الاحوي من المسك فرقه وطيب الدهان رأسه فهو أنزع
اذا النفر السود اليمانون حاولوا له حول برديه أزفوا وأوسعوا

(وقال آخر)

يشبهون ملوكاً في محلتهم وطول أنضية الاعناق واللمم
اذا غدا المسك يجرى في مفارقهم راحوا كأنهم مرضى من الكرم

(وقال آخر في على بن داود الهاشمي)

أما أبوك فذاك الجود نعرفه وأنت اشبه خلق الله بالجود

﴿ اللباس والزينة والاواني ونحوها ﴾

اعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم نظر الى عادات العجم وتعمقاتهم في الاطمئنان بلذات الدنيا فحرم رؤسها وأصولها وكره مادون ذلك لانه علم ان ذلك مفض الى نسيان الدار الآخرة مستلزم للاكثار من طلب الدنيا فمن تلك الرؤس اللباس الفاخر فان ذلك أكبرهم وأعظم فخرهم والبحث عنه من وجوه منها الاسبال في القمص والسراويلات فانه لا يقصد بذلك الستر والتجمل اللذين هما المقصود ان في اللباس وانما يقصد به الفخر واراءة الغنى ونحو

ذلك والتجمل ليس الا في القدر الذي يساوي البدن قال صلى الله عليه وسلم لا ينظر الله يوم القيامة الى من جر ازاره بطرا وقال صلى الله عليه وسلم ازرة المؤمن الى انصاف ساقيه لاجناح عليه فيما بينه وبين الكعبين وما أسفل من ذلك ففي النار * ومنها الجنس المستغرب الناعم من الثياب قال صلى الله عليه وسلم من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه يوم القيامة وسره مثل ما ذكرنا في الخمر ونهي صلى الله عليه وسلم عن لبس الحرير والديباج وعن لبس القسي والمياثر والارجوان ورخص في موضع أصبعين أو ثلاث لانه ليس من باب اللباس وربما تقع الحاجة الى ذلك ورخص للزبير وعبد الرحمن بن عوف في لبس الحرير لحكة بهما لانه لم يقصد حينئذ بها الارفاه وانما قصد الاستشفاء ومنها الثوب المصبوغ بلون مطرب يحصل به الفخر والمراآة فنهي صلى الله عليه وسلم عن المعصفر والمزعفر وقال أن هذه من ثياب أهل النار وقال صلى الله عليه وسلم الاطيب الرجال ريح لالون له وطيب النساء لون لاريح له وقال عليه السلام أمن لبس ثوب شهرة في الدنيا البسه الله ثوب مذلة يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم من ترك لبس ثوب جمال تواضعا كساه الله حلة الكرامة * وبين قوله صلى الله عليه وسلم ان الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده وقال صلى الله علية وسلم اذا آتاك الله مالا فلتر نعمة الله وكرامته عليك لان هنا لك شيئين مختلفين في الحقيقة قد يشتبهان بادىء الرأي احدهما مطلوب والآخر مذموم فالمطلوب ترك الشح ويختلف باختلاف طبقات الناس فالذي هو في الملوك شح ربما يكون اسرافا في حق الفقير وترك عادات البدو واللاحقين بالبهائم واختيار النظافة ومحاسن العادات والمذموم الامعان في التكلف والمراآة والتفاخر بالثياب وكسر قلوب الفقراء

ونحو ذلك وفي الفاظ الحديث اشارات الى هذه المعاني كما لا يخفى على المتأمل ومناط الاجر ردع النفس عن اتباع داعية الغمط والفخر وكان صلى الله عليه وسلم اذا استجد ثوبا سماه باسمه عمامة أو قميصاً أورداء * ثم يقول اللهم لك الحمد كما كسوتنيه أسألك خيره وخير ماصنع له وأعوذ بك من شره وشر ماصنع له وقد مر سره من قبل ومن تلك الرؤس الحلى المترفة وههنا أصلان احدهما ان الذهب هو الذي يفاخر به العجم ويفضى جريان الرسم بالتحلى به الى الاكثار من طلب الدنيا دون الفضة ولذلك شدد النبي صلى الله عليه وسلم في الذهب وقال ولكن عليكم بالفضة فالعبوا بها والثاني أن النساء أحوج الى تزيين ليرغب فيهن أزواجهن ولذلك جرت عادة العرب والعجم جميعاً بأن يكون تزينهن أكثر من تزينهم فوجب أن يرخص لهن أكثر مما يرخص لهم ولذلك قال صلى الله عليه وسلم أحل الذهب والحرير للاناث من أمتي وحرم على ذكورها وقال صلى الله عليه وسلم في خاتم ذهب في يد رجل يعمد أحدكم الى جمر من نار فيجعله في يده ورخص عليه السلام في خاتم الفضة لاسيما لذي سلطان قال ولا تتمه مثقالا ونهى صلى الله عليه وسلم النساء عن غير المقطع من الذهب وهو ما كان قطعة واحدة كبيرة قال صلى الله عليه من أحب أن يحلق حبيبه حلقة من النار فليحلقه حلقة من ذهب وذكر على هذا الاسلوب الطوق والسوار وكذا جاء التصريح بقلادة من ذهب وخرص من ذهب وسلسلة من ذهب وبين المعنى في هذا الحكم حيث قال أما انه ليس منكن امرأة تحلى ذهباً تظهره الا عذبت به وكان لام سلمة رضى الله عنها أوضاح من ذهب والظاهر انها كانت مقطعة وقال صلى الله عليه وسلم حل الذهب للاناث معناه الحل في الجملة هذا ما يوجبه

مفهوم هذه الاحاديث ولم أجد لها معارضا ومذهب الفقهاء في ذلك معلوم مشهور والله أعلم بحقيقة الحال ومنها التزين بالشعور فان الناس كانوا مختلفين في أمرها فالمجوس كانوا يقصون اللحي ويوفرون الشوارب وكانت سنة الأنبياء عليهم السلام خلاف ذلك فقال صلي الله عليه وسلم خالفوا المشركين وفروا اللحي واحفوا الشوارب وكان ناس يحبون التشعث والتمهن والهيئة البذة ويكرهون التجمل والتزين وناس يتعمقون في التجمل ويجعلون ذلك أحد وجوه الفخر وغمط الناس فكان اخمال مذهبهم جميعاً ورد طريقهم احد المقاصد الشرعية فان مبنى الشرائع على التوسط بين المنزلتين والجمع بين المصلحتين وقال رسول الله صلي الله عليه وسلم الفطرة خمس الختان والاستحداد وقص الشارب وتقليم الاظفار الاظفار ونتف الابط ثم مست الحاجة الى توقيت ذلك ليمكن الانكار على من خالفه السنة ولئلا يصل المتورع الى الحلق والنتف كل يوم والمتهاون الى تركها سنة فوقت في قص الشارب وتقليم الاظفار ونتف الابط وحلق العانة ان لا يترك اكثر من أربعين ليلة وقال صلى الله عليه وسلم ان اليهود والنصارى لا يصبغون وكان اهل الكتاب يسدلون والمشركون يفرقون فسدل النبي صلى الله عليه وسلم ناصيته ثم فرق بعد فالسدل ان يرخى ناصيته على وجهه وهي هيئة بذة والفرق ان يجعله ضفيرتين ويرسل كل ضفيرة الى صدغ ونهى صلى الله عليه وسلم عن القزع أقول السر فيه انه من هيئات الشياطين وهو نوع من المثلة تعافها الانفس الا القلوب المؤفة باعتيادها وقال صلى الله عليه وسلم من كان له شعر فليكرمه ونهى عن الترجل الاغبا يريد التوسط بين الافراط والتفريط وقال صلى الله عليه وسلم لعن الله الواشمات والمستوشمات

والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله ولعن صلى الله عليه وسلم المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال (اقول) الاصل في ذلك ان الله تعالى خلق كل نوع وصنف مقتضيا لظهور أحكام في البدن كالرجال تلتحى وكالنساء يصغين الى نوع من الطرب والخفة فاقتضاؤها للاحكام لمعنى في المبدأ هو بعينه كراهية اضدادها ولذلك كان المرضي بقاء كل نوع وصنف على ماتقتضيه فطرته وكان تغيير الخلق سبباً للعن ولذلك كره النبي صلى الله عليه وسلم انزاء الحمير لتحصيل البغال فمن الزينة مايكون كالتقوية لفعل الطبيعة والتوطئة له والتمشية إياه كالكحل والترجل وهو محبوب ومنها مايكون كالمباين لفعلها كاختيار الانسان هيئة الدواب ومايكون تعمقا في ابداع مالا تقتضيه الطبيعة وهو غير محبوب اذا خلى الانسان وفطرته عده مثلة ومنها صناعة التصاوير في الثياب والجدران والانماط فنهي عنها النبي صلى الله عليه وسلم ومدار النهى شيآن أحدهما انها احد وجوه الارفاه والزينة فانهم كانوا يتفاخرون بها ويبذلون أموالا خطيرة وهذا المعنى موجود في صورة الشجر وغيرها وثانيهما ان المخامرة بالصور واتخاذها وجريان الرسم بالرغبة فيها يفتح باب عبادة الاصنام وينوه أمرها ويذكرها لاهلها وما نشأت عبادة الاصنام في اكثر الطوائف الامن هذه وهذا المعنى يختص بصورة الحيوان (اقول) لما كانت التصاوير فيها معنى الاصنام وقد تحقق في الملأ الأعلى داعية غضب ولعن على الاصنام وعبدتها وجب ان يتنفر منها الملائكة ومنها الاشتغال بالمسليات وهي مايسلى النفس عن هم آخرته ودنياه ويضيع الاوقات كالمعازف والشطرنج واللعب بالحمام واللعب بتحريش البهائم ونحوها فان الانسان اذا اشتغل بهذه الاشياء لها عن طعامه

وضرابه وحاجته وربما كان حاقناً ولا يقوم للبول فان جري الرسم بالاشتغال بها صار الناس كلا على المدينة ولم يتوجهوا الى اصلاح نفوسهم واعلم ان الغناء والدف في الوليمة ونحوها عادة العرب والعجم وديدنهم وذلك لمايقتضيه الحال من الفرح والسرور فليس ذلك من المسليات انما ميزان المسليات ما كان في زمانه صلى الله عليه وسلم في الحجاز وفي القري العامرة لاما كان الاشتغال به زائدا على الفرح والسرور المطلوبين كالمزامير قال صلى الله عليه وسلم من لعب بالنردشير فقد عصى الله ورسوله وقال صلى الله عليه وسلم ليكونن من امتى اقوام يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف . وقال صلى الله عليه وسلم اعلنوا النكاح واضربوا عليه بالدف فالملاهي نوعان محرم وهي الآلات المطربة كالمزامير ومباح وهو الدف والغناء في الوليمة ونحوها من حادث سرور وأما الحداء وهو في الاصل مايقصد به تهييج الابل لكن المراد هنا مطلق النشيد مع تأليف الالحان والايقاع فهو مباح فانه من المباسطات دون المسليات وأما اللعب بآلات الحرب كالمناضلة وتأديب الفرس واللعب بالرماح فليس من اللعب في الحقيقة لما فيه من مقصود شرعي وقد لعبت الحبشة بالحراب والدرق بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجده وقال صلى الله عليه وسلم لرجل يتبع حمامة شيطان يتبع شيطانة ونهى عليه السلام عن التحريش بين البهائم ومنها اقتناء عدد كثير من الدواب والفرش لايقصد بذلك كفاية الحاجة بل مرآة الناس والفخر عليهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فراش للرجل وفراش لامرأته والثالث للضيف والرابع للشيطان وقال صلى الله عليه وسلم يكون ابل للشياطين وبيوت للشياطين قال أبو هريرة رضى الله عنه اما ابل الشياطين فقد رأيتها يخرج أحدكم بنجيبات

معه قد اسمنها ولا يعلو بعيرا منها ويمر باخيه قد انقطع به فلا يحمله وكان اهل الجاهلية مولعين باقتناء الكلاب جمع كلب وهو حيوان ملعون فحرم النبي صلى الله اقتناءها وقال من اتخذ كلباً الا كلب ماشية او صيد او زرع انتقص من أجره كل يوم قيراط (اقول) والقيراط مخرج المثل يريد به الجزاء القليل ومنها استعمال أواني الذهب والفضة قال صلى الله عليه وسلم الذي يشرب فى اناء الفضة انما يجرجر في بطنه نار جهنم وقال صلى الله عليه وسلم لا تشربوا فى آنية الذهب والفضه ولا تأكلوا في صحافها فانها لهم في الدنيا ولكم في الآخرة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خمروا الآنية واوكوا الاسقية واجيفوا الابواب وا كفتوا صبيانكم عند المساء فان للجن انتشارا وخطفة واطفئوا المصابيح عند الرقاد فان الفويسقة ربما اجترت الفتيلة فاحرقت أهل البيت فان في السنة ليلة ينزل فيها وباء لا يمر باناء ليس عليه غطاء او سقاء ليس عليه وكاء الا نزل فيه من ذلك الوباء

﴿ فصل في آداب النظافة ﴾

يجب على المسلم أن يكون نظيفاً فان دينه يلزمه بذلك اذ فرض عليه الغسل والوضوء ولهذا كثيرا ما يكون نظيف الجسم بقدر ما ولكن العامة يغلب عليهم وسخ الثياب وقذرها حتى تفوح لهم الروائح الكريهة كأنهم بعض الانعام

قال الغزالي ويستحب تنظيف أمور في الجسم * الامر الاول ما يجتمع في شعر الرأس من الدرن بالغسل والترجيل والتدهين ازالة للشعث عنه

وكان صلي الله عليه وسلم يدهن الشعر ويرجله غبا ويامر به ويقول عليه السلام ادهنوا غبا وقال عليه الصلاة والسلام من كان له شعرة فليكرمها أي ليصنها عن الاوساخ ودخل عليه رجل ثائر الرأس أشعث اللحية فقال أما كان لهذا دهن يسكن به شعره ثم قال يدخل أحدكم كأنه شيطان * الثاني مايجتمع من الوسخ في معاطف الاذن والمسح يزيل مايظهر منه وما يجتمع في قعر الصماخ فينبغي أن ينظف برفق عند الخروج من الحمام فان كثرة ذلك ربما تضر بالسمع * الثالث مايجتمع في داخل الانف من الرطوبات المنعقدة الملتصقة بجوانبه ويزيلها بالاستنشاق والاستنثار * الرابع مايجتمع على الاسنان وطرف اللسان من القلح فيزيله السواك او المضمضة * الخامس مايجتمع في اللحية من الوسخ اذا لم يتعهد ويستحب ازالة ذلك بالغسل والتسريح بالمشط وفي الخبر المشهور انه صلى الله عليه وسلم كان لايفارقه المشط والمدري والمرآة فى سفر ولا حضر وهى سنة العرب قالت عائشة رضي الله عنها اجتمع قوم بباب رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج اليهم فرايته يسوي من رأسه ولحيته فقلت او تفعل ذلك يارسول الله قال نعم ان الله يحب من عبده أن يتجمل لاخوانه اذا خرج اليهم والجاهل ربما يظن ان ذلك من حب التزين للناس قياسا على أخلاق غيره وتشبيها للملائكة بالحدادين وهيهات فقد كان صلى الله عليه وسلم مأموراً بالدعوة وكان من وظائفه أن يسعي في تعظيم أمر نفسه فى قلوبهم كيلا تزدريه نفوسهم ويحسن صورته في أعينهم كيلا تستصغره أعينهم فينفرهم ذلك ويتعلق المنافقون بذلك في تنفيرهم وهذا القصد واجب على كل عالم تصدي لدعوة الخلق الى الله عز وجل وهو أن يراعي من ظاهره ما لا يوجب

نفرة النـاس عنـه والاعتماد في مثل هذه الامور على النية فانها الاعمـال فى أنفسها تكتسب الاوصاف من المقصود فالتزين على هذا القصد محبوب وترك الشعث في اللحية اظهارا للزهد وقلة المبالاة بالنفس محذور وتركه شغلا بما هو أهم منه محبوب وهذه أحوال باطنة بين العبد وبين الله عز وجل والناقد بصير والتلبيس غير رائج عليه بحال وكم من جاهل يتعاطي هذه الامور التفاتاً الى الخلق وهو يلبس على نفسـه وعلى غيره ويزعم ان قصـده الخير فترى جماعة من العلماء يلبسون الثياب الفاخرة ويزعمون ان قصدهم ارغام المبتدعة والمجادلين والتقرب الى الله تعالى به وهذا أمر ينكشف يوم تبلى السرائر ويوم يبعثر ما في القبور ويحصل ما في الصـدور فمند ذلك تتميز السبيكة الخالصة من المبهرجة فنعوذ بالله من الخزي يوم العرض الاكبر * السادس وسخ البراجم وهي معاطف ظهور الانامل كانت العرب لا تكثر غسل ذلك لتركها غسل اليد عقيب الطعام فيجتمع في تلك الغضون وسخ فأمرهم رسـول الله صلي الله عليـه وسلم بغسل البراجم * السابع تنظيف الرواجب أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم العرب بتنظيفها وهي رؤوس الانامل وما تحت الاظفار من الوسخ لانها كانت لا يحضرها المقراض في كل وقت فتجتمع فيها أوساخ فوقت لهم رسـول الله صلى الله عليه وسلم قلم الاظفار ونتف الابط وحلق العانة أربعين يوما لكنه أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتنظيف ماتحت الاظفار * الثامن الدرن الذى يجتمع على جميع البدن برشح العرق وغبار الطريق وذلك يزيله الحمام ولا بأس بدخول الحمام دخل أصحاب رسول الله صلى الله وسلم حمامات الشام وقال بعضهم نعم البيت بيت الحمام يطهر البدن ويذكر النار روي ذلك عن أبي الدرداء وأبي

أيوب الانصاوي رضي الله عنهما وقال بعضهم بئس البيت بيت الحمام يبدي العورة ويذهب الحياء فهذا تعرض لآفته وذاك تعرض لفائدته ولا بأس بطلب فائدته عند الاحتراز من آفته ولكن على داخل الحمام وظائف من السنن والواجبات * فعليه واجبان في عورته وواجبان في عورة غيره أما الواجبان في عورته فهو أن يصونها عن نظر الغير ويصونها عن مس الغير فلا يتعاطي أمرها وازالة وسخها الا بيده ويمنع الدلاك من مس الفخذ وما بين السرة الى العانة وفى اباحة مس ماليس بسوءة لازالة الوسخ احتمال ولكن الأقيس التحريم اذ ألحق مس السوأتين فى التحريم بالنظر فكذلك ينبغى أن تكون بقية العورة اعنى الفخذين * والواجبان في عورة الغير أن يغض بصر نفسه اه

ومن حسن الذوق عدم جعل اللحية في منظر تستكرهه الانظار من طول مفرط أو شكل منكر او تركها شعثة اظهارا الزهد او نحو ذلك . والخضاب سنة وفي الصحيحين انه صلى الله عليه وسلم قال ان اليهود والنصاري لا يصبغون فخالفوهم

وأما الشارب فذهب بعضهم الى حلقه لظاهر قوله صلى الله عليه وسلم احفروا وهو قول الكوفيين وذهب كثير منهم الى منع ذلك وبه قال مالك وكان يرى حلقه مثلة ويأمر بأدب فاعله

وفي الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم كره رؤية رجل عليه ثوب قذر ورائحة الجسم والثوب من أول ماتجب العناية به وكان رسول الله صلى الله وسلم يحب الطيب وروي النسائي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال حبب الى من دنيا كم النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة - وفي مسلم عنه

صلى الله عليه وسلم انه قال من عرض عليه طيب فلا يرده فانه خفيف المحمل طيب الرائحة

﴿ فصل في آداب الأكل ﴾

آداب الاكل كثيرة منها يلزم أن لا يبدأ أحد بالطعام حتي يبدأ من يستحق التقديم . ومنها أن لا يتصنع بالانقباض عن الطعام فلا يأكل ويخجل غيره ـ ومنها ان لا ينظر الي اصحابه حالة الاكل لئلا يستحوا ـ ومنها أن لا يفعل ولا يذكر ما يستقذر منه ـ ومنها أن لا يتجشأ ولا يتمخط ولا يبصق الابحيث لا يسمع ـ ومنها أن لا يسكتوا بل يتحدثوا بمستظرف الحديث وما لا يهيج الغضب أو الحزن ويقلل الشهوة ـ ومنها أن يأكل مما يليه وعن عمر بن أبي سلمة رضي لله عنهما قال كنت غلاماً في حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت يدي تطيش في الصحفة فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم سم الله تعالى وكل بيمينك وكل مما يليك رواه البخاري ومسلم ـ ومنها ان لا يكبر اللقم ـ ومنها أن لا يصوت باسنانه ومضغه ـ ومنها أن لا يدخل أصابعه في فمه ـ ومنهـا أن يقبض على الطعام بأطراف الاصابع حتى لا تتسخ يده ـ ومنها ان لا يكثر من القاء الفضلات أمامه وفتات الاكل ومنها أن لا يقال لكل شرب هنيئاً بل يكفى أن يقال ذلك لاول مرة يشرب فيها الآخر ـ ومنها أن لا يكثر من الدعوة على غيره بالاكل بل يقول له ذلك مرة أو مرتين فقط ـ ومنها أن لا يأكل الطعام وهو حار فانه مضرة ـ ومنها أن لا يتنفس في الطعام ـ ومنها أن لا يتخلل أمام الجماعة بعد الاكل ويطرح القذر بل يفعل ذلك بحيث لا يستقذر منه وبعود لا بيده ـ

ومنها أن لايعيب طعاما وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال ماعاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم طعاما قط ان اشتهاه اكله وان كرهه تركه رواه البخاري
وعن جابر رضى الله عنه ان النبي صلي الله عليه وسلم سأل أهله الادم فقالوا
ماعندنا الاخل فدعا به فجعل يأكل ويقول نعم الادم الخل نعم الادم الخل
رواه مسلم - ومنها أن لايأكل حتى يجوع واذا أكل ان لايشبع قال تعالي وكلوا
واشربوا ولا تسرفوا . ومنها أن يجعل الاكل اقاتا محدودة لايأكل في غيرها
حتى يتم هضمه فان ادخال الطعام على الطعام مضر للغاية . ومنها أن
لايشرب الا بعد الاكل بنحو ساعتين حتى لايعوق الهضم . ومنها أن
يجيد المضغ فان للهضم عاملان الاسنان والمعده فاذا لم يمضغ الاكل أحيل
عمل الاثنين على واحد وهى المعده فتضعف ولا تحسن الهضم . ولا يعيد
ماأخذ منه الى الصحن . ولا تتناول مابعد عنك كثيرا ولكن اذا شئت
فاطلب تقريبه منك . ومنها ان لا يأكل طعاما ظهر عليه الفساد فانه سم .
ولا يشرب عليه ماء ظهر له رائحة اوطعم وان كان الماء مصفى كان اولى . وان
يقسم طعام اليوم على أقسام ثلاثة فانه أولى من أن يأكله مرة واحدة اذ
ملأ المعده كثيراً يفسدها وان فسدت فسد الفكر والخلق . ومنها أن يعلم
ان الحمية رأس الدواء فلا يأكل مادامت المعدة لاتشتهي الطعام شهوة حقيقيه
ومنها أن لاينفض يده في الطبق أو الخوان أو يمسحها في الخبز . ومنها أن
لايغمس الدسم في الخل ولا الخل في الدسم حتي لايستقذر ذلك من معه
ولا يغمس في الطعام لقمه قطعها بسنه . ومنها أن لايأمر برفع الخوان حتى
ينتهى الآكلون واذا انتهوا وكان هو رب المنزل مد يده في الصحفة مرة
أخرى ليحملهم على العودة فان لم يعودوا أمر برفعه هذا أمر دقيق . ومنها

أن يراقب الآكلين فاذا انتهى خبز أحدهم أمر له بخبز . ومنها أن لايدخل يده في فمه ليخلله . ومنها ان لا يعمل عملا فكرياً بعد الاكل حتي لايعوق الهضم وذلك نحو ساعة أوساعتين . ومنها أن لاينام بعد الاكل ليلا حتي يهضم وأما في الظهر فلا بأس لان النوم لايطول . ومنها أن يعلم ان للجالسين معه حقوقا مثله في الطعام فلا يجور عليهم ولا يختار أطايبه لنفسه بل يأخذ حقه فقط ومنها أن لايقطع لاحد بيده بل اذا كان يعلم ان الآخر لايتأذى من قطع له فيقطع له بسكين أو نحوه . ومنها أن يحسن غسل يده وفمه بعد الاكل بشيء معطف كالصابون ونحوه لا بالماء فقط ومنها أن لايتطفل فيحضر مائدة لم يدع اليها . ومنها أن لا يزور أحدا في وقت طعامه ومنها أن لايقترح على أحد ان يدعوه مالم يعلم ان ذلك يسره . ومنها أن يجب الداعى اذا دعاه مالم يكن عنده عذر فيعتذر كتابه قبل يوم الدعوة فان ترك ذلك من قلة الذوق . واذا حضر يحضر في الميعاد تماما حتي لايحضر وهم جلوس أو يحملهم على طول الانتظار . ومنها أن لايزاحم الجلوس في المائدة اذا كثر عليها الناس . وتزيين المائدة وحسن ترتيبها في الولائم يعد من حسن الادب

قال النبي صلي الله عليه وسلم الاكل في السوق دناءة وقال صلي الله عليه وسلم اذا اكل أحدكم فيأكل بيمينه ويشرب بيمينه فان الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله (وقال) صلى الله عليه وسلم سموا اذا اكلتم واحمدوا اذا فرغتم (وقال) صلى الله عليه وسلم الوضوء قبل الطعام ينفي الفقر وبعد الطعام ينفي اللمم (ومن) الادب في الوضوء أن يبدأ صاحب البيت فيغسل يده قبل الطعام ويتقدم أصحابه الى الطعام (وقالوا) كان ابن هبيرة يباكر

الغداء فسئل عن ذلك فقال ان فيه ثلاث خصال أما الواحدة فانه ينشف المرة والثانية يطيب النكهة والثالثة انه يعين على المروأة قيل وكيف يعين على المروأة قال اذا خرجت من بيتى وقد تغديت لم أتطلع الى طعام أحد من الناس (البطنة وقولهم فيها) قالوا البطنة تذهب الفطنة (وقال) مسلمة بن الملك لملك الروم ما تعدون الاحمق فيكم قال الذي يملأ بطنه من كل ما وجد (ورأى) أبو الاسود الدؤلي رجلا يلقم لقما منكراً فقال كيف اسمك قال لقمان قال صدق الذي سماك (ورأى) اعرابي رجلا سمينا فقال له أرى عليك قطيفة من نسج أضراسك الحمص ذات خققاين من العراق فاضرب فيها كما يضرب الولى السوء فى مال اليتيم

(وقال اعرابي) ألا ليت لي خبزاً تسربل رائبا * وخيلا من البرني فرسانها زبد

فاطلب فيما بينهن شهادة * بموت كريم لا يعذله احد

(واصطحب) شيخ وحدث من الاعراب في سفر وكان لهما قرص في كل يوم وكان الشيخ مخلع الاضراس وكان الحدث يبطش بالقرص ويقعد يشكو العشق والشيخ يتضور جوعا وكان الحدث يسمي جعفرا فقال الشيخ فيه

لقد رابني من جعفر ان جعفرا * يطيش بقرصي ثم يبكي الى جمل

فقلت له لو مسك الحب لم تبت * بطينا وانساك الهوى شدة الاكل

(الاصمعي) قال تقول العرب في الرجل الا كول انه برم قرون البرم الذي يأكل مع الجماعه ولا يجعل شيأ والقرون الذي يأكل تمرتين تمرتين ويأكل أصحابه تمرة تمرة وقد نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن القران (وكان) عبد الله بن الزبير اذا قدم التمر الى أصحابه قال عبد الله بن عمر اياكم

والقران فان النبي صلى الله عليه وسلم نهي عنه (قيل) لبسرة الاحول كم تأ كل كل يوم قال من مالي أو من مال غيرى قيل له من مالك قال مكوك قيل فمن مال غيرك قال اخبزوا واطرحوا (وقال) رجل من العراق في قينة حفص الكاتب

قينة حفص ويلها * فيها خصال عشره
أولها ان لها * وجها قبيح المنظره
ودارها في وهدة * أوسع منها القنطرة
تأكل في قعدتها * ثورا يرى او بقره

(وقال أبو اليقظان) كان هلال بن سعد التميمي أكولا فيزعمون انه أكل جملا وأكلت امرأته فصيلا فلما أراد أن يجامعها لم يصل اليها فقالت له وكيف تصل إلى وبيني وبينك بعيران (وكان) الواثق واسمه هرون ابن محمد ابن هرون أكولا وكان مفتوناً بحب الباذنجان وكان يأكل في أكلة واحدة أربعين باذنجانة (وكان) سليمان بن عبدالملك من الاكلة حدث عنه العتبي عن أبيه عن الشمردل العاص قال لما قدم سليمان الطائف دخل هو وعمر بن عبد العزيز وأيوب ابنه بستاناً لعمرو بن العاص فجال فيه ساعة ثم قال ناهيكم بمالكم هذا مالا ثم القى صدره على غصن وقال ويلك ياشمردل ماعندك شيء تطعمني قال بلى ان عندى جديا تغدو عليه بقرة وتروح اخري قال عجل به فأتيته به كانه عكة سمن فأكله وما دعا عمر ولا ابنه حتي إذا بقي الفخد قال هلم ابا حفص قال اني صائم فأتي عليه ثم قال ويلك ياشمردل ماعندك شئ تطعمني قال بلى والله عندي خمس دجاجات هنديات كأنهن ربلات النعام قال فأتيت بهن فكان يأخذ برجلي الدجاجة فيلقى عظامها بفيه

حتي أتى عليهن ثم قال ياشمردل ماعنـدك شيء تطعمنى قلت بلى والله ان عندي حريرة كأنها قراضة الذهب فقال عجل بها فأتيته بعس تغيب فيه الرأس فجعل يلاقيها بيده ويشرب فلما فرغ تجشأ فكأنما صاح فى جب ثم قال ياغلام أفرغت من غدائى قال نعم قال وما هو قال ثمانون قدرا قال ائتنى بها قدرا قـدرا قال فأ كثر ما أ كل من كل قدر ثلاث لقم وأقل ما أ كل لقمة ثم مسح يده واستلقي على فراشه ثم أذن للناس ووضعت المائدة وقعد فأ كل مع الناس فما انكرت من اكله شيأ (وقال الاصمعي) كنت يوماً عنـد هرون ألرشـيد فقـدمت اليه فالوذجة فقال ياأصمعي قلت لبيك ياأمير المؤمنين قال حدثني بحديث مزود أخي سماح قلت نعم ياأمير المؤمتين انه كان رجلا جشعانهما وكانت أمه تؤثر عيالها بالزاد عليه وكان ذلك مما يضربه ويحفظه فذهبت يوماً في بعض حقوق اهلها وخلفت مزودا في بيتها ورحلها فدخل الخيمة فأخذ صاعين من دقيق وصاعا من عجوه وصاعا من سمن فضرب بعضه ببعض فأ كله ثم انشد يقول

ولما مضت امي تزور عيالهـا ... أغرت على العكم الذي كان تمنع

خلطت بصاعي على حنطة صاع عجـ ... ـوة الى صاع سمن فوقه يتربع

وذيلت أمثـال الاثافي كأنهـا ... رؤوس رجال قطعت لاتجمع

وقلت لبطني أبشري اليـوم انه ... حمى آمن مما تفيد وتجمع

فان كنت مصفورا فهذا دواؤه ... وان كنت غرثانا فذايوم تشبع

قال فاستضحك هرون حتى امسك واستلقي على ظهره ثم قعد فمـد يده وقال خذ فذا يوم تشبع ياأصمعي (وقال حميد) الارقط وهو الذى هجا الاضياف يصف ا كل الضيف

مابين لقمته الاولى اذا انحدرت ... وبين أخرى تليها قيد أظفور

(وقال أيضا)

يجهز كفاه ويحدر حلقه ... الى الزور ماضمت عليه الانامل

أتانا وما ساواه سحبان وائل ... بيانا وعلما بالذي هو قائل

فما زال عنه اللقم حتي كانه ... من السعي لما ان تكلم باقل

(وقال)

لاأبغض الضيف مابي حل مأ كله ... الا بنفخته حولى اذا قعدا

مازال ينفخ جبنيه وحبوته ... حتى اقول لعل الضيف قد ولدا

(وقال)

لامرحبا بوجوه القوم اذ نزلوا ... دسم العمائم تحكيها الشياطين

فأصبحو اوالنوى عالى معرسهم ... وليس كل النوي تلقى المساكين

(أبو الحسن) المدائنى قال ارسل نصراني الى سليمان بن عبد الملك وهو بدابق سلين أحدهما مملوء أبيضا والآخر مملوءاً تيناً فقال اقشروا فجعل يأ كل بيضة وتينة حتى فرغ من السلين ثم أتوه بقصعة مملوءة مخاً بسكر فأ كله فاتخم ومرض فمات (والأ كله) كلهم يعيبون الحمية ويقولون الحمية احدي العلتين (وقالوا) من احتمي فهو على يقين من المكروه وهو في شك من العاقبة (وقالوا) الحمية للصحيح ضارة للعليل نافعة (الحمية وقولهم فيها) قيل لبقراط مالك تقل الاكل جدا قال اني انما آكل لاحيا وغيرى يحيا ليأ كل (وأجمعت) الاطباء ان رأس الداء كله ادخال الطعام على الطعام (وقالوا) احذروا ادخال اللحم على اللحم فانه ربما قتل السباع في القفر وا كثر العلل كلها انما يتولد من فضول الطعام والحمية مأخوذة عن النبي صلى الله عليه

وسلم رأي صهيبا يأكل تمرا وبه رمد فقال أتأكل تمراوأنت أرمد (ودخل) على على رضي الله عنه وهو عليل وبيده عنقود عنب فنزعه من يده وقال عليه الصلاة والسلام لاتكرهوا مرضاكم على الطعام والشراب فان الله يطعمهم ويسقيهم (وقيل) للحرث بن كلدة طبيب العرب ماأفضل الدواء قال الازم يريد قلة الاكل (وقيل) لآخر ما أفضل الدواء قال أن ترفع يدك عن الطعام وأنت تشتهيه (أبو الاشهب) عن أبي الحسن قال قيل للمنذر بن جندب ان ابنك اذا أكل طعاما كظه حتي كاد أن يقتله قال لو مات ماصليت عليه (ودعا) عبد الملك بن مروان رجلا الي الغداء فقال مافي فضل ياأمير المؤمنين قال لاخير في الرجل يأكل حتى لايكون فيه فضل (وقال الاحنف بن قيس) جنبوا مجالسنا ذكر النساء والطعام فاني أبغض الرجل يكون وصافا لبطنه وفرجه (وقيل) لبعض الحكماء أي الادواء أطيب قال الجوع الدواد (وقال) رجل من أهل الشام لرجل من أهل المدينة عجبت منكم ان فقهاءكم اظرف من فقهائنا ومجانينكم أظرف من مجانينا قال اوتدري من اين ذلك قال لاأدري قال من الجوع الا تري ان العود انما صفا صوته لما خلا جوفه (وقال الجاحظ) كان ابو عثمان الثوري يجلس ابنه معه ويقول له اياك يابني ونهم الصبيان واخلاق النوائح ونهش الاعراب وكل مما يليك واعلم انه اذا كان في الطعام لقمة كريمة أو مضغة شهية أو شيء مستظرف فانما ذلك للشيخ المعظم أو للصبي المدلل ولست بواحد منهما وقد قال مدمن اللحم كمعن الخمر أي بنى عود نفسك الأثرة ومجاهدة الهوي والشهوة ولا تنهش نهش السباع ولا تخضم خضم البراذين ولا تدمن الأكل ادمان النعاج ولا تلقم لقم الجمال فان الله جعلك انسانا فلاتجعل نفسك بهيمة واحذر

سرعة الكظة وسرف البطنة فقد قال بعض الحكماء اذا كنت نهما فعد نفسك من الزمنى واعلم ان الشبع داعية الى البشم والبشم داعية الى السقم والسقم داعية الموت ومن مات هذه الميتة فقد مات ميتة لئيمة لانه قاتل نفسه وقاتل نفسه ألام من قاتل غيره أي بنى والله ماأدي حق الركوع ذو كظة ولا خشع لله ذو بطنة والصوم مصحة والواجبات عيش الصالحين أي بنى لامر ماطالت أعمار الهند وصحت أبدان العرب ولله در الحرث بن كلدة اذ زعم ان لدواء هو الازم فالداء كله من فضول الطعام فكيف لا ترغب في شيء يجمع لك صحة البدن وذكاء الذهن وصلاح الدين والدنيا والقرب من عيش الملائكة أي بنى لم قال الرسول عليه الصلاة والسلام ان الصوم وجاء الا لانه حجابا دون الشهوات فافهم تأديب الله عز وجل وتأديب رسوله عليه الصلاة والسلام أي بنى قد بلغت تسعين عاما مانقص لى سن ولا انقشر لى عصب ولا عرفت دنين انف ولا سيلان عين ولا سلس بول مالذلك علة الا التخفيف من الزاد فان كنت تحب الحياة فهذه سبيل الحياة وان كنت تحب الموت فلا أبعد الله غيرك

﴿ آداب الطعام ﴾

اعلم ان النبي صلى الله علية وسلم علم آداباً يتأدبون فيها في الطعام قال صلى الله علية وسلم بركة الطعام الوضوء قبله والوضوء بعده . وقال صلى الله عليه وسلم كيلوا طعامكم يبارك لكم وقال عليه السلام اذا اكل احدكم طعاماً فلا يأكل من اعلى الصحفة ولكن ليأكل من اسفلها (اقول) من البركة تشبع النفس وتقر العين ويجمع الخاطر ولا يكون هاتاً لاعاً كالذى

يأكل ولا يشبع وتفصيل ذلك انه ربما يكون رجلان عند كل منهما مائة درهم احدهما يخشى العيلة ويطمع في أموال الناس ولا يهتدي لصرف ماله فيما ينفعه في دينه ودنياه والآخر متعفف يحسبه الجاهل غنيا مقتصدا فى معيشته منجما في نفسه فالثاني بورك له في ماله والاول لم يبارك له وان لهيآت النفس وعقائدها مدخلا في ظهور البركة وهو قوله صلى الله عليه وسلم فمن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه وكان كالذى يأكل ولا يشبع ولذلك تزلق رجل الماشي على الجذع في الجو دون الارض فاذا أقبل على شيء بالهمة واراد به أن يقع كفاية عن حاجته وجمع نفسه في ذلك كان سبب قرة عينه وانجماع خاطره وتعفف نفسه فاذا غسل يديه قبل الطعام ونزع النعلين واطمأن مجلسه واخذه اعتدادا به وذكر اسم الله أفيضت عليه البركة واذا كال الطعام وعرف مقداره واقتصد في صرفه وصرفه على عينه كان أدنى أن يكفيه أقل مما لا يكفى الآخرين واذا جعل الطعام بهيئة منكرة تعافها الانفس ولا تعتد به لاجلها كان أدنى أن لا يكفى أكثر مما يكفى الآخرين كيف ولا أظن ان احدا يخفى عليه ان الانسان ربما يأكل الرغيف كهيئة المتفكه أو يأكله وهو يمشى ويحدث فلا يجد له بالا ولا يرى نفسه قد اغتذت ولا تشبع به نفسه وان امتلأت المعدة وبالجملة لوجود البركة وعدمها أسباب طبيعيه * أما غسل اليد قبل الطعام ففيه ازالة لوسخ وأما غسلها بعده ففيه ازالة الغمر وكراهية أن يفسد عليه ثيابه أو يخدشه سبع او تلدغه هامة وهو قوله صلى الله عليه وسلم من بات وفي يده غمر لم يغسله فاصابه شيء فلا يلومن الا نفسه * قال صلى الله عليه وسلم اذا اكل أحدكم فليأكل بيمينه واذا شرب فليشرب

بيمينه وقال صلى الله عليه وسلم لا يأكل أحدكم بشماله ولا يشرب بشماله وقال صلى الله عليه وسلم اذا اكل أحدكم فنسي أن يذكر اسم الله على طعامه فليقل بسم الله أوله وآخره

﴿ فصل في آداب الشرب ﴾

في الصحيحين انه صلى الله عليه وسلم نهى أن يتنفس في الآناء وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم نهي أن يتنفس في الآناء أو ينفخ فيه رواه الترمذي عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتي بلبن قد شيب بماء وعن يمنه اعرابي وعن يساره أبوبكر فشرب ثم اعطي الاعرابي وقال الايمن فالايمن وعن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه نهي أن يشرب الرجل قائما قال قتادة قلنا لأنس فالاكل فقال ذلك أشر أو أخبث رواه مسلم وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال سقيت النبي صلى الله عليه وسلم من زمزم فشرب وهو قائم رواه البخاري ومسلم وفي صحيح البخاري أن عليا رضي الله عنه شرب وهو قائما وقال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم فعل كما رأيتموني فعلت قال النووي رحمه الله في شرح مسلم الصواب في هذه الاحاديث أن النهي محمول على كراهة التنزيه وأما شربه قائما فلبيان الجواز

﴿فصل في آداب العرس﴾

يجب على الرجل ان لا يتزوج إلا من رآها أو رأي صورتها وقد اجازت له الشريعة الغراء رؤية الوجه واليدين ثم اذا عزم على تزوجها اصدقها صداقا

معتدلا اذا المبالغة في الصداق ليست من السنن الشرعية . وكذلك الملابس ونحوها لايكثر منها فوق العادة لانه قد يتغير شكل اللبس فتذهب عبثا. واذا احتفل للعرس زين وبهرج واطعم واولم ودعى الاصدقاء والمعارف ووجوه البلدة يجب عليه من اول الامران يحدد المبلغ اللازم صرفه بعد عمل الحساب الدقيق وأن لا يكون هذا المبلغ مما يضر بحالته مطلقا ولايكون قرضه أو يتكلف له بيع شيء مما يملك فان كثيرا ما تحمل لذة الفرح والسرور الى الاسرار في ذلك فوق الطاقة فيبدأ الخراب فى البيت من يوم العرس وكل بذخ وتفاخر في هذا باطل لانه لا يمضي على العرس سنة أو سنتين حتى لايعود يلدك أحد يتذكره ولا يشكر صاحبه عليه مطلقا وليس ايجاد السرور وحسن الوضع فى وقت العرس متوقفان على كثرة بذل المال بل قد يكون في الغالب على حسن المعرفة وسلامة الذوق في ترتيب الامور

وكذلك اطالة ايام العرس بجعلها اسبوعا ونحوه ليس من الحكمة والعقل في شيء بل الاولى أن لاتكون الا يوما واحدا فانه اجمع لحسن الوضع وأوفر في المصرف

ومن أقبح الامور العادة الجارية في فض بكارة العروس ساعة الدخول بها على مسمع من الحاضرين فانه امر غير شرعى ولا يوافقه عقل ولا ادب

وجرت العادة اهداء الهدايا في العرس والاصل فيها مساعدة اصحاب الفرح وتهيئة ما يلزم للعروسين فكان يردانها لاصحابها في أفراحهم وكان ذلك مبدأ من مبادئ التعاون وقد زالت عندنا هذه العادة من بين الرجال وبقيت عند النساء في الطبقة العليا ولكنهن

لاينتفعن بها فان كل واحدة من المدعوات تهدى ليلة الزفاف للعروس شالا من الكشمير أو اكثر فيجتمع من هذه الشيلان عدد كثير فيبيعها هؤلاء دون قيمها ثم تباع مرة اخري لاصحاب فرح آخر فيكون المكسب دائما للتاجر . مع ان الاولى اهداء مايلزم للعروسين حتي انه عند بعض الامم يسألان عما ينقصهما فيهدي اليهما . فالاول الرجوع الى اهداء الهدايا للرجال والنساء واهداء مايلزم او نسخ ذلك وابطاله بالكلية

﴿ فصل في الغناء ﴾

قال بعض اهل التفسير في قول الله تعالى يزيد في الخلق مايشاء هو الصوت الحسن (وقال النبي صلى الله عليه وسلم لابي موسي الاشعرى لما اعجبه حسن صوته لقد اوتيت مزمارا من مزامير آل داود (وزعم) أهل الطب ان الصوت الحسن يسري في الجسم ويجرى في العروق فيصفو له الدم ويرتاح له القلب وتنمو له النفس وتهتز الجوارح وتخف الحركات ومن ذلك كرهون الطفل ينوم على أثر البكاء حتي يرقص ويطرب (وقالت) ليلى الاخيلية للحجاج حين سألها عن ولدها واعجبه مارأى من شبابه اني والله ماحملته سهواً ولا وضعته يتنا ولا ارضعته غيلا ولا انمته تيقا يعني لم أنومه مستوحشا باكيا وقولها ما حملته سهوا تعنى في بقايا الحيض ويقال حملت المرأة وضعا وبضعا اذا حملت في استقبال الحيض وقولها ولا وضعته يتنا يعنى منكسا وقولها ولا ارضعته غيلا يعنى لبنا فاسدا (وزعمت) الفلاسفة ان النغم فضل بقي من المنطق لم يقدر اللسان على استخراجه فاستخرجته الطبيعة بالالحان على الترجيع لا على التقطيع فلما ظهرت عشقته النفس وحن اليه الروح (ولذلك) قال افلاطون لاينبغي ان تمنع النفس من معاشقة بعضها بعضا ألا ترى ان

اهل الصناعات كلها اذا خافوا الملالة والفتور على ابدانهم ترنموا بالالحان فاستراحت لها أنفسهم وليس من أحد كائنا من كان الا وهو يطرب من صوت نفسه ويعجبه طنين رأسه ولو لم يكن من فضل الصوت الا انه ليس في الارض لذة تكتسب من مأكل أو ملبس أو مشرب أو نكاح أو صيد الا وفيه معاناة على البدن وتعب على الجوارح غيره لكفي وقد يتوصل بالالحان الحسان الى خير الدنيا والآخرة فمن ذلك انها تبعث على مكارم الاخلاق من اصطناع المعروف وصلة الرحم والذب عن الاعراض والتجاوز عن الذنوب وقد يبكي الرجل منها على خطيئته ويرق القلب من قسوته ويتذكر نعيم الملكوت ويمثله في ضميره (وكان) أبو يوسف القاضي ربما حضر مجلس الرشيد وفيه الغناء فيجعل مكان السرور به بكاء كأنه يتذكر به نعيم الآخرة (وقال) أحمد ابن ابي دواد ان كنت لاسمع الغناء من مخارق عند المعتصم فيقع على البكاء حتى ان البهائم لتحن الى الصوت الحسن وتعرف فضله (وقال) العتابي وذكر رجلا فقال والله ان جليسه لطيب عشرته لاطرب من الابل على الحداء والنحل على الغناء (وكان) صاحب الفلاحات يقول بان النحل اطرب الحيوان كله الى الغناء وان افراخها تستنزل بمثل الزجل والصوت الحسن (قال الراجز)

والطير قد يسوقه للموت ‏ ‏ ‏ اصغاؤه الي حنين الصوت

وبعد فهل خلق الله شيأ اوقع بالقلوب واشد اختلاسا للعقول من الصوت الحسن كما قال الشاعر

رب سماع حسن ‏ ‏ ‏ سمعته من حسن
مقرب من فرح ‏ ‏ ‏ مبعد من حزن

وهل على الارض رعديد مستطار الفؤاد يغنى بقول جرير بن الخطفى

قل للجبان اذا تأخر سرجه   هل أنت من شرك المنية ناجي

الاثاب اليه روحه وقوي قلبه أم هل على الارض بخيل قد تقفعت اطرافه لؤما ثم غنى بقول حاتم الطائي

يري البخيل سبيل المال واحدة   ان الجواد يرى في ماله سبلا

لانبسطت أنامله ورشحت اطرافه أم هل على الارض غريب نازح الدار بعيد المحل يغنى بشعر على بن الجهم

ياوحشة للغريب في البلد النـ   ـازح ماذا بنفسه صنعا
فارق أحبابه فما انتفعوا   بالعيش من بعده ولا انتفعا
يقـول في نأيه وغربتـه   عدلا من الله كل ماصنعا

الا انقطعت كبده حنينا الى وطنه وتشوقا الى سكنه واختلف الناس في الغناء فاجازه عامة أهل الحجاز وكرهه عامة أهل العراق * فمن حجة من اجازه أن اصله من الشعر الذي أمر النبي صلى الله عليه وسلم به وحض عليه وندب اصحابه اليه وتجند به على المشركين فقال لحسان شن الغارة على بنى عبد مناف فوالله لشعرك أشد عليهم من وقع السهام في غلس الظلام وهو ديوان العرب ومقيد أحكامها والشاهد على مكارمها وأكثر شعر حسان بن ثابت يغنى به (قال) فرج بن سلام حدثني الرياشى عن الاصمعى قال شهد حسان ابن ثابت مأدبة لرجل من الانصار وقد كف بصره ومعه ابنه عبد الرحمن فكلما قدم شيء من الطعام قال حسان لابنه عبد الرحمن اطعام يد أم طعام يدين فيقول له طعام يد حتى قدم الشواء فقال له هذا طعام يدين فقبض الشيخ

يده فلما رفع الطعام اندفعت قينه تغنى لهم شعر حسان

انظر خليلي بباب جلق هل   تبصر دون البلقاء من أحد

قال فجعل حسان يبكى وعبـد الرحمن يوئ الى القينة ان تردده قال الاصمعى فلا أدري ماالذي اعجب عبد الرحمن من بكاء أبيـه (وقالت) عائشة رضي الله عنهـا علموا أولادكم الشعر تعذب ألسنتهم (وأردف) النبي صلى الله عليه وسلم الشريد فاستنشره من شعر أمية فانشده مأيه قافيـة وهو يقول هيه لها استحساناً فلما أعياهم القدح في الشعر والقول فيه قالوا الشعر حسن ولا نري أن يؤخذ بلحن حسن وأجازوا ذلك في القرآن وفى الآذان فان كانت الالحان مكروهة فالقرآن والآذان أحق بالتنزيه عنهاوان كانت غير مكروهة فالشعر احوج اليها لاقامة الوزن واخراجه عن حد الخبر وما الفرق بين أن ينشد الرجل

أتعرف رسما كاطراد المذانب * مرسلا أو يرفع بها صوته مرتجلا وانما جعلت العرب الشعر موزوناً لمد الصوت فيه والدندنة ولولا ذلك لكان الشعر كالخبر المنثور (واحتجوا) في اباحة الغناء واستحسانه بقول النبي صلى الله عليه وسلم لعائشه أهديتم الفتاة الى بعلها فقالت نعم قال فبعثتم معها من يغنى قالت لا قال أو ماعلمت ان الانصاو قوم يعجبهم الغزل ألا بعثتم معها من يقول

أتيناكم أتيناكم   فحيـونا نحييكم
ولولا الحبة السمرا   ء لم نحلل بواديكم

(واحتجوا) بحديث عبد الله بن اويس ابن عم مالك كان من أفضل رجال

الزهرى قال مر النبي صلى الله عليه وسلم بجارية في ظل قارع وهي تغنى

هل علي ويحكم ان لهوت من حرج

فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا حرج ان شاء الله (والذي) لا ينكره اكثر الناس غناء النصب وهو غناء الركبان (حدث) عبد الله بن المبارك عن اسامة بن زيد عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عبد الله بن عمر عن أبيه قال مر بنا عمر بن الخطاب وأنا وعاصم بن عمر نغنى غناء النصب فقال أعيدا على فاعدنا عليه فقال أنتما كحمارى العبادي وقيل له أى حماريك شر قال ذا ثم ذا (وسمع) أنس بن مالك أخاه البراء بن مالك يغنى فقال ماهذا قال أبيات عربيـة انصبها نصبا (ومن حديث) الجماني عن حماد ابن زيد عن سليمان بن يسار قال رأيت سعد بن ابي وقاص في منزل بين مكة والمدينة قد القي له مصلى فاستلقى عليه ووضع احدى رجليه على الاخرى وهو يتغني فقلت له سبحان الله يا أبا اسحاق أتفعل مثل هـذا وأنت محرم فقال يا ابن أخى وهل تسمعنى أقول هجرا (ومن حديث) المفضـل عن قرة بن خالد بن عبد الله بن يحي قال عمر بن الخطاب للنابغة الجعدي اسمعنى بعض ما عفا الله لك عنـه من غنائك فاسمعه كلمة له قال وانك لقائلها قال نعم قال لطالما غنيت بها خاف جمال الخطاب (عاصم) عن بن جريج قال سألت عطاء عن قراءة القرآن على الحان الغناء والحداء قال وما بأس ذلك يا ابن أخي (قال) وحدث عبيد بن عمير الليثى ان داود النبي عليه السلام كانت له معزفة يضرب بها اذا قرأ الزبور لتجتمع عليه الجن والانس والطير فيبكي ويبكي من حوله واهل الكتاب يجدون هذا في كتبهم (ومن حجة من

كره الغناء) أن قال انه يسعر القلوب ويستفز العقول ويستخف الحليم ويبعث على اللهو ويحض على الطرب وهو في اصله باطل وتأولوا في ذلك قول الله عز وجل ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزواوأخطأ في التأويل انما نزلت هذه الآية في قوم كانوا يشترون الكتب من أخبار السير والاحاديث القديمة ويضاهون بها القرآن ويقولون انها أفضل منه وليس من سمع الغناء يتخذ آيات الله هزوا واعدل الوجوه أن يكون سبيله سبيل الشعر فحسنه حسن وقبيحه قبيح (وقد حدث) ابراهيم بن المنذر الخزاعى ان ابن جامع السهمي قدم مكة بمال كثير ففرقه في ضعفاء أهلها فقال سفيان بن عيينة ان هذا السهمى قدم بمال كثير قالوا نعم قال فعلام يعطي قالوا يغنى الملوك فيعطونه قال وبأى شيء يغنيهم قالوا بالشعر قال فكيف يقول فقال له فتى من تلامذته يقول

أطوف بالبيت مع من يطوف ... وأرفع من مئزري المسبل

قال بارك الله عليه ماأحسن ماقال قال ثم ماذا قال

وأسجد بالليل حتى الصباح ... وأتلو من المحكم المنزل

قال وأحسن أيضاً أحسن الله اليه ثم ماذا قال

عسى فارج الهم عن يوسف ... يسخر لى ربة المحمل

قال امسك امسك افسد آخرا ما اصلح اولا الا ترى سفيان بن عيينة رحمه الله حسن الحسن من قوله وقبح القبيح وكره الغناء قوم على طريق الزهد فى الدنيا ولذاتها كما كره بعضهم الملاذ ولبس العباء وكره الحواري وأكل المكشكار وترك البر وأكل الشعير لا على طريق التحريم فان ذلك

وجه حسن ومذهب جميل فانما الحلال ما أحل الله والحرام ما حرم الله يقول الله تعالى ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون وقد يكون الرجل ايضاً جاهلا بالغناء أو متجاهلا به فلا يأمر به ولا ينكره (قال رجل) للحسن البصرى ماتقول في الغناء يا أبا سعيد قال العون الغناء على طاعة الله يصل الرجل به رحمه ويواسى به صديقه قال لرجل ليس عن هذا أسألك قال وعم سألتنى قال أن يغنى الرجل قال وكيف يغنى فجعل الرجل يلوى شدقيه وينفخ فنحريه قال الحسن والله يا ابن أخى ماظننت ان عاقلا يفعل هذا بنفسه أبدا وانما انكر الحسن تشويه وجهه وتعويج فمه وان كان أنكر الغناء فانما هو من طريق أهل العراق وقد ذكرنا انهم يكرهونه (قال) اسحاق بن عمار قال حدثني أبو المفلس عن أبي الحرث قال اختلف في الغناء عند محمد بن ابراهيم والى مكة فارسل الى ابن جريج والى عمرو بن عبيد فاتياه فسألهما فقال ابن جريج لا بأس به شهدت عطاء بن أبى رباح في ختان ولده وعنده ابن سريج المغنى فكان اذا غنى لم يقل له أسكت واذا سكت لم يقل له غن واذا لحن رد عليه وقال عمرو بن عبيد اليس الله يقول مايلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد فايهما يكتب الغناء الذي عن اليمين أو الذى عن الشمال فقال ابن جريج لا يكتب واحد منهما لانه لغو كحديث الناس فيما بينهم من أخبار جاهليتهم وتناشد اشعارهم (قال اسحق) وحدثني ابراهيم بن سعد الزهري قال قال لى ابو يوسف القاضي ماأعجب امركم ياأهل المدينة في هذه الاغاني مامنكم شريف ولا دنيء يتحاشى عنها قال فغضبت وقلت قاتلكم الله ياأهل

العراق ماأوضح جهلكم وابعد من السداد رأيكم متى رأيت أحداً سمع الغناء فظهر منه مايظهر من سفهائكم هؤلاء الذين يشربون المسكر فيترك أحدهم صلاته ويطلق امرأته ويقذف المحصنة من جارته ويكفر بربه فاين هذا من هذا من اختار شعرا جيدا ثم اختار صوتا حسناً فردده عليه فاطربه وأبهجه فعفا عن الجرائم وأعطاه الرغائب فقال أبو يوسف قطعتنى ولم يحر جوابا (قال اسحق) وحدثني ابراهيم بن سعد الزهري قال لى الرشيد من بالمدينة ممن يحرم الغناء قال قلت من أمتعه الله خزيته قال بلغنى أن مالك بن أنس يحرمه قلت ياأمير المؤمنين أو لمالك أن يحرم ويحلل والله ما كان ذلك لابن عمك محمد صلى الله عليه وسلم الابوحي من ربه فمن جعل هذا لمالك فشهادتى على أبى أنه سمع مالكا في عرس ابن حنظلة يتغنى

سليمى أزمعت بينا فاين بوصلها أينا

ولو سمعت مالكا يحرمه ويدى تناله لاحسنت أدبه قال فتبسم الرشيد (وسمع) عبد الله بن عمر بن محرز يغنى

لو بدلت أعلى منازلها سفلا وأصبح سفلها يعلو
لعرفت مغناها بما احتملت منى الضلوع لاهلها قبل

فقال له عبد الله بن عمر قل ان شاء الله قال يفسد المعنى قال لا خير في كل معنى يفسده ان شاء الله (حدث) محمد ابن زكريا العلاقي بالبصرة قال حدثنى ابن الشرفي عن الاصمعى قال سمع عمر ابن عبد العزيز راكبا يغنى في سفره

فلولا ثلاث هن من عيشة الفتى وجدك لم احفل متى قام عودي

فنهن سبقى العاذلات بشربة * كميت متى ما تعل بالماء تزبد
وكرى اذا نادى المصاف محنبا * كسيد الغضا في الطخية المتورد
وتقصير يوم الدجن والدجن معجب * ببهكنة تحت الطراف الممدد

فقال عمر بن عبد العزيز وأنا لولا ثلاث لم أحفل متى قام عودى لولا ان أنفر في السرية وأقسم بالسوية وأعدل في القضية (وقال) جرير المدنى مررت بالاسلمي العابد وهو في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلمت عليه فأومأ الى وأشار بالجلوس فجلست فلما سلم أخذ بيدى وأشار الى حلقي وقال كيف هو قلت أحسن ما كان قط قال أما والله لوددت انه خلالى وجهك وانك أسمعتني

يالقومي بحبلك المصروم * يوم شطوا وأنت غير ملوم
أصبح الربع من امامة قفرا * غير مغنى معازف ورسوم

قلت اذا شئت قال في غير هذا الوقت ان شاء الله (وحدث) أبو عبد الله المروزي بمكة في المسجد الحرام قال حدثنا حسان وسويد صاحبا ابن المبارك قال لما خرج ابن المبارك الى الشام مرابطا خرجنا معه فلما نظر القوم الى مافيه من النفير والغزو والسرايا في كل يوم التفت الينا فقال انا لله وانا اليه راجعون على أعمار أفنيناها وأيام وليال قد قطعناها في علم الشعر وتركنا ههنا أبواب الجنة مفتوحة قال فبينما هو يمشي ونحن معه في أزقة المصيصة اذا نحن بسكران قد رفع صوته يغنى

أذلنى الهوى فأنا الذليل * وليس الى الذي أهوى سبيل

فأخرج برنامجا من كمه فكتب البيت فقلنا له تكتب بيت شعر سمعته

من سكران قال أما سمعتم المثل رب جوهرة في مزبلة (قال) وولي الاوقص المخزومي قضاء مكة فما رؤى مثله في العفاف والنبل فبينما هو نائم ذات ليلة في علية له اذ مر به سكران يتغنى ويلحن في غنائه فاشرف المخزومي عليه فقال ياهذا شربت حراما وأيقظت نياما وغنيت خطأ خذه عني فأصلحه عليه (وقال) الاوقص المخزومي قالت لي أمي أى بنى انك خلقت في صورة لا تصلح معها لمصاحبة الفتيان في بيوت القيان فعليك بالدين فان الله يرفع به الخسيسة ويتم به النقيصة فنفعني الله بقولها (وحدث) عباس بن المفضل قاضى المدينة قال حدثني الزبير بن بكار قاضي مكة عن مصعب بن عبد الله قال دخل الشعبي على بشر بن مروان وهو والي العراق لاخيه عبد الملك بن مروان وعنده جارية في حجرها عود فلما دخل الشعبي أمرها فوضعت العود فقال له الشعبي لا ينبغي للامير ان يستحى من عبده قال صدقت ثم قال للجارية هاتى ما عندك فاخذت العود وغنت

ومما شجاني أنها يوم ودعت * تولت وماء العين في الجفن حائر
فلما أعادت من بعيد بنظرة * الى التفاتا أسلمته المحاجر

فقال الشعبي الصغير أكيسهما يريد الزير ثم قال ياهذه أرخي من بمك وشدي من زيرك فقال له بشر وما علمك قال أظن العمل فيهما هكذا قال صدقت ومن لم ينفعه ظنه لم ينفعه يقينه (وحدث) عن أبي عبد الله البصري قال غنى رجل في المسجد الحرام وهو مستلق على قفاه صوتا ورجل من قريش يصلى في جواره فسمعه خدام المسجد فقالوا ياعدو الله تغني في المسجد الحرام ورفعوه الى صاحب الشرطة فتجوز القرشي في صلاته ثم سلم واتبعه فقال

لصاحب الشرطة كذبوا عليه أصلحك الله انما كان يقرأ فقال يافساق أتأتونى برجل قرأ القرآن تزعمون انه غنى خلوا سبيله فلما خلوه قال له القرشي والله لولا انك أحسنت وأجدت ما شهدت لك اذهب رشدا (وكان) لابي حنيفة جار من الكيالين مغرم بالشراب وكان أبو حنيفة يحيي الليل بالقيام ويحييه جاره الكيال بالشراب ويغنى على شرابه

أضاعوني وأي فتى أضاعوا * ليوم كريهة وسداد ثغر

فأخذه العسس ليلة فوقع في الحبس وفقد أبو حنيفة صوته واستوحش له فقال لاهله ما فعل جارنا الكيال قالوا أخذه العسس فهو في الحبس فلما أصبح أبو حنيفة وضع الطويلة على رأسه وخرج حتى أتي باب عيسي بن موسى فاستأذن علية فاسرع في اذنه وكان أبو حنيفة قليلا ما يأتي الملوك فأقبل عليه عيسى بوجهه وقال امر ما جاء بك ابا حنيفة قال نعم أصلح الله الامير جار لي من الكيالين أخذه عسس الامير ليلة كذا فوقع في حبسك فأمر عيسى باطلاق كل من أخذ في تلك الليلة اكراما لابي حنيفة فأقبل الكيال على أبي حنيفة متشكرا له فلما رآه أبا حنيفة قال أضعناك يا فتى يعرض له بقصيدته قال لا والله ولكنك بررت وحفظت (الاصمعي) قال قدم عراقي بعدل من خمر (جمع خمار) العراق الى المدينة فباعها كلها الا السود فشكا ذلك الى الدارمي وكان قد تنسك وترك الشعر ولزم المسجد فقال ما تجعل لي على ان احتال لك بحيلة حتى تبيعها كلها على حكمك قال ما شئت قال فعمد الدارمي الي ثياب نسكه فألقاها عنه وعاد الى مثل شأنه الاول وقال شعرا ورفعه الى صديق له من المغنين فغنى به وكان الشعر

قل للمليحة في الخمار الاسود * ماذا فعلت بزاهد متعبد
قد كان شمر للصلاة ثيابه * حتى خطرت له بباب المسجد
ردى عليه صلاته وصيامه * لاتقتليه بحق دين محمد

فشاع هذا الغناء في المدينة وقالوا قد رجع الدارمي وتعشق صاحبة الخمار الاسود فلم تبق مليحة بالمدينة الا اشترت خماراً أسود وباع التاجر جميع ما كان معه فجعل اخوان الدارمي من النساك يلقون الدارمي فيقولون ما ذا صنعت فيقول ستعلمون نبأه بعد حين فلما أنفذ العراقي ما كان معه رجع الدارمي الي نسكه ولبس ثيابه (وحدث) عبد الله بن مسلم بن قتيبة ببغداد قال حدثني سهل عن الاصمعي قال كان عروة بن أذينة يعد ثقة ثبتا في الحديث * روي عنه مالك بن أنس وكان شاعراً مفلقافي شعره غزلا وكان يصوغ الالحان والغناء على شعره في حداثته وينحلها المغنين فمن ذلك قوله وغنى به الحجازيون

يا ديار الحي بالاجمه * لم يبين رسمها كلمه

وهو موضع صوته ومنه قوله

قالت وأبثثتها وجدي وبحت به * قد كنت عندي تحت الستر فاستتر
ألست تبصر من حولي فقلت لها * غطى هواك وما ألقى على بصري

قال فوقفت عليه أمرأة وحوله التلامذة فقالت أنت الذي يقال فيك الرجل الصالح وأنت القائل

اذا وجدت أوار الحب في كبدي * عمدت نحو سقاء القوم ابترد
هبني بردت ببرد الماء ظاهره * فمن لنار على الاحشاء تتقد

لا والله ماقال هذا رجل صالح قط (قال) وكان عبدالله الملقب بالقس

عند اهل مكة بمنزلة عطاء بن أبي رباح في العبادة وانه مر يوما بسلامة وهي تغني فقام يستمع غناءها فرآه مولاها فقال له هل لك ان تدخل فتسمع فأبي فلم يزل به حتى دخل فقال له أوقعك في موضع بحيث تراها ولا تراك فغنته فأعجبته فقال له مولاها هل لك فى أن أحولها اليك فأبي ذلك عليه فلم يزل به حتى أجابه فلم يزل يسمعها ويلاحظها النظر حتى شغف بها ولما شعرت للحظه اياها غنته

رب رسولين لنا بلغا * رسالة من قبل أن يبرحا
لم يعملا خفا ولا حافرا * ولا لساناً بالهوى مفصحا
حتى استقلا بجوابيهما * بالطائر الميمون قد أنجحا
الطرف والطرف بعثناهما * فقضيا حاجا وما صرحا

قال فأغمى عليه وكاد أن يهلك فقالت له يوما والله اني أحبك قال لها وأنا والله أحبك قالت وأحب ان أضع فمى على فمك قال وأنا والله قالت فما يمنعك من ذلك قال أخشي أن تكون صداقتي ما بيني وبينك عداوة يوم القيامة أما سمعت الله تعالى يقول الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين ثم نهض وعاد الى طريقته التي كان عليها وأنشأ يقول

قد كنت أعذل في السفاهة أهلها * فاعجب لما تأتي به الايام
فاليوم أعذرهم وأعلم انما * سبل الضلالة والهدى أقسام

(وله فيها) ان سلامة التي * أفقدتني تجلدي
لو تراها وعودها * حين يبدو وتبتدي
للجريرين والغريض ولقرم معبد
خلتهم بين عودها * والدساتين واليد

﴿ فصل في أداب المأتم والجنازة وما يتعلق به ﴾

كل مايجرى في منزل المتوفي من الصياح المستنكر والضجيج المستقبح والولولة المرتفعة وشق الجيوب ونشر الشعور ودق الصدور ولطم الخدود واحضار النوائح والوقوف في صفوف وضرب الدفوف وصبغ الايادي والوجوه مخالف للشرع والعقل واجب على كل عاقل وخصوصاً أهل الميت ان يعمل في منعه وأول ماضرب عمر بالدره في خلافته كان على ترك النوح .

من آمن بالله واليوم الآخر لايتغالى في الحزن وراء من دعى الى لقاء ربه وهو يغالى في الفرح به اذا دعى للقاء عظيم . وليس للمسلم الا التسليم لله والرضى بقضائه

ولا نقول نمنع الفاقد عن الاسف أو البكاء فان منعه عن ذلك يحبس الحزن فيه ويزيده كرباً ولكنه يفعل ذلك بعقل ولا يكبر الواقع ويتغالى فيه بل بالعكس يخفف من أمره على ما استطاع وهذا التلطيف والتخفيف من أهم وظائف العقل وقد حض الشرع على التعزية والتسلية لذلك

وليعلم كل امرئ انه في هذه الدنيا سائر في طريق فلا عبرة بتقدم الواحد على الآخر أو تأخره عنه . وأيضاً فالحزن أمر يزيله الزمن وما أمكن للزمن ان يزيله أمكن للعقل أيضاً ان يخففه أو يزيله

وكذلك الدعوه للجنازة يجب ان تجاب فان التشييع سنه وعلى أهل الميت اذا حددوا وقتا ان يسيروا فيه بالجنازة ولا يؤخروا الناس عنه مطلقا كما ان من دعي في هذا الوقت يجب أن لايأتي بعده فان الاهمال من الطرفين مضر ومعطل لهما معاً

ثم يجب ان لاتصحب الجنازة بالانعام التي يسمونها الكفارة فانها حرام ولا بالغوغاء من أولاد الكتاتيب وقراء الاحزاب فانهم شر وضر بل يسير المشيعون فقط (ولانساء معهم تعول وتنوح) وهم سكوت كان على رؤوسهم الطير موعظة وعبره . ويكون النعش امامهم أو خلفهم بحسب اختلاف المذاهب فعند أبو حنيفه الأولى تقديمه . وعند الشافعي بالعكس

ثم لايجب ان يقام المأتم في البيت اكثر من ثلاثة أيام . ولا يتكلف فيه التكاليف الممقوتة والبذخ الكاذب . والاصل في الشرع ان ينقضي المأتم بليلة واحده ولا تتغير حالة البيت عما هو عليه

ومن القبيح خروج النساء للمقابر في الجمع والمواسم والاعياد بالمآكل والمشارب وقضائهم الليالي في تلك الخلوات كانهن في بعض المنتزهات

وفي الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ليس منا من لطم الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية وروى مسلم عن أبي مالك الاشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال النائحة اذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب وروى الثعلبي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه النوائح يجعلن يوم القيامة صفين صفا عن اليمين وصفا عن الشمال ينبحن كما تنبح الكلاب في يوم كان مقداره خمسين الف سنة ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال مامن يوم الا وملك الموت يقف على باب أحدكم خمس مرات فاذا وجد أحدكم قد نفد أجله وانقطع أمله ألقى عليه غمرات الموت فغشيته كرباته وغمراته فمن أهل بيته

الناشرة لشعرها والصارخة بويلها والباكية بشجوها فيقول ملك الموت ويلكم ممن الفزع وفيم الجزع ماأذهبت لواحد منكم رزقا ولا قربت له أجلا ولا أتيته حتى أمرت بقبض روحه وان لي فيكم عودة ثم عودة حتي لاأبقي منكم أحداً فوالذي نفس محمد بيده لو يرون مكانه أو يسمعون كلامه لذهلوا عن ميتهم ولبكوا على أنفسهم حتي اذا حمل الميت على النعش رفرفت روحه فوق النعش وهي تنادي ياأهلي وياأولادي لاتلعبن بكم الدنيا كما لعبت بي جمعت المال من حله ومن غير حله ثم خلفته لغيرى فالمهنا له والتبعة علي فاحذروا مثل ماحل بي

﴿ فصل في الصلاة على الميت وحضور دفنه ﴾

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من شهد الجنازة حتى يصلي عليها فله قيراط ومن شهدها حتى تدفن فله قيراطان قيل وما القيراطان قال مثل الجبلين العظيمين رواه البخاري ومسلم وقال صلى الله عليه وسلم مامن ميت يصلي عليه أمة من المسلمين يبلغون مئة كلهم يشفعون له الا شفعوا فيه رواه مسلم وقال صلى الله عليه وسلم مامن رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلا لايشركون بالله شيئاً الا شفعهم الله فيه رواه مسلم وقال صلى الله عليه وسلم مامن مسلم يموت فيشهد له أربعة أبيات من جيرانه الادنين الا قال الله تعالى قد قبلت علمهم فيه وغفرت له مالا يعلمون رواه احمد وقال صلى الله عليه وسلم الصلاة واجبة على كل مسلم براً كان أو فاجراً وان عمل الكبائر (حكي) عن بعض الصالحين انه مات رجل من جيرانه وكان مسرفا على نفسه فامتنع كثير من الناس عن جنازته وحضرها هو وصلى عليها فلما دلي في قبره وقف على قبره وقال يرحمك الله يافلان فلقد صحبت عمرك

بالتوحيد وعفرت وجهك بالسجود فان قالوا مذنب ذو خطايا فمن منا غير مذنب وغير ذى خطايا وقال أسيد بن حضير ماشهدت جنازة فحدثت نفسى بشئ سوي ماهو مفعول به وما هو سائر اليه ونظر ابراهيم الزيات الى أناس يترحمون على ميت فقال لو تترحمون على أنفسكم لكان خيرا لكم انه نجا من أهوال ثلاثة وجه ملك الموت وقد رأى ومرارة الموت وقد ذاق وخوف الخاتمة قد أمن وفي الدعاء للطبراني من حديث أنس رفعه من رأى جنازة فقال الله اكبر صدق الله ورسوله هذا ماوعدنا الله ورسوله اللهم زدنا ايمانا وتسليما كتب له عشرون حسنة

عن على رضي الله عنه قال أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ندفن موتانا في وسط قوم صالحين فان الموتي يتأذون بالجار السوء كما يتأذى الاحياء وعن بن عباس رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا مات لاحدكم الميت فحسنوا كفنه وأنجزوا وصيته وأعمقوا له قبره وجنبوه الجار السوء قيل يارسول الله وهل ينفع الجار الصالح في الآخرة قال هل ينفع في الدنيا قال نعم قال كذلك ينفع في الآخرة قال أبو عبد الله القرطبي رحمه الله يروي ان مرأة دفنت في قرطبة قالوا نعم فأتت أهلها في النوم وجعلت تعتبهم وتشكوهم وتقول ماوجدتم تدفنوني إلا في فرن الجير فلما أصبحوا نظروا فلم يروا في ذلك الموضع كله ولا بقربه فرن جير فبحثوا وسألوا عمن كان مدفونا بازاء المرأة فوجدوه رجلا سيافا كان لابن عامر وقبره الى قبرها فأخرجوها من جواره وروي أبو داود عن عثمان رضي الله عنه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا فرغ من دفن الميت وقف عليه فقال استغفروا لاخيكم وسلوا له التثبيت فانه الآن يسئل وروي بعضهم عن

عمرو بن العاص رضى الله عنه قال إذا دفنتمونى فأقيموا حول قبرى قدر ما
تنحر جزور ويقسم لحمها حتى استأنس بكم وأعلم ماذا أراجع به رسل ربي
قال الآجرى يستحب الوقوف بعد الدفن قليلا

﴿ فصل في الصدقة على الميت ﴾

في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أن رجلا قال للنبي صلى الله
عليه وسلم ان أمي افتلتت نفسها وأراها لو تكلمت تصدقت فهل لى أجران
تصدقت عنها قال نعم وعن أبي هريره رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال اذا مات الانسان انقطع عمله الا من ثلاث صدقة جارية أو علم
ينتفع به أو ولد صالح يدعو ل رواه مسلم (وحكى) أبو الليث السمرقندي رحمه
الله عن صالح المرى أنه أقبل فى ليلة الجمعة يريد المسجد الجامع ليصلي به صلاة
الفجر فمر بمقبرة فقال لو أقمت حتى يطلع الفجر فصلى ركعتين واتكأ على قبر فغلبته
عيناه فرأى في منامه كان أهل القبور قد خرجوا من قبورهم وقعدوا حلقا
حلقا فاذا شاب عليه ثياب دنية فقعد في جانب مغموماً فاقبلت أطباق مغطاة
بمناديل فكلما جاء واحداً منهم طبق أخذه ودخل في قبره ولم يأت الشاب
شيء فقام حزيناً ليدخل قبره فقلت له ياعبدالله مالي أراك حزينا فقال ياصالح
المري هل رأيت الاطباق فقلت نعم فما هي فقال تلك أطباق الاحياء لموتاهم
كلما تصدقوا عنهم ودعوا لهم أتاهم ذلك في ليلة الجمعه وأني رجل من أهل
السند أقبلت بوالدتي أريد الحج فلما وصلنا البصرة توفيت وتزوجت والدتي
بعدي ولم تذكر أن لها ولدا قد أشغلتها الدنيا فحق لي الحزن فقال صالح
المري فقلت وأين أمك فذكر لي موضعها فلما أصبحت وقضيت صلاتي

وسألت عن منزلها فارشدت اليـه فجئت اليها وقلت لهـا أني صالح المري ثم قلت لهـا هل لك من ولد قالت لا فقلت هل كان لك ولد فتنفست ثم قالت كان ومات وهو شاب فقصصت عليها القصة فبكت ثم دفعت الي ألف درهم فقالت لي تصدق بها عن ولدي وأنا لا أنساه من الدعاء والصدقة فيما بقي من عمري قال فتصدقت بالالف

﴿ فصل في زيارة القبور ﴾

روى مسـلم عن أبي هريرة رضى الله عنه قال رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبر أمه فبكى وأبكى من حوله فقال استأذنت ربي في أن أستغفر لهـا فلم يأذن لي واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي فزوروا القبور فانها تذكر الموت وروى مسلم أيضاً عن بريدة رضي الله عنه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلمهم اذا خرجوا الى المقابر أن يقول قائلهم السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين وانا ان شاء الله بكم لاحقون نسأل الله لنا ولـكم العافية وقال صلى الله عليه وسلم من زار قبر أبويه أو أحدهما في كل جمعة غفر الله له وكتب برا عن ابن سيرين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليموت والداه وهو عاق بهما فيدعو الله لهما من بعدهما فيكتبه الله من البارين وقال صلى الله عليه وسلم ما من رجل يزور قبر أخيه ويجلس عنده الا استأنس به ورد عليـه حتى يقوم وقال أبو هريرة رضي الله عنه اذا مر الرجل بقبر الرجل يعرفه فيسلم عليه رد عليه السلام وعرفه واذا مر بقبر لا يعرفه فسلم عليه رد عليه وقال رجل من آل عاصم الجدري رأيت عاصما في منامي بعد موته بسنتين فقلت أليس قدمت قال بلى قلت

فأين أنت قال أنا والله في روضة من رياض الجنة أنا ونفر من أصحابي نجتمع كل ليلة جمعه وصبيحتها الى بكر بن عبدالله المزني فنتلقى أخباركم قلت أجسامكم أو أرواحكم قال هيهات بليت الاجسام وانما تتلاقى الارواح قال فقلت هل تعلمون بزيارتنا إياكم قال نعلم بها عشية الجمعه ويوم الجمعه كله ويوم السبت الى طلوع الشمس قلت وكيف ذاك دون الايام كلها قال بفضل يوم الجمعة وعظمه وكان محمد بن واسع رحمه الله يزور يوم الجمعة فقيل له لو أخرت الى الاثنين فقال بلغني أن الموتى يعلمون بزوارهم يوم الجمعه ويوما قبله ويوما بعده

﴿ فصل في النهي عن تشبه الرجال بالنساء والنساء بالرجال ﴾

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم المخنثين من الرجال والمترجلات من النساء وفي رواية لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال رواه البخاري وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجل يلبس لبسة المرأة والمرأة تلبس لبسة الرجل رواه أبوداود باسناد صحيح وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صنفان من أهل النار لم أرهما قوم معهم سياط كاذناب البقر يضربون بها الناس ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رؤوسهن كاسنمة البخت المائلة لايدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وان ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا رواه مسلم قال النووي رحمه الله معنى كاسيات أي من نعمة الله عاريات من شكرها وقيل معناه تستر بعض بدنها وتكشف بعضه اظهارا لجمالها ونحوه وقيل تلبس ثوبا

رقيقاً يصف لون بدنها ومعنى مائلات قيل عن طاعة الله وما يلزمهن من حفظه مميلات أي يعلمن غيرهن فعلهن المذموم وقيل مائلات يمشين متبخترات مميلات لا كتافهن وقيل مائلات يمشطن المشطة الميلاء وهي مشطة البغايا رؤوسهن كاسنمة البخت أي يكبرنها ويعظمنها بلف عصابة أو نحوه

فصل في بعض بدع وامور محرمة

ما فعله النبي صلى الله عليه وسلم سنه وما لم يفعله بدعة الا ان السنة على قسمين فسنة من فعلها يثاب ومن تركها يلام وهي مايخص أمور الدين وسنة من تركها لا يأثم وهي مايخص أمور الدنيا والبدع كذلك قسمان قسم يلام فاعله ويؤجر تاركه وهي المتعلقة بامور الدين . وقسم لا ولا وهي التي تتعلق بأمور الدنيا والا لزم المسلمين ان لا يخرجوا عن اعمال النبي وهذه الاعمال محدودة واعمال الناس غير محدودة فيلزم أن يقيد الغير المحدود بالمحدود وهو محال وفي البدع المتعلقة بالدين ورد قوله تعالى وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل قال مجاهد يعني البدع والشبهات فتفرق بكم عن سبيله وقال تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال أى فلا واسطة بينهما فمن اخطأ الحق وقع في الضلال وفي صحيح مسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من نبي بعثه الله عز وجل في أمة قبل الا كان من أمته حواريون واصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ثم لعله أنه يخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون مالا يؤمرون فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن وليس وراء ذلك حبة من

خردل وعن أبي واقد رضي الله عنه قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل حنين فمررنا بسدرة شجرة فقلنا يا رسول الله اجعل لنا ذات انواط كما للكفار ذات انواط وكان الكفار ينوطون سلاحهم بسدرة يعكفون حولها فقال النبي صلى الله عليه وسلم الله أكبر هذا كما قالت بنو اسرائيل لموسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة انكم تركبون سنن من قبلكم قال الامام أبو بكر الطرطوشي رحمه الله انظر وارحمكم الله أينما وجدتم سدرة أو شجرة يقصدها الناس ويعظمونها ويرجون البرء والشفاء من قبلها ويضربون بها المسامير والخرق فهي ذات أنواط فاقطعوها وروى ابن وضاح عن عمر رضي الله عنه أنه أمر بقطع الشجرة التي بويع تحتها النبي صلى الله عليه وسلم فقطعها لان الناس كانوا يذهبون فيصلون تحتها فخاف عليهم الفتنة

ومن البدع المشهورة الحلف بغير الله وهو مالايجوز شرعا لانه لايجوز الحلف بغيره سبحانه وتعالى لا بنبي ولا ولى ولا أمير ونحو ذلك

ومنها . الاعتقاد في الرمل والزايرجه والفال ونحو ذلك فان جميع ذلك خرافات حظرها الشارع . وذكر الطرطوشي ان أخذ الفال بالمصحف حرام

ومنها . دق الطبول والزمور على الاذكار . أو أكل الثعابين والنيران لاظهار الكرامة . اذ ذلك باطل وكيف يصح هذا وشرط الكرامة ان لا يتحدى بها

ومنها . اظهار التصوف والصلاح والولاية بذكر الفاظ موهمة قد يكون فيها ما هو كفر صراح او ما يقرب من الكفر ويسمونه الشطح . وقد قال الغزالي في ذلك ما نصه الشطح أحدثه بعض الصوفية وهو على

نوعين (أحدهما) الدعاوي وسر الطويلة العريضة في العشق مع الله تعالى والوصال المغني عن الاعمال الظاهرة حتى ينتهي قوم الى دعوى الاتحاد وارتفاع الحجاب والمشاهدة بالرؤية حتى ترك جماعة من أهل الفلاحة فلاحتهم واظهروا مثل هذه الدعاوي فان هذا الكلام ليستلذه الطبع اذفية البطالة من الاعمال فهذا ومثله مما قد استطار في البلاد شرره وان من نطق بشيء منه فقتله أفضل في دين الله من أحياء عشرة . والصنف الثاني من الشطح كلمات غير مفهومة لها ظواهر رائعة وليس وراءها طائل وهي غير مفهومة عند قائلها بل يصدرها عن خبط في عقله ولا فائدة لها الا تشويس القلوب وفي الحديث كلموا الناس بما يعرفون ودعوا ما ينكرون اتريدون أن يكذب الله ورسوله . وذكر ان من ذلك صرف الفاظ الشرع عن ظواهرها المفهومه الى أمور باطنة وانه حرام او كفر . قال فاذا صرفت الالفاظ عن مقتضى ظواهرها اقتضى ذلك بطلان الثقة بالالفاظ وسقط به منفعة كلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم وبهذا الطريق توصل الباطنيه وفرق من الشيعه الى هدم جميع الشريعة .

ومنها زيارة النساء الاضرحة والقبور بعلة نيل الثواب في الظاهر وملاقاة الرجال في الباطن قال صلى الله عليه وسلم حين رآهن في جنازة ارجعن مأزورات غير مأجورات وقوله عليه الصلاة والسلام لفاطمة ابنته لو بلغت الكداء أي القبور وذكر وعيدا شديدا

ومنها القراءة على القبور وهي مكروهه عند مالك وعند غيره ايضا

ومنها الطواف حول القبور عند زيارتها تقليدا لها بالكعبة وتقبيل أحجارها أما زيارة الصالحين فهي جائزة وذكر الغزالي في كتاب آداب

السفر ان الرجل يسافر لزيارة قبور الانبياء وقبور الصحابة والتابعين وسائر العلماء والاولياء وكل من يتبرك بمشاهدته في حياته يتبرك بزيارته بعد وفاته

ومنها التلقيب بشمس الدين ونور الدين وأبي الفضل وهو من تزكية النفس والكذب الغير جائز شرعاً

ومنها قراءة القرآن بالحان الاغاني والخروج بذلك عن قواعد القراءة لمجرد الاطراب

ومنها قراءة القرآن على قارعة الطريق للتسول فانه حرام

ومنها الوضوء من ماء الميضاءه بعد تغيير لونه وريحته

ومنها الدعاء عند انتهاء الخطيب من الخطبه الاولى وهو يعد لغوا وفي الحديث اذا قلت اصاحبك والخطيب يخطب انصت فقد لغوت

ومنها التطير والتشاؤم وفي الحديث لاطيرة ولاهامه

ومنها الوسوسه في الوضوء والغسل واقامة الصلاة تقعرا في طلب الطهارة وهو عن الطهارة الباطنه بمعزل وفي مثل هذا الانسان قال الغزالي

لم يفهم من مراتب الطهارة الا الدرجة الاخيرة التي هي كالقشرة الاخيرة الظاهرة بالاضافة الى اللب المطلوب فصار يمعن فيها ويستقصي في مجاريها ويستوعب جميع أوقاته في الاستنجاء وغسل الثياب وتنظيف الظاهر وطلب المياه الجارية الكثيرة ظناً منه بحكم الوسوسة وتخيل العقل أن الطهارة المطلوبة الشريفة هي هذه فقط وجهالة بسيرة الاولين واستغراقهم جميع الهم والفكر في تطهير القلب وتساهلهم أمر الظاهر حتى أن عمر رضي الله عنه مع علو

مصبه توضا من ماء في جرة نصرانية وحتى أنهم ما كانوا يغسلون اليد من الدسومات والاطعمة بل كانوا يمسحون أصابعهم بأخمص أقدامهم وعدوا الاشنان من البدع المحدثة ولقد كانوا يصلون على الارض في المساجد ويمشون حفاة في الطرقات ومن كان لا يجعل بينه وبين الارض حاجزا في مضجعه كان من أكابرهم وكانوا يقتصرون على الحجارة في الاستنجاء وقال أبو هريرة وغيره من أهل الصفة كنا نأكل الشواء فتقام الصلاه فندخل أصابعنا في الحصى ثم نفركها بالتراب ونكبر ويقال أول ما ظهر من البدع بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم اربع المناخل والاشنان والموائد والشبع فكانت عنايتهم كلها بنظافة الباطن حتى قال بعضهم الصلاة في النعلين أفضل لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزع نعليه في صلاته باخبار جبرائيل عليه السلام له أن بهما نجاسة وخلع الناس نعالهم ودلو أن محتاجا جاء اليها فاخذها منكرا لخلع النعال فهكذا كان تساهلهم في هذه الامور بل كانوا يمشون في طين الشوارع حفاة ويجلسون عليها ويصلون في المساجد على الارض ويأكلون من دقيق البر والشعير وهو يداس بالدواب وتبول عليه ولا يحترزون من عرق الابل والخيل مع كثرة تمرغها في النجاسات ولم ينقل قط عن أحد منهم سؤال في دقائق النجاسات فهكذا كان تساهلهم فيها وقد انتهت النوبة الآن الى طائفة يسمون الرعونة نظافة فيقولون هى مبني الدين فاكثر أوقاتهم في تزيينهم الظواهر كفعل الماشطة بعروسها والباطن خراب مشحون بخبائث الكبر والعجب والجهل والرياء والنفاق ولا يستنكرون ذلك ولا يتعجبون منه ولو اقتصر مقتصر على الاستنجاء بالحجر أو مشي على الارض حافياً أو صلى على الارض أو على بوارى المسجد من غير سجادة

مفروشة أو مشي على الفرش من غير غلاف للقدم من أدم أو توضأ من آنية عجوز أو رجل غير متقشف أقاموا عليه القيامة وشدوا عليه النكير ولقبوه بالقذر

ومنها بيع التمائم وكذا العزائم وختمات القرآن والعدد المعلوم من سورة (يس) أو بعض الاذكار وقد بلغ من هزؤ هؤلاء بالدين ان كان بعض المشهورين منهم يبيع سورة (يس) لقضاء الحاجات أو لرحمة الاموات يقرأها مرات كثيرة ويعقد لكل مرة عقدة في خيط يحمله حتى اذا ماجاء طالب ابتياع القراءة وأخذ منه الثمن بعد المساومة يحل له من تلك العقد بقدر مايطلب من العدد وقد كنا نسمع عن رؤساء بعض الملل نحو هذا في بيع العبادة التي يسمونها القداديس فنسخر منهم حتى علمنا أننا قد اتبعنا سننهم شبرا بشبر حتى دخلنا في جحر الضب الذي دخلوه . كل أجر يؤخذ على عبادة فهو اكل لاموال الناس بالباطل وقد مضى الصدر الاول ولم يكن أخذ الاجر على عبادة ما معروفا ولا يوجد في كلام اهل القرن الاول والثانى كلمة تشعر بذلك ثم لا يعقل ان تحقق العبادة وتحصل بالاجرة لان تحققها انما يكون بالنية وإرادة وجه الله تعالى وابتغاء مرضاته بامتثال أمره ومتى شاب هذه النية شائبة من حظ الدنيا خرج العمل عن كونه عبادة خالصة لله والله تعالى لا يقبل الا ما كان خالصاً من الحظوظ والشوائب . أقول وقد ورد على لسان الشارع تسمية مثل هذا العمل شركا في حديث مسلم وغيره : « قال الله تعالى : أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك فيه معي غيرى تركته وشركه : اذا كان يوم القيامه أتى بصحف مختمة فتنصب بين يدي الله تعالى فيقول الله لملائكته اقبلوا هذا والقوا هذا

فتقول الملائكة وعزتك مارأينا الا خيراً فيقول نعم لكن كان لغيري ولا أرغب اليوم الا ما ابتغي به وجهي » وفي رواية : يقولون ما كتبنا الا ماعمل : الخ وفي حديث احمد والترمذي وابن ماجه « اذا جمع الله الاولين والآخرين ليوم لاريب فيه نادى مناد من كان أشرك في عمل عمله لله أحدا فليطلب ثوابه من عنده فان الله أغنى الشركاء عن الشرك » وانما يظهر تأويل مثل هذا فيمن قصد العبادة والاجرة معا بحيث لو لم يستأجر للقراءة لقرأ وأما من لايقصد الا الاجرة فاذا لم تكن لايقرأ تلك الختمة أو العدد من السورة أو الذكر فأمره أقبح وذنبه اكبر وعمله باطل لايعتد به شرعاً فدافع الاجر عليه خاسر لماله وآخذه منه خاسر لمآله . ومثل قصد الاجرة المالية الرياء فانه منفعة معنوية

ومنها كثرة النذور والايمان وليس النذر من أصول البر والايمان ولكن اذا اوجب الانسان على نفسه وذكر اسم الله عليه وجب أن لايفرط في جنب الله وفيما ذكر عليه اسم الله ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لاتنذروا فان النذر لايغني من القدر شيأ وانما يستخرج به من البخيل يعني ان الانسان اذا احيط به ربما يسهل عليه انفاق شيء فاذا انقذه الله من تلك المهلكة كان لم يمسه ضر قط فلا بد من شيء يستخرج به ما التزمه على نفسه مما يؤكد عزيمته وينوه نيته والحلف على اربعة اضرب يمين منعقدة وهي اليمين على مستقبل متصور عاقدا عليه قلبه وفيها قوله تعالى ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان . ولغو اليمين قول الرجل لا والله وبلى والله من غير قصد وان يحلف على شيء يظنه كما حلف فتبين بخلافه وفيها قوله تعالى لايؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم . واليمين الغموس وهي التي يحلفها

كاذباً عامداً ليقتطع بها مال امرئ مسلم وهى من الكبائر . اليمين على مستحيل عقلا نحو اصوم امس أو عادة كاحياء الميت وقلب الاعيان واختلف في الضر بين الذين ليس فيهما نص هل فيهما كفارة . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحلفوا بآبائكم من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت (اقول) الحالف باسم شيء لا يتحقق حتى يعتقد فيه عظمة وفي اسمه بركة والتفريط في جنبه واهمال ماذكر اسمه عليه اثما قال صلى الله عليه وسلم من حلف فقال في حلفه باللات والعزى فليقل لا إله إلا الله وقال صلى الله عليه وسلم اذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيرا منها فكفر عن يمينك وات الذي هو خير الذي وقال صلى الله عليه وسلم يمينك على ما يصدقك عليه صاحبك أقول قد يحتاج الاقتطاع مال امرئ مسلم بأن يتأول في اليمين فيقول مثلا والله مافي يدي من مالك شيء يريد ليس في يدي شيء وان كان في تصرفي وقبضي اذا حلفتم (أقول) والنذر على أقسام النذر المبهم وفيه قوله صلى الله عليه وسلم كفارة النذر اذا لم يسم كفارة اليمين والنذر المباح ونذر طاعة في موضع بعينه أو بهيئة بعينها وفيه قصة أبي اسرائيل نذران يقوم ولا يقعد ولا يستظل ولا يتكلم ويصوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مروه فليتكلم وليستظل وليقعد وليتم صومه ونذر المعصية وفيه قوله صلى الله عليه وسلم من نذرا في معصية فكفارته كفارة يمين ونذر مستحيل وفية قوله صلى الله عليه وسلم من نذر نذرا لا يطيقه فكفارته كفارة يمين والاصل في هذا الباب أن الكفارة شرعت منهيه للاثم مزيلة لما حاك في صدره فمن نذر بطاعة فليفعل ومن نذر غير ذلك ووجد في صدره حرجاً وجبت الكفارة والله أعلم

باب تدبير الجسم

فصل في حفظ الصحة

من الغريب أن الانسان لو كان عنده حيوان يجهد في تسمينه وحفظ صحته ولا يفعل ذلك في نفسه وأهل بيته على أن حفظ الصحة يتوقف عليها تسعة أعشار السعادة وماذا ينفع الغني اذا كان امامه مائة لون من الطعام في صحف الذهب وهو لا يشتهيها ولا يحسن هضمها وما ذا يضر الفقير اذا كان أمامه صنف واحد وهو يأكله بشهية وينتفع به في جسمه واذا ضعف جسم الانسان يضعف عقله ولحفظ الصحة علم مخصوص يعتنى به في كثير من البلاد وهو يتعلق بمراعاة الطعام والشراب ونظافة الجسد واللباس والمسكن والهواء والماء واجتناب العوائد الرديئة والابتعاد عما يفسد الجسم من الاعمال . وبهذا تحفظ الصحة وحفظها أهون من ردها بعد فقدها بالعلاج .

من أهم الامور اللازمة لحفظ الصحة (التوقي من الامراض المعدية) وعدم الاختلاط بذويها وذلك مثل مرض الجدري والحصبة والحمى والهواء الاصفر والطاعون والسل فان من يتعرض لمريض مصاب بهذه الامراض أو لاثوابه التي لبسها ولم تطهر بالادوية أو نحو ذلك فهو قاتل لنفسه كمن تناول السم . وقال عمر رضي الله عنه لا أدخل بلدا فيها طاعون ولو لم يخش من العدوى لما قال ذلك

ثم (العناية بالهواء) الهواء ضروري للحياة كالطعام فانه كما يموت الانسان بفقد الطعام كذلك يموت اذا انقطع عنه الهواء

ولما كان الهواء ضرورياً للحياة وجب أن يكون نقياً خالياً من مواد تخالطه وتسمه فتسم الجسم معه . وأخص هذه المواد السامة ثلاثة الاولى ابخرة منبعثة من الجسد والثانية ابخرة منبعثة من الاقذار والثالثة ابخرة من المستنقعات والمياه الراكدة المتعفنة

فاذا ازدحم اناس في غرفة ولم تتجدد هواء هذه الغرفة مدة امتلاء هواءها بالابخرة المنبعثة من داخل الجسم مع كل نفس وهي أبخرة سامة للغاية تفسد الهواء وتضر الجسم ولذلك تجد من كان على هذه الشاكلة من من أصحاب البيوت الضيقة في الحواري ونحوها الذين يهملون تجديد الهواء كل يوم صفر الوجوه مرضي في الغالب . ولهذا أيضاً اذا كان جملة أناس نائمين في محل واحد وجب ترك منفذ مفتوح فيه للهواء ووجب أن يناموا في محل مرتفع عن الارض حتى اذا تراكمت المواد السامة التي في الهواء على الارض لا تصل الى أنفاسهم فتضرهم. ومن أهم ما يلزم لذلك أيضاً تعريض فرش النوم والاسرة ونحوها للشمس حتى تظهر ما علق بها من هذه الابخرة السامة وكذلك ادخال الشمس في أرض الغرفة فانه يطهرها

أما المواد السامة المنبعثة من الاقذار فهي التي تصعد من البلاليع والمراحيض والحفر التي تجتمع فيها أقذار المساكن فتسم الهواء وتجعل رائحته كريهة يحس بها القادم عليها . بل ربما سبب ذلك الحمى في بعض الاحيان . ودواء ذلك النظافة وطرح الاقذار خارج البيوت بعيداً منها ورمي مقادير من الجير النيء في المراحيض والبلاليع كل أسبوع مرة على الاقل - وسد فوهتها بقطع من الخشب

وأما المواد المنبعثة من المياه الراكدة فهي من أهم أسباب الحميات وغيرها ولا سبيل الى السلامة الا بتجفيف تلك المياه أو تحويلها الى جهات أخرى غير قريبة من المساكن

ويأتي من بعد ذلك (العناية بماء الشرب) وهو ضروري للحياة كالغذاء. وعلامة سلامته خلوه من الطعم والرائحة وكدر اللون فمن شربه وهو على أحد هذه الثلاثة أنواع شرب سما زعافا

ولا ينبغي شرب ماء الآبار التي بجانبها مراحيض لان المائين مستقيان من بعض من أسفل الارض . ولا ماء البرك الراكدة فانه فيها ديدان صغيرة لا ترى وتفسده .

ولاجل تطهير الماء الذي يظن به السوء طرق أولها التصفية وهي معروفة اما في الازيار أو المرشحات ونحوها وأن ظن بأن الماء ملوث بامراض معدية فلا بد من غليه نحو عشر دقائق ثم تبريده

ثم (العناية بالطعام والشراب) جسم الانسان كالارض وهي تتغذى بالماء والهواء ثم تخرج النبات فاذا زاد النبات الذي أخرجته عن قيمة ما حصلته ضعفت وكذا الجسم اذا زادت أعماله وما يفقد من قواه عن قدر الذي دخله من الغذاء هزل . وليس القدر الذي يدخل الجسم هو الذي يفيده بل القدر الذي يهضمه فان كثر الاكل فلا ينهضم ولا ينتفع به الجسم كان كعدمه. ولهذا كانت فائدة الهضم عظيمة والهضم يعمله عاملان المضغ بالاسنان وحركة المعدة فاذا لم يمضغ الانسان الطعام جيدا حمل العملان على عامل واحد وهي المعدة فقصرت وضعفت. فالمضغ الجيد ضروري جدا. ثم أن ادخال الطعام على الطعام مهلك ـ لان الاول يكون لم ينهضم فالاولى

أن يترقب الآن مواعيد أكله ولا يأكل في خلاف ذلك . والحكمة العامة في كل ذلك أن لا تأكل حتى تجوع واذا أكلت لا تشبع ثم أن الاطعمة منها ما هو مقدر مفيد للجسم ومنها ما لا ثمرة فيه غير ملأ المعدة واتعابها بلا فائدة فالانواع المفيدة كاللحوم والبيض واللبن والحبوب التى مثل القمح والفول والذرة والعدس والارز والحمص واللوبياء ثم الخضراوات كالقرع والبامياء ونحوها والفواكه كالموز والعنب والتين والموادالسكرية .

ولكن كل شيء كان نجا لم يستو أوكان قد تعفن بالبيات حتى تغير طعمه فانه سم قاتل فيجب عدم اكله

والتدخين والقهوة ان لم يضرا بالصحة فلا ينفعا في الغالب فالاولى عدم الاعتياد عليهما أو التقليل منها بقدر الامكان والاكثار منهما مضر للغاية

ويأتي بعد ذلك العناية بالنور ــ النور يتغذى منه الانسان كما يتغذى من الماء وكما أن النبات اذا لم ير الشمس ذبل وضعف فكذلك الانسان لا بد له من تعريض جسمه للشمس والنور دائما . ولهذا فسكان البيوت المظلمة جناة على صحتهم

ومن هذا الغذاء يتغذى الفلاحون كثيرا فيستفيدون . والعمل على نور ضعيف مثل الكتابة وغيرها يضعف البصر

(ثم العناية بالمسكن) ان معظم بيوت الفقراء رديئة فهى غير مرتفعة عن الارض . وغير مطلقة للهواء في حواري ضيقة ــ وملأى بالسكان الذين يفسدون الهواء بكثرة أنفاسهم . وروائحها كريهة من المراحيض والبلاعات في المدن يؤثر ذلك جدا على صحتهم ويوجب عندهم كثرة الامراض . وأما في الريف فيعوضون هذه الخسارة بالبقاء في الخلاء طول اليوم . واللازم أن

تكون البيوت بضد ماتقدم جميعه وأن يبعد بين محل النوم والمراحيض والمطبخ ومحل الدواب ويفصل كل جزء عن الآخر . ووضع أرواث الحيوانات على البيوت أو جناية لا تغتفر فانه يسم الهواء . والطبقة العليا من البيوت أنفع للصحة لتعرضها للشمس والهواء . ولابد من تغيير هواء البيت يومياً وفتح شبابيكه نهارا ويجب طرح أقذار البيوت بعيدا عنها جدا - وصب مياه الغسل في بلاليع محكمة . والبيوت التي على المرتفعات كالجبال أصح من غيرها

(العناية بالملبس) - أول ما يجب مراعاته في الملبس الوقاية من الحر والبرد ثم الزينة فلا يضحى الاول للثاني . وأحسن الملبس الصوف وهو أنفع من القطن والحرير والكتان لانه يمنع البرودة أكثر . وكذلك الثوبان الرفيعان يدفئان أكثر من حجمهما ان كان ثوبا واحدا لسبب الهواء الذي يحبس بينهما - وفائدة الصوف على العموم لا تقدر صيفا وشتاء - ويجب أن يكون ثوب النوم غير ثوب النهار ويجب أن يعلق كل يوم ليطهره الهواء ويخرج منه افرازات ضروري خروجها

(النظافة) - الجلد يتغذى من الهواء والنور فاذا سد الجلد بالعرق والوسخ الذي عليه امتنع ذلك وسبب ضعفا للجسم وان كان لا يحس به بعض الناس وقد ثبت بالتجارب أنه لو طلي جلد حيوان بمادة مانعة من خروج الافرازات والتغذي من الخارج بالهواء والنور مات كما يموت اذا حجز عنه الهواء فلابد من غسل الجلد بالصابون ونحوه . وغسل اليدين قبل كل طعام وبعده بالصابون لا بمجرد الماء أمر ضروري للصحة . وتنظيف

الشعر والاظفار مما يعلق بها في الادران أمر ضروري جدا أيضاً للصحة

(الرياضة والراحة) الرياضة من أهم الامور فالصبيان يقضون ذلك في اللعب وأحسن ما يكون في الاماكن المكشوفة وهو نافع لهم جدا فلا يجب منعهم منه مطلقـا ـ والكهول والشيوخ يقضونه بالخروج الى المتنزهات والمشي على الاقدام والتنزه وركوب الخيل ونحوها وما يوجب انشراح الصدر وفرح النفس من غير اخلال

ثم ان الرجل لابد له من الراحة والنوم لتعويض ما يفقده الجسم بالتعب فانه غذاء أيضا ويجب أن يكون متوسط النوم ٨ ساعات في اليوم لا أكثر والنوم بعد الطعام قبل الهضم مضر وخصوصا ليلا لطول المدة أما في الظهر فلا ضرر هذا واذا كان مريضا بمرض معد في غرفة واديه تطهيرها فتفرغ من أمتعتها ثم تسد جميع نوافذها وشقوقها تماما بحيث لا يكون منفذ ويوضع كبريت عمود في إناء فخار ويوضع عليه النار ولا يبقى فى الغرفة أحد وتقفل ليلة كاملة

هذا ما يتعلق بحفظ الصحة وأما معالجة المرض فاهم شئ فيه أن الانسان متى أحس بمرض لا يهمله بل يستشير الطبيب وينفذ ما يقوله تماما وأما ترك المرض يذهب وحده أو ترك الطبيب وأخذ وصفة من شيخ أو مزين أو امرأة عجوز أو لبس حجاب أو بخور فهو جنون وجناية على النفس والقـائها في التهلكة . ومن الغريب أن الانسان لو كان عنده حمار ومرض يأتي له بالبيطار الذي هو صاحب صنعة علاجه واذا كسر باب يأتي له بالنجار واذا مرض هو يترك نفسه أو يأتي لمعالجتها برجل ليس بصاحب تلك الصناعة عقابه الالم والمرض والموت . وان

قال إن هذه الخرافات جربت ونجحت فهذا كذب واذا طاب منها رجل يكون قد طاب لان زمن المرض انتهى من نفسه

باب تدبير العائله

﴿ فصل في الزواج ﴾

قال الله تعالى فانكحوا ماطاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم أن لاتعدلوا فواحدة أو ماملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا وقال الله تعالى وانكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم معنى الآية زوجوا أيها المؤمنون من لازوج له من أحرار رجالكم ونسائكم والصالحين من عبيدكم وامائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله وفي الصحيحين عن ابن مسعود رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء والوجاء قطع الشهوة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة رواه مسلم وقال صلى الله عليه وسلم من أحب فطرتي فليستن بسنتي أي النكاح وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من نكح لله وأنكح لله استحق ولاية الله وروى ابن ماجة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من أراد أن يلقى الله طاهراً مطهراً فليتزوج الحرائر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة حق على الله عونهم المكاتب الذي يريد الاداء والناكح يريد العفاف والمجاهد في سبيل الله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من

ترك التزويج مخافة العيلة فليس منا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تزوج فقد احرز شطر دينه فليتق الله في الشطر الثاني قال الغزالي رحمه الله فكأن المفسد لدين المرء في الاغلب فرجه وبطنه وقد كفى بالتزويج أحدهما وقال عمر رضي الله عنه لايمنع من الزواج الا عجز أو فجور وقال ابن مسعود رضي الله عنه لو لم يبق من عمري الا عشرة أيام لاحببت أن أتزوج لاألقى الله عزبا وماتت امرأتان لمعاذ بن جبل في الطاعون وكان هو أيضاً مطعوناً فقال زوجوني فاني أكره أن ألقى الله تعالى عزباً وقال بشر بن الحرث فضل على أحمد بن حنبل بثلاث بطلب الحلال لنفسه ولغيره وأنا أطلبه لنفسي فقط ولاتساعه في النكاح وضيقي عنه ولانه نصب اماما للعامة ويقال ان احمد تزوج في اليوم الثاني من وفاة أم ولده قال ابو حامد الغزالي رحمه الله وقد قيل فضل المتأهل على العزب كفضل المجاهد على القاعد وركعة من متأهل أفضل من سبعين ركعة من عزب

وذكر الامام ابو حامد الغزالي رحمه الله له خمس فوائد وثلاث آفات أما فوائده فالاولى الولد وفيه اربع فوائد الاول موافقة محبة الله في السعى في تحصيل الولد لبقاء جنس الانسان الثانية طلب محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم في تكثير من به مباهاته قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تناكحوا تكثروا فاني اباهي بكم الامم حتى بالسقط الثالثة طلب التبرك بدعاء الولد الصالح بعده الرابع طلب الشفاعة بموت الولد الصغير اذا مات قبله

(الفائدة الثانية) التحصن عن الشيطان وكسر التوقان ودفع غوائل الشهوات وغض البصر وحفظ الفرج واليه الاشارة في قوله صلى الله عليه وسلم من تزوج فقد احرز شطر دينه فليتق الله في الشطر الآخر وقال قتادة في

معنى قوله تعالى مالا طاقة لنا به هو الغلمة وكان الجنيد رحمه الله يقول أحتاج الى النكاح كما أحتاج الى القوت قال الغزالي رحمه الله فالزوجة على التحقيق قوت وسبب لطهارة القلب ولذلك أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم كل من وقع بصره على امرأة فتاقت اليها نفسه أن يجامع أهله لانه يدافع الوساوس عن النفس

(الفائدة الثالثة) ترويح النفس وايناسها بالمجالسة والنظر والملاعبة لراحة القلب وتقويه على العبادة فان النفس ملول وهى عن الحق نفور لانه على خلاف طبعها فلو كلفت المداومة بالا كراه على مايخالفها جمعت وتأبت واذا روحت باللذات في بعض الاوقات قويت ونشطت قال علي رضي الله عنه روحوا القلوب فانها اذا اكرهت عميت وفي الخبر على العاقل أن يكون له ثلاث ساعات ساعة يناجي فيها ربه وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يخلو فيها لمطعمه ومشربه فان هذه الساعه عون على تلك الساعات (الفائدة الرابعة) تفريغ القلب عن تدبير المنزل والتكفل بشغل الطبخ والكنس والفرش وتنظيف الاواني وتهيئة أسباب المعيشة فان الانسان لو تكفل بهذه الاشغال لضاع أكثر أوقاته ولم يتفرغ للعلم والعمل فالمرأة الصالحة المصلحة للمنزل عون على الدين بهذا الطريق قال ابو سليمان الدراني رحمه الله الزوجة الصالحة ليست من الدنيا فانها تفرغك للآخرة وانما تفريغها بتدبير المنزل وبقضاء الشهوة جميعاً وقال عليه الصلاة والسلام ليتخذ أحدكم قلبا شاكرا ولسانا ذاكرا وزوجة مؤمنة تعينه على آخرته قال الغزالى رحمه الله تعالى فانظر كيف جمع بينها وبين الذكر والشكر (الفائدة الخامسة) مجاهدة النفس ورياضتها بالرعاية والولاية والقيام بحقوق الاهل والصبر على اخلاقهن واحتمال الاذى منهن والسعى

في اصلاحهن وارشادهن الى طريق الدين والاجتهاد في كسب الحلال لاجلهن والقيام بتربية الاولاد فكل هذه اعمال عظيمة الفضل قال عليه الصلاة والسلام ما أنفق الرجل على أهله فهو صدقة وان الرجل ليؤجر في رفع اللقمة الى في امراته وقال ابن المبارك وهو مع اخوانه في الغزو أتعلمون عملا هو أفضل مما نحن فيه قالوا لا قال رجل متعفف ذو عيلة قام من الليل فنظر الى صبيانه متكشفين فسترهم وغطاهم بثوبه فعمله أفضل مما نحن فيه وقال عليه الصلاة والسلام من حسنت صلاته وكثر عياله وقل ماله ولم يغتب المسلمين كان معي في الجنه كهاتين وفي حديث آخر ان الله يحب الفقير المتعفف أبا العيال وقال بعض السلف من الذنوب ذنوب لا يكفرها الا الهم بطلب المعيشة (وأما آفاته) فثلاث (الاولى) وهي أقواها العجز عن طلب الحلال فان ذلك يصعب فربما امتدت يد المتزوج الى ماليس له وفي الخبر ان العبد ليوقف عند الميزان وله من الحسنات أمثال الجبال فيسئل عن رعاية عياله والقيام بهن وعن ماله من أين اكتسبه وفيما انفقه حتى يستغرق بتلك المطالبة كل أعماله فلا تبقى له حسنة فتنادى الملائكة هذا الذي اكل عياله حسناته في الدنيا وارتهن اليوم بأعماله ويقال إن أول ما يتعلق بالرجل في القيامة أهله وولده فيوقفونه بين يدى الله عز وجل ويقولون يا ربنا خذ لنا بحقنا منه فانه ما علمنا ما نجهل وكان يطعمنا الحرام ونحن لا نعلم فيقتص لهم (الآفة الثانية) القصور عن القيام بحقوقهن والصبر على أخلاقهن واحتمال الاذى منهن وفي هذا خطر لانه راع ومسئول عن رعيته وروي ان الهارب من عياله بمنزلة العبد الآبق لاتقبل له صلاة ولا صيام حتى يرجع اليهم ومن يقصر عن القيام بحقهن وهو حاضر فهو بمنزلة الهارب ورؤى سفيان على باب

السلطان فقيل ماهذا موقفك فقال وهل رأيت ذو عيال أفلح * وحكى أبو الليث السمرقندي رحمه الله عن الحسن أنه قال جهد البلاء أربعة كثرة العيال وقلة المال وجار السوء وزوجة تخونك (الآفة الثالثة) أن يكون الاهل والولد يشغلونه عن الله عز وجل فيقضي ليله ونهاره بالتمتع بذلك ولا يتفرغ القلب للفكر في الآخرة والعمل لها قال الامام أبو حامد رحمه الله تعالى فهذه مجامع الآفات والفوائد فالحكم على شخص واحد بان الافضل له النكاح أو العزوبة قصور عن الاحاطة بمجامع هذه الامور بل ينبغي أن ينظر فمن وجدت في حقه هذه الفوائد كلها أو بعضها وانتفت عنه الآفات كلها فلا شك أن النكاح له أفضل ومن انتفت في حقه الفوائد واجتمعت عليه الآفات فالعزوبة له أفضل وان تقابلت الفوائد والآفات على ما هو الغالب عليه فليزن الامرين بميزان القسط فالغالب على ظنه رجحان أحدهما حكم بموجب الراجح

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تنكح المرأة لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك وعن جابر رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له وقد تزوج ثيبا هلا جارية تلاعبها وتلاعبك رواهما البخاري ومسلم وفي رواية لمسلم فهلا بكرا تلاعبها وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تخيروا لنطفكم وانكحوا الاكفاء وانكحوا اليهم رواه ابن ماجة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تنكح المرأة على احدى خصال ثلاثة تنكح على جمالها وتنكح على دينها وتنكح على خلقها فعليك بذات الدين تربت يداك وقال رسول

الله صلى الله عليه وسلم خير النساء من تسر اذا نظر وتطيع اذا أمر ولا تخالفه في نفسها ومالها وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم النساء بركة أيسرهن صداقا وقال عروة رضي الله عنه وأنا أقول من عندي أول شؤمها أن يكثر صداقها روى هذه الاحاديث الثلاثة الحاكم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوجوا الولود الودود فاني مكاثر بكم رواه أبو داود والنسائي وابن حبان والحاكم

ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا تنكحوا القرابة القريبة فان الولد يخلق ضاويا أي نحيفا وذلك لضعف الشهوة قال ابن الملقن وأورد القاضى والماوردي حديثا أنه صلى الله عليه وسلم قال لزيد بن حارثة لا تتزوج خمسا شهبرة ولا لهبرة ولا نهبره ولا هندرة ولا لعونا فالاولى الزرقاء البذية الثانية الطويلة المهزولة والثالثة العجوز المدبرة والرابعة القصيرة الذميمة والخامسة ذات الولد من غيرك وذكر الامام أبو حامد رحمه الله في الاحياء عن بعض العرب أنه قال لا تنكحوا من النساء ستا لا أنانة ولا منانة ولا حنانة ولا حداقة ولا براقة ولا شداقة قال أبو حامد الغزالي أما الانانة التي تكثر الانين والتشكي وتعصب رأسها كل ساعة فنكاح الممارضه أو المتمارضة لا خير فيه والمنانة التي تمن على زوجها فتقول فعلت لاجلك كذا وكذا والحنانة التي تحن الى زوج آخر أو إلى ولدها من زوج آخر وهذا أيضا مما يجب اجتنابه والحداقة التي ترمي الى كل شئ ببصرها فتشتهيه وتكلف الزوج شراءه والبراقة تحتمل معنيين أحدهما أن تكون طول نهارها فى تصقيل وجهها وتزيينه ليكون لوجهها بريق يحصل بالتصنع والثاني أن تغضب على الطعام فلا تأكل الا وحدها وتستقل نصيبها من كل شئ وهذه لغة يمانية

يقولون برقت المرأة وبرق الصبي الطعام اذا غضب عنده والشداقة المتشدقة الكثيرة الكلام ومنه قوله صلى الله عليه وسلم ان الله يبغض الثرثارين ويحكى ان السائح الازدي لقى حكيما في سياحة فامره بالتزوج ونهاه عن التبتل ثم قال لا تنكح أربعا المختلعة والمبارية والعاهرة والناشزة قال الامام أبو حامد رحمه الله أما المختلعة فهي التى تطلب الخلع كل ساعة من غير سبب والمبارية المباهيه لغيرها المفاخرة بأسباب الدنيا والعاهرة الفاسقة التي تعرف بخليل وخدن وهى التي قال الله تعالى ولا متخذات أخدان والناشزة التي تعلو على زوجها في الفعال والمقال من النشز وهو العالي من الارض روى الترمذي والنسائي عن المغيرة بن شعبة رضى الله عنه أنه خطب امرأة فقال النبي صلى الله عليه وسلم أنظر اليها فانه أحرى أن يؤدم بينكما وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن في أعين الانصار شيأ فاذا أراد أحدكم أن يتزوج منهن فلينظر اليهن قال الغزالي رحمه الله في الاحياء قيل كان فى أعينهن عمش وقيل صغر قال الغزالي وكان بعض الورعين لا ينكحون كرائمهم الا بعد النظر احترازا من الغرر قال الاعمش كل تزويج يقع على غير نظر فآخره هم وغم قال الغزالي في الحديث من ينكح المرأة لجمالها ومالها حرم مالها وجمالها ومن نكحها لدينها رزقه الله مالها وجمالها وقال بعضهم من تزوج غنية كان له منها خمس خصال مغالاة الصداق وتسويف الزفاف وفوت الخدمة وكثرة النفقة واذا أراد طلاقها لم يقدر خوفا من ذهاب مالها والفقيرة بخلاف ذلك وقال على رضي الله عنه شر خصال الرجال خير خصال النساء البخل والزهو والجبن فان المرأة اذا كانت بخيلة حفظت مالها ومال زوجها واذا كانت مزهوة استنكفت أن تكلم أحدا بكلام لين واذا كانت جبانة

منهن يوما الى الليل وراجعت امرأة عمر رضي الله عنه في الكلام فقال اتراجعين يالكعاء فقالت ان ازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم يراجعنه وهو خير منك فقال عمر خابت حفصة وخسرت ان راجعته ثم قال لحفصه لاتغتري بابنة ابن أبي قحافة فانها حب رسول الله صلى الله عليه وسلم وخوفها من من المراجعة (الثالث) أن يزيد على احتمال الاذى بالمداعبة والمزح والملاعبة فهي التي تطيب قلوب النساء وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمزح معهن وينزل الى درجات عقولهن في الاعمال والاخلاق حتى روى انه صلى الله عليه وسلم كان يسابق عائشة في العدو فسبقته يوما وسبقها في بعض الايام فقال عليه السلام هذه بتلك وفي الخبر انه كان صلى الله عليه وسلم من أفكه الناس مع نسائه وقالت عائشة رضي الله عنها سمعت أصوات اناس من الحبشة وغيرهم وهم يلعبون في يوم عاشوراء فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اتحبين أن ترى لعبهم قالت قلت نعم فارسل اليهم فجاؤا وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بين البابين فوضع كفه على الباب ومد يده ووضعت ذقني على يده وجعلوا يلعبون وأنظر وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حسبك واقول اسكت مرتين أو ثلاثاً ثم قال ياعائشة حسبك فقلت نعم فاشار اليهم فانصرفوا فقال رسول صلى الله عليه وسلم أكمل المؤمنين ايماناً احسنهم خلقاً وألطفهم باهله وقال عليه السلام خيركم خيركم لنسائه وأنا خيركم لنسائي وقال عمر رضى الله عنه مع خشونته ينبغي للرجل أن يكون في أهله مثل الصبي فاذا التمسوا ماعنده وجد رجلا وقال لقمان رحمه الله ينبغي للعاقل أن يكون في اهله كالصبي واذا كان في القوم وجد رجلا وفي تفسير الخبر المروي ان الله يبغض الجعظري الجواظ قيل هو الشديد على

أهله المتكبر في نفسه وهو أحد ما قيل في معنى قوله عتل قيل العتل هو
لفظ اللسان الغليظ القلب على أهله وقال عليه السلام لجابر هلا بكرا تلاعبها
وتلاعبك ووصفت اعرابية زوجها وقد مات فقالت والله لقد كان ضحوكاً
اذا ولج سكيتا اذا خرج آكلا ماوجد غير سائل عما فقد (الرابع) ان لا
ينبسط في الدعابة وحسن الخلق والموافقة باتباع هواها الى حد يفسد خلقها
ويسقط بالكلية هيبته عندها بل يراعي الاعتدال فيه فلا يدع الهيبة
والانقباض مهما رأى منكرا ولا يفتح باب المساعدة على المنكرات البتة
بل مهما رأى ما يخالف الشرع والمروأة تمر وامتعض قال الحسن
والله ما أصبح رجل يطيع امرأته فيما تهوى الا كبه الله في النار
وقال عمر رضى الله عنه خالفوا النساء فان في خلافهن البركة وقد قيل
شاوروهن وخالفوهن وقد قال عليه السلام تعس عبد الزوجة وانما قال ذلك
لانه اذا أطاعها في هواها فهو عبدها وقد تعس فان الله ملكه المرأة فملكها
نفسه فقد عكس الامر وقلب القضية وأطاع الشيطان لما قال ولآمرنهم
فليغيرن خلق الله اذ حق الرجل أن يكون متبوعا لا تابعا وقد جعل الله
الرجال قوامين على النساء وسمى الزوج سيدا فقال تعالى والفيا سيدها لدى الباب
فاذا انقلب السيد مسخرا فقد بدل نعمة الله كفرا ونفس المرأة على مثال
نفسك ان أرسلت عنانها قليلا جمحت بك طويلا وان أرخيت عذارها فترا
جذبتك ذراعا وان كبحتها وشددت يدك عليها في محل الشدة ملكتها قال
الشافعي رضي الله عنه ثلاث ان أكرمتهم أهانوك وان أهنتهم أكرموك
المرأة والخادم والنبطى أراد به ان محضت الاكرام ولم تمزج غلظك بلينك
وفظاظتك برفقك وكانت نساء العرب يعلمن بناتهن اختبار الازواج

وكانت المرأة تقول لا بنتها اختبري زوجك قبل الاقدام والجراءة عليه انزعي زج رمحه فان سكت فقطعي اللحم على ترسه فان سكت فكسري العظام بسيفه فان سكت فاجعلي الاكاف على ظهره وامتطيه فانما هو حمارك وعلى الجملة فبالعدل قامت السموات والارض فكل ما جاوز حده انعكس على ضده فينبغي أن تسلك سبيل الاقتصاد في المخالفة والموافقة وتتبع الحق في جميع ذلك لتسلم من شرهن فان كيدهن عظيم وشرهن فاش والغالب عليهن سوء الخلق وركاكة العقل ولا يعتدل ذلك منهن الا بنوع لطف ممزوج بسياسة وقال عليه السلام مثل المرأة الصالحة في النساء كمثل الغراب الاعصم بين مائة غراب والاعصم أعني الابيض البطن وفي وصية لقمان لابنه يا بني اتق المرأة السوء فانها تشيبك قبل الشيب واتق شرار النساء فانهن لايدعون الى خير وكن من خيارهن على حذر وقال عليه السلام استعيذوا من الفواقر الثلاث وعد منهن المرأة السوء فانها المشيبة قبل الشيب وفي لفظ آخر ان دخلت عليها سبتك وان غبت عنها خانتك وقد قال عليه السلام في خيرات النساء ان كن صواحبات يوسف يعني صرفكن أبا بكر عن التقدم في الصلاة ميل منكن عن الحق الى الهوى قال الله تعالى حين أفشين سر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما أي مالت وقال ذلك في خير أزواجه وقال عليه السلام لا يفلح قوم تملكهم امرأة وقد برز عمر رضي الله عنه امرأته لما راجعته وقال ما أنت الا لعبة في جانب البيت ان كانت لنا اليك حاجة والا جلست كما أنت فاذا فيهن شر وفيهن ضعف فالسياسة والخشونة علاج الشر والمطايبة والرحمة علاج الضعف فالطبيب

الحاذق هو الذي يقدر العلاج بقدر الداء فلينظر الرجل أولا الى اخلاقها بالتجربة ثم ليعاملها بما يصلحها كما يقتضيه حالها (الخامس) الاعتدال في الغيرة وهو ان لا يتغافل عن مبادئ الامور التي تخشى غوائلها ولا يبالغ في اساءة الظن والتعنت وتجسس البواطن فقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تتبع عورات النساء وفي لفظ آخر ان تبغت النساء ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفره قال قبل دخول المدينة لا تطرقوا النساء ليلا فخالفه رجلان فسبقا فرأى كل واحد في منزله ما يكره وفي الخبر المشهور المرأة كالضلع ان قومته كسرته فدعه تستمتع به على عوج وهذا في تهذيب اخلاقها وقال صلى الله عليه وسلم ان من الغيرة غيرة يبغضها الله عز وجل وهي غيرة الرجل على أهله من غير ريبة لان ذلك من سوء الظن الذي نهينا عنه فان بعض الظن اثم وقال علي رضي الله عنه لا تكثر الغيرة على أهلك فترمي بالسوء من أجلك وأما الغيرة في محلها فلا بد منها وهي محمودة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يغار والمؤمن يغار وغيرة الله تعالى أن يأتي الرجل ما حرم عليه وقال عليه السلام اتعجبون من غيرة سعد أنا والله أغير منه والله أغير مني ولاجل غيرة الله تعالى حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا أحد أحب اليه العذر من الله ولذلك بعث المنذرين والمبشرين ولا أحد أحب اليه المدح من الله ولاجل ذلك وعد الجنة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت ليلة أسري بي في الجنة قصراً وبفنائه جارية فقلت لمن هذا القصر فقيل لعمر فأردت أن انظر اليها فذكرت غيرتك ياعمر فبكى عمر وقال أعليك اغار يارسول الله وكان الحسن يقول اتدعون نساءكم يزاحمن العلوج في الاسواق قبح الله من

لا يغار وقال عليه السلام ان من الغيرة ما يحبه الله ومنها ما يبغضه الله ومن الخيلاء ما يحبه الله ومنها ما يبغضه الله فأما الغيرة التي يحبها الله فالغيرة في الريبة والغيرة التي يبغضها الله فالغيرة في غير ريبة والاختيال الذي يحبه الله اختيال الرجل بنفسه عند القتال وعند الصدمة والاختيال الذي يبغضه الله الاختيال في الباطن وقال عليه السلام اني لغيور وما من امرئ لا يغار الا منكوس القلب والطريق المغنى عن الغيرة أن لا يدخل عليها الرجال وهي لا تخرج الى الاسواق وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابنته فاطمة عليها السلام أي شيء خير للمرأة قالت أن لا ترى رجلا ولا يراها رجل فضمها اليه وقال ذرية بعضها من بعض فاستحسن قولها وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسدون الكوى والثقب في الحيطان لئلا تطلع النسوان الى الرجال ورأي معاذ امرأته تطلع في الكوة فضربها فرأى امرأته قد دفعت الى غلامه تفاحة قد أكلت منها فضربها وقال عمر رضي الله عنه أعروا النساء يلزمن الحجال وانما قال ذلك لانهن لا يرغبن في الخروج في الهيئة الرثة وقال عودوا نساءكم لا و كان قد اذن رسول الله صلى الله عليه وسلم للنساء في حضور المسجد والصواب الآن المنع الا العجائز بل استصوب ذلك في زمان الصحابة حتى قالت عائشة رضي الله عنها لو علم النبي صلى الله عليه وسلم ما أحدثت النساء بعده لمنعهن من الخروج ولما قال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تمنعوا إماء الله مساجد الله فقال بعض ولده بلى والله لنمنعهن فضربه وغضب عليه وقال تسمعني أقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تمنعوا فتقول بلى وانما استجرأ على المخالفة لعلمه بتغير الزمان وانما غضب عليه لاطلاقه اللفظ بالمخالفة ظاهرا من غير

اظهار العذر وكذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أذن لهن في الاعياد خاصة أن يخرجن ولكن لا يخرجن الا برضاء أزواجهن والخروج الآن مباح للمرأة العفيفة برضاء زوجها ولكن القعود أسلم وينبغي أن لا تخرج الا لمهم فان الخروج للنظارات والامور التي ليست مهمة تقدح في المروءة وربما تفضي الى الفساد فاذا خرجت فينبغي أن تغض بصرها عن الرجال ولسنا نقول ان وجه الرجل في حقها عورة كوجه المرأة في حقه بل هو كوجه الصبي الامرد في حق الرجل فيحرم النظر عند خوف الفتنة فقط فان لم تكن فتنة فلا اذ لم يزل الرجال على ممر الزمان مكشوفي الوجوه والنساء يخرجن متنقبات ولو كان وجوه الرجال عورة في حق النساء لأمروا بالتنقب أو منعوا من الخروج الا لضرورة (السادس) الاعتدال في النفقة فلا ينبغي أن يقتر عليهن في الانفاق ولا ينبغي أن يسرف بل يقتصد قال تعالى كلوا واشربوا ولا تسرفوا وقال تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خيركم خيركم لاهله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دينار انفقته في سبيل الله ودينار أنفقته في رقبته ودينار تصدقت به على مسكين ودينار أنفقته على أهلك أعظمها اجرا الذي انفقته على اهلك وقيل كان لعلي رضى الله عنه أربع نسوة فكان يشتري لكل واحدة في كل اربعة ايام لحما بدرهم وقال الحسن رضي الله عنه كانوا في الرجال مخاصيب وفي الاثاث والثياب مغافير وقال ابن سيرين يستحب الرجل أن يعمل لاهله في كل جمعة فالوذجة وكأن الحلاوة وان لم تكن من المهمات ولكن تركها بالكلية تقتير في العادة وينبغي أن يأمرها بالتصدق ببقايا الطعام وما يفسد لو ترك فهذا اقل درجات الخير وللمرأة

أن تفعل ذلك بحكم الحال من غير تصريح اذن من الزوج ولا ينبغي ان يستأثر عن أهله بمأكول طيب فلا يطعمهم منه فان ذلك مما يوغر الصدور ويبعد عن المعاشرة بالمعروف فان كان مزمعاً على ذلك فليأ كله بخفية بحيث لا يعرف أهله ولا ينبغي أن يصف عندهم طعاما ليس يريد اطعامهم اياه واذا اكل فيقعد العيال كلهم على مائدته فقد قال سفيان رضي الله عنه بلغنا ان الله وملائكته يصلون على أهل بيت يأكلون جماعة وأهم ما يجب عليه مراعاته في الانفاق أن يطعمها من الحلال ولا يدخل مداخل السوء لاجلها فان ذلك جناية عليها لا مراعاة لها وقد أوردنا الاخبار الواردة في ذلك عند ذكر آفات النكاح (السابع) أن يتعلم المتزوج من علم الحيض وأحكامه ما يحترز به الاحتراز الواجب ويعلم زوجته احكام الصلاة وما يقضي منها في الحيض ومالا يقضي فانه أمر بأن يقيها النار بقوله تعالى قوا أنفسكم وأهليكم نارا فعليه أن يلقنها اعتقاد أهل السنة ويزيل عن قلبها كل بدعة ان استمعت اليها ويخوفها في الله ان تساهلت في أمر الدين ويعلمها من أحكام الحيض والاستحاضة ما تحتاج اليه وعلم الاستحاضة يطول فاما الذي لابد من ارشاد النساء اليه في امر الحيض بيان الصلوات التي تقضيها فانها مهما انقطع دمها قبيل المغرب بمقدار ركعة فعليها قضاء الظهر والعصر واذا انقطع قبل الصبح بمقدار ركعة فعليها قضاء المغرب والعشاء وهذا اقل ما يراعيه النساء فان كان الرجل قائما بتعليمها فليس لها الخروج لسؤال العلماء وان قصر علم الرجل ولكن ناب عنها في السؤال فاخبرها بجواب المفتي فليس لها الخروج فان لم يكن ذلك فلها الخروج للسؤال بل عليها ذلك ويعصي الرجل بمنعها ومهما تعلمت ما هو من الفرائض عليها فليس لها ان تخرج الى مجلس ذكر ولا الى تعلم فضل الا برضاه ومهما

اهملت المرأة حكماً من أحكام الحيض والاستحاضة ولم يعلمها الرجل خرج الرجل معها وشاركها في الاثم (الثامن) اذا كان له نسوة فينبغي أن يعدل بينهن ولا يميل الى بعضهن فان خرج الى سفر واراد استصحاب واحدة أقرع بينهن كذلك كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فان ظلم امرأة بليلتها قضى لها فان القضاء واجب عليه وعند ذلك يحتاج الى معرفة أحكام القسم وذلك يطول ذكره وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان له امرأتان فمال الى احداهما دون الاخرى وفي لفظ ولم يعدل بينهما جاء يوم القيامة واحد شقيه مائل وانما عليه العدل في العطاء والمبيت وأما في الحب والوقاع فذلك لا يدخل تحت الاختيار قال الله تعالى ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم أي لا تعدلوا في شهوة القلب وميل النفس ويتبع ذلك التفاوت في الوقاع وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعدل بينهن في العطاء والبيتوتة في الليالي ويقول اللهم هذا جهدي فيما أملك ولا طاقة لي فيما تملك ولا أملك يعني الحب وقد كانت عائشة رضى الله عنها أحب نسائه اليه وسائر نسائه يعرفن ذلك وكان يطاف به محمولا في مرضه في كل يوم وليلة فيبيت عند كل واحدة منهن ويقول أين أنا غدا ففطنت لذلك امرأة منهن فقالت انما يسأل عن يوم عائشة فقلن يارسول الله قد أذنا لك أن تكون في بيت عائشة فانه يشق عليك أن تحمل في كل ليلة فقال وقد رضيتن بذلك فقلن نعم قال فحولوني الى بيت عائشة ومهما وهبت واحدة ليلتها لصاحبتها ورضي الزوج بذلك ثبت الحق لها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم بين نسائه فقصد أن يطلق سودة بنت زمعة لما كبرت فوهبت ليلتها لعائشة وسألته ان يقرها على الزوجية حتى تحشر في زمرة نسائه فتركها وكان

لايقسم لها ويقسم لعائشة ليلتين ولسائر أزواجه ليلة ليلة ولـكنه صلى الله عليه وسلم لحسن عدله وقوته كان اذا تاقت نفسه الى واحدة من النساء في غير نوبتها فجامعها طاف في يومه أو ليلته على سائر نسائه فمن ذلك ماروى عن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم طاف على نسائه في ليلة واحدة وعن أنس أنه عليه السلام طاف على تسع نسوة في ضحوة نهار (التاسع) في النشوز ومهما وقع بينهما خصام ولم يلتئم امرهما فان كان من جانبهما جميعاً او من الرجل فلا تسلط الزوجة على زوجها ولا يقـدر على اصلاحها فلا بد من حكمين احدهما من اهله والآخر من اهلها لينظرا بينهما ويصلحا أمرهما إن يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما وقد بعث عمر رضي الله عـنه حكما الى زوجين فعاد ولم يصلح أمرهما فعلاه بالدرة وقال ان الله تعالى يقول ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما فعاد الرجل وأحسن النية وتلطف بهما فاصلح بينهما وأما اذا كان النشوز من المرأة خاصـة فالرجال قوامون على النساء فله أن يؤدبها ويحملها على الطاعة قهرا وكذا اذا كانت تاركة للصلاة فله حملها على الصلاة قهرا ولكن ينبغي ان يتدرج في تأديبها وهو ان يقدم اولا الوعظ والتحذير والتخويف فان لم ينجع ولاها ظهره في المضجع او انفرد عنها بالفراش وهجرها وهو في البيت معها من ليـلة الى ثلاث ليال فان لم ينجع ذلك فيها ضربها ضرباً غير مبرح بحيث يؤلمها ولا يكسر لها عظما ولا يدمى لها جسماً ولا يضرب وجهها فذلك منهى عنه وقد قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ماحق المرأة على الرجل قال يطعمها اذا طعم ويكسوها اذا اكتسي ولا يقبح الوجه ولا يضرب الاضرباً غير مبرح ولا يهجرها الا في المبيت وله ان يغضب عليها ويهجرها في امر من امور الدين الى عشر

والى عشرين والى شهر فعل ذلك رسول الله صلى عليه وسلم اذ ارسل الى زينب بهدية فردتها عليه فقالت له التي هو في بيتها لقد اقاتك اذ ردت عليك هديتك أي اذلتك واستصغرتك فقال صلى الله عليه وسلم انتن اهون على الله ان تقمئنني ثم غضب عليهن كلهن شهرا الى أن عاد اليهن

العاشر في آداب الولادة وهي خمسة * الاول ان لايكثر فرحه بالذكر وحزنه بالانثى فانه لايدري الخيرة له في ايهما فكم من صاحب ابن يتمنى ان لايكون له أو يتمني ان تكون بنتا بل السلامة منهن اكثر والثواب فيهن أجزل قال صلى الله عليه وسلم من كان له ابنة فأدبها فأحسن تأديبها وغذاها فأحسن غذاءها واسبغ عليها من النعمة التي أسبغ الله عليه كانت له ميمنة وميسرة من النار الى الجنة وقال ابن عباس رضي الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامن أحد يدرك ابنتين فيحسن اليهما ماصحبتاه الا أدخلتاه الجنة وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كانت له ابنتان أو أختان فأحسن اليهما ماصحبتاه كنت أنا وهو في الجنة كهاتين وقال انس قال رسول الله صلى لله عليه وسلم من خرج الى سوق من أسواق المسلمين فاشترى شيئاً فحمله الى بيته فخص به الاناث دون الذكور نظر الله اليه ومن نظر الله اليه لم يعذبه وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حمل طرفة من السوق الى عياله فكانما حمل اليهم صدقة حتى يضعها فيهم وليبدأ بالاناث قبل الذكور فانه من فرح أنثى فكانما بكى من خشية الله ومن بكى من خشيته حرم الله بدنه على النار وقال أبو هريرة قال صلى الله عليه وسلم من كانت له ثلاث بنات أو اخوات فصبر على لأوائهن وضرائهن أدخله الله الجنة بفضل رحمته اياهن فقال رجل وثنتان

يارسول الله قال وثنتان فقال رجل أو واحدة فقال أو واحدة * الادب الثاني ان يؤذن في اذن الولد روى رافع عن أبيه قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم قد أذن في اذن الحسن حين ولدته فاطمه رضي الله عنها وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من ولد له مولود فأذن في أذنه اليمنى وأقام في أذنه اليسرى دفعت عنه أم الصبيان ويستحب ان يلقنوه أول انطلاق لسانه لا إله الا الله ليكون ذلك أول حديثه والختان في اليوم السابع ورد به خبر * الادب الثالث ان تسميه اسما حسنا فذلك من حق الولد وقال صلى الله عليه وسلم اذا سميتم فعبدوا وقال عليه الصلاة والسلام أحب الاسماء الى الله عبد الله وعبد الرحمن وقال سموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي قال العلماء كان ذلك في عصره صلى الله عليه وسلم اذا كان ينادي ياأباالقاسم والآن فلا بأس نعم لايجمع بين اسمه وكنيته وقد قال صلى الله عليه وسلم لاتجمعوا بين اسمي وكنيتي وقيل ان هذا ايضا كان في حياته وتسمى رجل أبا عيسى فقال عليه السلام ان عيسى لااب له فيكره ذلك والسقط ينبغي ان يسمى قال عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية بلغني ان السقط يصرخ يوم القيامة وراء أبيه فيقول انت ضيعتني وتركتني لااسم لي فقال عمر بن عبد العزيز كيف وقد لايدري انه غلام أو جارية فقال عبد الرحمن من الاسماء مايجمعهما كحمزة وعمارة وطلحة وعتبة وقال صلى الله عليه وسلم انكم تدعون يوم القيامة باسمائكم وأسماء آبائكم فأحسنوا أسماءكم ومن كان له اسم يكره يستحب تبديله أبدل رسول الله صلى الله عليه وسلم اسم العاص بعبد الله وكان اسم زينب برة فقال عليه السلام تزكي نفسها فسماها زينب وكذلك ورد النهي في تسمية أفلح ويسار ونافع وبركة لانه يقال اثم بركة

فيقال لا * الرابع العقيقة عن الذكر بشاتين وعن الانثى بشاة ولا بأس بالشاة ذكرا كان أو أنثى وروت عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر في الغلام ان يعق بشاتين مكافئتين وفي الجارية بشاة وروى انه عق عن الحسن بشاة وهذا رخصة في الاقتصار على واحدة وقال صلى الله عليه وسلم مع الغلام عقيقته فاهريقوا عنه دما واميطوا عنه الاذى ومن السنة ان يتصدق بوزن شعره ذهبا أو فضة فقد ورد فيه خبر انه عليه السلام أمر فاطمة رضي الله عنها يوم سابع حسين ان تحلق شعره وتتصدق بزنة شعره فضه قالت عائشة رضي الله عنها لا يكسر للعقيقة عظم * الخامس ان يحنكه بتمرة أو حلاوة وروى عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت ولدت عبد الله بن الزبير بقباء ثم أتيت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعته في حجره ثم دعا بتمرة فمضغها ثم تفل في فيه فكان أول شيء دخل جوفه ريق رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم حنكه بتمرة ثم دعا له وبرك عليه وكان أول مولود ولد في الاسلام ففرحوا به فرحاً شديداً لانهم قيل لهم ان اليهود قد سحرتكم فلا يولد لكم * (الثاني عشر) في الطلاق وليعلم انه مباح ولكنه أبغض المباحات الى الله تعالى وانما يكون مباحاً اذا لم يكن فيه ايذاء بالباطل ومهما طلقها فقد آذاها ولا يباح ايذاء الغير الا بجناية من جانبها أو بضرورة من جانبه قال الله تعالى فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا أي لا تطلبوا حيلة للفراق وان كرهها أبوه فليطلقها قال أبو عمر رضي الله عنهما كان تحتى امرأة أحبها وكان أبي يكرهها ويأمرني بطلاقها فراجعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن عمر طلق امرأتك فهذا يدل على ان حق الوالد مقدم ولكن والد يكرهها لا لغرض فاسد مثل عمر ومهما

آذت زوجها وبذت على اهله فهي جانية وكذلك مهما كانت سيئة الخلق أو فاسدة الدين قال ابن مسعود في قوله تعالى ولا يخرجن الا ان يأتين بفاحشة مبينة مهما بذت على اهله وآذت زوجها فهو فاحشة وهذا أريد به في العدة ولكنه تنبيه على المقصود وان كان الاذى من الزوج فلها ان تفتدي ببذل مال ويكره للرجل أن يأخذ منها أكثر مما أعطى فان ذلك اجحاف بها وتحامل عليها وتجارة على البضع قال تعالى لا جناح عليهما فيما افتدت به فرد ماأخذته فما دونه لائق بالفداء فان سألت الطلاق بغير ما بأس فهي آثمة قال صلى الله عليه وسلم أيما امرأة سألت زوجها طلاقها من غير ما بأس لم ترح رائحة الجنة وفي لفظ آخر فالجنة عليها حرام وفي لفظ آخر أنه عليه السلام قال المختلعات هن المنافقات ثم ليراع الزوج في الطلاق أربعة أمور الاول أن يطلقها في طهر لم يجامعها فيه فان الطلاق في الحيض أو الطهر الذي جامع فيه بدعى حرام وان كان واقعا لما فيه من تطويل العدة عليها فان فعل ذلك فليراجعها طلق ابن عمر زوجته في الحيض فقال صلى الله عليه وسلم لعمر مره فليراجعها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر ثم ان شاء طلقها وان شاء أمسكها فتلك العدة التى أمر الله أن يطلق لها النساء وانما أمره بالصبر بعد الرجعة طهرين لئلا يكون مقصود الرجعة الطلاق فقط * الثاني أن يقتصر على طلقة واحدة فلا يجمع بين الثلاث لان الطلقة الواحدة بعد العدة تفيد المقصود ويستفيد بها الرجعة ان ندم في العدة وتجديد النكاح ان اراد بعد العدة واذا طلق ثلاثاً ربما ندم فيحتاج الى ان يتزوجها محلل والى الصبر مدة وعقد المحلل منهي عنه ويكون هو الساعي فيه ثم يكون قلبه معلقا بزوجة الغير وتطليقه أعني زوجة المحلل بعد أن زوج منه ثم يورث ذلك تنفيرا من

الزوجة وكل ذلك ثمرة الجمع وفي الواحدة كفاية في المقصود من غير محذور ولست أقول الجمع حرام ولكنه مكروه بهذه المعاني وأعني بالكراهة تركه النظر لنفسه * الثالث أن يتلطف في التعلل بتطليقها من غير تعنيف واستخفاف وتطييب قلبها بهدية على سبيل الامتاع والجبر لما فجعها به من أذى الفراق قال تعالى ومتعوهن وذلك واجب مهما لم يسم لها مهر في أصل النكاح كان الحسن بن علي رضي الله عنهما مطلاقا ومنكاحا ووجه ذات يوم بعض أصحابه لطلاق امرأتين من نسائه وقال قل لهما اعتدا وأمره أن يدفع الى كل واحدة عشرة آلاف درهم ففعل فلما رجع اليه قال ماذا فعلتا قال أما احداهما فنكست رأسها وتنكست وأما الاخرى فبكت وانتحبت وسمعتها تقول متاع قليل من حبيب مفارق فأطرق الحسن وترحم لها وقال لو كنت مراجعا امرأة بعد ما فارقتها لراجعتها ودخل الحسن ذات يوم على عبد الرحمن بن الحرث ابن هشام فقيه المدينة ورئيسها ولم يكن له بالمدينة نظير وبه ضربت المثل عائشة رضي الله عنها حيث قالت لو لم أسر مسيري ذلك لكان أحب الي من أن يكون لي ستة عشر ذكرا من رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل عبد الرحمن بن الحرث ابن هشام فدخل عليه الحسن في بيته فعظمه عبد الرحمن وأجلسه في مجلسه وقال ألا أرسلت اليّ فكنت أجيئك فقال الحاجة لنا قال وما هي قال جئتك خاطبا ابنتك فاطرق عبد الرحمن ثم رفع رأسه وقال والله ما على وجه الارض أحد يمشي اليها أعز عليّ منك ولكنك تعلم أن ابنتي بضعة مني يسوءني مايسوءها ويسرني ماسرها وأنت مطلاق فاخاف أن تطلقها وان فعلت خشيت أن يتغير قلبي في محبتك وأكره أن يتغير قلبي عليك فانت بضعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فان شرطت

أن لا تطلقها زوجتك فسكت الحسن وقام وخرج وقال بعض أهل بيته سمعته وهو يمشي ويقول ما أراد عبد الرحمن الا أن يجعل ابنته طوقا في عنقي وكان علي رضي الله عنه يضجر من كثرة تطليقه فكان يعتذر منه على المنبر ويقول في خطبته أن حسنا مطلاق فلا تنكحوه حتى قام رجل من همدان فقال والله يا أمير المؤمنين لننكحنه ما شاء فان أحب أمسك وان شاء ترك فسر ذلك عليا وقال

لو كنت بوابا على باب جنة * لقلت لهمدان ادخلي بسلام

وهذا تنبيه على أن من طعن في حبيبة من أهل وولد بنوع حياء فلا ينبغي أن يوافق عليه فهذه الموافقة قبيحة بل الادب المخالفة ما أمكن فان ذلك أسر لقلبه واوفق لباطن دائه والقصد من هذا بيان أن الطلاق مباح وقد وعد الله الغنى في الفراق والنكاح جميعاً فقال وانكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله وقال سبحانه وتعالى وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته * الرابع أن لا يفشي سرها لا في الطلاق ولا عند النكاح فقد ورد في افشاء سر النساء في الخبر الصحيح وعيد عظيم ويروي عن بعض الصالحين أنه أراد طلاق امرأة فقيل له ما الذي يريبك فيها فقال العاقل لا يهتك ستر امرأته فلما طلقها قيل له لم طلقتها فقال مالى ولا مرأة غيري فهذا بيان ما على الزوج

﴿ فصل فيما يجب على الزوجة لزوجها ﴾

وقد ورد في تعظيم حق الزوج عليها أخبار كثيرة قال صلى الله عليه وسلم أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة وكان رجل قد خرج الى سفر وعهد الى امرأته أن لا تنزل من العلو الى السفل وكان أبوها في

الاسفل فمرض فارسلت المرأة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تستأذن في النزول الى ابيها فقال صلى الله عليه وسلم أطيعي زوجك فمات فاستأمرته فقال اطيعى زوجك فدفن ابوها فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم اليها يخبرها أن الله قد غفر لابيها بطاعتها لزوجها * وقال صلى الله عليه وسلم اذا صلت المرأة خمسها وصامت شهرها وحفظت فرجها وأطاعت زوجها دخلت جنة ربها وأضاف طاعة الزوج الى مبانى الاسلام وذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء فقال حاملات والدات مرضعات رحيمات بأولادهن لولا ما يأتين الى ازواجهن دخل مصلياتهن الجنة وقال صلى الله عليه وسلم اطلعت في النار فاذا اكثر اهلها النساء فقلن لم يارسول الله قال يكثرن اللعن ويكفرن العشير يعني الزوج المعاشر وفي خبر آخر اطلعت في الجنة فاذا اقل اهلها النساء فقلت أين النساء قال شغلهن الاحمران الذهب والزعفران يعني الحلى ومصبغات الثياب * وقالت عائشة رضى الله عنها اتت فتاة الى النبى صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله اني فتاة اخطب فاكره التزويج فما حق الزوج على المرأة قال لو كان من فرقه الى قدمه صديد فلحسته ما ادت شكره قالت أفلا اتزوج قال بلى تزوجي فانه خير قال ابن عباس اتت امرأة من خثعم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت اني امرأة ايم وأريد أن أتزوج فما حق الزوج قال أن من حق الزوج على الزوجة اذا ارادها فراودها على نفسها وهي على ظهر بعير لا تمنعه ومن حقه أن لا تعطي شيأ من بيته الا بأذنه فان فعلت ذلك كان الوزر عليها والاجر له ومن حقه أن لا تصوم تطوعا الا بأذنه فان فعلت جاعت وعطشت ولم يتقبل منها وان خرجت من بيتها بغير اذنه لعنتها الملائكة حتى ترجع الى بيته أو تتوب وقال صلى الله عليه

وسلم لو أمرت أحداً أن يسجد لاحد لامرت المرأة أن تسجد لزوجها من
عظم حقه عليها وقال صلى الله عليه وسلم أقرب ماتكون المرأة من وجه ربها
اذا كانت في قعر بيتها وأن صلاتها في صحن دارها أفضل من صلاتها فى
المسجد وصلاتها في بيتها أفضل من صلاتها في صحن دارها وصلاتها في مخدعها
أفضل من صلاتها في بيتها والمخدع بيت في بيت وذلك للتستر ولذلك قال
عليه السلام المرأة عورة فاذا خرجت استشرفها الشيطان وقال أيضا للمرأة
عشر عورات فاذا تزوجت ستر الزوج عورة واحدة فاذا ماتت ستر القبر
العشر عورات فحقوق الزوج على الزوجة كثيرة وأهمها أمران أحدهما
الصيانة والستر والآخر ترك المطالبة مما وراء الحاجة والتعفف عن كسبه اذا
كان حراما وهكذا كانت عادة النساء في السلف كان الرجل اذا خرج من
منزله تقول له امرأته اوابنته اياك وكسب الحرام فانا نصبر على الجوع والضر
ولا نصبر على النار وهم رجل من السلف بالسفر فكره جيرانه سفره فقالوا لزوجته
لم ترضين بسفره ولم يدع لك نفقة فقالت زوجي مذ عرفته عرفته اكالا
وما عرفته رزاقا ولي رب رزاق يذهب الاكال ويبقي الرزاق * وخطبت
رابعة بنت اسماعيل احمد بن ابي الحواري فكره ذلك لما كان فيه من العبادة
وقال لها والله مالي همة في النساء لشغلي بحالي فقالت اني لأشغل بحالي منك
وما لي شهوة ولكن ورثت مالا جزيلا من زوجي فاردت أن تنفقه على
اخوانك واعرف بك الصالحين فيكون لي طريقا الي الله عز وجل فقال
حتى استأذن استاذي فرجع الى أبي سليمان الداراني قال وكان ينهاني عن
التزويج ويقول ما تزوج أحد من أصحابنا الا تغير فلما سمع كلامها قال تزوج
بها فانها ولية لله هذا كلام الصديقين قال فتزوجتها فكان في منزلنا كن من

جص ففني من غسل ايدي المستعجلين للخروج بعد الاكل فضلا عمن غسل بالاشنان قال وتزوجت عليها ثلاثة نسوة فكانت تطعمني الطيبات وتطيبني وتقول لي اذهب بنشاطك وقوتك الى ازواجك وكانت رابعة هذه تشبه في أهل الشام برابعة العدوية بالبصرة * ومن الواجبات عليها أن لا تفرط في ماله بل تحفظه عليه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحل لها أن تطعم من بيته الا بأذنه الا الرطب من الطعام الذى يخاف فساده فان اطعمت عن رضاه كان لها مثل أجره وان أطعمت بغير اذنه كان له الاجر وعليها الوزر ومن حقها على الوالدين تعليمها حسن المعاشرة وآداب العشرة مع الزوج كما روي أن اسماء بنت خارجة الفزاري قالت لابنتها عند التزوج انك خرجت من العش الذي فيه درجت فصرت الى فراش لم تعرفيه وقرين لم تألفيه فكونى له أرضا يكن لك سماء وكوني له مهادا يكن لك عمادا وكوني له أمة يكن لك عبدا لا تلحفي به فيقلاك ولا تباعدي عنه فينساك ان دنا منك فاقربي منه وان نأي فابعدي عنه واحفظي أنفه وسمعه وعينه فلا يشمن منك الا طيبا ولا يسمع الا حسنا ولا ينظر الا جميلا (وقال رجل لزوجته)

خذي العفو مني تستديمي مودتي ... ولا تنطقي في سورتي حين أغضب

ولا تنقريني نقرك الدف مرة ... فانك لا تدرين كيف المغيب

ولا تكثري الشكوى فتذهب بالهوى ... ويأباك قلبي والقلوب تقلب

فاني رأيت الحب في القلب والاذى ... اذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهب

ومن آدابها أن لا تتفاخر على الزوج بجمالها ولا تزدرى زوجها لقبحه فقد روى ان الاصمعي قال دخلت البادية فاذا انا بامرأة من احسن الناس وجها تحت رجل من أقبح الناس وجها فقلت لها ياهذه أترضين لنفسك

ان تكوني تحت مثله فقالت ياهذا اسكت فقد اسأت في قولك لعله احسن فيما بينه وبين خالقه فجعلني ثوابه او لعلي اسأت فيما بيني وبين خالقي فجعله عقوبتي افلا ارضى بما رضى الله لي فاسكتتني وقال الاصمعي رأيت في البادية امرأة عليها قميص احمر وهى مختضبة وبيدها سبحة فقلت ما ابعد هذا من هذا فقالت

ولله مني جانب لا اضيعه ولهو مني والبطالة جانب

فعلمت انها امرأة صالحة لها زوج تتزين له * ومن آداب المرأة ملازمة الصلاح والانقباض في عتبة زوجها والرجوع الى اللعب والانبساط وأسباب اللذة في حضور زوجها ولا ينبغي ان تؤذي زوجها بحال . روى عن معاذ ابن جبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تؤذي امرأة زوجها في الدنيا الا قالت زوجته من الحور العين لا تؤذيه قاتلك الله فانما هو عندك دخيل يوشك ان يفارقك الينا * ومما يجب عليها من حقوق النكاح اذا مات عنها زوجها ان لا تحد عليه اكثر من اربعة اشهر وعشر وتجنب الطيب والزينة في هذه المدة قالت زينب بنت ابي سلمة دخلت على ام حبيبة زوج النبى صلى الله عليه وسلم حين توفى ابوها ابو سفيان بن حرب فدعت بطيب فيه صفرة خلوق او غيره فدهنت به جارية ثم مست بعارضيها ثم قالت والله مالي بالطيب من حاجة غير أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر ان تحد على ميت اكثر من ثلاثة ايام الا على زوج اربعة اشهر وعشر او يلزمها لزوم مسكن النكاح الى آخر العدة وليس لها الانتقال الى اهلها ولا الخروج الا الضرورة * ومن آدابها أن تقوم بكل خدمة في الدار تقدر عليها فقد روى عن اسماء بنت أبي بكر

الصديق رضي الله عنهما انها قالت تزوجني الزبير وما له في الارض من مال ولا مملوك ولا شيء غير فرسه وناضحه فكنت اعلف فرسه واكفيه مؤنته واسوسه وادق النوى لناضحه واعلفه واستقى الماء واخرز غربه واعجن وكنت انقل النوى على رأسي من ثلثي فرسخ حتى ارسل الى أبو بكر بجارية فكفتني سياسة الفرس فكأنما اعتقني ولقيت رسول الله صلى لله عليه وسلم يوما ومعه اصحابه والنوى على رأسي فقال صلى الله عليه وسلم اخ اخ لينيخ ناقته ويحملني خلفه فاستحييت ان اسير مع الرجال وذكرت الزبير وغيرته وكان اغير الناس فعرف رسول الله عليه وسلم اني قد استحييت فجئت الزبير فحكيت له ماجرى فقال والله لحملك النوى على رأسك اشد عليَّ من ركوبك معه * تم كتاب آداب النكاح بحمد الله ومنه وصلى الله على كل عبد مصطفى

﴿ فصل في الطلاق ﴾

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايما امرأة سألت زوجها طلاقا من غير بأس فحرام عليها رائحة الجنة وقال صلى الله عليه وسلم ابغض الحلال الى الله الطلاق (اعلم) ان في الاكثار من الطلاق وجريان الرسم بعدم المبالاة به مفاسد كثيرة وذلك ان ناساً ينقادون لشهوة الفرج ولا يقصدون اقامة تدبير المنزل ولا التعاون في الارتفاقات ولا تحصين الفرج وانما مطمح ابصارهم التلذذ بالنساء وذوق لذة كل امرأة فيهيجهم ذلك الى ان يكثروا الطلاق والنكاح ولا فرق بينهم وبين الزناة من جهة مايرجع الى نفوسهم وان تميزوا عنه باقامة سنة النكاح والموافقة لسياسة المدينة وهو قوله صلى الله عليه وسلم لعن الله الذواقين والذواقات وأيضاً ففي جريان

الرسم بذلك اهمال لتوطين النفس على المعاونة الدائمة أو شبه الدائمة وعسى ان فتح هذا الباب أن يضيق صدره أو صدرها في شئ من محقرات الامور فيندفعان الى الفراق وان ذلك من احتمال اعباء الصحبة والاجماع على ادامة هذا النظم وأيضاً فان اعتيادهن بذلك وعدم مبالاة الناس به وعدم حزنهم عليه يفتح باب الوقاحة وان لا يجعل كل منهما ضرر الآخر ضرر نفسه وان تخون كل واحد الآخر يمهد لنفسه ان وقع الافتراق وفي ذلك مالا يخفى ومع ذلك لا يمكن سد هذا الباب والتضيق فيه فانه قد يصير الزوجان متناشرين اما لسوء خلقهما او لطموح عين احدهما الى حسن انسان آخر أو لضيق معيشتهما أو لخرق واحد منهما ونحو ذلك من الاسباب فيكون ادامة هذا النظم مع ذلك بلاء عظيما وحرجا قال صلى الله عليه وسلم رفع القلم عن ثلاثة عن النائم حتى يستيقظ وعن الصبي حتى يبلغ وعن المعتوه حتى يعقل (اقول) السر في ذلك ان مبنى جواز الطلاق بل العقود كلها على المصالح المقتضية لها والنائم والصبي والمعتوه بمعزل عن معرفة تلك المصالح قال صلى الله عليه وسلم لا طلاق ولا اعتاق في اغلاق معناه في اكراه اعلم ان السبب في هدر طلاق المكره شيآن احدهما انه لم يرض به ولم يرد فيه مصلحة منزلية وانما هو لحادثة لم يجد منها بدا فصار بمنزلة النائم وثانيهما انه لو اعتبر طلاقه طلاقا لكان ذلك فتحا لباب الاكراه فعسى ان يختطف الجبار الضعيف من حيث لا يعلم الناس ويخيفه بالسيف ويكرهه على الطلاق اذا رغب في امرأته فلو خيبنا رجاءه وقلبنا عليه مراده كان ذلك سبباً لترك نظام الناس فيما بينهم بالاكراه ونظيره ما ذكرنا في قوله صلى الله عليه وسلم القاتل لا يرث وقال صلى الله عليه وسلم لا طلاق فيما لا يملك وقال عليه السلام

لاطلاق قبل النكاح الظاهر انه يعم الطلاق المنجز والمعلق بنكاح وغيره والسبب في ذلك ان الطلاق انما يجوز للمصلحة والمصلحة لاتمثل عنده قبل ان يملكها ويرى منها سيرها فكان طلاقها قبل ذلك بمنزلة نية المسافر الاقامة في المفازة او الغازى في دار الحرب مما تكذبه دلائل الحال وكان أهل الجاهلية يطلقون ويراجعون الى متى شاؤا وكان في ذلك من الاضرار مالا يخفى فنزل قوله تعالى الطلاق مرتان الآية معناه ان الطلاق المعقب للرجعة مرتان فان طلقها الثالثة فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره والحقت السنة ذوق العسيلة بالنكاح والسر في جعل الطلاق ثلاثا لا يزيد عليها انها اول حد كثرة ولانه لابد من ترو ومن الناس من لايتبين له المصلحة حتى يذوق فقدا واصل التجربة واحدة ويكملها ثنتان واما اشتراط النكاح بعد الثالثة فلتحقيق معنى التحديد والانهاء وذلك أنه لو جاز رجوعها اليه من غير تخلل نكاح الآخر كان ذلك بمنزلة الرجعة فان نكاح المطلقه احدى الرجعتين وان المرأة ما دامت في بيته وتحت يده وبين أظهر أقاربه يمكن أن يغلب على رأيها وتضطر الى رضا ما يسولون لها فاذا فارقتهم وذاقت الحر والقر ثم رضيت بعد ذلك فهو حقيقة الرضا وأيضا ففيه اذاقة الفقد ومعاقبة على اتباع داعية الضجر من غير تروى مصلحة مهمة وايضا ففيه اعظام المطلقات الثلاث بين اعينهم وجعلها بحيث لا يبادر اليها الا من وطن نفسه على ترك الطمع فيها الا بعد ذل وارغام أنف لامزيد عليه وقال صلى الله عليه وسلم لامرة رفاعة حين طلقها فبت طلاقها فنكحت زوجا غيره أتريدين أن ترجعي الى رفاعة قالت نعم قال لا حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك (أقول) انما شرط تمام النكاح بذوق العسيلة

ليتحقق معنى التحديد الذي ضرب عليهم فانه لولا ذلك لاحتال رجل باجراء صيغة النكاح على اللسان ثم يطلق في المجلس وهذا مناقضة لفائدة التحديد ولعن رسول الله صلى عليه وسلم المحلل والمحلل له (أقول) لما كان من الناس من ينكح لمجرد التحليل من غير ان يقصد منها تعاونا في المعيشة ولا يتم بذلك المصلحة المقصودة وايضا ففيه وقاحة واهمال غيرة وتسويغ ازدحام على الموطوأة من غير ان يدخل في تضاعيف المعاونه نهى عنه وطلق عبد الله بن عمر رضي الله عنه امرأته وهي حائض وذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فتغيظ وقال ليراجعها ثم ليمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر فان بدا له ان يطلقها فليطلقها طاهرا قبل ان يمسها (أقول) السر في ذلك ان الرجل قد يبغض المراة بغضة طبيعية ولا طاعة لها مثل كونها حائضا وفى هيئة رثة وقد يبغضها لمصلحة يحكم باقامتها العقل السليم مع وجود الرغبة الطبيعية وهذه هى المتبعة واكثر ما يكون الندم في الاول وفيه يقع التراجع وهذا داعية يتوقف تهذيب النفس على اهمالها وترك اتباعها وقد يشتبه الامران على كثير من الناس فلا بد من ضرب حد يتحقق به الفرق فجعل الطهر مظنة للرغبة الطبيعية والحيض مظنة للبغضة الطبيعية والاقدام على الطلاق على حين رغبة فيها مظنة للمصلحة العقلية والبقاء مدة طويلة على هذا الخاطر مع تحول الاحوال من حيض الى طهر ومن رثاثة الى زينة ومن انقباض الى انبساط مظنة للعقل الصراح والتدبير الخالص فلذلك كره الطلاق في الحيض وامر بالمراجعة وتخلل حيض جديد وايضا فان طلقها في الحيض فان عدت هذه الحيضة في العدة انتقصت مدة العدة وان لم تعد تضررت المراة بطول العدة سواء كان المراد بالقروء الاطهار او الحيض ففي كل ذلك مناقضة للحد

الذي ضربه الله في محكم كتابه من ثلاثة قروء، وانما امر ان يكون الطلاق في الطهر قبل ان يمسها لمعنيين أحدهما بقاء الرغبة الطبيعية فيها فانه بالجماع تفتر سورة الرغبة وثانيهما ان يكون ذلك أبعد من اشتباه الانساب وانما أمر الله تعالى باشهاد شاهدين على الطلاق لمعنيين أحدهما الاهتمام بأمر الفروج لئلا يكون نظم تدبير المنزل ولا فكه الا على أعين الناس والثاني ان لا تشتبه الانساب وان لا يتواضع الزوجان من بعد فيهملا الطلاق والله أعلم وكره أيضاً جمع الطلقات الثلاث في طهر واحد وذلك لانه اهمال للحكمة المرعية في شرع تفريقها فانها شرعت ليتدارك المفرط ولانه تضييق على نفسه وتعرض للندامة وأما الطلقات الثلاث في ثلاثة اطهار فأيضاً تضييق ومظنة ندامة غير انها أخف من الاول من جهة وجود التروي والمدة التي تتحول فيها الاحوال ورب انسان تكون مصلحته في تحريم المغلظ

﴿ الخلع والظهار واللعان والايلاء ﴾

اعلم ان الخلع فيه شناعة ما لان الذي اعطاه من المال قد وقع في مقابلة المسيس وهو قوله تعالى وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم الى بعض وأخذن منكم ميثاقا غليظاً واعتبر النبي صلى الله عليه وسلم هذا المعنى في اللعان حيث قال ان صدقت عليها فهو بما استحللت من فرجها ومع ذلك فربما تقع الحاجة الى ذلك فذلك قوله تعالى فلا جناح عليهما فيما افتدت به وكان أهل الجاهلية يحرمون أزواجهم ويجعلوهن كظهر الام فلا يقربونهن بعد ذلك أبدا وفي ذلك من المفسدة ما لا يخفى فلا هي حظية تمتع منه كما تمتع النساء من أزواجهن ولا هي أيم يكون أمرها بيدها فلما وقعت هذه الواقعة في زمان النبي صلى الله عليه وسلم واستفتي فيها أنزل الله

عز وجل قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها الى قوله عذاب اليم والسر فيه أن الله تعالى لم يجعل قولهم ذلك هدرا بالكلية لانه أمر الزمه على نفسه واكد فيه القول بمنزلة سائر الايمان ولم يجعله مؤبداً كما كان في الجاهلية دفعا للحرج الذي كان عندهم وجعله مؤقتا الى كفارة لان الكفارة شرعت دافعة للآثام منهية لما يجده المكلف في صدره أما كون هذا القول زورا فلأن الزوجة ليست بام حقيقية ولا بينهما مشابهة أو مجاورة تصحح اطلاق اسم احداهما على الآخرى ان كان خبرا وهو عقد ضار غير موافق للمصلحة ولا مما أوحاه الله في شرائعه ولا مما استنبطه ذوو الرأي في أقطار الارض ان كان انشأ وأما كونه منكرا فلأنه ظلم وجور وتضييق على من أمر بالاحسان اليه وانما جعلت الكفارة عتق رقبة أو اطعام ستين مسكينا أو صيام شهرين متتابعين لان مقاصد الكفارة أن يكون بين عيني المكلف ما يكبحه عن الاقتحام في الفعل خشية ان يلزمه ذلك ولا يمكن ذلك الا بكونها طاعة شاقة تغلب على النفس اما من جهة كونها بذل مال يشح به أو من جهة مقاساة جوع وعطش مفرطين قال الله تعالى للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعه أشهر الآية (اعلم) ان أهل الجاهليه كانوا يحلفون ان لا يطؤا ازواجهم ابدا او مدة طويلة وفي ذلك جور وضرر فقضي الله تعالى بالتربص أربعة اشهر فان فاؤا فان الله غفور رحيم واختلف العلماء في الفيء فقيل يوقف المولى بعد مضي أربعة اشهر ثم يجبر على التسريح بالاحسان اوالامساك بالمعروف وقيل يقع الطلاق ولا يوقف اما السر في تعيين هذه المدة فانها مدة تتوق النفس فيها للجماع لا محالة ويتضرر بتركه الا ان يكون مؤفا ولان هذه المدة ثلث السنة والثلث يضبط به أقل من النصف

والنصف بعد مدة كثيرة قال الله تعالى والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء الآية واستفاض حديث عويمر العجلاني وهلال بن امية (اعلم) ان اهل الجاهلية كانوا اذ قذف الرجل امرأته وكان بينهما في ذلك مشاقة رجعوا الى الكهان كما كان في قصة هند بنت عتبة فلما جاء الاسلام امتنع ان يسوغ لهم الرجوع الى الكهان لان مبني الملة الحنيفية على تركها واخمالها ولان في الرجوع اليهم من غير ان يعرف صدقهم من كذبهم ضرراً عظيما وامتنع ان يكلف الزوج بأربعة شهداء والاضرب الحد لان الزنا انما يكون في الخلوة ويعرف الزوج مافي بيته ويقوم عنده من المخايل مالا يمكن ان يعرفه غيره وامتنع ان يجعل الزوج بمنزلة سائر الناس يضربون الحد لانه مأمور شرعاً وعقلا بحفظ مافي حيزه من العار والشنار مجبول على غيرة ان يزدحم على مافي عصمته ولان الزوج أقصى مايقطع به الريبة ويطلب به تحصين فرجها فلو كان هو فيما يؤاخذها به بمنزلة سائر الناس ارتفع الامان وانقلبت المصلحة مفسدة وكان النبي صلى الله عليه وسلم لما وقعت الواقعة مترددا تارة لايقضي بشيء لاجل هذه المعارضات وتارة يستنبط حكمه مما أنزل الله عليه من القواعد الكلية فيقول البينة أو حدا في ظهرك حتى قال المبتلي والذي بعثك بالحق اني لصادق ولينزل الله مايبرئ ظهري من الحد ثم أنزل الله تعالى آية اللعان والاصل فيه انه ايمان مؤكدة تبرئ الزوج من حد القذف وتثبت اللوث عليها تحبس لاجله ويضيق عليها به فان نكل ضرب الحد وايمان مؤكدة منها تبرئها فان نكلت ضربت الحد وبالجملة فلا أحسن فيما ليس فيه بينة وليس مما يهدر ولا يسمع من الايمان المؤكدة وجرت السنة ان تذكره المراة تحقيقاً للمقصود من الايمان وجرت السنة ان لاتعود

اليه أبداً فانهما بعد ماحصل بينهما هذا التشاجر وانطوت صدورهما على أشد الوحر وأشاع عليها الفاحشة لا يتوافقان ولا يتوادان غالبا والنكاح انما شرع لاجل المصالح المبنية على التواد والتوافق وأيضاً ففي هذه زجر عليهما من الاقدام على مثل هذه المعاملة

﴿ العدة ﴾

قال الله تعالى والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء الى آخر الآية (اعلم) ان العدة كانت من المشهورات المسلمة في الجاهلية وكانت مما لا يكادون يتركونه وكان فيها مصالح كثيرة منها معرفة براءة رحمها من مائه لئلا تختلط الانساب فان النسب احد ما يتشاح به ويطلبه العقلاء وهو من خواص نوع الانسان ومما امتاز به من سائر الحيوان وهو المصلحة المرعية في باب الاستبراء ومنها التنويه بفخامة أمر النكاح حيث لم يكن امرا ينتظم الا بجمع رجال ولا ينفك الا بانتظار طويل ولولا ذلك لكان بمنزلة لعب الصبيان ينتظم ثم ينفك في الساعة ومنها أن مصالح النكاح لا تتم حتى يوطنا انفسهما على ادامة هذا العقد ظاهرا فان حدث حادث يوجب فك النظام لم يكن بد من تحقيق صورة الادامة في الجملة بأن تتربص مدة تجد لتربصها بالا وتقاسي لها عناء وعدة المطلقة ثلاثة قروء فقيل هي الاطهار وقيل هي الحيض وعلى أنها طهر فالسر فيه ان الطهر محل رغبة كما ذكرنا فجعل تكرارها عدة لازمة ليتروى المتروى وهو قوله صلى الله عليه وسلم في صفة الطلاق فتلك العدة التى أمر الله بالطلاق فيها وعلى انها حيض فالحيض هو الاصل في معرفة عدم الحمل فان لم تكن من ذوات الحيض لصغر أو كبر فتقوم ثلاثة

اشهر مقام ثلاثة قروء لانها مظنتها ولان براءة الرحم ظاهرة وسائر المصالح
يتحقق بهذه المدة وفي الحامل انقضاء الحمل لانه معرف براءة رحمها والمتوفي
عنها زوجها تتربص أربعة اشهر وعشرا ويجب عليها الاحداد في هذه المدة
وذلك لوجوه احدها انها لما وجب عليها ان تتربص ولا تنكح ولاتخطب
في هذه المدة حفظا لنسب المتوفي عنها اقتضى ذلك في حكمة السياسة أن
تؤمر بترك الزينة لان الزينة تهيج الشهوة من الجانبين وهيجانها في
مثل هذه الحالة مفسدة عظيمة وايضا فان من حسن الوفاء أن تحزن
على فقده وتصير تفلة شعثة وان تحد عليه فذلك من حسن وفائها وتحقيق
معنى قصر بصرها عليه ظاهرا ولم تؤمر المطلقة بذلك لانها تحتاج الى ان
تتزين فيرغب زوجها فيها ويكون ذلك معونة في جمع ما افترق من شملها
ولذلك اختلف العلماء في المطلقة ثلاثا هل تتزين أم لا فمن ناظر الى الحكمة
ومن ناظر الى عموم لفظ المطلقة وانما عين في عدتها أربعة أشهر وعشرا لان
أربعة اشهر هي ثلاث اربعينات وهي مدة تنفخ فيها الروح في الجنين
ولا يتأخر عنها تحرك الجنين غالبا وزيد عشر لظهور تلك الحركة وأيضاً
فان هذه المدة نصف مدة الحمل المعتاد وفيه يظهر الحمل بادي الرأي بحيث
يعرفه كل من يرى وانما شرع عدة المطلقة قروا وعدة المتوفى عنها زوجها
اربعة اشهر وعشرا لان هنالك صاحب الحق قائم بأمره ينظر الى مصلحة
النسب ويعرف بالمخايل والقرائن فجاز ان تؤمر بما تختص به وتؤمن عليه
ولا يمكن للناس ان يعلموا منها الا من جهة خبرها وههنا ليس صاحب الحق
موجوداً وغيره لا يعرف مكايدها كما يعرف هو فوجب ان يجعل عدتها
امراً ظاهراً يتساوى في تحقيقه القريب والبعيد ويحقق الحيض لانه لا يمتد

اليه الطهر غالباً أو دائماً قال صلى الله عليه وسلم لاتوطأ حامل حتى تضع ولا غير ذات حمل حتى تحيض حيضة وقال صلى الله عليه وسلم كيف يستخدمه وهو لايحل له أم كيف يورثه وهو لايحل له (اقول) السر في الاستبراء

﴿ فصل في نوادر الطلاق ﴾

محمد بن الفار * قال حدثني عبد الرحمن بن محمد بن أخي الاصمعي قال سمعت عمي يقول توصلت بالملح وأدركت بالغريب وقال عمي للرشيد في بعض حديثه بلغني ياأمير المؤمنين ان رجلا من العرب طلق في يوم خمس نسوة قال انما يجوز ملك الرجل على أربع نسوة فكيف طلق خمسة قال كان لرجل أربع نسوة فدخل عليهن يوماً فوجدهن متلاحيات متنازعات وكان شنظيرا فقال الى متى هذا التنازع ماأخال هذا الأمر الا من قبلك يقول ذلك لامرأة منهن اذهبي فانت طالق فقالت له صاحبتها عجلت عليها بالطلاق ولو أدبتها بغير ذلك لكنت حقيقا فقال لها وانت أيضاً طالق فقالت له الثالثة قبحك الله فوالله لقد كانتا اليك محسنتين وعليك مفضلتين فقال وانت أيتها المعددة أياديهما طالق أيضاً فقالت له الرابعة وكانت هلالية وفيها اناة شديدة ضاق صدرك عن ان تؤدب نساءك الا بالطلاق فقال لها وانت طالق أيضاً وكان ذلك بمسمع جارة له فأشرفت عليه وقد سمعت كلامه فقالت والله ماشهدت العرب عليك وعلى قومك بالضعف الا لما بلوه منكم ووجدوه فيكم أبيت الا طلاق نسائك في ساعة واحدة قال وأنت أيضاً أيتها المؤنبة المتكلفة طالق ان أجاز زوجك فأجابه من داخل بيته قد أجزت قد أجزت ودخل المغيرة بن شعبة على زوجته فارعة الثقفيه وهي تتخلل حين انفتلت من صلاة الغداة فقال لها ان كنت تتخللين من

طعام اليوم انك لجشعة وان كنت تتخللين من طعام البارحة انك لشبعة كنت فبنت فقالت والله ما اغتبطنا اذ كنا ولا أسفنا اذ بنا وما هو لشيء مما ذكرت ولكني استكت فتخللت للسواك فخرج المغيرة نادما على ما كان منه فلقيه يوسف بن أبي عقيل فقال له اني نزلت الآن عن سيدة نساء ثقيف فتزوجها فانها ستنجب فتزوجها فولدت له الحجاج وقال الحسن بن علي بن حسين لامرأته عائشه بنت طلحه أمرك بيدك فقالت قد كان عشرين سنة بيدك فاحسنت حفظه فلم أضعه اذ صار بيدي ساعة واحدة وقد صرفته اليك فأعجبه ذلك منها وأمسكها * وقال أبو عبيدة طلق رجل امرأته وقال

لقد طلقت أخت بني غلاب   طلاقا ما اظن له ارتدادا
ولم أك كالمعدل أو أويس   اذا ماطلقا ندما فعادا

قال أبو عبيدة وطلاق المعدل وأويس يضرب به المثل (ونكح) رجل امرأة من العرب فلما اهتداها رأت ربع داره أحسن ربع وشمل عياله أجمع شمل فقالت أما والله لئن بقيت لهم لاشتتن أمرهم وقالت في ذلك

أرى نارا سأجعلها أرينا   واترك أهلها شتى عزينا

فلما انتهى ذلك الى زوجها طلقها وقال في ذلك

ألا قالت هدى بني عدى   أرى نارا سأجعلها أرينا
فبيني قبل ان تلحى عصانا   ويصبح أهلنا شتى عزينا

(وقيل) لابن عباس ماتقول في رجل طلق امرأته عدد نجوم السماء فقال يكفيه من ذلك عدد كواكب الجوزاء (وقيل) لاعرابي هل لك في النكاح قال لو قدرت ان أطلق نفسي لطلقتها (وعن الزهري) قال قال

أبو الدرداء لامرأته اذا رأيتني غضبت فرضيتي وان رأيتك غضبت ترضيتك والا لم تصطحب قال الزهري وهكذا تكون الاخوان (قال) الاصمعي كنت أختلف الى اعرابي أقتبس منه الغريب فكنت اذا استأذنت عليه يقول ياامامة ائذني له فتقول ادخل فاستأذنت عليه مراراً فلم أسمعه يذكر امامة فقلت يرحمك الله ما أسمعك تذكر امامة قال فوجم وجمة فندمت على ما كان مني ثم أنشأ يقول

ظعنت امامة بالطلاق ونجوت من غل الوثاق
بانت فلم يالم لها قلبي ولم تبك المآقي
ودواء مالا تشتهيه النفس تعجيل الفراق
والعيش ليس بطيب من الفين من غير اتفاق

(وعن الشيباني) قال طلق أبو موسى امرأته وقال فيها

تجهزي للطلاق وارتحلي فذا دواء المجانب الشرس
ما أنت بالحبة الولود ولا عندك نفع يرجى لملتمس
لليلتي حين بنت طالقة ألذ عندي من ليلة العرس
بت لديها بشر منزلة لا أنا في لذة ولا أنس
تلك على الخسف لانظير لها وهذه مايسوغ لي نفسي

(أقبل) منظور بن ريان بن سيار الفزاري الى الزبير فقال انما زوجناك ولم نزوج عبد الله قال مالك قال انها تشكوه قال ياعبد الله طلقها قال عبد الله هي طالق قال ابن منظور أنا ابن قهدم قال الزبير انا ابن صفيه أتريد ان يطلق المنذر أختها قال لاتلك راضية بموضعها (وتزوج) محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان خديجه بنت عروة بن الزبير فذكر لها جماله وكان يقال

له المذهب من حسنه وكان رجلا مطلاقا فقالت محمد هو الدنيا لا يدوم نعيمها فلما طلقها خطبها ابراهيم بن هشام بن اسماعيل المخزومي فكتب اليها

أعيذك بالرحمن من عيش شقوة ... وان تطمعي يوما الى غير مطمع
اذا ما ابن مظعون تحدر رشحه ... عليك فبوئي بعد ذلك أو دع

فردته ولم تتزوجه (وعن العتبي) عن أبيه قال أمهر الحجاج ابنة عبد الله بن جعفر تسعين ألف دينار فبلغ ذلك خالد بن يزيد بن معاوية فامهل عبد الملك حتى اذا أطبق الليل دق عليه الباب فاذن له عبد الملك ودخل عليه فقال له ماهذا الطروق أبا يزيد قال أمر والله لم ينتظر له الصبح هل علمت ان أحدا كان بينه وبين من عادى ماكان بين آل أبي سفيان وآل الزبير بن العوام فاني تزوجت اليهم فما في الارض قبيلة من قريش أحب الي منهم فكيف تركت الحجاج وهو سهم من سهامك يتزوج الى بني هاشم وقد علمت مايقال فيهم في آخر الزمان قال وصلتك رحم وكتب الى الحجاج يأمره بطلاقها ولا يراجعه في ذلك فطلقها فاتاه الناس يعزونه وفيهم عمرو بن عتبة فجعل الحجاج يقع بخالد وينتقصه ويقول انه صير الامر الى من هو أولى به منه وانه لم يكن لذلك أهلا فقال له عمرو بن عتبة ان خالدا أدرك من قبله وأتعب من بعده وعلم علما فسلم الامر الى اهله ولو طلب بقديم لم يغلب عليه أو بحديث لم يسبق اليه فلما سمعه الحجاج استحى فقال يا ابن عتبة انا نسترضيكم بان نعيب عليكم ونستعطفكم بان ننال منكم وقد غلبتم على الحلم فوثقنا لكم به وعلمنا انكم تحبون ان تحلموا فعرضنا للذي تحبون * (من طلق امرأته ثم تبعتها نفسه) * الهيثم بن عدي قال كانت تحت

العريان بنت الاسود بنت عم له فطلقها فتبعتها نفسه فكتب اليها يعرض لها بالرجوع فكتبت اليه

ان كنت ذا حاجة فاطلب لها بدلا ان الغزال الذي ضيعت مشغول

فكتب اليها

من كان ذا شغل فالله يكلؤه وقد لهونا به والحبل موصول

وقد قضينامن استطرافه طرفا وفي الليالي وفي ايامها طول

(وطلق) الوليد بن يزيد امرأته سعدى فلما تزوجت اشتد ذلك عليه وندم على ما كان منه فدخل عليه اشعب فقال له ابلغ سعدى عنى رسالة ولك منى خمسة آلاف درهم فقال عجلها فأمر له بها فلما قبضها قال هات رسالتك فأنشدها

أسعدي ماأليك لنا سبيل ولا حتى القيامة من تلاق

بلى ولعل دهرا أن يؤاتي بموت من خليلك أو فراق

فأتاها فاستأذن فدخل عليها فقالت له .ابدالك في زيارتنا ياأشعب فقال ياسيدتي أرسلنى اليك الوليد برسالة وأنشدها الشعر فقالت لجواريها خذن هذا الخبيث فقال ياسيدتي انه جعل لي خمسة آلاف درهم قالت والله لاعاقبنك أو لتبلغن اليه ما أقول لك قال سيدتي اجعلي لى شيأ قالت لك بساطي هذا قال قومي عنه فقامت عنه وألقاه على ظهره وقال هاتي رسالتك فقالت أنشده

أتبكي على سعدى وأنت تركتها فقد ذهبت سعدى فماأنت صانع

فلما بلغه وأنشده الشعر سقط في يده وأخذته كظمة ثم سرى عنه فقال اختر واحدة من ثلاث أما أن نقتلك واما ان نطرحك من هذا القصر

واما أن نلقيك الى هذه السباع فتحير أشعب وأطرق حينا ثم رفع رأسه فقال ياسيدي ما كنت لتعذب عينين نظرتا الى سعدى فتبسم وخلى سبيله

(وممن طلق امرأته فتبعتها نفسه) عبد الرحمن بن أبي بكر أمره أبوه بطلاقها ثم دخل عليه فسمعه يتمثل

فلم أر مثلى طلق اليوم مثلها　　ولا مثلها في غير شئ تطلق

فأمره بمراجعتها (وممن طلق امرأته فتبعتها نفسه) الفرزدق الشاعر طلق النوار ثم ندم في طلاقها وقال

ندمت ندامة الكسعى لما　　غدت مني مطلقة نوار

وكانت جنتي فخرجت منها　　كآدم حين اخرجه الضرار

فأصبحت الغداة ألوم نفسي　　بأمر ليس لي فيه خيار

وكانت النوار ابنة عبد الله قد خطبها رجل رضيته وكان وليها غائبا وكان الفرزدق وليها الا انه كان ابعد من الغائب فجعلت أمرها الى الفرزدق وأشهدت له بالتفريض اليه فلما توثق منها بالشهود أشهدهم أنه قد زوجها من نفسه فأبت منه ونافرته الى عبد الله بن الزبير فنزل الفرزدق على حمزة ابن عبد الله ونزلت النوار على زوجة عبد الله بن الزبير وهى بنت منظور بن زبان فكان كلما أصلح حمزة من شأن الفرزدق نهارا افسدته المرأة ليلا حتى غلبت المرأة وقضى بن الزبير على الفرزدق فقال

أما البنون فلم تقبل شفاعتهم　　وشفعت بنت منظور بن زبانا

ليس الشفيع الذي يأتيك مؤتزرا　　مثل الشفيع الذي يأتيك عريانا

(وقال الفرزدق في مجلس ابن الزبير)

وما خاصم الاقوام من ذي خصومة　　كورهاء مدنوا اليها خليلها

فدونكها يابن الزبير فانها ملعنة يوهى الحجارة ميلها

فقال ابن الزبير ان هذا شاعر وسيهجوني فان شئت ضربت عنقه وان كرهت ذلك فاختاري نكاحه وقري فقرت واختارت نكاحه ومكثت عنده زمانا ثم طلقها وندم في طلاقها (وعن الاصمعي) عن المعتمر بن سليمان عن أبي مخزوم عن راوية الفرزدق قال قال لي الفرزدق يوما امض بنا الى حلقة الحسن فاني أريد أن اطلق النوار فقلت له اني أخاف أن تتبعها نفسك ويشهد عليك الحسن وأصحابه قال انهض بنا فجئنا حتى وقفنا على الحسن فقال كيف أصبحت أبا سعيد قال بخير قال كيف أصبحت ياأبافراس قال تعلمن اني طلقت النوار ثلاثا قال الحسن وأصحابه قد سمعنا فانطلقنا فقال لي الفرزدق ياهذا ان في نفسي من النوار شيأ فقلت قد حذرتك فقال

ندمت ندامة الكسعى لما غدت مني مطلقة نوار

وكانت جنتي فخرجت منها كآدم حين اخرجه الضرار

ولو اني ملكت بها يميني لكان على للقدر الخيار

(وممن طلق امرأته وتبعتها نفسه) قيس بن الذريح وكان أبوه أمره بطلاقها فطلقها وندم فقال في ذلك

فواكبدي على تسريح لبنى فكان فراق لبنى كالخداع

تكنفني الوشاة فأزعجوني فيا للناس للواشى المطاع

فأصبحت الغداة الوم نفسي على أمر وليس بمستطاع

كمغبون يعض على يديه تبين غبنه بعد البياع

(وطلق) رجل امرأته فقالت أبعد صحبة خمسين سنة فقال مالك عندنا

ذنب غيره (العتبي) قال جاء رجل بامرأة كانها برج فضة الى عبد الرحمن بن أم الحكم وهو على الكوفة فقال ان امرأتي هذه شجتني فقال لها أنت فعلت به قالت نعم غير متعمدة لذلك كنت اعالج طيبا فوقع الفهر من يدي على رأسه وليس عندي عقل ولا تقوى يدي على القصاص فقال عبد الرحمن للرجل ياهذا غلام تحبسها وقد فعلت بك ماأرى قال أصدقتها أربعة آلاف درهم ولا تطيب نفسي بفراقها قال فان اعطيتها لك أتفارقها قال نعم قال فهي لك قال هي طالق اذا فقال عبد الرحمن احبسي علينا نفسك ثم أنشأ يقول

ياشيخ ويحك من دلاك بالغزل قد كنت ياشيخ عن هذا بمعتزل
رضت الصعاب فلم تحسن رياضتها فاعمد لنفسك نحوا الجلة الذلل

﴿ فصل في حقوق الوالدين والولد ﴾

لا يخفى أنه اذا تأكد حق القرابة والرحم فاخص الارحام وأمسها الولادة فيتضاعف تأكد الحق فيها وقد قال صلى الله عليه وسلم ان يجزى ولد والده حتى يجده مملوكا فيشتريه فيعتقه وقد قال صلى الله عليه وسلم بر الوالدين أفضل من الصلاة والصدقة والصوم والحج والعمرة والجهاد في سبيل الله وقد قال صلى الله عليه وسلم من أصبح مرضيا لابويه اصبح له بابان مفتوحان الى الجنة ومن أمسي فمثل ذلك وان كان واحد فواحد وان ظلما وان ظلما وان ظلما ومن أصبح مسخطا لابويه أصبح له بابان مفتوحان الى النار ومن أمسي مثل ذلك وان كان واحدا فواحد وان ظلما وان ظلما وان ظلما وقال صلى الله عليه وسلم ان الجنة يوجد ريحها من مسيرة خمسماية عام ولا يجد ريحها عاق ولا قاطع رحم وقال صلى الله عليه وسلم بر أمك واباك واختك واخاك ثم

ادناك فادناك ويروى أن الله تعالى قال لموسى عليه السلام يا موسى انه من بر والديه وعقني كتبته بارا ومن برني وعق والديه كتبته عاقا وقيل لما دخل يعقوب على يوسف عليهما السلام لم يقم له فاوحى الله اليه أتتعاظم أن تقوم لابيك وعزتي وجلالي لا اخرجت من صلبك نبيا وقال صلى الله عليه وسلم ما على أحد اذا أراد أن يتصدق بصدقة أن يجعلها لوالديه اذا كانا مسلمين فيكون لوالديه أجرها ويكون له مثل أجورهما من غير أن ينقص من اجورهما شيء وقال مالك بن ربيعة بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ جاءه رجل من بني سلمة فقال يا رسول الله هل بقي على من بر ابوي شيء أبرهما به بعد وفاتهما قال نعم الصلاة عليهما والاستغفار لهما وانفاذ عهدهما واكرام صديقهما وصلة الرحم التي لا توصل الا بهما وقال صلى الله عليه وسلم ان من أبر البر أن يصل الرجل اهل ود أبيه بعد أن يولي الاب وقال صلى الله عليه وسلم بر الوالدة على الولد ضعفان وقال صلى الله عليه وسلم دعوة الوالدة اسرع اجابة قيل يارسول الله ولم ذاك قال هي ارحم من الاب ودعوة الرحم لاتسقط وسأله رجل فقال يارسول الله من ابر فقال بر والديك فقال ليس لي والدان فقال بر ولدك كما ان لوالديك عليك حقا كذلك لولدك عليك حق وقال الله رسول صلى الله عليه وسلم رحم الله والدا أعان ولده على بره أي لم يحمله كل العقوق بسوء عمله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ساووا بين أولادكم في العطية وقد قيل ولدك ريحانتك تشمها سبعا وخادمك سبعا ثم هو عدوك أو شريكك وقال أنس رضى الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم الغلام يعق عنه يوم السابع ويسمى ويماط عنه الاذى اذا بلغ ست سنين ادب فاذا بلغ تسع سنين عزل فراشه فاذا بلغ ثلاث

عشرة سنة ضرب على الصلاة فاذا بلغ ست عشرة سنة زوجه أبوه ثم أخذ بيده وقال قد ادبتك وعلمتك وانكحتك اعوذ بالله من فتنتك في الدنيا وعذابك في الآخرة وقال صلى الله عليه وسلم من حق الولد على الوالد ان يحسن ادبه ويحسن اسمه وقال عليه السلام كل غلام رهين او رهينة بعقيقة تذبح عنه يوم السابع ويحلق رأسه وقال قتادة اذا ذبحت العقيقة اخذت صوفة منهافاستقبلت بها اوداجها ثم توضع على يافوخ الصبي حتى يسيل منه مثل الخيط ثم يغسل رأسه ويحلق بعد وجاء رجل الى عبد الله ابن المبارك فشكا اليه بعض ولده فقال هل دعوت عليه قال نعم قال انت افسدته ويستحب الرفق بالولد راى الاقرع بن حابس النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقبل ولده الحسن فقال ان لي عشرة من الولد ماقبلت واحدا منهم فقال عليه السلام ان من لايرحم لايرحم وقالت عائشة رضي الله عنها قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما اغسلي وجه اسامة فجعلت اغسله وأنا انفة فضرب يدي ثم أخذه فغسل وجهه ثم قبله ثم قال قد احسن بنا اذ لم تكن له جارية وتعثر الحسن والنبي صلى الله عليه وسلم على منبره فنزل فحمله وقرأ قوله تعالى انما أموالكم وأولادكم فتنة وقال عبد الله بن شداد بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بالناس اذ جاءه الحسين فركب عنقه وهو ساجد فأطال السجود بالناس حتى ظنوا انه قد حدث أمر فلما قضي صلاته قالوا قد اطلت السجود يارسول الله حتى ظننا انه قد حدث امر فقال ان ابني قد ارتحلني فكرهت أن اعجله حتى يقضي حاجته وفي ذلك فوائد احداها القرب من الله تعالى فان العبد أقرب ما يكون من الله تعالى اذا كان ساجداً وفيه الرفق بالولد والبر وتعليم لأمته وقال صلى الله عليه

وسلم ريح الولد من ريح الجنة وقال يزيد بن معاوية ارسل أبي الى الاحنف بن قيس فلما وصل اليه قال له ياأبا بحر ماتقول في الولد قال ياأمير المؤمنين ثمار قلوبنا وعماد ظهورنا ونحن لهم أرض ذليلة وسماء ظليلة وبهم نصول على كل جليلة فان طلبوا فاعطهم وان غضبوا فارضهم يمنحوك ودهم ويحبوك جهدهم ولا تكن عليهم ثقلا ثقيلا فيملوا حياتك ويودوا وفاتك ويكرهوا قربك فقال له معاوية لله أنت ياأحنف لقد دخلت عليّ وأنا مملوء غضباً وغيظاً على يزيد فلما خرج الاحنف من عنده رضى عن يزيد وبعث اليه بمائتي ألف درهم ومائتي ثوب فارسل يزيد الى الاحنف بمائة الف درهم ومائة ثوب فقاسمه اياه على الشطر فهذه هي الاخبار الدالة على تأكد حق الوالدين وكيفية القيام بحقهما

﴿ فصل في تربية الاولاد ﴾

(تربية الاولاد على قسمين جسمية وعقلية)

أما التربية الجسمية فانه عندما يولد الطفل يجب تعويده على الرضاعة في أوقات محدودة وأما ارضاعه كلما صاح فهو خطأ وليس كل صياح للطفل طلباً للغذاء بل قد يكون المًا من شئ آخر يجب تداركه وعدد الرضاعة الطبيعية ثماني مرات في كل ٢٤ ساعة فيجب ارضاعه كل ثلاث ساعات مرة ولا يعطى له غذاء الا اللبن أو نحوه

واذا بدأ بالغذاء فلا يعطى له الا الغذاء الخفيف الذي تطيقه معدته مع ترتيب الاوقات أيضاً . وعدم الامتلاء وجودة المضغ ولعثمان الثوري وصية لطيفه في هذا

قال الجاحظ ان عثمان الثوري كان يجلس ابنه معه ويقول له * إياك يابنيّ ونهم الصبيان وأخلاق النوائح ونهش الاعراب وكل مما يليك واعلم أنه

إذا كان في الطعام لقمة كريمة أو مضغة شهية أو شيء مستظرف فانما ذلك للشيخ المعظم أو للصبي المدلل ولست بواحد منهما وقد قالوا مدمن اللحم كمدمن الخمر أي بنيّ عود نفسك مجاهدة الهوى والشهوة ولا تنهش نهش السباع ولا تخضم خضم البراذين ولا تدمن الأكل إدمان النعاج ولا تلقم لقم الجمال فان الله جعلك انساناً فلا تجعل نفسك بهيمة واحذر من سرعة الكظة وسرف البطنة فقد قال بعض الحكماء اذا كنت نهما فعد نفسك من الزمنى واعلم ان الشبع داعية الى البشم والبشم داعية الى السقم والسقم داعية الى الموت ومن مات هذه الميتة فقد مات ميتة لئيمة لانه قاتل نفسه وقاتل نفسه ألأم من قاتل غيره أي بنى والله ما أدى حق الركوع والسجود ذو كظة ولا خشع لله ذو بطنة والصوم مصحة والوجبات عيش الصالحين أى بنيَّ لأمر ما طالت اعمار الهند وصحت أبدان العرب ولله در الحرث بن كلدة إذ زعم ان الدواء هو الأزم فالداء كله من فضول الطعام فكيف لا ترغب في شيء يجمع لك صحة البدن وذكاء الذهن وصلاح الدين والدنيا والقرب من عيش الملائكة أى بنى لم قال الرسول عليه الصلاة والسلام إن الصوم وجاء إلا لانه جعله حجاباً دون الشهوات فافهم تأديب الله عز وجل وتأديب رسوله عليه الصلاة والسلام اى بنىّ قد بلغت تسعين عاما مانقص لي سن ولا انقشر لي عصب ولا عرفت ذنين انف ولا سيلان عين ولا سلس بول ما لذلك علة إلا التخفيف من الزاد فان كنت تحب الحياة فهذه سبيل الحياة وإن كنت تحب الموت فلا ابعد الله غيرك اه

ولا يجب تعويد الطفل ان ينام على صوت الانين والغناء . ولأن يهتم

بتسكيته كلما صاح طالبا شيأ فان هذا يقويه على العناد . ولا أن يحمل على المشي قبل أوانه

ومن المهم تعويد الطفل منذ طفوليته على تحمل الجو بجميع ظواهره وتغيراته كالبرودة والحرارة حسب اختلاف الفصول. ولهذا نرى الطفل المدلل كثير الامراض في كبره بخلاف أولاد الفعلة والفلاحين . والاستحمام بالماء البارد كل صباح مما يعود الجسم على عدم التأثر ويزيده قوة

ومن الضروري تعويد الاطفال على الرياضة واستنشاق الهواء النقى والحركات المعتدلة من نحو المشي أو ركوب الخيل أو السباحة او نحو ذلك فان ذلك من أقوى الدواعي على تقوية الجسم ومتى قوى الجسم قويت الروح وعظم الامل وانبعث المرء للعمل . وربما لا يظهر أثر اهمال ذلك في زمن الشباب ولكنه لابد أن يظهر في زمن الكبر

والعمر مثل الطاس يرسب في اواخره القذر

وهذه الرياضة كانت معروفة عند العرب كما هى معروفة عند الامم المتمدنة الآن (قال اسامه بن زيد ان شيوخا من اسلم حدثوه ان النبي صلى الله عليه وسلم جاءهم وهم يرمون ببطحان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارموا يابنى اسماعيل فقد كان أبوكم راميا وانا مع بن الأدرع فتعدى القوم فقالوا يارسول الله من كنت معه فقد فضل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارموا وأنا معكم كلكم فانتضلوا ذلك اليوم ثم رجعوا بالسواء ليس لأحد على أحد منهم فضل)

والتنفس العميق في الهواء النقي حتي يصل الى اقصاء الرئه وينقيها مفيد جدا

ومما يجب شدة العناية بقامة الاطفال واعتدالها في الحركة والسكون وعدم الانحناء في الدرس لكيلا يفسد شكل الجسم في حالة سكون وهو خطأ محض وجهل بأصول التربية وأعجب من ذلك أنهم يفرحون بالاطفال القليلي الحركة البعيدين عن اللعب ويعتبرونهم عقلاء ويتوسمون فيهم الخير وحسن المستقبل ولم يعلموا ان الاطفال الذين طبعوا على السكون وعدم الحركة لابد أن يكونوا مصابين بأمراض جسمية أو عقلية بحيث ينتهي أمرهم الى ضعف الحياة وكدر المعيشة اذا لم يؤخذوا منذ الصغر بالرياضة والحركة وتنبيه إحساساتهم وضبط مخيتهم بالالعاب المفيدة

ولذلك يجب عليهم أن يتركوهم وحريتهم في اللعب والجرى والاعمال المساعدة على نمو اجسامهم وتعويدهم على الالعاب المفيدة لتطيب لهم لذة العيش ويفرحوا بالحياة وتنموا اجسامهم ويتربى احساسهم

وعلى أولى أمر التربية سواء في المدرسة والمنزل أن يجعلوا للاطفال نصيباً من اللعب والرياضة خصوصا في أواسط النهار وبعد انصرافهم وحضورهم الى المنزل ومتى آنسوا منهم ضعفا في الجسم او مللا في القوى العقلية طالبوهم بالرياضة والتفسح في الهواء الجيد وعلى كل يلزم تعويدهم على صرف زمن اليقظة بين اللعب والراحة والشغل بحيث يكون ذلك متبعاً فيه النظام والترتيب

وللعب أنواع كثيرة منها مايدعو الى كثير الحركة كلعب الكرة والجرى ومنها ما يدعو الى قليلها كاللعب بالاشياء وبالحيوانات ومهما كان

نوعها يجب على الأمهات والآباء أن يلاحظوا أطفالهم وقت لعبهم وأن يرشدوهم كيف يلعبون لتمرينهم على النظام وأن يلعبوا معهم كي ينتهزوا الفرصة في تربية عقولهم وبعث الشفقة في نفوسهم

وكما ان النوم للراحة جعل سبحانه اليقظة للحركة والعمل الذي هو اللعب بالنسبة للاطفال وهم مطبوعون عليه بالفطرة فان قصور قواهم العقلية وصغر نفوسهم يدعوانهم الى الطيش والاكثار من الحركة وهذه بدون ريب تدعو الى تنمية الجسم وتقويته تلك هى حكمة الحكيم جل شأنه

واللعب كما تعلم يبعث في الاطفال نشاطاً في أجسامهم وقوة في عقولهم ولذة في حياتهم اذا كان سائراً على محور النظام والترتيب كان يكون نوع اللعب موافقا لعمر الطفل ولقواه العقلية وإلا كان وبالاً عليه وسبباً لتشتت فكره وضعف مخيلته كما لايخفى

وكثير من الامهات والآباء يجبرون اطفالهم على لزوم الجلوس واللعب

وأما التربية العقلية فليعلم ان الطفل نسخة من العائلة فكل ما فيها من خير أو شر وكل ماسمعه أو رآه ينطبع فيه . ولهذا كان جهد الامهات من آخر الامور على تربية الابناء اذ يكونون في وسطهم كأنهم عائشون في غير زمانهم . ومن أول ما يلزم في ذلك أن لاتخوفه بالعفريت والمارد ونحوه مما لا حقيقة لوجوده . وان لاتقص عليه القصص الخرافية التي تفسد عقله وتجعله يصدق المحال من صغره — وأن لاتشتمه بألفاظ للبذاءة وتهيئه فتذل نفسه بل يجب أن تنصحه وتؤدبه بلطف

من يهن يسهل الهوان عليه ما لجرح بميت إيلام

وأن لا تحمله على الشر أو تنهاه عنه كرها بلا تعريفه سبب ذلك بل تقنعه بنفعه أو ضرره حتى يعمله عن اختيار

ومن رب ماله ولم يربي ولده فقد وضع ثروته في صندوق بلا مفتاح فيجب تعويد الطفل لا على ان يفهم هذا الطيب طيباً وذاك الخبيث خبيثاً . بل على ان يعمل الطيب ما قدر ويجتنب الخبيث ما استطاع . لان ادراك الحسن حسنا والقبيح قبيحاً أمر سهل وقد لا يكاد يوجد انسان يفعل أمراً مذموماً وهو يعتقد أنه ممدوح . فالسارق والقاتل والخائن والبخيل كلهم يفهمون أن ما يرتكبونه رذيلة من الرذائل . ولكنهم تعودوا استعمالها كما تعودوا ان يجفوا الفضائل

فالتمييز بين الفضيلة والرذيلة ليس بالشيء المهم في فن التربية ولكن كله ينحصر في اكتشاف واظهار وتنمية جميع الملكات الطيبة المخلوقة فينا أو غرسها في نفوسنا وتقويتها وإحيائها حتى تمسك في النفس بجذورها فلا تستطيع قوة قلعها بعد ذلك ابداً . ومتي وجدت التربية بهذا المعنى لازمت النفس الفضائل وتجافت الرذائل بقدر تلك الملازمة

وبديهي أن التربية بهذا المعنى لا يمكن أن تكتسب في المدارس والمكاتب او من قراءة وحفظ قواعد علمية . بل تجب ممارستها مع الطفل من يوم يعي الخطاب ويفهم الكلام بل وقبل ذلك . وأول من يطلب منهم القيام بهذه الوظيفة الشريفة هم طبعاً الذين يعاشرون الطفل من نشأته معاشرة مستمرة والذين يؤثرون عليه بأعمالهم وأقوالهم وسلوكهم : ثم اذا

أضفنا الى ذلك ما تحتاجه هـذه التربية من العناء والصـبر والعقل والحنو والمحبة الخالصة حكمنا بانها لا تتم الا بواسطة من انتخبتهم الفطرة الالهية لهذه المأمورية العالية وهم الوالدان

هذا وان من يربي ولده أو تلميذه بالغلظة والخشونة ويعامله بالقسوة والاهانة يطبع في نفسه أخلاقاً فاسدة وسجايا رديئة تكون سبب شقائه في أحواله وعلة خذلانه في أعماله فمن تلك السجايا (١) بغض الوالد والمربى ونحوهما والتربية الصحيحة النافعة لاتقوم الا على أساس المحبة و بغض الولد لوالده أو معلمه يحمله على عدم تلقي شئ من نصائحهما بالقبول في نفسه لانه يعد تلك النصائح إهانة وتعذيباً وتحكماً سببه القوة والاستعلاء ومن لايحب والده ومعلمه لا يحب وطنه وأمته بالضرورة (٢) الظلم عند القدرة والتحكم بالغير عند الامكان والانتقام لمجرد شفاء الغيظ واجابة داعي الغضب (٣) الكذب فان من يتوقع الانتقام على عمل أو قول يعتقد انه لا يرضي مربيه يندفع الى إنكاره (٤) المكر والحيل (٥) الذلة (٦) المهانة والغلظة والقسوة وهذه الصفات في الظاهر كالمتناقضة ولكن آثارها تشاهد فيمن يتربون هـذه التربية السوأى فان أحدهم يقسو أشد القسوة على من دونه ويذل أقبح الذل لمن فوقه فهو بعيد عن الفضيلة وكرامة النفس في كل حال وان أمة هذا شأن أفرادها لا يمكن ان تسود على غيرها أو تستقل في نفسها لان كرامة النفس وفضيلتها هما روح السيادة والاستقلال (٧) الرضى بالضيم وهضم الحقوق مهما كانا من قوي أو حاكم ظالم (٨) عدم الرضى بالحق طوعاً حيث يهضم حقوق الآخرين اذا قدر كما يخنع لهم اذا هضموا حقوقه . وهاتان الرذيلتان مرتبطان بما تقدم ومن آثاره وهكذا

ترتبط الرذائل بعضها ببعض فتكون سلسلة واحدة (٩) الخيانة (١٠) الحقد (١١) الحسد (١٢) الوقاحة والتهتك فان من يعامل بالاهانة قولا وفعلا يذهب حياؤه بالضرورة ويزول انفعاله مما يذم ويجاب اللائمة لاعتياده عليه من أول النشأة وكفاك بفقد الحياء بلاء فانه ينبوع الفضائل والكمال والزاجر النفسي عن سيئات الاعمال لا سيما اذا كان ميزان الحسن والقبح هو الشرع وقد جاء في الحديث الشريف « ان لكل دين خلق وخلق الاسلام الحياء » (١٣) وطوءة الهمة لان علو الهمة لا يكون الا لأصحاب النفوس الشريفة العزيزة . وان علو الهمم . ركن من أركان تقدم الامم . ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « علو الهمة من الايمان » (١٤) ضعف الادارة وخمود العزيمة وأي جوهر لا ينسحق بشدة الضغط ؟ وأي نار لا تنطفئ بفيضان طوفان الجور والاهانة ؟ وهل ينجح فرد من الافراد . تجرف ارادته وعزيمته سيول الجور والاستبداد ؟ كلا (١٥) فقد الاستقلال الشخصي لان الذين يربون أولادهم بالشدة والعنف لا يدعون لهم مجالا للاستقلال في شؤنهم والاعتماد في مصالحهم على أنفسهم فيكون أحدهم كلا على مولاه أينما يوجهه لا يأت بخير فهل يستوي هو ومن يربي على مبدأ الاستقلال والاعتماد على سعيه في كل الاعمال ؟ كلا « وان ليس للانسان الا ما سعى » (١٦) فقد الاستقلال الفكري والعقلي وسببه ان من شنشنة هؤلاء القساة الذين يربون الاولاد بالشدة والفظاظة انهم لا يقبلون لمن يربونه رأياً ولا يستحسنون له فكراً وان كان حسناً في نفسه ولا يجعلون لهم حقاً في ابداء رأي أو اقتراح أمر أو المشاركة في مصلحة وان ظهر منهم شيء من هذا قوبلوا بالتنديد واللوم الشديد فتخمد نار لوذعيتهم وينشؤن على

التقليد الاعمى فاذا أخذوا بعد الكبر في الاشتغال بالعلوم أو الاعمال التي يحتاج فيها الى الفكر والروية لا ينجحون أبداً لا سيما اذا كان تعليمهم على نسق تربيتهم كما هو الغالب في بلادنا أو في الشرق كله وذلك لان من يرى قصاري نجاحه ان يعلم ما قيل . من غير تمييز ولا تزييل . لا يهتدي الى تحرير الدلائل . ولا يقف على حقائق المسائل . لان الاقوال في كل شيء متعارضة . والآراء في كل مشكلة متناقضه . فمن لا يجتهد يخيب « ولكل مجتهد نصيب » (١٧) فقد الحرية في القول والعمل وهو الذي يحمل على ما ذكرنا اولا من الكذب والمكر والحيلة وعندي ان التربية الصحيحة الكاملة تتوقف على معرفته جميع شؤون المربي النفسية والعلمية ولا يمكن ان يقف المربي على هذا الا بالتحبب الى المربي واعطائه الحرية التامة في ابداء كل ما يعن له واطلاع مربيه عليه ولا تنجلي هذه المسئلة الا بشرح طويل لا تسعه هذه النبذة ويكفينا ان نقول اذا علم الوالد أو المعلم ان الذي يربيه قد عرض له الرسيس (اول الحب) وخاف عليه الشغف والولوع في العشق ولن يقدر على ان يحول بينه وبين الغرام من حيث لا يشعر فينبغي له ان يجذبه بزمام اللطف ويسلس له حتى يكاشفه بما في نفسه ويستشيره في كل أمره وبذلك تسنى له ان يقيه مصارع الهوى ويقف به في الحب عند حدود الشرف (١٨) الدناءة (١٩) اللؤم (٢٠) كفر النعمة

وقال الغزالي اعلم ان الطريق في رياضة الصبيان من أهم الامور واوكدها والصبي امانة عند والديه وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية عن كل نقش وصورة وهو قابل لكل ما نقش ومائل الى كل ما يمال به اليه فان عود الخير وعلمه نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة وشاركه في

ثوابه ابواه وكل معلم له ومؤدب وان عود الشر واهمل اهمال البهائم شقي وهلك وكان الوزر في رقبة القيم عليه والوالي له وقد قال الله عز وجل يأيها الذين آمنوا قوا انفسكم واهليكم ناراً ومهما كان الاب يصونه عن نار الدنيا فبأن يصونه عن نار الآخرة أولى وصيانته بأن يؤدبه ويهذبه ويعلمه محاسن الاخلاق ويحفظه من القرناء السوء ولا يعوده التنعم ولا يحبب اليه الزينة وأسباب الرفاهية فيضيع عمره فى طلبها اذا كبر فيهلك هلاك الابد بل ينبغي أن يراقبه من أول أمره فلا يستعمل في حضانته وارضاعه الا امرأة صالحة متدينة تأكل الحلال فان اللبن الحاصل من الحرام لا بركة فيه فاذا وقع عليه نشو الصبي انعجنت طينته من الخبث فيميل طبعه الى ما يناسب الخبائث ومهما رأى فيه مخايل التميز فينبغي أن يحسن مراقبته وأول ذلك ظهور أوائل الحياء فانه اذا كان يحتشم ويستحي ويترك بعض الافعال فليس ذلك الا لاشراق نور العقل عليه حتى يرى بعض الاشياء قبيحاً ومخالفاً للبعض فصار يستحي من شيء دون شيء وهذه هدية من الله تعالى اليه وبشارة تدل على اعتدال الاخلاق وصفاء القلب وهو مبشر بكمال العقل عند البلوغ فالصبي المستحي لا ينبغي ان يهمل بل يستعان على تأديبه بحيائه وتميزه وأول ما يغلب عليه من الصفات شره الطعام فينبغي ان يؤدب فيه مثل ان لا يأخذ الطعام الا بيمينه وان يقول عليه بسم الله عند أخذه وان يأكل مما يليه وان لا يبادر الى الطعام قبل غيره وان لا يحدق النظر اليه ولا الى من يأكل وان لا يسرع في الاكل وان يجيد المضغ وان لا يوالي بين اللقم ولا يلطخ يده ولا ثوبه وان يعود الخبز القفار في بعض الاوقات حتى لا يصير بحيث يرى الادم حتما ويقبح عنده كثرة الاكل بأن يشبه كل من يكثر الاكل

بالبهائم وبأن يذم بين يديه الصبي الذي يكثر الاكل ويمدح عنده الصبي المتأدب القليل الاكل وان يحبب اليه الايثار بالطعام وقلة المبالاة به والقناعة بالطعام الخشن أي طعام كان وان يحبب اليه من الثياب البيض دون الملون والابريسم ويقرر عنده ان ذلك شأن النساء والمخنثين وان الرجال يستنكفون منه ويكرر ذلك عليه ومهما رأى على صبي ثوبا من ابريسم أو ملون فينبغي ان يستنكره ويذمه ويحفظ الصبي عن الصبيان الذين عودوا التنعم والرفاهية ولبس الثياب الفاخرة وعن مخالطة كل من يسمعه مايرغبه فيه فان الصبي مهما أهمل في ابتداء نشوه خرج في الاغلب رديء الاخلاق كذابا حسودا سروقا نماما لحوحا ذا فضول وضحك وكياد ومجانة وانما يحفظ عن جميع ذلك بحسن التأديب ثم يشغل في المكتب فيتعلم القرآن وأحاديث الاخبار وحكايات الابرار وأحوالهم لينغرس في نفسه حب الصالحين ويحفظ من الاشعار التي فيها ذكر العشق واهله ويحفظ من مخالطة الادباء الذين يزعمون ان ذلك من الظرف ورقة الطبع فان ذلك يغرس في قلوب الصبيان بذر الفساد ثم مهما ظهر من الصبي خلق جميل وفعل محمود فينبغي ان يكرم عليه ويجازى عليه بما يفرح به ويمدح بين أظهر الناس فان خالف ذلك في بعض الاحوال مرة واحدة فينبغي ان يتغافل عنه ولا يهتك ستره ولا يكاشفه ولا يظهر له انه يتصور ان يتجاسر أحد على مثله ولا سيما اذا ستره الصبي واجتهد في اخفائه فان أظهر ذلك عليه ربما يفيده جسارة حتى لايبالي بالمكاشفة فعند ذلك ان عاد ثانياً فينبغي أن يعاتب سراً ويعظم الامر فيه ويقال له إياك أن تعود بعد ذلك لمثل هذا وان يطلع عليك في مثل هذا فتفتضح بين الناس ولا تكثر القول عليه بالعتاب في كل حين فانه يهون عليه سماع

الملامة وركوب القبائح ويسقط وقع الكلام من قلبه وليكن الاب حافظ هيئة الكلام معه فلا يوبخه الا أحياناً والأم تخوفه بالاب وتزجره عن القبائح وينبغي ان يمنع عن النوم نهاراً فانه يورث الكسل ولا يمنع منه ليلا ولكن يمنع الفرش الوطيئة حتى تتصلب أعضاؤه ولا يسخف بدنه فلا يصبر عن التنعم بل يعود الخشونة في المفرش والملبس والمطعم وينبغي أن يمنع من كل ما يفعله في خفية فانه لا يخفيه الا وهو يعتقد انه قبيح فاذا تعود ترك فعل القبيح ويعود في بعض النهار المشي والحركة والرياضة حتى لا يغلب عليه الكسل ويعود ان لا يكشف اطرافه ولا يسرع المشي ولا يرخي يديه بل يضمهما الى صدره ويمنع من أن يفتخر على أقرانه بشيء مما يملكه والداه أو بشيء من مطاعمه وملابسه أو لوحه ودواته بل يعود التواضع والاكرام لكل من عاشره والتلطف في الكلام معهم ويمنع من أن يأخذ من الصبيان شيئاً بداله حشمة ان كان من أولاد المحتشمين بل يعلم ان الرفعة في الاعطاء لا في الاخذ وان الاخذ لؤم وخسة ودناءة وان كان من أولاد الفقراء فيعلم أن الطمع والاخذ مهانة وذلة وان ذلك من دأب الكلب فانه يبصبص في انتظار لقمة والطمع فيها وبالجملة يقبح الى الصبيان حب الذهب والفضة والطمع فيهما ويحذر منهما أكثر مما يحذر من الحيات والعقارب فان آفة حب الذهب والفضة والطمع فيهما اضر من آفة السموم على الصبيان بل على الاكابر أيضاً وينبغي أن يعود أن لا يبصق في مجلسه ولا يتمخط ولا يتثاءب بحضرة غيره ولا يستدبر غيره ولا يضع رجلا على رجل ولا يضع كفه تحت ذقنه ولا يعمد رأسه بساعده فان ذلك دليل الكسل ويعلم كيفية الجلوس ويمنع كثرة الكلام ويبين له أن ذلك يدل

على الوقاحة وانه فعل أبناء الائام ويمنع اليمين رأساً صادقاً كان أو كاذباً حتى لا يعتاد ذلك في الصغر ويمنع أن يبتدئ بالكلام ويعود أن لا يتكلم الا جواباً وبقدر السؤال وان يحسن الاستماع مهما تكلم غيره ممن هو أكبر منه سناً وان يقوم لمن فوقه ويوسع له المكان ويجلس بين يديه ويمنع من لغو الكلام وفحشه ومن اللعن والسب ومن مخالطة من يجري على لسانه شيء من ذلك فان ذلك يسري لا محالة من القرناء السوء وأصل تأديب الصبيان الحفظ من قرناء السوء وينبغي اذا ضربه المعلم أن لا يكثر الصراخ والشغب ولا يستشفع بأحد بل يصبر ويذكر له أن ذلك دأب الشجعان والرجال وان كثرة الصراخ دأب المماليك والنسوان وينبغي أن يؤذن له بعد الانصراف من الكتاب أن يلعب لعباً جميلا يستريح اليه من تعب المكتب بحيث لا يتعب في اللعب فان منع الصبي من اللعب وارهاقه الى التعلم دائماً يميت قلبه ويبطل ذكاءه وينغص عليه العيش حتى يطلب الحيلة في الخلاص منه رأساً وينبغي ان يعلم طاعة والديه ومعلمه ومؤدبه وكل من هو اكبر منه سناً من قريب واجنبي وأن ينظر اليهم بعين الجلالة والتعظيم وأن يترك اللعب بين أيديهم ومهما بلغ سن التمييز فينبغي أن لا يسامح في ترك الطهارة والصلاة ويؤمر بالصوم في بعض أيام رمضان ويجنب لبس الحرير والديباج والذهب ويعلم كل ما يحتاج اليه من حدود الشرع ويخوف من السرقة وأكل الحرام ومن الخيانه والكذب والفحش وكل ما يغلب على الصبيان فاذا وقع نشوه كذلك في الصبا فمهما قارب البلوغ امكن ان يعرف أسرار هذه الامور فيذكر له أن الاطعمة أدوية وانما المقصود منها أن يقوي الانسان بها على طاعة الله عز وجل وأن الدنيا كلها لا أصل لها اذ لا بقاء لها وان الموت يقطع نعيمها

وانها دار ممر لا دار مقر وان الآخرة دار مقر لا دار ممر وان الموت منتظر في كل ساعة وان الكيس العاقل من تزود من الدنيا للآخرة حتى تعظم درجته عند الله تعالى ويتسع نعيمه في الجنان فاذا كان النشو صالحاً كان هذا الكلام عند البلوغ واقعاً مؤثراً ناجعاً يثبت في قلبه كما يثبت النقش في الحجر وان وقع النشو بخلاف ذلك حتى ألف الصبي اللعب والفحش والوقاحة وشره الطعام واللباس والتزين والتفاخر نبا قلبه عن قبول الحق نبوة الحائط عن التراب اليابس فأوائل الامور هي التي ينبغي أن تراعى فان الصبي بجوهره خلق قابلا للخير والشر جميعاً وانما أبواه يميلان به الى أحد الجانبين قال صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة وانما أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه قال سهل بن عبد الله التستري كنت وأنا ابن ثلاث سنين أقوم الليل فانظر الى صلاة خالي محمد بن سوار فقال لي يوماً الا تذكر الله الذي خلقك فقلت كيف أذكره قال قل بقلبك عند تقلبك في ثيابك ثلاث مرات من غير ان تحرك به لسانك الله معي الله ناظر الي الله شاهدي فقلت ذلك ليالي ثم أعلمته فقال قل في كل ليلة سبع مرات فقلت ذلك ثم أعلمته فقال قل ذلك كل ليلة احدى عشر مرة فقلته فوقع في قلبي حلاوته فلما كان بعد سنة قال لي خالي احفظ ما علمتك ودم عليه الى ان تدخل القبر فانه ينفعك في الدنيا والآخرة فلم أزل على ذلك سنين فوجدت لذلك حلاوة فى سري ثم قال لي خالي يوماً يا سهل من كان الله معه وناظر اليه وشاهده أيعصيه اياك والمعصية فكنت اخلو بنفسي فبعثوا بي الى المكتب فقلت اني لاخشى أن يتفرق علىّ همي ولكن شارطوا المعلم اني أذهب اليه ساعة فأتعلم ثم أرجع فمضيت الى الكتاب فتعلمت القرآن وحفظته وانا ابن ست

سنين أو سبع سنين وكنت أصوم الدهر وقوتي من خبز الشعير اثنتي عشرة سنة فوقعت لي مسئلة وانا ابن ثلاث عشرة سنة فسألت اهلي ان يبعثوني الى اهل البصرة لاسال عنها فأتيت البصرة فسألت علماءها فلم يشف احد عني شيأ فخرجت الى عبادان الى رجل يعرف بأبي حبيب حمزة بن عبد الله العباداني فسالته عنها فاجابني فأقمت عنده مدة انتفع بكلامه واتأدب بآدابه ثم رجعت الى تستر فجعلت قوتي اقتصاداً على ان يشترى لي بدرهم من الشعير الفرق فيطحن ويخبز لي فافطر عند السحر على أوقية كل ليلة بحتا بغير ملح ولا ادم فكان يكفيني ذلك الدرهم ثم عزمت على ان انطوى ثلاث ليال ثم افطر ليلة ثم خمسا ثم سبعا ثم خمسا وعشرين ليلة فكنت على ذلك عشرين سنة ثم خرجت اسيح في الارض سنين ثم رجعت الى تستر وكنت اقوم الليل كله ما شاء الله تعالى

﴿ فصل في أداب المماليك والخدم وفضل الاحسان اليهم ﴾

قال الله تعالى واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين احسانا الى قوله وما ملكت أيمانكم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للمملوك طعامه وكسوته ولا يكلف من العمل الا مايطيق رواه مسلم وقال صلى الله عليه وسلم اذا أتى أحدكم خادمه بطعامه فان لم يجلسه معه فليناوله لقمة أو لقمتين أو اكلة أو اكلتين فانه ولي حره وعلاجه رواه البخاري الاكلة بضم الهمزة هي اللقمة وقال صلى الله عليه وسلم ماخففت عن خادمك من عمله كان لك أجرا في موازينك وقال صلى الله عليه وسلم اذا ابتاع أحدكم الخادم فليكن أول شئ يطعمه الحلوا فانه أطيب لنفسه وفي الصحيحين عن المعرور ابن سويد قال رأيت أبا ذر رضي الله عنه وعليه حلة وعلى غلامه مثلها

فسألته عن ذلك فذكر انه ساب رجلا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فعيره بأمه فقال النبي صلى الله عليه وسلم انك امرؤ فيك جاهلية هم اخوانكم جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل ويلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم مما يغلبهم فان كلفتموهم فأعينوهم وروى عن أبي هريرة رضي الله عنه انه رأي رجلا على دابته وغلامه يسعى خلفه فقال ياعبد الله احمله فانه أخوك فان روحه مثل روحك فحمله ثم قال لا يزال العبد يزداد من الله بعدا ما مشى خلفه وفي الصحيحين عن النبي صلي الله عليه وسلم انه قال من اعتق رقبة مسلمة أعتق الله بكل عضو منه عضوا منه من النار وقال صلى الله عليه وسلم لافضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأبيض على اسود ولا لاسود على أبيض الا بالتقوى وقال مجاهد رحمه الله كان لقمان عليه السلام عبدا حبشياً نجاراً وقيل خياطاً وقيل راعياً فروى انه كان يتكلم بالحكمة فقال له رجلا ألست فلاناً الراعي قال نعم قال فبم بلغت ما بلغت قال بصدق الحديث وأداء الأمانة وترك ما لا يعنيني وقيل من حكمته أن مولاه دفع اليه شاة وقال اذبحها وائتني بأطيب مضغتين منها فأتاه باللسان والقلب فدفع اليه شاةأخرى فقال اذبحها وائتني بأخبث مضغتين منها فأتاه باللسان والقلب فسأله مولاه فقال ليس شئ أطيب منهما اذا طابا ولا أخبث منهما اذا خبثا وقال رسول الله صلي الله عليه وسلم المملوك الذي يحسن عبادة ربه ويؤدي الى سيده الذي عليه من الحق والنصيحة والطاعة له أجران رواه البخاري وقال صلى الله

عليه وسلم ان العبد اذا نصح لسيده وأحسن عبادة الله فله أجره مرتين
وقال صلى الله عليه وسلم ثلاثة لهم أجران رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه
وآمن بمحمد والعبد المملوك اذا أدى حق الله وحق مواليه ورجل كانت له
امة فأدبها فأحسن تأديبها وعلمها فأحسن تعليمها ثم اعتقها فتزوجها فله
اجران رواهما البخاري ومسلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ابق
العبد لم تقبل له صلاة رواه مسلم قال صلى الله عليه وسلم ثلاثة لا يقبل الله
لهم صلاة ولا تصعد لهم حسنة العبد الآبق ولا يرجع الى مواليه والمرأة
الساخط عليها زوجها حتى يرضى والسكران حتى يصحو

وقد كان من آخر ما اوصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم ان قال
اتقوا الله فيما ملكت ايمانكم اطعموهم مما تأكلون واكسوهم مما تلبسون
ولا تكلفوهم من العمل ما لا يطيقون فما احببتم فامسكوا وما كرهتم فبيعوا
ولا تعذبوا خلق الله فان الله ملككم اياهم ولو شاء لملكهم اياكم وقال صلى
الله عليه وسلم للمملوك طعامه وكسوته بالمعروف ولا يكلف من العمل ما لا
يطيق وقال عليه السلام لا يدخل الجنة خب ولا متكبر ولا خائن سيء
وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما جاء رجل الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال يارسول الله كم تعفو عن الخادم فصمت عنه رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثم قال اعف عنه في كل يوم سبعين مرة وكان عمر رضي
الله عنه يذهب الى العوالي في كل يوم سبت فاذا وجد عبداً في عمل لا يطيقه
وضع عنه منه ويروى عن ابي هريرة رضي الله عنه انه رأى رجلا على دابته
وغلامه يسعى خلفه فقال له يا عبد احمله خلفك فانما هو اخوك روحه مثل
روحك فحمله ثم قال لا يزال العبد يزداد من الله بعداً ما مشي خلفه

وقال الزهري متى قلت للمملوك اخزاك الله فهو حر وقيل للاحنف بن قيس ممن تعلمت الحلم قال من قيس بن عاصم قيل فما بلغ من حلمه قال بينما هو جالس في داره اذ أتته خادمة له بسفود عليه شواء فسقط السفود من يدها على ابن له فعقره فمات فدهشت الجارية فقال ليس يسكن روع هذه الجارية الا العتق فقال لها أنت حرة لا بأس عليك وكان عون بن عبد الله اذا عصاه غلامه قال ما أشبهك بمولاك مولاك يعصى مولاه وأنت تعصي مولاك فاغضبه يوماً فقال انما تريد أن اضربك اذهب فانت حر وكان عند ميمون بن مهران ضيف فاستعجل على جاريته بالعشاء فجاءت مسرعة ومعها قصعة مملوءة فعثرت وأراقتها على رأس سيدها ميمون فقال يا جارية احرقتني قالت يا معلم الخير ومؤدب الناس ارجع الى ما قال الله تعالى قال وما قال الله تعالى قالت قال والكاظمين الغيظ قال قد كظمت غيظي قالت والعافين عن الناس قال قد عفوت عنك قال زد فان الله تعالى يقول والله يحب المحسنين قال أنت حرة لوجه الله وقال ابن المنكدر ان رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب عبداً له فجعل العبد يقول اسألك بالله أسألك بوجه الله فلم يعفه فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صياح العبد فانطلق اليه فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسك يده فقال رسول الله سألك بوجه الله فلم تعفه فلما رأيتني أمسكت يدك قال فانه حر لوجه الله يا رسول الله فقال لو لم تفعل لسفعت وجهك النار وقال صلى الله عليه وسلم العبد اذا نصح لسيده وأحسن عبادة الله فله اجره مرتين ولما اعتق أبو رافع بكي وقال كان لي أجران فذهب أحدهما وقال صلى الله عليه وسلم عرض علي أول ثلاثة يدخلون الجنة وأول ثلاثة يدخلون النار

والقوة التنفيذية وتمنحة لهيئة الوزراء العاملين في حكومتها. والقوة القضائية وتسلمه لجماعة أخرى من أبناءها وهم القضاة

﴿ فصل في أمور تتعلق بآداب الحكام ﴾

قال الله تبارك وتعالى يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم (وقال) أبو هريرة لما نزلت هـذه الاية أمرنا بطاعة الأئمة وطاعتهم من طاعة الله وعصيانهم من عصيان الله (وقال) النبي صلى الله عليه وسلم من فارق الجماعة أو خلع يدا من طاعة مات ميتة جاهلية * وقال النبي صلى الله عليه وسلم الدين النصيحة الدين النصيحة الدين النصيحة قالوا لمن يارسول الله قال لله ولرسوله ولاولى الامر منكم فنصح الامام ولزوم طاعته فرض واجب وامر لازم ولا يتم ايمان الا به ولا يثبت اسلام الا عليه الا ان هذا يشترط فيه ان يلزم الحاكم حدود الشرع مع الامة فاذا خالفها ذلك فظلم وفجر فلا طاعة له عليها (الشعبي) عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال لي أبي أرى هـذا الرجل يعني عمر ابن الخطاب يستفهمك ويقدمك على الاكابر من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وني موصيك بخلال أربع لاتفشين له سراً ولا يجربن عليك كذباً ولا تطو عنه نصيحة ولا تغتابن عنده أحداً قال الشعبي فقلت لابن عباس كل واحدة خير من الف قال أي والله ومن عشرة آلاف (وفي كتاب الهند) ان رجلا دخل على بعض ملوكهم فقال أيها الملك ان نصيحتك واجبة في الصغير الحقير والكبير الخطير ولولا الثقة بفضيلة رأيك واحتمالك ما يشق موقعه في جنب صلاح العامة وتلافي الخاصة لكان خرقا مني ان أقول ولكنا اذا رجعنا الى ان بقاءنا موصول ببقائك وأنفسنا متعلقة بنفسك لم نجد بدا من أداء الحق اليك وان أنت لم تسلني ذلك فانه يقال

من كتم السلطان نصيحته والاطباء مرضه والاخوان بثه فقد أخل بنفسه وأنا أعلم ان كل كلام يكرهه سامعه لم يتشجع عليه قائله الا ان يثق بعقل المقول له ذلك فانه اذا كان عاقلا احتمل ذلك لانه ما كان فيه من نفع فهو للسامع دون القائل وانك أيها الملك ذو فضيلة في الرأي وتصرف في العلم فيشجعني ذلك على ان أخبرك بما تكره واثقاً بمعرفة نصيحتي لك وايثاري إياك على نفسي (وقال) عمرو بن عتبة للوليد حين تغير الناس عليه يا أمير المؤمنين ينطقني الانس بك ويسكتني الهيبة لك وأراك تأمن أشياء أخافها عليك فأسكت مطيعاً أم أقول مشفقاً قال كل مقبول منك ولله فينا علم غيب نحن صائرون اليه فقتل بعد ذلك بأيام (وقال) خالد بن صفوان من صحب السلطان بالعفة والنصيحة اكثر عدو ممن صحبه بالغش والخيانة لانه يجتمع على الناصح عدو السلطان وصديقه بالعداوة والحسد فصديق السلطان ينافسه في مرتبته وعدوه يبغضه لنصيحته

قال ابن المقفع ينبغي لمن خدم السلطان ان لا يغتر به اذا رضي منه ولا يتغير له اذا سخط ولا يستثقل ما حمله ولا يلحف في مسألته (وقال أيضاً) لا تكن صحبتك السلطان الا بعد رياضة منك لنفسك على طاعتهم فان كنت حافظاً ولوك حذراً اذا قربوك أميناً اذا ائتمنوك تعلمهم وكأنك متعلم منهم وتؤدبهم وكانك متأدب بهم وتشكرهم ولا تكلفهم الشكر والا فالبعد منهم كل البعد والحذر كل الحذر (وقال) المأمون الملوك تحتمل كل شئ الا ثلاثة أشياء القدح في الملك وافشاء السر والتعرض للحرم (وقال) ابن المقفع اذا نزلت من السلطان بمنزلة الثقة فلا تلزم الدعاء له في كل كلمة فان ذلك يوجب الوحشة ويلزم الانقباض (وقال)

الاصمعي توسلت بالملح وادركت بالغريب (وقال) أبو حازم الاعرج لسليمان بن عبد الملك انما السلطان سوق فما نفق عنده حمل اليه (ولما) قدم معاوية من الشام وكان عمر قد استعمله عليها دخل على أمه هند فقالت له يابني انه قلما ولدت حرة مثلك وقد استعملك هذا الرجل فاعمل بما وافقه أحببت ذلك أم كرهته ثم دخل على أبيه أبي سفيان فقال له يابني ان هؤلاء الرهط من المهاجرين سبقونا وتأخرنا عنهم فرفعهم سبقهم وقصر بنا تأخرنا فصرنا اتباعاً وصاروا قادة وقد قلدوك جسيما من أمرهم فلا تخالفن أمرهم فانك تجري الى أمد لم تبلغه ولو قد بلغته قال معاوية فعجبت من اتفاقهما في المعنى على اختلافهما في اللفظ (وقال) لتنفست فيه ابرويز لصاحب بيت المال اني لا أعذرك فى خيانة درهم وعلى ان لا أحمدك على صيانة ألف ألف لانك انما تحقن دمك وتقيم أمانتك فان خنت قليلا خنت كثيراً واحترس من خصلتين النقصان فيما تأخذ والزيادة فيما تعطي واعلم اني لم أجعلك على ذخائر الملك وعماد المملكة والقوة على العدو الا وأنت عندي آمن موضعه الذي هو فيه وخواتمه التي هي عليك فحقق ظني باختياري إياك احقق ظنك في رجائك اياي ولا تتعرض بخير شراً ولا برفعة ضعة ولا بسلامة ندامة (ولما) ولي يزيد بن معاويه سلم خراسان ابن زياد قال له ان أباك كفى أخاه عظيما وقد استكفيناك صغيراً فلا تتكان على عذر مني فقد اتكلتك على كفاية منك وإياك مني قبل ان أقول اياي منك فان الظن اذا اختلف مني فيك اختلف منك في وأنت في أدنى حظك فاطلب في اقتضاءه وقد اتعبك أبوك فلا تريحن (وقال) يزيد حدثني أبي أن عمر بن الخطاب لما قدم الشام قدم على حمار ومعه عبد الرحمن بن عوف على حمار فتلقاهما معاوية في موكب ثقيل فجاوز عمر حتى اخبر فرجع اليه

فلما قرب منه نزل اليه فأعرض عنه فجعل يمشي الى جنبه راجلا فقال له عبد الرحمن بن عوف اتعبت الرجل فأقبل عليه عمر فقال يامعاوية انت صاحب الموكب آنفا مع مابلغنى من وقوف ذوي الحاجات ببابك قال نعم يا أمير المؤمنين قال ولم ذاك قال لا نانى ببلد لا نمتنع فيها من جواسيس العدو ولا بدلهم مما يرهبهم من هيبة السلطان فان أمرتني بذلك اقمت عليه وان نهيتني عنه انتهيت فقال لئن كان الذي تقول حقاً فانه رأى أريب وان كان باطلا فانها خدعة أديب وما آمرك به ولا أنهاك عنه فقال عبد الرحمن ابن عوف لحسن ما صدر هذا الفتى عما أوردته فيه فقال لحسن موارده جشمناه ماجشمناه (وقال) الربيع بن زياد الحارثي كنت عاملا لابي موسى الاشعري على البحرين فكتب اليه عمر بن الخطاب يأمره بالقدوم عليه هو وعماله وأن يستخلفوا من هو من ثقاتهم حتى يرجعوا فلما قدمنا أتيت يرفا فقلت يا يرفا ابن سبيل مسترشد أخبرني أى الهيئات أحب الى أمير المؤمنين أن يري فيها عماله فأومأ لى الخشونة فأخذت خفين مطارقين ولبست جبة صوف ولثت رأسي بعمامة دكناء ثم دخلنا على عمر فصفنا بين يديه وصعد فينا نظره وصوب فلم تأخذ عينه أحدا غيري فدعاني فقال من أنت قلت الربيع ابن زياد الحارثي قال وما تتولى من أعمالنا قلت البحرين قال فكم ترزق قلت خمسة دراهم في كل يوم قال كثير فما تصنع قلت اتقوت منها شيأ وأعود بباقيها على أقارب لي فما فضل منها فعلى فقراء المسلمين قال لا بأس ارجع الى موضعك فرجعت الى موضعي من الصف ثم صعد فينا وصوب فلم تقع عينه الا علي فدعاني فقال فكم سنوك فقلت ثلاث وأربعون سنة قال الآن حين استحكمت ثم دعا بالطعام وأصحابي حديثو عهد بلين العيش وقد

تجوعت له فأتى بخبز يابس واكسار بغير ادام فجعل أصحابي يعافون ذلك وجعلت آكل فاجيد الأكل فنظرت فاذا به يلحظني من بينهم ثم سبقت مني كلمة تمنيت اني سخت في الارض ولم ألفظ بها فقلت يا أمير المؤمنين ان الناس يحتاجون الى صلاحك فلو عمدت الى طعام هو ألين من هذا فزجرني وقال كيف قلت قلت أقول لو نظرت يا أمير المؤمنين الى قوتك من الطحين قبل ارادتك اياه بيوم ويطبخ لك اللحم كذلك فتؤتي بالخبز لينا وباللحم غريضاً فسكن من غربه وقال هذا قصدت قلت نعم قال ياربيع انا لو نشاء لملأنا هذه الرحاب من صلائق وسبائك وصناب ولكني رأيت الله تعالى نعى على قوم شهواتهم فقال أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها ثم أمر أباموسى أن يقرني وأن يستبدل بأصحابي (قوله. لثت رأسي) يقال رجل الوث اذا كان ذا شر وذلك من اللوث ورجل الوث اذا كان أهوج مأخوذ من اللوثة فقوله ولثت رأسي بعمامة يقول ادرتها بعضها على بعض على غير استواء (وقوله صلائق) هي شئ يعمل من اللحم فنها ما يطبخ ومنها ما يشوي يقال صلقت اللحم اذا طبخته وصلقته اذا شويته (وسبائك) يريد الحواري من الخبز وذلك انه يسبك فيؤخذ خالصه والعرب تسمى الرقاق السبائك (والصناب) طعام يؤخذ من الزبيب والخردل ومنه قيل للفرس صنابي اذا كان فيه لون حمرة قال جرير

تكلفني معايش آل زيد ومن لي بالمرقق والصناب

(ومما) يصحب به السلطان أن لا يسلم على قادم بين يديه وانما استن ذلك زياد وذلك ان عبد الله بن عباس قدم على معاوية وعنده زياد فرحب به معاوية وألطفه وقرب مجلسه ولم يكلمه زياد شيأ فابتدأ ابن عباس وقال

فما حالك أبا المغيرة كأنك أردت أن تحدث بيننا وبينك هجرة قال لا ولكنه لا يسلم على قادم بين يدي أمير المؤمنين فقال له ابن عباس ما ترك الناس التحية بينهم بين يدى أمرائهم فقال معاوية كف عنه يا ابن عباس فانك لا تشاء أن تغلب الا غلبت (ابو حاتم) عن العتبي قال قدم معاوية من الشام وعمرو بن العاص من مصر على عمر بن الخطاب فأقعدهما بين يديه وجعل يسائلهما عن أعمالهما الى ان اعترض عمرو في حديث معاوية فقال له معاوية أعملى تعيب والى تقصد هلم تخبر أمير المؤمنين عن عملي وأخبره عن عملك قال عمرو فعلمت انه بعملي أبصر منى بعمله وان عمر لا يدع أول هذا الحديث حتى يصير الى آخره فاردت أن أفعل شيأ اشغل به عمر عن ذلك فرفعت يدي فلطمت معاوية فقال عمر تالله ما رأيت رجلا أسفه منك قم يا معاوية فاقتص منه قال معاوية ان ابي أمرني أن لا أقضي امرا دونه فارسل عمر الى ابي سفيان فلما أتاه القى له وسادة وقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أتاكم كريم قوم فاكرموه ثم قص عليه ما جرى بين عمرو ومعاوية فقال لهذا بعثت الي أخوه وابن عمه وقد أتى غير كبير وقد وهبت ذلك له (وقالوا) ينبغي لمن صحب السلطان ان لا يكتم عنه نصيحة وان استثقلها وليكن كلامه له كلام رفق لا كلام خرق حتى يخبره بعيبه من غير ان يواجهه بذلك ولكن يضرب له الامثال ويخبره بعيب غيره ليعرف عيب نفسه (وقالوا) من تعرض للسلطان ازدراه ومن تطامن له تخاطاه فشبهوا السلطان في ذلك بالريح الشديدة التي لا تضر بما لان وتمايل معها من الحشيش والشجر وما استهدف لها قصمته (قال الشاعر)

ان الرياح اذا ما أعصفت قصفت　　عيدان نجر ولا يعبأن بالرتم

وقالوا اذا زادك السلطان اكراماً فزده اعظاما واذا جعلك عبدا

ولما وجه عمر بن هبيرة مسلم بن سعيد الى خراسان قال له أوصيك بثلاثة حاجبك فانه وجهك الذي به تلقى الناس ان أحسن فانت المحسن وان أساء فانت المسئ وصاحب شرطتك فانه سوطك وسيفك حيث وضعتهما وعمال القرى قال وما عمال القرى قال ان تختار من كل كورة رجالا لعملك فان أصابوا فهو الذي أردت وان أخطؤا فهم المخطئون وأنت المصيب (وكتب) عمر بن عبد العزيز الى عدى بن ارطاة ان اجمع بين أياس بن معاوية والقاسم بن ربيعة الجرشي فول القضاء أنفذهما فجمع بينهما فقال له اياس أيها الرجل سل عني وعن القاسم فقيهي البصرة الحسن وابن سيرين وكان القاسم يأتي الحسن وابن سيرين وكان اياس لا يأتيهما فعلم القاسم انه ان سألهما أشارا به فقال القاسم لا تسأل عني ولا عنه فوالله الذي لا إله الا هو ان اياس بن معاوية أفقه مني وأعلم بالقضاء فان كنت كاذباً فما ينبغي ان توليني وان كنت صادقاً فينبغي لك ان تقبل قولى فقال له إياس انك جئت برجل فأوقفته على شفير جهنم فنجى نفسه منها بيمين كاذبة يستغفر الله منها وينجو مما يخاف فقال له عدى أماإذ فهمتها فأنت لها فاستقضاه (وقال عدى ابن ارطاة) لاياس بن معاوية دلني على قوم من القراء أولهم فقال له القراء ضربان ضرب يعملون للآخرة لا يعملون لك وضرب يعملون للدنيا فما ظنك بهم اذا أمكنتهم منها ولكن عليك بأهل البيوتات الذين يستحيون لاحسابهم فولهم (أيوب السختياني) قال طلب أبو قلابة للقضاء فهرب الى الشام فأقام حينا ثم رجع قال أيوب فقلت له لو وليت القضاء وعدلت كان لك أجران

قال يا أيوب اذا وقع السابح في البحر كم عسى ان يسبح (وقال عبد الملك بن مروان) لجلسائه دلوني على رجل أستعمله فقال له روح بن زنباع أدلك يا أمير المؤمنين على رجل ان دعوتموه أجابكم وان تركتموه لم يأتكم ليس بالملحف طلبا ولا بالممعن هربا عامر الشعبي فولاه قضاء البصرة (وسأل عمر بن عبد العزيز) أبا مخلد عن رجل يوليه خراسان فقال له ماتقول في فلان قال مصنوع له وليس بصاحبها قال ففلان قال سريع الغضب بعيد عن الرضا يسأل الكثير ويمنع القليل يحسد وينافس أباه ويحقر مولاه قال ففلان قال يكافئ الاكفاء ويعادى الاعداء ويفعل مايشاء قال مافي واحد من هؤلاء خير (وأراد) عمر بن الخطاب ان يستعمل رجلا فبدر الرجل بطلب منه العمل فقال عمر والله لقد أردتك لذلك ولكن من طلب هذا الامر لم يعن عليه (وطلب) رجل من النبي صلى الله عليه وسلم ان يستعمله فقال انا لانستعمل على عملنا من يريده (وطلب العباس) عم النبي صلى الله عليه وسلم الى النبي ولاية فقال ياعم نفس تحييها خير من ولاية لاتحصيها (وقال) أبو بكر الصديق رضي الله عنه لخالد بن الوليد فر من الشرف يتبعك الشرف واحرص على الموت توهب لك الحياة (وتقول النصارى) لانختار للجثلقة الا زاهدا فيها غير طالب لها (وقال اياس بن معاوية) أرسل الى ابن هبيرة فأتيته فسألني فسكت فلما أطلت قال هيه قلت سل عما بدا لك قال أتقرأ القرآن قلت نعم قال أتفرض الفرائض قلت نعم قال أتعرف من أيام العرب شيئاً قلت نعم قال أتعرف من أيام العجم شيئاً قلت أنا بها أعرف قال اني أريد ان أستعين بك على عملي قلت ان فيّ خلالا ثلاثا لا أصلح معها للعمل قال ماهي قال أنا دميم كما ترى وأنا حديد

وأنا عيي قال أما دمامتك فاني لاأريد ان احاسن الناس بك وأما العي فاني أراك تعرب عن نفسك وأما الحدة فان السوط يقومك قال فولاني وأعطاني مائة درهم فهي أول مال تمولته (وقال الاصمعي) ولي سليمان بن حبيب المحاربي قضاء دمشق لعبد الملك والوليد وسليمان وعمر بن عبد العزيز ويزيد وهشام وأراد عمر بن العزيز مكحولا على القضاء عليها فأبى قال له وماءيمنعك قال مكحول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لايقضي بين الناس الا ذو شرف في قومه وأنا مولى (ولما قدم) رجال الكوفة على عمر بن الخطاب يشكون سعد بن أبي وقاص فقال من يعذرني من أهل الكوفه ان وليتهم التقي ضعفوه وان وليتهم القوي فجروه فقال له المغيرة يا أمير المؤمنين ان التقي الضعيف له تقواه وعليك ضعفه والقوي الفاجر لك قوته وعليه فجوره قال صدقت فأنت القوي الفاجر فاخرج اليهم فلم يزل عليهم ايام عمر وصدرا من أيام عثمان وأيام معاوية حتى مات المغيرة

وكتب الوليد بن عبد الملك الى الحجاج بن يوسف يأمره أن يكتب اليه بسيرته فكتب اليه اني ايقظت رأيي وأنمت هواى فادنيت السيد المطاع في قومه ووليت المجرب الحازم في أمره وقلدت الخراج الموفر لامانته وقسمت لكل خصم من نفسي قسما أعطيه حظا من لطيف عنايتي ونظري وصرفت السيف الى النصف المسيء والثواب الى المحسن البريء فخاف المريب صولة العقاب وتمسك المحسن بحظه من الثواب (وقال اردشير) لابنه يا بني ان الملك والعدل اخوان لاغنى بأحدهما عن صاحبه فالملك أس والعدل حارس فما لم يكن له أس فمهدوم وما لم يكن له حارس فضائع يا بني اجعل حديثك مع أهل المراتب وعطيتك لاهل الجهاد وبشرك لاهل

الدين وسرك لمن عناه ما عناك من ذوي العقول (وقالت الحكماء) مما يجب على السلطان العدل في ظهر أفعاله لاقامة أمر سلطانه وفي باطن ضميره لاقامة أمر دينه فاذا فسدت السياسة ذهب السلطان ومدار السياسة كلها على العدل والانصاف لايقوم سلطان لاهل الكفر ولاايمان الا بهما ولا يدور إلا عليهما مع ترتيب الأمور مراتبها وانزالها منازلها وينبغي لمن كان سلطاناً أن يقيم على نفسه حجة السلطان ولكن حكمه على غيره بمثل حكمه على نفسه فانما يعرف حقوق الاشياء من عرف مبلغ حدودها ومواقع أقدارها ولا يكون أحد سلطانا حتى يكون قبل ذلك رعية (وقال عبدالملك ابن مروان) لبنيه كلكم يترشح لهذا الامر ولا يصلح له منكم الا من كان له سيف مسلول ومال مبذول وعدل تطمئن اليه القلوب (وقال عمر ابن الخطاب) رضي الله عنه لايصلح لهذا الأمر الا اللين من غير ضعف القوي من غير عنف (وكتب) ارسطاطاليس الى الاسكندر املك الرعية بالاحسان اليها تظفر بالمحبة منها فان طلبك ذلك باحسانك أدوم بقاء منه باعتسافك واعلم انك انما تملك الابدان فاجمع لها القلوب واعلم ان الرعية اذا قدرت أن تقول قدرت أن تفعل فاجتهد أن لا تقول تسلم ان تفعل (وقال اردشير) لاصحابه انما أملك الاجساد لا النيات واحكم بالعدل لا بالرضا وافحص عن الاعمال لا عن السرائر (وكان عمرو بن العاص) يقول في معاوية اتقو آدم قريش وابن كريمها من يضحك في الغضب ولا ينام الا عن الرضا ويتناول ما فوقه من تحته (وقال معاوية) اني لا أضع سيفي حيث يكفيني سوطي ولا أضع سوطى حيث يكفيني لساني ولو أن بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت فقيل له وكيف ذلك قال كنت اذا مدوها

أرخيتها واذا أرخوها مددتها (وقال عمرو) رأيت معاوية في بعض أيامنا بصفين خرج في عدة لم أره خرج في مثلها فوقف في قلب عسكره فجعل يلحظ ميمنة فيرى الخلل فيبدر اليه من ميسرة ثم يفعل ذلك بميسرته فتغنيه اللحظة عن الاشارة فدخله زهو لما رأى فقال يا ابن العاص كيف ترى هؤلاء وماهم عليه فقلت والله ياأمير المؤمنين لقد رأيت من يسوس الناس بالدين والدنيا فما رأيت أحداً أوتي له من طاعة رعيته ما أوتى لك من هؤلاء فقال افتدرى متى يفسد هذا وفي كم ينتقض جميعه قلت لا قال في يوم واحد قال وا كثرت التعجب قال أي والله في بعض يوم قلت وكيف ذلك يا أمير المؤمنين قال اذا كذبوا في الوعد والوعيد واعطوا على الهوى لا على الغنى فسد جميع ماترى (وكتب) عبد الله بن عباس الى الحسن بن علي اذ ولاه الناس أمرهم بعد علي رضي الله عنه أن شمر للحرب وجاهد عدوك واشتر من الضنين دينه بما لا يثلم دينك وول أهل البيوتات تستصلح به عشائرهم (وقالت الحكماء) أسوس الناس لرعيته من قاد أبدانها بقلوبها وقلوبها بخواطرها وخواطرها باسبابها من الرغبة والرهبة (وقال ابرويز لابنه شيرويه) لا توسعن على جندك سعة يستغنون بها عنك ولا تضيقن عليهم ضيقاً يضجون به منك ولكن أعطهم عطاء قصداً وامنعهم منعاً جميلا وابسط لهم في الرجاء ولا تبسط لهم فى العطاء (ونحو هذا) قول المنصور لبعض قواده صدق الذي قال أجع كلبك يتبعك وسمنه يأ كلك فقال له عباس الطوسى يا أمير المؤمنين ان أجعته يلوح له غيرك برغيف فيتبعه ويدعك (وكتب ابرويز) الى ابنه شيرويه من الحبس اعلم أن كلمة منك تسفك دماء وأخرى تحقن دماء وان سخطك سيف مسلول على من سخطت عليه

وان رضاك بركة مستفيضة على من رضيت عنه وان نفاذ أمرك مع ظهور كلامك فاحترس في غضبك من قولك ان يخطئ ومن لونك أن يتغير ومن جسدك ان يخف فان الملوك تعاقب حذراً وتعفو حلما واعلم أنك تجل عن الغضب وان ملكك يصغر عن رضاك فقدر لسخطك من العقاب كما تقدر لرضاك من الثواب (وقال الوليد بن عبد الملك) لابيه يا أبت ما السياسة قال هيبة الخاصة مع صدق مودتها واقتياد قلوب العامة بالانصاف لها واحتمالهفوات الضائع (وخطب سعيد بن سويد) بحمص فحمد الله واثنى عليه ثم قال أيها الناس ان الاسلام حائط منيع وباب وثيق فحائطالاسلام الحق وبابه العدل ولا يزال الاسلام منيعاً مااشتد السلطان وليس شدة السلطان قتلا بالسيف ولا ضربا بالسوط ولكن قضاء بالحق وأخذا بالعدل (وقال)عبد الله بن الحكم انه قد يضطغن على السلطان رجلان رجل أحسن في محسنين فأثيبوا واحرمورجل أساءفي مسيئين فعوقب وعفي عنهم فينبغي للسلطان ان يحترس منهما (وفي التاج) كتب ابرويز لابنهشيرويه يوصيه ليكن من تختاره لولايتك أمرأ كانفي وضيعة فرفعته وذا شرف كانمهملا فاصطنعته لاتجعله امرأ أصبته بعقوبة فاتضع لها ولا أحدا ممن يقع بقلبه ان ازالة سلطانك أحب اليه من ثبوته وإياك إياك ان تستعمله ضرعا غمرا كثيرا اعجابه بنفسه قليلا تجربته في غيره ولا كبيرا مدبرا قد أخذ الدهر من عقله كما أخذت السن من جسمه (بسط المعدلة ورد المظالم) الشيباني قال محمد بن زكريا عن عباس المفضل الهاشمي في خطبة ابن حميد قال اني لواقف على رأس المأمون يوماً وقد جلس للمظالم فكان آخر من تقدم اليه وقد هم بالقيام امرأة عليها هيئة السفر وعليها ثياب رثة فوقفت بين يديه

فقالت السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته فنظر المأمون الى يحيي بن أكثم فقال لها يحيي وعليك السلام يا أمة الله تكلمي في حاجتك فقالت

ياخير منتصف يهدي له الرشد ويا اماما به قد أشرق البلد
تشكو اليك عميد القوم ارملة عدا عليها فلم يترك لها سبد
وابتزمني ضياعي بعد منعتها ظلماً وفرق مني الأهل والولد

فأطرق المأمون حينا ثم رفع رأسه اليها وهو يقول

في دون ماقلت زال الصبر والجلد عني وأقرح مني القلب والكبد
هذا أذان صلاة العصر فانصرفي واحضري الخصم في اليوم الذي أعد
والمجلس السبت ان يقض الجلوس لنا ننصفك منه والا المجلس الاحد

قال فلما كان يوم الاحد جلس فكان أول من تقدم اليه تلك المرأة فقالت السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته فقال وعليك السلام أين الخصم فقالت الواقف على رأسك يا أمير المؤمنين وأومأت الى العباس ابنه فقال يا أحمد بن ابي خالد خذ بيده فاجلسه معها مجلس الخصوم فجعل كلامها يعلو كلام العباس فقال لها أحمد بن ابي خالد يا أمة الله انك بين يدي أمير المؤمنين وانك تكلمين الامير فاخفضي من صوتك فقال المأمون دعها يا أحمد فان الحق انطقها وأخرسه ثم قضى لها برد ضيعتها اليها وظلم العباس بظلمه لها وأمر بالكتاب لها الى العامل ببلدها أن يوغر لها ضيعتها ويحسن معاونتها وأمر لها بنفقة (العتبي) قال اني لقاعد عند قاضي هشام بن عبد الملك اذ أقبل ابراهيم بن محمد بن طلحة وصاحب حرس هشام حتى قعدا بين يديه فقال ان أمير المؤمنين جراني في خصومة بينه وبين

ابراهيم فقال القاضي شاهديك على الجراءة قال أتراني قلت على أمير المؤمنين ما لم يقل وليس بيني وبينه الا هذه الستره قال بلى ولكنه لا يثبت الحق لك ولا عليك الا ببينة قال فقام الحرسي فدخل الى هشام فأخبره فلم نلبث ان قعقعت الابواب وخرج الحرس فقالوا هذا أمير المؤمنين وخرج هشام فلما نظر اليه القاضي قام فأشار اليه وبسط له مصلى فقعد اليه وابراهيم بين يديه وكنا حيث نسمع بعض كلامهم ويخفي عنا بعضه قال فتكلما واحضرا البينة فقضى القاضي على هشام فتكلم ابراهيم بكلمة فيها بعض الخرق فقال الحمد لله الذي أبان للناس ظلمك فقال له هشام لقد هممت أن أضربك ضربة ينتثر منها لحمك عن عظمك قال اما والله لئن فعلت لتفعلنه بشيخ كبير السن قريب القرابة واجب الحق فقال هشام استرها علي قال لا ستر الله اذا ذنبي يوم القيامة ان سترتها قال فاني معطيك عليها مائة الف قال ابراهيم فسترتها عليه حياته ثمناً لما أخذت منه واذعتها بعد مماته تزيينا له (قال) وورد على الحجاج فقال اصلح الله الامير ارعني سمعك واغضض عني بصرك واكفف عني غربك فان سمعت خطأ أو زللا فدونك والعقوبة قال قل فقال عصى عاص من عرض العشيرة فحلق على اسمي وهدم منزلي وحرمت عطائي قال هيهات أو ما سمعت قول الشاعر

جانيك من يجني عليك وقد تعدى الصحاح مبارك الجرب

ولرب مأخوذ بذنب عشيرة ونجى المقارف صاحب الذنب

قال أصلح الله الامير اني سمعت الله عز وجل قال غير هذا قال وما ذاك قال قال الله يا أيها العزيز ان له أبا شيخاً كبيراً فخذ أحدنا مكانه انا نراك من المحسنين قال معاذ الله ان نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده انا

اذاً الظالمون فقال الحجاج علي بيزيد بن مسلم فمثل بين يديه فقال افكك لهذا عن اسمه واصككك له بعطائه وابن له منزله ومر منادياً ينادي صدق الله وكذب الشاعر (وقال معاوية) اني لاستحي ان أظلم من لا يجد علي ناصراً الا الله (وكتب) الى عمر بن عبد العزيز بعض عماله يستأذنه في تحصين مدينته فكتب اليه حصنها بالعدل ونق طريقها من الظلم (وقال) المهدي للربيع بن أبي الجهم وهو والي أرض فارس يا ربيع آثر الحق والزم القصد وابسط العدل وارفق بالرعية واعلم ان أعدل الناس من أنصف من نفسه وأجورهم من ظلم الناس لغيره (وقال) ابن أبي الزناد عن هشام بن عروة قال استعمل ابن عامر عمرو بن أصبغ على الاهواز فلما عزله قال له ما جئت به قال له ما معي الا مائة درهم وأثواب قال كيف ذلك قال أرسلتني الى بلد أهله رجلان رجل مسلم له مالي وعليه ما علي ورجل له ذمة الله ورسوله قال فوالله مادريت أين أضع يدي قال فأعطاه عشرين ألفاً (وقال) جعفر بن يحيي الخراج عمود الملك وما استغزر بمثل العدل ولا استنزر بمثل الظلم (وقال) النبي صلى الله عليه وسلم الظلم ظلمات يوم القيامة

(صلاح الرعية بصلاح الامام) قال الحكماء الناس تبع لامامهم في الخير والشر (وقال) أبو حازم الاعرج الامام سوق فما نفق عنده جلب اليه (ولما) أتى عمر بن الخطاب رضي الله عنه بتاج كسرى وسواريه قال ان الذي أدى هذا لامين قال له رجل ياأمير المؤمنين أنت أمين الله يؤدون اليك ما أديت الى الله تعالى فان رتعت رتعوا (ومن أمثالهم) في هذا قولهم اذ اصلحت العين صلحت سواقيها (الاصمعي) قال يقال صنفان اذا صلحا صلح الناس الامراء والفقهاء (اطلع) مروان بن عبد الحكم

على ضيعة له بالغوطة فأنكر منها شيئاً فقال لوكيله ويحك اني لاظنك تخونني قال أتظن ذلك ولا تستيقنه قال وتفعل قال نعم والله اني لاخونك وانك لتخون أمير المؤمنين وان أمير المؤمنين ليخون الله فلعن الله شر الثلاثة

(قولهم في الملك وجلسائه ووزرائه) قالت الحكماء لا ينفع الملك الا بوزرائه واعوانه ولا ينفع الوزراء والاعوان الا بالمودة والنصيحة ولا تنفع المودة والنصيحة الا مع الرأي والعفاف ثم على الملوك بعد أن لا يتركوا محسناً ولا مسيأ بادون جزاء فانهم اذا تركوا ذلك تهاون المحسن واجترأ المسيء وفسد الامر وبطل العمل (وقال) الاحنف بن قيس من فسدت بطانته كان كمن غص بالماء فلا مساغ له ومن خانه ثقاته فقد أتى في مأمنه

(وقال العباس بن الاحنف)

قلبي الى ماضرني داعي ... يكثر أحزاني وأوجاعي
كيف احتراسي من عدوى اذا ... كان عدوى بين اضلاعي

(وقال آخر)

كنت من كربتي أفر اليهم ... فهم كربتي فأين الفرار

(وأول) من سبق الى هذا المعنى عدى بن زيد فى قوله للنعمان بن المنذر

لو بغير الماء حلقي شرق ... كنت كالغصان بالماء اعتصاري

(وقال آخر)

الى الماء يسعى من يغص بريقه ... فقل أين يسعى من يغص بماء

(وقال) عمرو بن العاص لاسلطان الا بالرجال ولا رجال الا بمال ولا مال الا بعمارة ولا عمارة الا بعدل (وقالوا) انما السلطان بأصحابه كالبحر بأمواجه (قالوا) ليس شيء أضر بالسلطان من كل صاحب يحسن

وينقاد الى الله ويقودهم فلا تكن يا أمير المؤمنين فيما ملكك الله كعبد ائتمنه سيده واستحفظه ماله وعياله فبدد المال وشرد العيال فأفقر اهله وفرق ماله واعلم يا أمير المؤمنين ان الله أنزل الحدود ليزجر بها عن الخبائث والفواحش فكيف اذا أتاها من يليها وان الله أنزل القصاص حياة لعباده فكيف اذا قتلهم من يقتص لهم واذكر يا أمير المؤمنين الموت وما بعده وقلة أشياعك عنده وأنصارك عليه فتزود له ولما بعده من الفزع الاكبر واعلم أ يا امير المؤمنين ان لك منزلا غير منزلك الذي انت فيه يطول فيه ثواؤك ويفارقك أحباؤك يسلموك في قعره فريداً وحيداً فتزود له ما يصحبك يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه واذكر يا أمير المؤمنين اذا بعثر ما في القبور وحصل ما في الصدور فالاسرار ظاهرة والكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها فالآن يا أمير المؤمنين وأنت في مهل قبل حلول الاجل وانقطاع الامل لا تحكم يا أمير المؤمنين في عباد الله بحكم الجاهلين ولا تسلك بهم سبيل الظالمين ولا تسلط المستكبرين على المستضعفين فانهم لا يرقبون في مؤمن الا ولا ذمة فتبوأ بأوزارك وأوزار مع أوزارك وتحمل أثقالك وأثقالا مع أثقالك ولا يغرنك الذين يتنعمون بما فيه بؤسك ويأكلون الطيبات في دنياهم باذهاب طيباتك في آخرتك لا تنظر الى قدرتك اليوم ولكن أنظر الى قدرتك غدا وأنت مأسور في حبائل الموت وموقوف بين يدي الله في مجمع من الملائكة والنبيين والمرسلين وقد عنت الوجوه للحي القيوم اني يا أمير المؤمنين وان لم أبلغ بعظتي ما بلغه أولوا النهى من قبلي فلم آلك شفقة ونصحاً فأنزل كتابي اليك كمداوي حبيبه يسقيه الادوية الكريهة لما يرجو له في ذلك

(وقال آخر في الهيبة)

أهاشم يافتى دين ودنيـا ومن هو في اللباب من اللباب
أهابك أن أبوح بذات نفسي وتركي للعتاب من العتاب

(وقال أشجع بن عمرو في هيبة السلطان)

منعت مهابتك النفوس حديثها بالشيء تكرهه وان لم تعلم
ومن الولاة مفخم لا يتقي والسيف تقطر شفرتاه من الدم

(وقال أيضاً لهرون الرشيد)

وعلى عدوك يا ابن عم محمـد رصدان ضوء الصبح والاظلام
فاذا تنبه رعتـه واذا غفـا سلت عليه سيوفك الاحلام

(وقال الحسن بن هانئ وافرط)

ملك تصور في القلوب مثاله فكأنه لم يخل منه مكان
ماتنطوي عنه القلوب بعجرة الا يكلمه بها اللحظان
حتى الذي في الرحم لم يك صورة لفؤاده من جوفه خفقان

فمجاز هذا البيت في أفراطه ان الرجل اذا خاف شيئاً أو أحبه أحبـه بسمعه وبصره وشعره وبشره ولحمه ودمه وجميع اعضائه فالنطف التي في الاصلاب داخلة في هذه الجملة (قال الشاعر)

ألا ترثي لمكتئب يحبـك لحمـه ودمـه

وقال المكفوف في آل محمد

أحبكم حباً على الله أجره تضمنه الاحشاء واللحم والدم

ومثل هذا قول الحسن بن هانئ

وأخفت أهل الشرك حتى انه لتخافك النطف التي لم تخلق

وقال آخر

يامن يجرد من بصيرته تحت الحوادث صارم العزم
رعت العدو فما مثلت له الا تفزع منك في الحلم
أضحى لك التدبير مطردا مثل اطراد الفعل للاسم
رفع الحسود اليك ناظره فرآك مطلعا مع النجم

(أبو حاتم سهل بن محمد) قال أنشدني العدوي للاخطل في معاوية

تسموا العيون الى امام عادل معطي المهابة نافع ضرار
وترى عليه العين اذ هي أبصرت سيم الحليم وهيبة الجبار

قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم فيما أوصاه به ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك (وقال) النبي صلى الله عليه وسلم من أعطى حظه من الرفق فقد أعطى حظه من الخير كله ومن حرم حظه من الرفق فقد حرم حظه من الخير كله (ولما) استخلف عمر بن عبد العزيز أرسل الى سالم بن عبد الله ومحمد بن كعب فقال لهما أشيرا علي فقال له سالم اجعل الناس أبا وأخا وابنا فبر أباك واحفظ أخاك وارحم ابنك (وقال) محمد بن كعب أحبب للناس ماتحب لنفسك واكره لهم ما تكره لنفسك واعلم انك أول خليفة يموت (وقال) عبد الملك بن عمر ابن عبد العزيز لابيه عمر ياابت مالك لاتنفذ الأمور فوالله لا أبالي في الحق لو غلت بي وبك القدور قال له عمر لاتعجل يابني فان الله تعالى ذم الخمرة في القرآن مرتين وحرمها في الثالثة وأنا أخاف ان أحمل الحق على الناس جملة فيدفعوه وتكون فتنة (وكتب عمر بن عبد العزيز) الى عدى ابن ارطاة أما بعد فقد أمكنتك القدرة على المخلوق فاذكر قدرة الخالق

عليك واعلم ان مالك عند الله مثل ما للرعية عندك (وقال) المنصور لولده المهدي لاتبرم أمراً حتى تفكر فيه فان فكرة العاقل مرآته تريه حسناته وسيآته (واعلم) ان الخليفة لايصلحه الا التقوى والسلطان لايصلحه الا الطاعه والرعية لايصلحها الا العدل وأولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة وأنقص الناس عقلا من ظلم من هودونه (وقال) خالد بن عبد الله القسري لبلال بن أبي بردة لايحملنك فضل المقدرة على شدة السطوة ولا تطلب من رعيتك الا مابذله لها فان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون (وقال أبو عبد الله كاتب المهدي) ماأحوج ذا القدرة والسلطان الى قرين يحجزه وحياء يكفه وعقل يعقله وعين حفيظة واعراق تسري اليه وأخلاق تسهل الامور عليه والى جليس شفيق والى عين تبصر العواقب وقلب يخاف الغير (كتب اردشير الى رعيته) من أردشير المؤيد ملك الملوك ووارث العظماء الى الفقهاء الذين هم حملة الدين والاساورة الذين هم حفظة البيضة والكتاب الذين هم زين المملكة وذوى الحروب الذين هم عماد البلاد السلام عليكم فانا نحمد الله اليكم سالمون وقد وضعنا عن رعيتنا بفضل رأفتنا بها أتاوتها الموضوعة عليها ونحن مع ذلك كاتبون بوصية لاتستشعروا الحقد فيدهمكم ولا تحتكروا فيشملكم القحط ولا تعدوا هذه الدنيا شيأ فانها لا تبقى على أحد ولا ترفضوها فان الآخرة لا تدرك الا بها

(ولما) انصرف مروان بن الحكم من مصر الى الشام استعمل عبد العزيز ابنه على مصر وقال له حين ودعه أرسل حكيما ولا توصه أنظر أي بني الى عمالك فان كان لهم عندك حق غدوة فلا تؤخرهم الى عشية وان كان لهم عشية فلا تؤخرهم الى غدوة وأعطهم حقوقهم عند محلها

تستوجب بذلك الطاعة منهم واياك أن يظهر لرعيتك منك كذب فلا يصدقوك في الحق واستشر جلساءك وأهل العلم في الامر فان لم يستبن الك فاكتب الي يأتك رأيي فيه ان شاء الله تعالى وان كان بك غضب على أحد من رعيتك فلا تؤاخذه به عند سورة الغضب واحبس عنه عقوبتك حتى يسكن غضبك ثم يكون منك ما يكون وأنت ساكن الغضب مطفأ الجمر ثم انظر الى ذوي الحسب والدين والمروأة فليكونوا أصحابك وجلساءك ثم اعرف منازلهم منك على غيرهم على غير استرسال ولا انقباض أقول هذا واستخلف الله عليك (أبو بكر ابن أبي شيبة) عن عبد الله بن مجالد عن الشعبي قال قال زياد ما غلبني أمير المؤمنين معاوية في شيء من السياسة الا مرة واحدة استعملت رجلا فكسر خراجه فخشي أن أعاقبه ففر اليه واستجار به فأمنه فكتبت اليه ان هذا أدب سوء فكتب الي انه ينبغي أن تسوس الناس سياسة لا تلن جميعاً فتمرح الناس في المعصية ولا تشتد جميعاً فتحمل الناس على المهالك ولكن تكون أنت للشدة والغلظة وأكون أنا للرأفة والرحمة (ما يأخذ به السلطان من الحزم والعزم) قالت الحكماء أحزم الملوك من قهر جده هزله وغلب رأيه هواه وأعرب عن ضميره فعله ولم يخدعه رضاه عن سخطه ولا غضبه عن كيده (وقال عبد الملك بن مروان) لابنه الوليد وكان ولي عهده يابني اعلم أنه ليس بين السلطان وبين أن يملك الرعية أو تملكه إلا حرفان حزم وتوان (وقالوا) لا ينبغي للعاقل ان يستصغر شيأ من الخطأ والزلل فانه متى استصغره يوشك أن يقع في الكبير فقد رأينا الملك يؤتى من العدو المحتقر ورأينا الصحة تؤتي من الداء اليسير ورأينا الانهار تتفتق من الجداول الصغار (وقالوا) لا يكون الذم من الرعية لراعيها الا لاحدى

ثلاث كريم قصر به عن قدره فاحتمل لذلك ضغناً أو لئيم بلغ به فوق ما يستحق فأورثه ذلك بطراً ورجل منع حظه من الانصاف فشكا تفريطاً (وقيل لرجل ساب ملكه) ما الذي سلبك ملكك قال دفع شغل اليوم الى غد واستعمال كل مخدوع عن عقله والمخدوع عن عقله من بلغ قدراً لا يستحقه وأثيب ثواباً لا يسوجبه (وقال علي بن أبي طالب رضى الله عنه) انتهزوا هذه الفرص فانها تمر مر السحاب ولا تطلبوا اثراً بعد عين (وكان) عمر بن الخطاب رضي الله عنه أحزم الخلفاء وكانت عائشة رضي الله عنها اذا ذكر عمر تقول والله أحوذيا نسيج وحده قد أعد للامور أقرانها وقال المغيرة بن شعبة ما رأيت أحداً هو احزم من عمر كان والله له فضل يمنعه أن يخدع وقال عمر لست بخب والخب لا يخدعني (ومر) عمر على بنيان يبنى بآجر وجص فقال لمن هذا قيل لعاملك على البحرين فقال أبت الدراهم الا أن تخرج اعناقها فأرسل اليه فشاطره ماله (وكان) سعد بن ابي وقاص يقال له المستجاب لقول النبي صلى الله عليه وسلم اتقوا دعوة سعد فلما شاطره عمر ماله قال له لقد هممت بأن تدعو علي قال نعم قال اذا لا تجدني بدعاء ربي شقياً (وهجا) رجل من الشعراء سعد بن ابي وقاص يوم القادسية فقال

الم تر ان الله اظهر دينه وسعد بباب القادسية معصم

فأبنا وقد آمت نساء كثيرة ونسوة سعد ليس فيهن ايم

فقال سعد اللهم اكفني يده ولسانه فقطعت يده وبكم لسانه (ولما) عزل عمر ابا موسي الاشعري عن البصرة وشاطره ماله دعا ابا موسى فقال له ما جاريتان بلغني انهما عندك احداهما تدعى عقيلة والاخرى من بنات

الملوك قال أما عقيلة فجارية لي وأما التى هى من بنات الملوك فانى أردت بها غلاء الفداء قال فما مكيالان بلغنى انهما عندك قال اما احدهما فأوفي به أهلي واما الآخر فيتعامل الناس به قال ادفع لنا عقيلة والله انك لمؤمن لا تغل أو فاجر مبل ارجع الى عملك عاقصا بقرنك مكتسعا بذنبك والله انه ان بلغنى عنك أمر لم أعدك (ثم دعا) ابا هريرة فقال له علمت اني قد استعملتك على البحرين وأنت بلا نعلين ثم بلغنى انك ابتعت أفراساً بألف دينار وستمائه دينار قال كانت لنا أفراس تناتجت وعطايا تلاحقت قال قد حسبت لك رزقك ومؤنتك وهذا فضل فأده قال ليس لك ذلك قال بلى والله ثم قام اليه بالدرة فضربه حتى أدماه ثم قال احتسبتها عند الله قال ذلك لو اخذتها من حلال وأديتها طائعا (وفي حديث) ابي هريرة قال لما عزلنى عمر عن البحرين قال لي ياعدو الله وعدو كتابه سرقت مال الله قال فقلت ما انا عدوا لله ولا عدو كتابه ولكنى عدو من عاداك ما سرقت مال الله قال فمن اين اجتمعت لك عشرة آلاف قلت خيل تناتجت وعطايا تلاحقت وسهام تتابعت قال فقبضها منى فلما صليت الصبح استغفرت لامير المؤمنين فقال لي بعد ذلك الا تعمل قلت لا قال قد عمل من هو خير منك يوسف صلوات الله عليه قلت يوسف نبى وانا ابن اميمة اخشى ان يشتم عرضي ويضرب ظهري وينزع مالي (قال) ثم دعا الحرث بن وهب فقال ماقلاص واعبد بعتها بمائتى دينار قال خرجت بنفقة معى فتجرت فيها فقال والله ما بعثناكم لتتجروا في اموال المسلمين أدها فقال أما والله ماعملت عملا بعدها قال انتظر حتى استعملك (وكتب) عمر بن الخطاب الى عمرو بن العاص وكان عامله على مصر من عبد الله عمر بن

الخطاب الى عمرو بن العاص سلام عليك فانه بلغني انه فشت لك فاشية من خيل وابل وغنم وبقر وعبيد وعهدي بك قبل ذلك ان لا مال لك فاكتب اليَّ من أين أصل هذا المال ولا تكتمه فكتب اليه عمرو بن العاص الى عبد الله أمير المؤمنين سلام عليك فاني أحمد اليك الله الذي لا اله الا هو أما بعد فانه أتاني كتاب أمير المؤمنين يذكر فيه ما فشا لي وأنه يعرفني قبل ذلك لا مال لى واني أعلم أمير المؤمنين اني بارض السعر فيه رخيص واني أعالج من الحرفة والزراعة ما يعالج أهله وفي رزق أمير المؤمنين سعة والله لو رأيت خيانتك حلالا ما خنتك فاقصر أيها الرجل فان لنا أحسابا هى خير من العمل لك ان رجعنا اليها عشنا بها فكتب اليه عمر أما بعد فاني والله ما أنا من أساطيرك تسطر ونسفك الكلام في غير مرجع لا يغنى وقد بعثت اليك محمد بن سلمة فشاطره مالك فانكم أيها الرهط الامراء جلستم على عيون المال لم يزعكم عذر تجمعون لابنائكم وتمهدون لانفسكم أما انكم تجمعون العار وتورثون النار والسلام فلما قدم عليه محمد بن سلمة صنع له عمرو طعاما كثيراً فأبى محمد بن سلمة ان يأكل منه شيئاً فقال له عمرو أتحرمون طعامنا فقال لو قدمت الي طعام الضيف أكلته ولكنك قدمت الي طعاما هو تقدمة شر والله لا أشرب عندك ماء فاكتب لي كل ما هو لك ولا تكتمه فشاطره ماله بأجمعه حتى بقيت نعلاه فأخذ احداهما وترك الاخرى فغضب عمرو ابن العاص فقال يا محمد بن سلمه قبح الله زمانا عمرو بن العاص لعمر ابن الخطاب فيه عامل والله اني لاعرف الخطاب يحمل فوق رأسه حزمة من الحطب وعلى ابنه مثلها وما منهما الا وهو في شملة لا تبلغ رسغيه والله ما كان العاص بن وائل يرضى ان يلبس الديباج مزررا بالذهب قال له محمد

اسكت والله عمر خير منك واما أبوك وأبوه ففي النار (ومن حديث) زيد بن أسلم عن أبيه قال بعث معاوية الى عمر بن الخطاب وهو على الشام بمال وأدم وكتب الى أبيه أبي سفيان أن يدفع ذلك الى عمر نخرج الرسول حتى قدم على أبي سفيان بالمال والادهم قال فذهب أبو سفيان بالادهم والكتاب الى عمر واحتبس المال لنفسه فلما قرأ عمر الكتاب قال فأين المال أبا سفيان قال كان علينا دين ومعونة ولنا في بيت المال حق فاذا أخرجت لنا شيئاً قاضيتنا به فقال عمر اطرحوه في الادهم حتى يأتي بالمال قال فأرسل أبو سفيان من أتاه بالمال فأمر عمر باطلاقه من الادهم قال فلما قدم الرسول على معاوية قال رأيت أمير المؤمنين أعجب بالادهم قال نعم وطرح فيه أبك قال ولم قال جاءه بالادهم وحبس المال وقال أي والله والخطاب لو كان لطرحه فيه (زار) ابو سفيان معاوية بالشام فلما رجع عنده دخل على عمر فقال أجزنا أبا سفيان قال ما أصبنا شيئاً فنجيزك به فأخذ عمر خاتمه فبعث به الى هند وقال للرسول قل لها يقول لك أبو سفيان انظري الخرجين اللذين جئت بهما فاحضريهما فما لبث عمر ان أتي بخرجين فيهما عشرة آلاف درهم فطرحهما عمر في بيت المال فلما ولى عثمان ردها عليه فقال أبو سفيان ما كنت لآخذ مالا عابه علي عمر * ولما ولى عمر بن الخطاب عتبة بن أبي سفيان الطائف وصدقاتها ثم عزله تلقاه في بعض الطريق فوجد معه ثلاثين ألفا فقال اني لك هذا قال والله ما هو لك ولا للمسلمين ولكنه مال خرجت به لضيعة اشتريها فقال عمر عاملنا وجدنا معه مالا ماسبيله الا بيت المال ورفعه فلما ولى عثمان قال لابي سفيان هل لك في هذا المال فاني لم أر لاخذ ابن الخطاب فيه وجها قال والله ان بنا اليه لحاجة ولكن لا ترد فعل من

قبلك فيرد عليك من بعدك وضرب عمر رجلا بالدرة فنادى يا آل قصى
فقال أبو سفيان لو قبل اليوم تنادي قصيا لاتتك منها الغطاريف فقال له عمر
اسكت لاأبالك قال أبو سفيان ها ووضع سبابته على فيه (خليفة بن خياط)
قال كتب يزيد بن الوليد المعروف بالناقص وانما قيل له الناقص لفرط كماله
الى مروان بن محمد وبلغه عنه تلكؤ في بيعته أما بعد فاني أراك تقدم رجلا
وتؤخر أخرى فاعتمد على أيهما شئت والسلام فأتته بيعته * ولما ولى أهل
مرو أبا غسان الماء كتب اليهم أبو غسان وليسرني الماء أو لنصبحكم الى
الخيل فما أمسي حتى أتاه الماء فقال الصدق ينبئ عنك لا الوعيد (وكتب)
عبد الله بن طاهر الخراساني الى الحسن بن عمرو التغلبي أما بعد فقد
بلغني من قطع الفسقة الطريق ما بلغ فلا الطريق تحمى ولا اللصوص تكفى
ولا الرغبة ترضي وتطمع بعد هذا في الزيادة انك لمنفسخ الأمل وأيم الله
لتكفين من قبلك أو لاوجهن اليك رجالا لاتعرف مرة من جهم ولا
عديا من رهم ولا حول ولا قوة الا بالله (وكتب) الحجاج بن يوسف
الى قتيبه بن مسلم واليه بخراسان أما بعد فان وكيع بن حسان كان بالبصرة
ثم صار لصا بسجنان ثم صار الى خراسان فاذا أتاك كتابي هذا فاهدم بناءه
واحلل فناءه وكان على شرطة قتيبة فعزله (وبلغ الحجاج) ان قوما من
الاعراب يفسدون الطريق فكتب اليهم أما بعد فانكم قد استخفتكم الفتنة
فلا عن حق تقاتلون ولا عن منكر تنهون واني أهم ان ترد عليكم مني
خيل تنسف الطارف والتالد وتدع النساء أيامى والابناء يتامى فلما بلغهم كتابه
كفوا عن الطريق * وقالت الحكماء من تعرض للسلطان أزره ومن تطامن
له تخطاه وشبهوه في ذلك بالريح العاصفة التي لاتضر بما لان لها من الشجر

حزيم في مثـل عجيزتك ياأمير المؤمنين قال واحـدة بأخرى والبادي أظلم وقال مالك بعث أبو جعفر المنصور الي والى ابن طاوس فأتينـاه فـدخلنا عليـه فاذا هو جالس على فرش قـد نضرت وبين يديه نطاع قد بسطت وجلاوذة بأيديهم السيوف يضربون الاعناق فأومأ الينا ان أجلسا فجلسنا فأطرق عنا قليلا ثم رفع رأسه والتفت الى ابن طاوس فقال له حدثني عن أبيك قال نعم سمعت أبي يقول قال رسول الله صلى الله علية وسلم ان أشد الناس عذابا يوم القيامة رجل أشركه الله في حكمه فأدخل عليه الجور في عدله فأمسك ساعة قال مالك فضممت ثيابي من ثيابه مخـافة أن يملأني من دمه ثم التفف اليـه أبو جعفر فقـال عظنى يا ابن طاوس قال نعم ياأمير المؤمنين الله تعالى يقول ألم تر كيف فعـل ربك بعـاد ارم ذات العماد التى لم يخلق مثلهـا في البـلاد وثمود الذين جابوا الصخر بالواد الى قوله ان ربك لبالمرصاد قال مالك فضممت ثيابي من ثيابه مخافة أن يملأ ثيابي من دمه فأمسك سـاعة حتى اسود ما بيننا وبينه ثم قال يا ابن طاوس ناولني هـذه الدواة فأمسك عنه ثم قال ناولني هذه الدواة فأمسك عنه فقال ما يمنعك أن تناولنيها قال أخشى أن تكتب بها معصية فأكون شريكك فيهـا فلما سمع ذلك قال قوما عني قال بن طاوس ذلك ما كنا نبغي منذ اليوم قال مالك فما زلت أعرف لابن طاوس فضله (أبو بكر بن أبي شيبة) قال قام أبو هريرة الى مروان بن الحكم وقد أبطأ بالجمعة فقال أتظل عند ابنة فلان تروحك بالمرواح وتسقيك الماء البارد وأبناء المهاجرين والانصار يصهرون من الحر لقد هممت أن أفعل وافعل ثم قال اسمعوا من أميركم (فرج بن سـلام) عن أبي حاتم عن الاصمعي قال حدثني رجل من أهل المديـنـة كان ينزل بشق

بني زريق قال سمعت محمد بن ابراهيم يحدث أبا جعفر بالمدينة وهو ينظر بين رجل من قريش وأهل بيت من المهاجرين ليسوا من قريش فقالوا لابي جعفر اجعل بيننا وبينه ابن ابي ذئب فقال أبو جعفر لابن ابي ذئب ما تقول في بنى فلان قال أشرار من أهل بيت شرارة قالوا اسأله يا امير المؤمنين عن الحسن بن زيد قال يأخذ بما لا يحققه ويقضي بالهوى فقال الحسن ياأمير المومنين والله لو سألته عن نفسك لرماك بداهية أو قال لا في الرعية * قال ودخل الحرث ابن مسكين على المأمون فأغلظ في النصيحة فتغير وجه المأمون تعمد وقام الحرث بن مسكين فخرج وتندم على ماكان من قوله فلم يستقر في منزله حتى أتاه رسول المأمون فأيقن بالشر ولبس ثياب أكفانه ثم أقبل حتى دخل عليه فقربه المأمون من نفسه ثم أقبل عليه بوجهه فقال له ياهذا ان الله قد أمر من هو خير منك بالانة القول لمن هو شر مني فقال لنبيه موسى صلى الله عليه وسلم اذ أرسله الى فرعون فقولا له قولا ليناً لعله يتذكر أو يخشي قال ياأمير المؤمنين أبوء بالذنب واستغفر لله تعالى قال عفا الله عنك انصرف اذا شئت (وأرسل) أبو جعفر الى سفيان الثورى فلما دخل عليه قال عظني أبا عبد الله قال وما عملت فيما علمت فاعظك فيما جهلت فما وجد له المنصور جواباً (ودخل) أبو النصر سالم مولى عمر بن عبيد الله على عامل للخليفة فقال له أبا النصر انا تأتينا كتب من عند الخليفة فيها وفيها ولا نجد بداً من انفاذها فما ترى قال له أبو النصر قد أتاك كتاب من الله تعالى قبل كتاب الخليفة فأيهما اتبعت كنت من أهله *(ونظير هذا القول)* ما رواه الاعمش عن الشعبي ان زيادا كتب الي الحكم بن عمرو الغفاري وكان على

الصائفة ان أمير المؤمنين كتب الى ان اصفى له الصفراء والبيضاء فلا تقسم بين الناس ذهباً ولا فضة فكتب اليه انى وجدت كتاب الله قبل كتاب أمير المؤمنين والله لو أن السموات والارض كانتا رتقاً على عبد فاتقى الله لجعل له منها مخرجاً ثم نادى في الناس فقسم لهم ما اجتمع من الفيء (ومثله قول) الحسن حين أرسل اليه ابن هبيرة وأتي الشعبي فقال له ماترى ابا سعيد في كتب تأتينا من عند يزيد ابن عبد الملك فيها بعض ما فيها فان انفذتها وافقت سخط الله وان لم أنفذها خشيت على دمي فقال له الحسن هذا عندك الشعبي فقيه الحجاز فسأله فرفق له الشعبي وقال له قارب وسدد فانما أنت عبد مأمور ثم التفت ابن هبيرة الى الحسن وقال ما تقول يا أبا سعيد فقال الحسن يا ابن هبيرة خف الله في يزيد ولا تخف يزيد في الله يا ابن هبيرة ان الله ما نعك من يزيد وان يزيد لا يمنعك من الله يا ابن هبيرة لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق فانظر ما كتب اليك فيه يزيد فاعرضه على كتاب الله تعالى فما وافق كتاب الله تعالى فانفذه وما خالف كتاب الله فلا تنفذه فان الله أولى بك من يزيد وكتاب الله أولى بك من كتابه فضرب ابن هبيرة بيده على كتف الحسن وقال هذا الشيخ صدقني ورب الكعبة وأمر للحسن بأربعة آلاف وللشعبي بألفين فقال الشعبي رفقنا فرفق لنا فاما الحسن فارسل الى المساكين فلما اجتمعوا فرقها وأما الشعبي فقبلها وشكر عليها (ونظير هذا) قول الاحنف بن قيس لمعاوية حين شاوره في استخلافه يزيد فسكت عنه فقال مالك لا تقول فقال ان صدقناك اسخطناك وان كذبناك أسخطنا الله فسخط أمير المؤمنين أهون علينا من سخط الله فقال له صدقت (وكتب) ابو لدرداء الى معاوية أما بعد فانه

من يلتمس رضا الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس ومن التمس رضا الناس بسخط الله وكله الله الى الناس (وكتبت) عائشة رضي الله عنها الى معاوية أما بعد فانه من يعمل بمساخط الله يصير حامده من الناس ذا ماله والسلام (أبو الحسن) المدائني قال خرج الزهري يوماً من عند هشام باربع قيل له ما دن قال دخل رجل على هشام فقال يا أمير المؤمنين احفظ عني أربع كلمات فيهن صلاح ملكك واستقامة رعيتك فقال هاتهن فقال لا تعدن عدة لا تثق من نفسك بانجازها قال هذه واحدة فهات الثانية قال لا يغرنك المرتقى وان كان سهلا اذا كان المنحدر وعراً قال الثالثة قال واعلم ان للاعمال جزاء فاتق العواقب قال هات الرابعة قال واعلم ان الامور بغتات فكن على حذر (قعد) معاوية بالكوفة يبايع الناس على البراءة من علي بن أبي طالب رضى الله عنه فقال له رجل يا أمير المؤمنين نطيع أحياءكم ولا نتبرأ من موتاكم فالتفت الى المغيرة فقال له هذا رجل فاستوص به خيراً (وقال) عبدالملك بن مروان للحرث بن عبد الله بن أبي ربيعة ما كان يقول الكذاب في كذا وكذا يعني ابن الزبير فقال ما كان كذاباً فقال له يحيي ابن الحكم من أمك يا حار قال هي التي تعلم قال له عبد الملك اسكت فهي أنجب من أمك (دخل) الزهري على الوليد بن عبد الملك فقال له ماحديث يحدثنا به أهل الشام قال وما هو يا أمير المؤمنين قال يحدثوننا ان الله اذا استرعى عبداً رعيته كتب له الحسنات ولم يكتب له السيآت قال باطل يا أمير المؤمنين انبي خليفة أكرم على الله أم خليفة غير نبي قال بل خلية نبي قال فان الله يقول لنبيه داود يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون

عن سبيل الله لهم عـذاب شديد بما نسوا يوم الحساب فهذا وعيد يا أمير المؤمنين لنبي خليفة فما ظنك بخليفة غير نبي قال ان الناس ليغرونا عن ديننا

(فصل في المشورة)

قال النبي صلى الله عليه وسلم ما ندم من اسـتشار ولا شقي من استخار وقـد أمر الله تعالى نبيـه عليه الصـلاة والسـلام بمشاورة من هو دونه في الرأي فقال وشاورهم في الامر فاذا عزمت فتـوكل على الله (ولما) همت ثقيف بالارتداد بعدموت النبي صلى الله عليه وسلم استشاروا عثمان بن أبي العاصي وكان مطاعاً فيهم فقال لهم لا تكونوا آخر العرب اسلاماً وأولهم ارتداداً فنفعهم الله برأيه (وسئل) بعض الحـكماء أي الامور اشد تأييداً للعقل وأيها أشد اضراراً به فقال أشدها تأييداً له ثلاثة أشياء مشاورة العلماء وتجربة الامور وحسن التثبت وأشدها اضراراً به ثلاثة أشياء الاستبداد والتهاون والعجلة (وأشار) حكيم على حكيم برأي فقال لقد قلت بما يقول به الناصح الشفيق الذي يخلط حلو كلامه بمره وسهله بوعره ويحرك الاشفاق منه ما هو ساكن من غيره وقد وعيت النصح وقبلته اذ كان مصدره من عند من لا يشك في مودته وصفاء غيبه ونصح جيبه وما زلت بحمد الله الى الخير طريقاً واضحاً ومناراً بيناً (وكان) عبـد الله بن وهب الراسبي يقول اياكم والرأي الفطير وكان يستعيذ بالله من الرأي الدبري الخير

فصل في الظلم

قال الله تبارك وتعالى ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون وقال تعالى ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع وقال صلى الله عليه وسلم اتقوا

الظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الشح فان الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لتؤدن الحقوق الى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء رواهما مسلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ظلم قيد شبر من الارض طوقه من سبع أرضين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يملي للظالم فاذا أخذه لم يفلته ثم قرأ (وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهي ظالمة ان أخذه أليم شديد) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ رضي الله عنه لما بعثه الى اليمن اياك وكرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم فانه ليس بينها وبين الله حجاب روى هذه الثلاثة البخاري ومسلم وقال صلى الله عليه وسلم من كانت عنده مظلمة لاخيه من عرضه أو من شيء فليتحلله منه اليوم قبل ان لا يكون دينار ولا درهم ان كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته وان لم يكن له حسنات أخذت من سيئات صاحبه فحمل عليه رواه البخاري وقال صلى الله عليه وسلم أتدرون من المفلس قالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع فقال ان المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فان فنيت حسناته قبل ان يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار رواه مسلم وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال انما أنا بشر وانكم تختصمون الي ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي نحو ما أسمع فمن قضيت له بحق أخيه فانما أقطع له قطعة من النار قوله ألحن

أي أعلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار قيل يا رسول الله وان كان شيئاً يسيراً قال وان كان قضيباً من أراك رواه مسلم وقال ثوبان رضى الله عنه لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الراشي والمرتشي والرائش ويعنى بالرائش الماشي بينهما وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقبل الله صلاة امام حكم بغير ما أنزل الله تعالى وقال رسول الله صلي الله عليه وسلم قال الله تعالى ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة رجل أعطا من غدر ورجل باع حراً فأ كل ثمنه ورجل استأجر أجيرا فاستوفى منه ولم يعطه أجره وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ولى أمور المسلمين ولم يحفظهم كحفظه أهل بيته فقد تبوأ معقد من النار وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تبارك وتعالى وعزتي وجلالي لانتقمن من الظالم في عاجله وآجله ولأنتقمن ممن رأى مظلوما فقدر أن ينصره فلم يفعل وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنه صاحب مكس وفي الحديث في الزانيه التي طهرت نفسها بالرجم لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفرله له أو لقبلت منه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن دعوة المظلوم ودعوة المسافر ودعوة الوالد على ولده قال العلماء معنى على هنا اللام يعنى لولده وذكر ابن عبد السلام في تفسير قوله تعالى ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير أن النبي صلى الله عليه وسلم قال اللهم لا تقبل دعاء حبيب على حبيبه ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال خمسة قد غضب الله عليهم وان شاء امضى غضبه ومصيرهم الى النار أمير قوم يأخذ حقه منهم ولا ينصفهم من نفسه ولا يرفع الظلم عنهم ورئيس قوم يطيعونه وهو لا

يسوي بين القوى والضعيف ويحكم بالميل والمحاباة ورجل لا يأمر أهله
وأولاده بطاعة الله ولا يعلمهم أمور الدين ولا يبالي من أين أطعمهم ورجل
استأجر أجيرا فتمم عمله ومنعه أجرته وظالم ظلم زوجته في صداقها وفي
الخبر الدواوين ثلاثة ديوان يغفر وديوان لا يغفر وديوان لا يترك فالديوان
الذي يغفر فذنوب العباد بينهم وبين الله تعالى وأما الديوان الذي لا يغفر
فالشرك وأما الديوان الذي لا يترك فمظالم العباد أي لا بد أن يطالب بها
(وحكى) عن أبي بكر الوراق رضي الله عنه انه نظرنا في الذنوب فلم نجد ذنباً
أسرع نزعا للايمان من ظلم العباد قال سفيان الثوري رحمه الله لان تلقى الله تعالى
بسبعين ذنبا فيما بينه وبينك أهون عليك من أن تلقاه بذنب فيما بينك وبين
العباد وقال ابن زيد رحمه الله في قوله تعالى وكذلك نولي بعض الظالمين
بعضاً بما كانوا يكسبون أي نسلط بعض الظلمة على بعض فيهلكه ويذله
قال ويدخل في الآية جميع من يظلم كالظالم يظلم الرعية أو التاجر يظلم الناس
في تجارته أو السارق وغيرهم وقال الفضيل بن عياض رحمه الله اذا رأيت
ظالماً ينتقم من ظالم فقف وانظر فيه متعجباً روى عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال من أعان ظالما سلطه الله عليه وروى عنه صلى الله عليه وسلم
أنه قال لا تمكروا ولا تعينوا ماكرا فان الله تعالى يقول ولا يحيق المكر
السيء الا بأهله ولا تبغوا ولا تعينوا باغياً يقول الله تعالى انما بغيكم
على أنفسكم

وقال الله تعالى ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب
الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجتنبوا
السبع الموبقات أي المهلكات فذكر قتل النفس التي حرم الله وقال صلى الله عليه

عراة جياعاً تقطعت بهم حبال الوسائل ولا يلاحظ ان فيهم الهرم والصغير والعاجز والضعيف الذين لا يستطيعون التخلص من المهالك ولا يقتدرون على النجاة ولا يبالي بموتهم وهلاكهم عن آخرهم ولا تأخذه في ذلك الشفقة والرحمة . كذلك هؤلاء الاركان يغتصبون ضياع رعاياهم وعقاراتهم ويستولون على مساكنهم وبساتينهم وينتزعون بالضرب والحبس والكي وغيرها من أنواع العذاب ما بأيديهم من ثمرات اكتسابهم ويدعونهم في مخالب المصائب معرضين للاسقام والآلام واهدافاً لسهام البلايا التي ترميهم بها عواصف الرياح الزمهريرة والسمومية ولا يخشون اضمحلالهم وابادتهم بالكلية ومحق حياتهم بالمرة بل يستبشرون بذلك كأنما هم أعداؤهم ولا يشعرون انهم قواد السلطة وأساسها . ومن أفراد هذا القسم الحكومة والتيمورية وغيرهما من حكومات التتر كما تشهد بذلك التواريخ

(القسم الثاني) الحكومة الظالمة وأولياء هذه الحكومة تماثل الاخساء والمترفين الذين يستعبدون أناساً خلقوا أحراراً . فكما انهم يكلفون عبيدهم بأعمال شاقة وأفعال متعبة ويجبرونهم على نقر الاحجار وخوض البحار وفلق الصخور وقلع الجبال وطي المفاوز وجوب البلاد في صرة الشتاء وهجيرة الصيف ويؤلمون أبدانهم بالسياط اذا لجأوا آناً الى الراحة التي تجذبهم الطبيعة اليها ويحجبونهم بأشغالهم المستغرقة لأيام حياة هؤلاء المظلومين عن مزايا جواهر عقولهم المقدسة حيث لا يجدون فرصة من دهرهم للنظر في الآفاق وفي أنفسهم كي يرتقوا من الاحساس البهيمي الى عرش الادراك الانساني ويشاركوا أبناء جنسهم في اللذائذ الروحية ويجتنوا ثمار عقولهم ليوازروهم بنتائجها من الصنائع البديعة والمخترعات الرفيعة فيسعدوا

مع السعداء ومع ذلك يحرسون حياتهم ويحرصون على استبقائها استيفاء للخدمة منهم بتقديم قوت من أردإ ما يقتات به لسد الرمق وثياب خشنة رثة لتحفظهم من أظفار العواصف وبرائن القوصف فلا يكون حالهم مع سادتهم الا كحال البهائم والانعام الاهلية لا يعيشون الا لغيرهم ولا يتحركون الا برضاه بل بمنزلة آلة غير شاعرة بأيدي مستعبديهم يستعملونهم كما يشاؤون

كذلك هؤلاء الولاة مع رعاياهم فان الرعايا لا يزالون يتحملون المتاعب والأوصاب ويكدون أيام سنيهم ويسهرون لياليها مشتغلين بلا فتور بالغرس والحرث . والحصد والدرس . والندف والحلج . والغزل والنسج . مهتمين بالحدادة والنجارة . والملاحة والتجارة . ساعين في حفر الأنهر وانباع المياه وانشاء الجداول والجسور متكبدين آلام التغرب في الحرب المبيد . والبرد المميت . كي ينالوا (اى الحكام) ارغد العيش بطيب المطعم والمشرب والملبس والمسكن . ويحوزوا الراحة والرهافة . واخظ السعادة . وهؤلاء الظلمة لا يفترون عن السعي فى سلب ما بأيديهم جبرا وغصب ثمار مكاسبهم وفوائد متاعبهم رغماً ولا يدعون لهم مما اكتسبوه بكد يمينهم . وعرق جبينهم . سوى ما تقوم به حياتهم الدنيئة حتى تراهم بعد اقتحام هذه الاخطار وتحمل تلك المصاعب . لا يقتاتون لا بكسرات خبز رديئة ناشفة يبلونها بدموعهم المنسكبة من جور ولاتهم الفاتكين . ولا ويسترن أبدانهم الا بخلق رثة مرقشة بدمائهم السائلة من سياط حكامهم الجائرين . ولا يسكنون لا في الاكنة المنخفضة والاخصاص الخسيسة كأنهم أنعام حرمتهم الطبيعة من المزايا الانسانية .ولا يشاهدون الا بوجوه مغيره مقشرة وبدان مقشفة معفرة وتدم عليهم هذه الحال

الرديئة التى نشأوا عليها . والمعيشة الدنيئة التى اعتادوها . حتى يقتنعوا بها ولا يتقلوا سواها . بل يتنزلون بسوء تصرف هؤلاء الولاة عما منحوه من فضيلة العقل الى رتبة البهيمية . ولا يحسون بمعيشة أكمل مما هم فيه ولا يتألمون الا بالآلام الجسمانية

ومن اقسام هذه الحكومة غالب حكومات الشرقيين في الازمان الغابرة والأوقات الحاضرة وكذلك اكثر حكومات الغربيين في الدهور الماضية ومنها ايضا الحكومه الانكليزية الآن في البلاد الهندية

(القسم الثالث) الحكومة الرحيمة وهى تنقسم الى قسمين القسم الاول منها الحكومة الجاهلة ودعائم هذه الحكومة تحاكى الأب الرحيم الجاهل فكما انه يحث ابناءه على اقتناء الاموال واكتساب الثروة واستحال السعادة والاقتصاد في المعيشة بدون ان يبين طرقها ويمهد لهم سلبها لعدم علمه بها . ويدعوهم رأفة الى المجاملة والمواخة ورفع الشقاق والنزاع من بينهم بغير ان يحدد لهم الواجبات ويقدر الحدود اللازمة للادارة المنزلية لقصور ادراكه عنها فكأنه يدعوهم الى امر مجهول مطلق لايهتدون اليه سبيلا

كذلك حال هؤلاء الدعائم الرحماء الجهلاء يطلبون من رعاياهم السعى في المكاسب والصنائع والتمسك بالتجارة والفلاحة والتشبث بالعلوم والمعارف ويغرونهم على مجاراة الجيران ومباراة اهل العرفان والتعلق باسباب النجاح والفلاح بلا تشييد المدارس المفيدة وتأسيس المكاتب النافعة وتسهيل طرق المعاملات وبث فنون الزراعة جهلا منهم ويريدون من اولئك الرعايا التباعد عن الشقاق والنفاق واحتراز عن الاعتداء والاعتصاب والتجنب عن الفساد والعناد والحيف والميل في الحقوق والاحتراس عن كل مايخل بالراحة

العمومية بلا تقنين ناموس عادل حافظ للحقوق معين للحدود فاصل للقضايا قاطع لما يطرأ من النوازل جامع لجميع مايحتاج اليه الانسان في اجتماعاته المدنية . ومن افراد هذه الحكومة سلطنة بعض السلاطين المجبولين على الشفقة المطبوعين على الرأفه الذين كانوا يبكون على سوء احوال رعيتهم مع جهلهم بما يصلح شأنها والسير بذلك ناطقه

القسم الثاني منها الحكومة العالمة وهي تنقسم الى قسمين . القسم الاول الحكومة الأفينة وأقانيمها تضاهي الاب العام المأفون فكما ان شفقة هذا الاب تسوقه الى العناية باحوال ابنائه وتقصره عليها وان علمه باسباب الترف والثروة وعلل المعيشة الهنيئة المرضية يقوده الى الاهتمام بتأديبهم باحسن الآدب وتعليمهم الفنون وتمرينهم على الحروف ويجبره على ان يبين لهم قوانين العشرة ويحدد لهم حقوقهم ولكن بعد ذلك يتركهم وشأنهم لضعف رأيه وقصر نظره وجهله بأن ملازمه الشبان للآداب واجتنائهم ثمار معارفهم التي اكتسبوها واجتهادهم في المكاسب لايكون الا بقوة حافظه مالم تحنكهم التجارب لما جبلوا عليه من الميل الى الشهوات والانعكاف على البطالة والتقاعد عن الفضائل فيهوون في هاوية التعاسة وتذهب مساعيه سدى

كذلك هؤلاء الاقانيم يعمرون بيوت العلم ويشيدون دور المعارف وينشؤون المعارف ويوسعون نطاق التجارة ويواظبون على تشريع سياسة مدنية تثبيتاً للحقوق واستتباباً للراحة على مقتضى ما احاطوا به من احوال رعاياهم ولكنهم لعدم تدبرهم في العواقب وعدم تبصرهم بان افتقار انتظام احوال العباد وسير امورهم على نهج العدل الى العلة المبقية كافتقارهم الى العلة الموجدة لا يواظبون

على أعمالهم هذه ولا ينظرون اليها نظرة ثانية بل ينبذونها ظهرياً ويتركونها نسياً منسياً فيتطرق اليها الخلل ويعتريها الفساد ويسرى اليها الانحلال لما جبل عليه الانسان من الحرص والشره والميل الى الجور والاعتداء المستلزمة لمخالفة القانون فيقع كل في العطب والنصب والشقاء والعناء ويستولى عليهم الفقر والفاقة ويصيرون كارض موطوءة بتوالي تطاول ايدي جائريهم وتعاقب اعتساف معتديهم ويشبه ان تكون حكومة المأمون وبعض سلاجقة ايران من افراد هذا القسم

القسم الثاني الحكومة المتنطسة واساطينها الحكماء تضارع الاب المتدبر المستبصر الذي لا يبرح ساعياً في اعداد الاسباب الموجبة لسعادة أبنائه زمن حياتهم وتهيئة معداتها القريبة والبعيدة ولا يتجافي آناً ما عن مواظبة دقائق حركاتهم وسكناتهم وتفقد شؤنهم واستكناه احوالهم ولا يتقاعد لمحة عن تأييدهم في سيرهم بآرائه السديده وافكاره الصائبة خوفاً من التواني والكسل والاهمال والفشل وخشيه من عروض الموانع التي تصدهم عن البلوغ للغايه

فتجد هؤلاء الحكماء الاساطين يعلمون ان المملكة وحياة الرعايا بالزراعة والصناعة والتجارة ويعرفون ان كمال هذه الامور واتقانها لا يكونان الا بأمرين احدهما وهو في الواقع علتهما الاولى العلوم الحقيقية النافعة والفنون المفيدة التى لا يمكن حصولها والفوز بها الا بمدارس منتظمة ومدرسين ماهرين ومتخلقين باخلاق فاضلة شفوقين على المتعلمين شفقتهم على ابنائهم . وثانيهما اعداد آلات الزراعة وادوات الصناعة تسهيل طرق التجارة البرية والبحرية . ويفقهون ان حفظ اساس المدنية وصون نظام المعاملات وفصل

المنازعات وكف أيدى المعتدين ومنع المدلسين وكبح الاشرار وردع الفجار لايكون الا بالمحاكم الشرعية والسياسية المؤسسة على دعائم العدل والانصاف وانها لاتتحقق الا بقانون حق لا يغادر صغيرة ولا كبيرة — حتى ارش الخدش — الا محفوظاً بأمناء يقظين محروساً بعدول نشطين محفوظاً بعلماء فقهين معززا بقضاة مقسطين . وأيدا بحكام اعفاء واعوان بررة . ويدركون ببصيرتهم الوقادة مصالح العباد . ومناهج تعمير البلاد . ووسائل درء المفاسد الداخلية . وطرق منع النوازل الخارجيه . وان القيام بذلك لايكون الا بضرب ضرائب عادلة عليهم يجمعها جباة عدول تصرف في منافعهم العامة لدى الضرورة بلا حيف وميل وانتخاب طائفة من ابطالهم الموصوفين بالصداقة وعزة النفس وعلو الهمة لحفظ الامنية الداخلية ودفع الاعداء الخارجية . ويشعرون بأن استكمال سعادة المملكة وصيانة استقلالها لايكونان الا بارتباطاتها السياسية وعلائقها التجارية مع الممالك الاخري وانها لاتتم الا برجال دهاة متبحرين محبين لاوطانهم متدربين محنكين بالسياسة عالمين بالحوادث قبل ظهورها محيطين بطرق التجارة فيقومون بواجبات ما اقتضته حكمتهم وما احاطوا به علما ولا يتهاونون آناً ما عن اداء حقوق رعاياهم ولا يفتدون راحة أنفسهم بسعادة أولئك الضعفاء . وزد على ذلك انهم يدرون ان غالب أفراد الانسان طبع على الحرص وفطر على الشر وجبل على الشهوة وخلق متهاوناً بواجباته متوانياً عن اصلاح شؤنه ونشأ على المكر والحيل وغرز فيه حب الاعتداء على حقوق الغير وعدم الاكتفاء بما ملكته يداه وغرس فيه بغض الشرائع والقوانين حينما راها سداً يمنعه من سبيل سلوك الغدر وحاجزاً يردعه عن مقتضيات الشره

وغلا يكف يداه عن التطاول . وانهم يفقهون كل ما يقع في العالم الانساني من المرض والصحة والفقر والغنى والنصب والراحة . بل كل ما يقتضي الشقاء والسعادة ويوجب الصلاح والفساد لا بد وأن يكون لارادة الانسان وحركاته الاختيارية فيه دخل تام . ويدركون ان الانسان مادام على هذه السجية والغريزة فهو كمريض تنازعته امراض خطرة مختلفة لا ينجو منها إلا بتمريض طبيب ماهر يعرف العلل والعلاج ويتفقده آناء الليل وأطراف النهار فيهتمون حكمة وشفقة بتتبع أحوال الرعايا مثل ذاك الطبيب الماهر ولا يبرحون عن موازنة أعمالهم وأفعالهم وحركاتهم ولا ينفكو عن مقايسة آرائهم وأخلاقهم ولا يفترون عن تعديل ثروتهم وغنائهم وتقويم علومهم ومعارفهم وتجارتهم وزراعتهم واحصاء عددهم وتعداد أحيائهم وامواتهم ولا يتوانون عن مقابلة الصادر والوارد في ممالكهم والمعادلة بين قوة حكومتهم واقتدارها واقتدار الغير وقوته لكي يقتدروا على تدارك مصالح البلاد قبل تمكن الفساد ويقدروا على جبر الكسر وسد الثغر ورفو الخرق وازالة جراثيم الرزايا والمصائب وابادة أسباب الخلل والمصاعب واذا لم يمكنهم القيام باستقصاء دقائق التعديل والتقويم وجزئيات الموازنة والمقايسة مباشرة انتخبوا رجالا يقظين عارفين بأحوال الدول وقواها متبصرين بشؤن الممالك وأسباب سعادتها وشقائها عالمين بفنون التجارة والزراعة والصناعة ولوازمها مهندسين محاسبين لأداء هذه المصالح وتسجيلها في السجلات بغاية الدقة والاتقان وعرض كلياتها على هؤلاء الولاة الحكماء مع بيان موارد النقص والخلل وايضاح اسبابها . وغير خاف ان تسجيل المعادلات وحفظ الموازنات للدول ألزم من تقييد التاجر معاملاته في

دفاتر اليومية فانه لا يلزم من اهماله في التقييد والتثبيت الا أن يضيع رأس ماله على جهل منه ويصبح مفلساً وهذا ضرر خاص به . وأما اهمال الدول في حفظ المعـاملات وتسجيل الموازنات فيوجب خراب البـلاد وهلاك العباد ومن أجل هذا تجد للدول الغربية عناية تامة بهذا الشأن المسمي عندهم بالاستاتستيك

فهاك يا أيها الانسان الشرقي صاحب الامر والنهي حكومـة رحيمة حكيمة وعليك بها والقيام بشأنها وحفظ واجباتها وإلا فبحياتك التي أفديتها براحة العالم أن تعفونا عن تحمل ثقل تشددك بالرحمـة والعـدالة والحـكمة والفطنة . أتريد أن تظلمنا ونكافئك بالشكر ؟ وتغصب حقوقنا ونجاريك بالثناء ؟ او تظن انك تقدر أن تغر كل العالم وتعمي بصـائرهم ؟ وان تنزل باطلك عندهم منزلة الحق . ؟ وأن تجلس جورك مجلس العدل ؟ وأن تقيم سيئاتك مقام الحسنات ؟ وأن تقعد رزائلك مقعد الفضائل ؟ ولعلك اغتررت بتمجيد وتبجيل المتزلفين امامك

ولو كنت تعـلم مقامك في النفوس . ومنزلتك لدي أرباب البصائر والعقول لودعت هذه الدنيا الخؤن التي ألهتك وفارقت حياتك العزيزة التي طالما افتديتها بالمرؤة والانسانية

وأما أنتم يا أبناء الشرق فلا أخاطبنكم ولا أذكرنكم بواجباتكم فانكم قد ألفتم الذل والمسكنة والمعيشة الدنيئة واستبدلتم القوة بالتأسف والتلهف صرتم كالعجائز علي لا تقدرون على الدرء والاقدام والمنع والدفع فانا لله وانا اليه راجعون : اه

﴿ فصل في واجبات المسلمين بالنسبة لبعضهم ﴾

قال بعض الفضلاء يجب على المسلم بالنسبة لسائر المسلمين أن يلاحظ نحوهم كلما تستلزمه الاخوة الحقة مثل المحبة والمساواة في سائر الحقوق الطبيعية والسياسية . نعم يجب على المسلم أن يعتبر سائر أعضاء الجمعية اخوانا له بصرف النظر عن اختلاف شؤونهم وتباين أصولهم وألوانهم وان لا يكون مناط التمايز بينهم الا المزايا الشخصية والمكتسبات الذاتية مع جعل هذه الميزة موكولا الحكم فيها الى جانب الخالق جل شأنه وعدم غنائها عن صاحبها امام القانون العادل .

أما التحاب بين المسلمين فهو شرط اولى في شرائط الايمان لقوله عليه الصلاة والسلام : « لن تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولن تؤمنوا حتى تحابوا » ونريد هنا ان ننبه ان هذه المحبة يجب ان تكون صادقة خالية من شوائب الرياء والدهان والا صارت نفاقاً ان لم ينكشف سره اليوم ففي الغد . ولهذا يجب السعي في تطهير تلك المحبة وجعلها خالصة كما يسعى لتطهير الايمان من شوائب المكفرات حتى يتم له الحصول عليها ولن يتم له ذلك الا بالتبصر في مبلغ علاقاته مع بني ملته وفي نتائج ركونه اليهم أو ابتعاده عنهم وفي عواقب الاخلاص لهم أو مداراتهم بشرط أن يكون عالماً بحقيقة الحياة وتكاليفها ليرى رأي العين أن حياته مرتبطة بحياتهم وموته بموتهم : اذا تم له الحصول على هذا التبصر كما يجب يجد نفسه مسوقاً رغم أنفه الى اخلاص الحب لبني ملته كما يكون مسوقاً للالتجاء الى حصن شامخ هرباً من سيل جارف .

هذه المحبة التي يدعو اليها الاسلام هي مناط كل سعادة اجتماعية وملاك

كل مدنية حقيقية . ادرس أحوال الأمم المتمدنة وتأمل جيداً في دقائق أجزائها تر ان اكثر الامم تماسكا بين آحادها وتلاصقاً بين أفرادها هي أسبقهم الى مضمار السعادة الحيوية واولهم كلمة في الاحوال العمومية . وتر مثل هذه الامة لا تعثر حتى تقوم ولا تهمد حتى تنشط فبينما تراها مرتبكة في أمورها الخارجية ومهددة في منابعها الحيوية مما يقرب اليك الجزم بقرب سقوطها ووشك انحلالها لا تلبث ان تراها قامت تنفض عن رأسها غبار الارتباك وصاحت بمن يناويها من كل جانب فبددتهم بغير سلاح هذا من أسرار التماسك الذي هو نتيجة المحبة وليس ما نراه في الامم اليوم الا جزءاً يسيراً مما كان بين آبائنا الاول فرفعهم الى أوج لم ينله للآن غيرهم وأوصلهم الى مجد لم يرتق اليه سواهم . تم لهم ذلك بعد التقاطع والتنابذ بفضل الديانة الاسلامية والعمل بأوامرها السماوية . ولو أردنا ان ننقل هنا ما ورد في ضرورة التحاب بين المسلمين للزمنا صفحات كثيرة جداً فنكتفي بأيراد يدلنا على نقصان اسلام الذين يدعونه زوراً حالة كونهم لا يهتمون الا بأنفسهم وملاذهم صارفين النظر عن كل ما يعود بالنفع على اخوانهم وهو : « ومن أصبح لا يهتم بالمسلمين فليس منهم »

ولنورد هنا بعض حقائق تاريخية تدلنا على مبالغ المحبة الاخوية التي كانت موجودة بين أفراد الجمعية الاسلامية الاولى ليتعظ بها أبناء هذا العصر وليعلموا انهم بلغوا منها درجة لا تحصل بين أخوين شقيقين في هذا الزمان . قال حذيفة العدوي . « انطلقت يوم اليرموك أطلب ابن عم لي ومعي شيء من ماء وأنا أقول ان كان به رمق سقيته ومسحت به وجهه فاذا أنا به فقلت أسقيك فأشار الي أن نعم فاذا رجل يقول آه فأشار ابن

عمي الي أن أنطاق به اليه فجئته فاذا هو هشـام بن العاص فقات أسقيك فسمع به آخر وقال آه فأشار هشام انطلق به اليه فاذا هو قدمات فرجعت الى هشام فاذا هو قـد مات فرجعت الى ابن عمي فاذا هو قـد مات . »

انظر الى هذه الارواح الطاهرة التي تشعر ببعضها حتى في ساعة لا تستطيع الوالدة فيها ان تفتكر في فلذة كبدها . انظر الى هذه النفوس الزكية التي تؤثر غيرها عليها في ساعة هولها عظيم وألمها جسيم : « ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة » . ثم تأمل فيما تستلزمه هذه المحبة من الاوصاف التي يفتخر بها هذا الانسان ويدعى استناداً عليها انه أرفع من الحيوان . هل بعد هذا التماسك العجيب بين أفراد آبائنا الاول نستغرب سرعة امتلاكهم لأزمة هذه المعمورة مع قلة عددهم وعددهم ؟ هذه المحبه الحقة كانت شأن كل فرد من الافراد سواء كان أميراً أو حقيرا غنياً أو فقيراً وما كان يصد ذا المركز السامي ما هو فيه من الرئاسة عن اجراء واجبها بدون اخلال بوظيفته . اجتمع مرة قراء البصرة الى ابن اعبـاس وهو عامل عليها (أي واليها) فقالوا لنا جار صوام قوام يتمنى كل واحد منا أن يكون مثله وقـد زوج ابنته من ابن أخيه وهو فقير وليس عنده ما يجهزها به فقام عبد الله ابن عباس فأخذ بأيديهم وأدخلهم في داره وفتح صندوقا فاخرج منه ست بدر فقال احملوها فحملوا فقال ابن عباس : « ما انصفناه اعطيناه ما يشغله عن قيامه وصيامه ارجعوا بنا لكي نعينه على تجهيزها فليس للدنيا من القدر ما يشغل مؤمناً عن عبادة ربه وما بنا من الكبر ما لا نخـدم اولياء الله تعالى . » ففعل وفعلوا

بسريان هذه المحبة الصحيحة في الامة الاسلامية الاولى تأيدت دعائم المساواة والحرية والعدالة فيها تأييداً لا يبلغ شأوه ولا يتحصل بغير الاسلام على جزء منه

هذا وقد اناط الدين الاسلامي بكل فرد من افراد المسلمين واجب السعي في اعلاء كلمة الأمة وتأييد مركزها وقرر أن أعظم عبادة يحبها الله هي السعي وراء تحقيق السعادة العمومية . وقال عليه الصلاة والسلام . » : « عدل يوم خير من عبادة ستين سنة * وفي أثر من مشي في حاجه اخيه ساعة من ليل او نهار قضاها او لم يقضها كان خيرا له من اعتكاف شهرين وفي الحديث * من علم علماً فكتمه الجمه الله يوم القيامة بلجام من نار .

لا شك ان من يتأمل فيما سردناه هنا من الاحاديث الشريفة يرَ بعينيه ان مقصد الله جل وعلا من سن الاديان تهذيب الجمعيات البشرية وترقيتها الى أوج مدنيتها بسيادة النواميس الممدنة على افرادها .
انه يقول ان سماع كلمة حكمة خير من اعتكاف شهرين وان اصلاح ذات البين خير من عامة الصلاة والصيام ؟

اللهم ارزق المسلمين تبصرا في دينهم وهمة لمحو الخزعبلات من اذهانهم حتى يستطيعوا ان يروا الاسلام بالعين التي يجب ان يرى بها فان من يفهم مانقلناه هنا من الاخبار النبوية يتحقق ان المسلمين الآن بتقاطعهم وتنابذهم وجهلهم قد نبذوا دينهم ظهرياً واستوجبوا سخط الخالق باتباعهم لاهوائهم.

نعم ان هذه الاحاديث تدلنا على ان التقاطع والتباغض ينافي الاسلام بالمرة بل هو مروق منه فان الله سبحانه وتعالى لم ينزل هذا الدين للافراد

بل انزله لعموم الجمعية فان اكثر اوامره لا يمكن العمل بها الا بالالتئام والوئام لا بالتقاطع والانفصام .

﴿ فصل في واجبات المسلمين بالنسبة للذميين من اهل الكتاب ﴾

قال بعض الفضلاء: من يتدبر في تاريخ الانسان من مبدئه الى يومنا هذا يتحقق ان محبته لدينه قد تغلبت في فؤاده على كل محبة سواها فتراه يضحى نفسه واهله وماله في سبيل تأييده ونصره وهو قرير العين منشرح الخاطر . هذه المحبة الدينية فهمها اكثر الاقوام على غير المراد منها وقذفوا بها الى الافراط الهائل حتى حببت اليهم اجتراح كل أنواع المظالم تحت حجة نصر الدين وكبح جماح الملحدين . حصل كل ذلك من جهل المتدينين لنواميس الحياة البشرية وقوانين الهيئات الاجتماعية مما كان له اسوأ أثر في تاريخ أمثال هذه الأمم

اما الاسلام وهو دين المدنية الحقيقية وملاك السعادة الانسانية فقد اختط لمتبعيه من هذه الحيثية خطة ليس في مقدور مجموع الفلاسفة عموماً ان يقرروا مثلها في اذهان أممهم ولو بلغوا من السلطان على الافكار ابعد غاية . كيف توصل الاسلام يا ترى الى اقتلاع جذور الاحقاد الدينية من عقول متبعيه بدون ان يقلل شيئاً ما من محبته في أنفسهم مع علمنا بان أكثر الامم محبة لدينها واحتفاظاً به هي أشدها حقداً على مخالفيها ؟ انه توصل لذلك بطريقة لم نسمع بها عن قادة المدنية ولم يقررها العالم العلمى الا من منذ امد قريب أي بعد ان وقف علماء الانسان والعمران على اسرار النفس وتأثير المدنية عليها . فبينما كانت رؤساء اكثر الاديان الأخرى

يقولون لمتبعيهم ان الله قد أمر ان تكون العائلة البشرية كلها امة واحدة متحدة الدين والاخلاق والعادات فاعملوا على تأييد هذا المبدأ ما استطعتم لذلك سبيلا فان اختلاف النوع البشري يسخط الله لمعارضته لارادته الازلية كان الله تعالى يوحى الى نبيه قائلا له وللمؤمنين : « ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم » * « ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعاً أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين » * « انك لا تهتدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء . »

وبينما كان رؤساء اكثر الاديان يأمرون متبعيهم باستعمال اشد الطرق الا كراهية فظاعة لحمل الناس على الدخول في ملتهم ولو أدى ذلك الى قتل الابرياء وتيتيم الابناء وتخريب العمران وزعزعت أركان السلام كان الله تعالى ينزل على رسوله من سماء الرحمة آي الحكمة قائلا له وللمؤمنين : « وقل الحق من ربكم فمن شاء فليأمن ومن شاء فليكفر * « لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي . » * و « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين . »

كل هذه الآيات البينات غرست في أفئدة المسلمين قاعدتين عظيمتين محتا من نفوسهم كل حقد ديني ولاشتا كل تعصب مذموم : القاعدة الأولى هي فهمهم من منطوق هذه الآيات ان الله سبحانه وتعالى قضى في سابق علمه ضرورة افتراق العالم البشري الى جمعيات متخالفة المبادئ والغايات متباينة المشارب والاعتقادات . القاعدة الثانية هي استنتاجهم من هذه

الآيات نفسها ان تنكب الناس عن دين الله سببه تفاوت مداركهم في الفهم واختلافهم في درجات العقل وان لاسبيل الى انتشار هذا الدين الا بين من أسعدهم الجد بادراك سره وفهم المراد منه ولذلك أمرهم ان يسعوا الى نشر الحقيقة الاسلامية من بابها وهو الدعوة اليها بالحكمة والموعظة الحسنة وبالجدل الذي لاتكون عاقبته وخيمة على أحد الجانبين . هاتان النظريتان اللتان يفهمهما المسلمون من كتابهم المبين تجعلاهم لاينظرون في اختلاف الاديان والمتدينين الا أشياء ارادها الله تعالى سبق بها قضاؤه واستلزمتها حكمته ليتم الابداع الذي أراده وقدره لهذا النوع البشرى . ويزيدهم رسوخاً في عقيدتهم هذه ما أثبته علماء العمران حديثاً من ان اختلاف النوع البشري ضروري لانماء المدنية واستمرارها

بعد ان يقرر الاسلام فى اذهاننا هذه المبادئ الحكمية يأمرنا بالتخلق باخلاق الله في معاملة من يلوون كشحاً عن شريعته فانه سبحانه وتعالى قادر على ان يعاملهم بما لا يطيقونه ولكنه لا يفعل ذلك بل يعاملهم في الحياة الدنيا اسوة غيرهم وربما ميزهم عن سواهم اذا كانوا اكثر اهلية منهم لنوال السعادة المادية : « ومن يرد حرث الدنيا نؤته منها . »

نعم يأمرنا الاسلام ان نسدل ستاراً كثيفاً على معتقدات مخالفينا في الدين ويحثنا على معاملتهم بانواع الرفق ومكارم الاخلاق . قال تعالى : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين . » وينهانا عن اذاهم ومماكرتهم ونصب المخاتل لهم قال عليه الصلاة والسلام : « من آذى ذمياً فأنا

خصمه ومن كنت خصمه فقد خصمته يوم القيامة » * « من قذف ذمياً حد له يوم القيامة بسياط من نار . »

هـذا ودينننا الكريم يلزمنا بمساواتهـم بأنفسنا أمام القانون ويزجرنا أشـد الزجر على اهتضام حقوقهم وهو الأمر الذي لم يسبق له مثيـل في تاريخ أي أمة من أمم الارض . ؟ جاء في التاريخ الاسلامي ان يهودياً اشتكى علياً للامام عمر رضى الله عنهما ـ وعلي كما لايخفى ابن عم النبي وزوج ابنته وأحد المرشحين لمركز الخلافة ـ فقال له قم ياأبا الحسن فاجلس امام خصمك ففعـل ولـكن مع تأثر لاح على وجهه . فلما انتهت القضية سأله عمر قائلا . أكرهت ياعلي أن تجلس امام خصمك ؟ ـ قال لا ولـكني تـكدرت لـكونك لم تلاحظ المساواة بيننا بقولك لي ياأبا الحسن (لان الـكنية تشير الى تعظيم) قل لى بعيشك هل ورد في تاريخ بني آدم مثـل هـذه المساواة امام القانون بين أحد عظماء أمة عظيمة يهز اسمها عروش الملوك والقياصرة وبين رجل من السوقة غريب عن ديانتها ؟ هذا هو تاريخ الأمم جمعاء يخبرنا ان المساواة لهذا الحد لم تقرر حتى بين الطبقات المختلفة في الأمة الواحدة الا من منذ زمن قريب جداً بما يحدو بنا الى الجزم بان هذه العدالة الحقة لم يعمل بها مطلقاً الا في الامة الاسلامية

كانت العدالة في الامم المتمدنة القديمة اسماً بلا جسم وكانت العقوبات تتنوع وتختلف باختلاف الرتب والالقاب . أما الشعب ذاته فـكان تحت رحمة أهواء سادته الاعلين وقادته الغالين . أما المساواة التي يتبجح بها فلاسفة هذا العصر فهي بنت الثورة الفرنساوية الهائلة التي بيعت فيها المهج بالمجان وصبغت فيها الارض بالارجوان . قال المسيو لاروس في دائرة معارفه :

« ان العقوبات في روما (عاصمة دولة الرومان) كانت تختلف دائماً في الجنايات المتشابهة على حسب اختلاف حالة المجرمين وحيثيتهم . ثم ذكر تفصيل ذلك الجور وانتقل من قانون الرومان الى قانون الفرنساويين قبل الثورة الفرنساوية وألصق به مثل هذا الخلل في قواعد العدالة ثم قال : « ان ثورة سنة ١٧٨٩ كل هـذه الامتيازات والالقاب المختلفة التي كانت تابعة لاصالة الشخص أو للوراثة . »

فقل لي بعيشك كيف لا يفتخر المسلمون بدينهم اذا تحققوا ان هذه المساواة التي يقول عنها الفلاسفة انها سبب كل سعادة اجتماعية لم تقرر لاول مرة الا في الجمعية الاسلامية وانها لم تقرر فقط بالنسبة للمسلمين فيما بينهم بل بين أعظم عظيم فيهم وبين أحقر حقير من غير ملتهم ؟

الاسلام يأمرنا بمجاملة الاجانب عن ديننا ومحاسنتهم ولكن لا من باب المواربة والمداهنة خوفاً منهم أو طمعاً فيهم . كلا . بل عن صفاء نية وسلامة طوية حتى انه ينهانا عن اغتياب أحدهم وذكره بما يكره كما ينهانا عن اغتياب أحدنا سواء بسواء . ولم يحلل لنا بوجه من الوجوه نصب الاوهاق لهم لمصادرة أشيائهم تحت ستار القانون المموّه أو العدالة الوهمية كما فعله ويفعله كثير من الامم بالنسبة للمخالفين لمعتقداتها .

وقد ترك لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه أعظم اسوة يجب ان نتأسى بها في معاملة الاجانب عن ديننا ومخالفي معتقداتنا فانه عليه أشرف التحية والسلام كان يحضر ولائمهم ويغشى مجالسهم ويشيع جنائزهم ويعزيهم على مصائبهم ويعاملهم بكل أنواع المعاملات الاجتماعية التي لا بد منها في كل جمعية محكومة بقانون واحد وشاغلة لحيز مشترك . روت السنة الكريمة ان

سيد الوجود صلى الله عليه وسلم كان يقترض من أهل الكتاب نقوداً ويرهنهم أمتعته الشريفة لا عجزاً من أصحابه عن اقراضه فانه كان منهم المثرون وذوو الاملاك الشاسعة وكلهم مستعد لان يضحي نفسه ونفيسه في سبيل مرضاة نبيه . ولكنه صلى الله عليه وسلم كان يفعل ذلك تعليما للامة وارشاداً لها ان الاسلام اكبر واجل من ان يأمر ذويه بقطع العلائق مع من يعيشون معهم في مكان واحد بحجة انهم مغايرون لهم في المعتقد . وفي ذلك دلالة ناطقة على ان المسلم يستطيع ان يعيش بمفرده في بلاد اجنبية عن دينه ولا يضره كون أهلها من غير ملته بل ويسمح له ان يتزوج منهم .

ليس فيما بين أيدينا من أسفار المدنية ما يرينا ان هنك فلسفة تهدى الى احترام النوع البشري بمثل ما يهدي اليه الاسلام ويأمر به . تصفح تواريخ الامم سابقها ولاحقها ترى بعينيك من آثار قسوة الانسان على الانسان ما يحملك على اليأس من سيادة ناموس الاحترام النوعي بين أفراد البشر ويجعلك ان تثق بقول المتنبي :

والظلم من شيم النفوس فان تجد ذا عفة فلعلة لا يظلم

نعم يرينا التاريخ من آثار ظلم الانسان للانسان ما تقشعر له الابدان ويخجل منه الحيوان وان كل هذه الفظائع كانت تحصل انتصاراً للاديان . نحن لا نتصور ان ديناً سماوياً يأمر ذويه بالفتك بمن يخالفهم واستئصال شأفتهم بأفظع الطرق ولكنا ننسب ذلك كله الى سوء فهم متبعيها وادخالهم الغش والتدليس فيها لمآربهم الشخصية وأميالهم البهيمية . قد بلغت تلك الوحشية في الاكراه لدرجة كانوا يرمون بني نوعهم طعمة للنار المتأججة أو فريسة

للحيوانات الكاسرة أو يربطون رجليه في ذيلي حصانين شديدين ويطلقونهما في اتجاهين متخالفين أو يصبون على جلودهم القطران والقار الغاليين في النار أو يعلقونهم على نيران هادئة أياماً عديدة ولا يهتمون بأنينهم ولا زفيرهم فتتساقط لحومهم وتذوب شحومهم. كل ذلك كان يحصل على مرأى ومسمع من الناس فلا يجدون من أنفسهم فؤاداً يشفق أو احساساً يتأثر بل كانوا يمرون عليهم متفرجين متشفين.

قل لي بأبيك أين هذه الصدور المتأججة بالاحقاد المتلهبة بالاضغان التي تحمل ذويها على استئصال الامم ومحو اسمها لمجرد رفضها ترك دينها من تلك الصدور الاسلامية الرحبة المملوءة حكمة ورحمة المفعمة مروءة وهمة؟ تلك الصدور التي كانت تسمح لنواقيس الكنائس ان تدق بازاء مآذن المساجد بدون ان تحرك منهم ساكناً أو تسبب غيظاً بينما كانت مقاليد العالم بأسره بين أيدي المسلمين بلا منازع ولا شريك فانهم كانوا يستطيعون ولا شك ان يحجروا على حرية أديان مخالفيهم مثل ما فعلت الرومان وغلت فيه.

كان الجيش الاسلامي يدخل مكللا بالفخار في أحشاء الممالك المخالفة له اعتقاداً فيجعل اكبر همه تطمين الناس على دينهم وتهدئ روعهم على حفظ معابدهم متعهداً لهم بحمايتهم والدفاع عن ذمارهم ويطلق لهم تمام الحرية في اجراء كل طقوسهم الدينية وعوائدهم الملية: كل ذلك عملا بتعاليم الاسلام وجرياً على سنة رسول الله عليه الصلاة والسلام.

هل يستطيع مكابر ان ينكر على المسلمين احترامهم للنوع البشري اكثر من كل أمة سواهم أو يجحد ان دينهم أعلى وأسمى من ان ينبني على اختلاف المعتقدات الاباحة المطلقة في سبيل الفتك والقسوة؟ الاسلام

لا يحلل الجور لمتبعيه حتى مع ألد أعدائهم في ساحة الوغي وميدان الهيجاء قال تعالى « وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين . »

الاسلام لا يأمر الرجل بقطيعة أهله لمخالفة دينه لدينهم بل يوجب عليه معاشرتهم بالمعروف وعمل كل الطرق في أداء واجباته نحوهم قال تعالى : « ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين ان اشكر لي ولوالديك الى المصير . وان جاهداك على ان تشرك بي ماليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا واتبع سبيل من اناب الى ثم الى مرجعكم فانبئكم بما كنتم تعملون . »

روى عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت : أتتني أمي راغبه في عهد النبي صلى الله عليه وسلم فسألته أأصلها قال نعم قال ابن عيينة فانزل الله تعالى : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين . » الآية وأرسل عمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حلة الى أخيه هدية وهو مشرك .

الاسلام دين عام لم يجعله الله خاتمة للاديان وهو مريد به التفريق بين الاهل والعشيرة ولا بين أبناء الوطن الواحد ولا بين النوع الانساني بكامله بل ان الرجل ليستطيع أن يكون مسلما وهو في عائلة كل أفرادها مخالفون له في المعتقد والمذهب ولا تحمله تلك المخالفة على عمل شيء ضدهم على الاطلاق بل يلزمه الدين بعمل واجباته بالنسبة لهم والمدافعة عن حقوقهم ماداموا مراعين نحوه شرائط المحبة وصدق النية .

الاسلام لا يكلفنا بجميل الخصال ومحاسن الخلال لنفعلها فيما بيننا

فقط بل يكلفنا لنقوم بها نحو العالم أجمع طارحين على اختلاف الديانات غطاء كثيفا وحجابا غليظا . قال عليه الصلاة والسلام : « خاب عبد خسر لم يجعل الله في قلبه رحمة للبشر . » بهذه الاوامر الالهية عمل المسلمون ويعملون ولو أتهمهم بضد ذلك المضلون . كان عمر جالسا بين أصحابه فمر به رجل من أهل الذمة يتسول فنظر الى مجالسيه وقال لهم انا لم ننصف الرجل أيصح ان نأخذ منه الجزية وهو شاب ونتركه يتسول وهو شيخ ؟ كلا . وأمر له براتب يصرف له . فتدبر رحمك الله في هذه النفوس الكريمة والذرائع الرحبة وأعجب كيف تمكن الاسلام بنور الله ان يؤثر على أفئدة أولئك العرب الذين كان يضرب المثل بجاهليتهم حتى جعلهم غرة في وجه المكارم وآية في عدم الحقد الديني في زمان كانت فيه هذه الاميال الشريفة مفقودة من بين النوع البشري بأسره .

أما من جهة حسن معاشرة المسلمين لمن يعيشون بين ظهرانيهم من أصحاب الديانات الأخرى فمما لم يرد مثله في تاريخ البشر قاطبة . نعم بلغت منهم حسن المعاشرة لمخالفيهم في المعتقد مبلغاً لانراه يحصل الآن ولا بين أخوين شقيقين ربيا في عائلة واحدة وتفرعا من نبعة مشتركة . قال مجاهد : « كنت عند عبد الله بن عمر وغلام له يسلخ شاة فقال ياغلام اذا سلخت فابدأ بجارنا اليهودي حتى قال ذلك مراراً فقال له كم تقول هذا فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يزل يوصينا بالجار حتى خشينا انه سيورثه » قارن رحمك الله بين هذه المعاملة المدهشة وبين ماتسمعه في البلاد المتمدنة من الجمعيات السرية والجهرية التي تتألف يومياً ولا هم لها الا الاضطهاد اليهودي واذلالهم . هل بعد ماينا في هذا الفصل يستطيع أحد أن يتهم

المسلمين بتهمة الحقد الديني (التعصب) واضمار الشر لكل من ليس من ملتهم ؟ انا نسمع كل يوم في بلاد المدنية بأمر نازلة من آثار الحقد الديني ما يجعلنا نخجل من سماعها . فهل سمعت يوماً انه قامت في بلاد اسلاميه جمعية جعلت همها معاكسة طائفة من الطوائف التي تدين بغير الاسلام ؟ اللهم لا .

نحن قبل ان نختم هذا الفصل نود ان نثبت للقارىء أن الحقد الديني الذي برهنا على تجرد الاسلام والمسلمين منه منذ ثلاثة عشر قرناً الى الآن كان ديدن سائر الامم وداءها الذي أعيا أطباءها وانه لم يتوصل الى تخفيفه ولا أقول ملاشاته ـ الا منذ قرن تقريباً ولا نرى لذلك سبيلا أحسن من نقل ماقاله الفيلسوف الطائر الصيت جول سيمون في كتابه حرية الاعتقاد قال : « ان حرية الاديان ليست ببعيدة العهد فان تاريخ العالم كله هو عبارة عن تاريخ الحقد الديني (التعصب) . هذا الحقد الديني الذي هو أقدم من الحرية يتصاعد الى أبعد عصر في التاريخ . » ثم عدد آثار التعصب المذموم في العالم كله من القرون الأولى الى الاعصار الوسطى ثم قال : « وأخيراً توصلت الروح الفلسفية الى تقرير حرية الاديان في ٤ اغسطس سنة ١٧٨٩ ولكن لم تحقق هذه الامنية العادلة الا في سنة ١٧٩١ وهو تاريخ تحرير اليهود من المظالم ومع هذا كله فان الثورة الفرنساوية على ما كانت عليه من حسن الادارة في الاعمال لم تتمكن من تأسيس الحرية الدينية .

فصل في الحرية

قال بعض الادباء الانسان حر بطبعه ولا يحتاج الى مرشد يرشده الى الحرية لانها من الاحساسات الشديدة التأثير عليه اللهم الا اذا توصل

الى تعكير وجدانه بالخزعبلات المطفئة لنور البصيرة كما حصل في كثير من الامم . ولكن لما كانت الحرية المطلقة أي حرية الحيوانات تبطل عمل كثير من الخصائص المودعة في الانسان والتي لا تتم الا بالاجتماع رضخ الانسان لان يضحى قليلا من تلك الحرية في سبيل ممارسته تلك الخصائص . من هنا نشأت السلطة مع ما استلزمته من المناسبات التي أخرجت تلك السلطة عن حدودها في كثير من الاحوال . ذلك انه لما كان من ضمن أميال الانسان المودعة في جبلته حب التسلط والعلو على سواه وجدت بعض النفوس مساغاً الى تحقيق أمانيها من التسلط المطلق ومجازاً الى متابعة هواها من التعالي الافراطي على الغير وتذرعت لذلك بكل الذرائع الممكنة .

ولما كانت وسائط التسلط لا تنجح الا اذا واجهت الانسان من أشد احساساته تسلطاً عليه وجد محبو القهر والجبروت ان انجع تلك الطرق هي التأثير على الانسان من طريق الدين وكان الجري على هذه الطريقة سبباً في تحريف اكثر الاديان واخراجها عن نصوصها الاصلية طمعا في امتلاك أزمة القلوب والسيطرة على العقول . فكانوا يتربصون لكل حركة يأخذها العقل طلبا للتخلص من أوهامه القاتلة فيبتكرون له من أنواع التخرصات الدينية ما يقف أمامه ولو حينا من الزمان مندهشا مذعوراً ، حتى اذا صده ما يراه أمامه وأخذ يتحرك يمنة أو يسرة أتوا اليه في الحال بما يثبط من تلك الحركة أو يمنعها من الانتشار . وهكذا دام الحال قرونا كثيرة جداً في خلالها كانت كلمة أولئك المسيطرين هي الكلمة العليا وأمرهم هو الامر النافذ حتى طرأ على العالم من تأثير نواميس الرقي ما يفكهم نوعا ما من ربقة ذلك الاستعباد المطلق لرجال الدين فنشأت سلطتان دينية وأخرى سياسية

فحصل بينهما من التدافع والتجالد ما لا تكفى المجلدات لتبيين أهواله حتى توصلت بعض الشعوب المرتقيه في هـذين القرنين الى التخلص من نير السلطة الدينيه كما أفتكت نفسها أيضا من غلو السلطة السياسية ففرحت تلك الشعوب بما حصلته من الحرية فاخذ علماؤها يؤلفون الاسفار الضخام ترنما بتلك النعم الجزيلة وطفقوا يشنون غارة شعواء على كل الاديان ولم يعلموا ان كل ما نالوه بعد التي واللتيا ليس هو الا تقربا الى الاسلام الذي أشرق نوره على العالم يوم كانت أوروبا في ظـلم الجهالة الحالـكة .

جاء الاسلام في وقت كانت فيه الدنيا بأسرها خاضعة لدولتين عظيمتين هما دولة الفرس ودولة الرومان . أما الأولى فكانت القـلاقل الداخلية والخارجية آخذة في زعزعة بنيانها وتقويض جدرانها . وأما الثانية فكانت لم تزل على جانب عظيم من عظمتها الأولى وكانت لم تبرح تزلزل الامم بسطوتها وتدوخ البلاد بقوتها ، وكان فيها شطر عظيم من مدنيتها السابقة أي مدنيتها التي يقول عنها (لاروس) في دائرة معارفه ما يأتي : « ماذا كانت نظامات الرومان على وجه الاجمال ؟ كانت عين الوحشية والقسوة مرتبة في صور قوانين . أما من جهة فضائل روما مثل الشجاعة والمكر والتبصر والنظام والاخلاص المطلق للجمعية فهي بعينها فضائل قطاع الطرق واللصوص . أما وطنيتها فكانت مكتسية لباس الوحشية وكان لا يرى فيها الا شرها مفرطاً للمال وحقداً على الاجنبي وضياعاً لاحساس الشفقة الانسانية . أما العظمة في روما والفضيلة فيها فكانت عبارة عن أعمال السوط والسيف في العالم والحكم على اسرى الحروب بالتعـذيب أو بالاسر وعلى لاطفال والشيوخ بجر عربات النصر . »

نحن لم ننقل هذه المقولة في هذه المناسبة الا لنرى القارئ مبلغ المدنية في ذلك الوقت عند أعظم أمم الارض ليتحقق ان كل ماسيراه من أساسات الاسلام الطاهرة ليس بالامر المستعار من اية أمة من الأمم الأخرى كما عسى أن يتوهمه بعض القاصرين . ولن نكتفي بهذا ، بل سنثبت ذلك من أقوال أساطين علماء أوروبا أنفسهم .

قلنا ان الامم المتمدنة نالت من الحرية في هذا العصر ما بنت عليه كل رقيها العقلي والاخلاقي مما حدا باكثر علمائها أن يدعو : أن تلك الحرية منافية لنصوص الديانات كافة أما نحن فسنبرهن بالأدلة الحسية على ان الاسلام فضلاعن كونه لايعارض تلك الحرية التي رفعت الغرب من وهدته فانه يحتوي على قسط منها لاتقارن به حريات العالم على أنواعها الا كما يقارن الخيال بالحقيقة .

ان حرية العالم المتمدن التي نشاهدها الآن على ما بها من عظم وجلالة لم تتأيد دعائما ولم تثب وطائدها الا بواسطة ثلاث حريات بسيطه أخرى كانت بالنسبه لها كأعمدة ثلاثة بالنسبة لبناء واحد . أما هذه الثلاث حريات الأولية فهي : (أولاً) حرية النفس . (ثانياً) حريه العقل . (ثالثاً) حريه العلم . ولنتكلم على كل منها بوجه الاجمال مع اثبات انها بعض قواعد الاسلام فنقول :

١

حرية النفس

ان أكبر وسيلة تذرع بها مذللوا النوع الانساني للسيطرة والقهر هي

حرمانهم النفوس البشرية من حقوقها الطبيعية وتجريدها من أهم خصائصها الفطرية وجعل تلك الحقوق والخصائص تحت تصرفهم الخاص يوجهونها الى حيث شاء هواهم ووافق كبرياؤهم . فكانت كلمة (اعتقد وأنت أعمى) كما قال (لاروس) هي القاعدة المتبعه والناموس السائد على كل فرد من أفراد الأمم ، وكانوا اذا آنسوا من أحد من الناس بارقه التحرك الى الخروج من أوثاقه الثقيلة أسرعوا بالحكم عليه بالمروق من الجمعية القدسية وجعلوه طعمة للنيران أو أذاقوه من العذاب ما يقشعر له جلد الانسان .

انتحلوا لانفسهم حق الوصاية على النوع البشري وكلفوا أنفسهم تربية صغاره فنقشوا في مخيلاتهم من التعاليم والقواعد ما يجعلهم اذا شبوا آلات صماء في أيديهم يستعملونها كيف شاؤا وفى أي غرض أرادوا . غرسوا في اذهانهم أن السعادة والشقاوة الابديتين معقودتان بارادتهم ومرتبطتان بمشيئتهم « ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والارض ومن فيهن . » فنشأ الناس طبقاً للقالب الذي صبهم فيه قادتهم وكانوا كلما تحركت ضمائرهم وتململت أنفسهم ناداهم مما انطبع في سرائرهم من تلك التعاليم مناد يقول لهم : « كلا انه لا انفس لكم ولا ضمائر . ما عليكم الا أن تطيعوا طاعة عمياء ؟ »

من هنا ماتت الحرية النفسية ومات ما يبنى عليها من حرية المدارك المربيه لانواع الملكات فلم يسع الطبيعة البشرية الا أن أقامت الحجة عليها فنغلت النيات ودويت الصدور وتشعبت الهواجس في النفوس وافعوعمت الأفئدة بالأضغان والاحن ووقعت الجمعيات في حيص بيص وكان الناس فيها كقطع الخشب في المرجل تغلي على تنور يصعدها وينزلها غليان الصدور

واضطرابات الأمور فنشأت الثورات الدموية بفظائعها التي لا تنطبق على احساس ولا تدخل تحت قياس حتى كان ما كان مما يعلمه كل انسان لديه قليل من علم العمران .

فى أثناء تلك الظلم الحالكة وقبل تلك القلاقل المزعجة كان خالق الانسان موجهاً عنايته السامية الى تربية الأمة العربية فى وسط الشعاب والصخور على مقتضى قواعد الحكمة العظمي التي لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها ليجعل منها أمة تقيم الحجة على لسان الجبار الأعلى وتؤدب الطاغين بيد القهار الأقوى حتى اذا ثابت الأمم الى السكون بعد ان تنال من المدنية ما قدر لها فى العلم المصون وتاقت الى فهم ما يدعيه المسلمون من أن دينهم هو الكنز المكنون والسر الذي قامت به السموات والارضون وجدوا ان كل ما وصلوا اليه بعد بذل المهج واقتحام الرهج ليس الا صورة منعكسة من تلك التعاليم الالهية : « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق . »

فهلم ننظر الآن فيما يقول الاسلام في حرية النفس لنثبت لقادة الحكمة ونصراء النوع الانساني ان كل النظريات التي يفتخر بها علماء هذا القرن ما هي الا صدى الصوت الذي رن بين شعاب مكة والمدينة قبل زهاء اربعة عشر قرنا فنقول: جاء الاسلام واضعا لاساس المساواة بقوله تعالى : «ياأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا . » وقوله عليه الصلاة والسلام : « ان الله قد أذهب بالاسلام نخوة الجاهلية وتفاخرهم بآبائهم لان الناس من آدم وآدم من تراب وأكرمهم عند الله أتقاهم . »

فانمحى بذلك كل فضل يمكن أن يدعى باصالة المحتد أو بوفرة الغني أو بالانتساب الى قبيلة الى غير ذلك من دواعي الامتياز وبواعث الانحياز وجعل التمايز بالمزايا والاعمال لا بالفحفخة والاقوال فقال تعالى : ان اكرمكم عند الله اتقاكم . » وقرر ان التقوى ليست من الامور التي يمكن للانسان ان يحكم عليها بمجرد النظر الى أفعال الرجل في الطاعات واجتهاده في أصناف العبادات فربماذهب ذلك كله هباء منثوراً لعقيدة رسخت في فؤاد فاعلها لا يطلع عليها غير الله تعالى . قال عز وجل : « لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن . » وقال النبي عليه الصلاة والسلام : « وان الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى لا يكون بينها وبينه الاذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها . وان الرجل ليعمل بعمل أهل النار حتى لايكون بينه وبينها الاذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها . »

قرر الاسلام ان قبول الاعمال الصالحة هو من خصائص الله تعالى فليس للعبد أن يحكم على تقوى يراها في غيره بالقبول أو الرد بل يجب عليه ان يدع الحكم فيها للخالق جل شأنه حتى لو بلغت تلك التقوى بصاحبها الى درجة أعلته عن سائر أصناف الخلق . وقال عليه الصلاة والسلام : « ويل للمتألين من أمتي الذين يقولون هذا للجنة وهذا للنار . »

لم يعين الاسلام طائفة من المسلمين لأمر خاص بامتيازات خاصة تعلو بهم أمام القانون الالهي عن مرتبة أقل المسلمين حيثية وجاهاً . بل فتح للكل باب الفضل الرباني وقرر ان ذاك الباب مفتوح للكافة على السواء يلجه من أراد الولوج بدون احتياج ولا عوز لمرشد غير كتاب الله وسنة

رسوله . ولم يكتف بذلك بل حذر كافة متبعيه من الوقوع في أشراك من يدعون الاشقاء والاسعاد أو ينتحلون لأنفسهم حقاً ليس لسائر الافراد . قال عليه الصلاة والسلام : « أخوف ما أخاف على أمتي رجل يتأول القرآن يضعه في غير مواضعه ورجل يدعى انه أحق بهذا الامر من غيره . »

أكد الاسلام لمتبعيه انه لن يغنى عن المرء يوم الحساب غير عمله ولن ينجيه من غائلة العذاب غير مكتسبات نفسه فلا يجديه الانتساب الى عظيم أو الاعتزاء الى أب فخيم . قال الله تعالى : « وأن ليس للانسان الا ماسعى وان سعيه سوف يرى . » . « وقال سيد الوجود صلى الله عليه وسلم : « يا عباس ويا صفية عمي النبي ويا فاطمة بنت محمد اني لست أغنى عنكم من الله شيئاً . ان لي عملي ولكم عملكم . » لهذا وردت الاوامر الالهية موجهة الى سائر الافراد على السواء ومكلفة أصغر عضو من أعضاء الجمعية الانسانية بما كلفت به اكبر كبير فيها . قال عليه الصلاة والسلام : « كلكم راع وكل راع مسؤول عن رعيته . »

هذه القواعد رفعت نفوس المسلمين عن ذله الاسر لنفس بشرية أخرى وسمت بها عن التقيد باشارة غيرها لعلمها بانها هي التي ستدان وحدها عما جنت والمسؤولة عما كسبت وانه لن تغنى عنها نفس مثلها مهما علت وسمت .

بمثل هذه الاساسات تتأسس روابط المؤاخاة وتتأكد عرى المساواة ولا يكون السواد الاعظم من الناس مقودين الى طائفة قليلة منهم يسيرونهم كيف يشاؤون ويوجهونهم الى حيث يريدون . نعم بمثل هذه القواعد تسود المساواة . أتدري ما نتائج المساواة ؟ المساواة هي مبدأ أولي لمعرفة الحقوق

والواجبات وأعظم مؤيد للعـدالة والحرية بين سائر الافراد . المساواة هي الفاروق الاكبر بين العدالة الحقة وبين العدالة لوهمية التي تنخر عظام الامم وتمتص دم حياتها . قال نابليون ؛ « المساواة هى ينبوع كل عـدالة سواء كانت بين الشعوب أو بين الافراد . » وقال الفيلسوف (كوندرسيه) : « المساواة الطبيعية لبني الانسان هى القاعدة الاولى لمعرفتهم بحقوقهم وهي أساس كل الاخلاق الحميدة . »

ونحن لا نود أن نختم مقالنا هذا حتى نثبت ان المساواة التي تمتع بها الشعوب المتمدنة الآن ليست بقديمة العهد بل هى نبت الثورات الدموية التي حصلت في أواخر القرن الماضي . قال الفيلـسوف (فرنك) : « ان المساواة المدنية التي تأسست منذ نصف قرن عند بعض أمم أوروبا آخـذة في الانتشار عند الامم الاخرى تدريجاً . » ونحن أما يحق لنا ان نتلو قوله تعالى ؛ « الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله . »

٢
حرية العقل

ان كان اكبر خصائص الانسان شأناً وأعظمها أثراً هي قوته العقلية . قلنا ان الانسان لم يخلق كما خلق الحيوان مطبوعا على عمل ما يقيم أودحياته بل خلق مجرداً عن كل علم بما يستلزمه امر بقائه . الا انه منح في مقابل تلك الجهالة القوة العقلية التي تكبر وتمو بزيادة المعلومات فتغنى الانسان عن كل سوق طبيعي وترفعه تدريجاً من الوحشية المظلمة الى المدنية النيرة . ولـكن منيت هـذه الخصيصة الـكبرى مثل سائر الخصائص العظيمة

الاخرى لحكمة يعلمها الله تعالى بمن يسيطر عليها ويمنعها حيناً ما من تأدية وظيفتها على حسب قانونها المرسوم لها من القدم ٠

لم يتربص مذللو النوع الانساني لمواهب الانسان أكثر من تربصهم لهذه الموهبة الكبرى لعلمهم انها السلاح الحاد الذي لو جرد من غمده لم تقف أمامه جيوش الاوهام ولا ظلمات الاحلام فشددوا النكير عليها تشديداً حرم الانسانية من أعظم خصائصها حتى صرحوا بأن استعماله في فهم ما يقولون يفضي الى الالحاد . فوقع الناس في ظلمة من الجهالة أفضت بهم الى حالة من الوحشية يحدثنا التاريخ بها وهو خجل من نفسه ناقم على أمسه . كان هذا حال الامم في الحين الذي كانت فيه أصول المدنية الحقة وحرية العقل يمليها الحكيم العليم على خاتم أنبيائه محمد صلى الله عليه وسلم . فبينما كان المسيطرون على الامم يصيحون في وجوه رعاياهم قائلين: «اطفئوا نور العقل . أطمسوا عين البصيرة . فان الدين ينافي العقل ٠ » كان الدين الاسلامي يفتح السبل لتجول فيها العقول ويأمر بالنظر والتفكر والسير والاعتبار

ماذا تفيد الانسان عبادته الظاهرية وأفعاله العضوية بينما يكون هو بضعف عقله عرضة لكل أنواع الافراط والتفريط ٠ يضع الامور في غير مواضعها ٠ ويزن الاشياء بغير ميزانها فان كلف باداء وظيفة أساء استعمالها وأخل أعمالها لظنه الظلم عدلا والعدل ظلما ؟ ألسنا نرى كثيراً ممن يدعون الصلاح والتقوى صاروا جوائح أممهم وبوائق وطنهم بمحض ضعف عقولهم ؟

أتدري ماذا كانت نتيجة تحرير هذه القوة الجليلة عند الشعوب المتمدنة

بعد مانالوها ببيع الانفس رخيصة في سبيلها ؟ كانت نتيجته تمتعهم بكل ما تراه من عظمة مدنيتهم وشدة صولتهم وقوة شوكتهم . كانت نتيجته اهتداءهم الى طرق السعادة الدنيوية ومناهج الرفاهة المادية مما نراه ونسمع به عنهم . قال (لاروس) : « اذا بحثنا بدون تعرض ولاوهم عن سبب الرقي الذي حصل في العالم المادي والفكري والاخلاقي من منذ طفولية الجمعيات البشرية الى أيامنا هذه فلا نراه الا تخلص العقل من الضغط عليه . » ونحن لانود ان نقفل باب هذا المبحث حتى نثبت للقارئ ان تحرير هذه القوة العقلية ليس ببعيد العهد عنا وانه لم يحصل الا بعد جهد جهيد وجلاد شديد . قال (لاروس) من منذ زمن الاصلاح لغاية الثورة الفرنساوية استمرت المجالدات بحظوظ مختلفة بين محرري العقل وبين الضاغطين عليه من القدم . ولاجل الاعراض الكلي عن أساطير الماضي ورسم خطة جديدة للمستقبل أخذت الثورة الفرنساوية في ترميم ماتهدم من اركان الجمعية وصار تعليم النشأة الجديدة من أهم اشتغالاتها . »

٣

حرية العلم

نسبة العلم الى القوة العقلية كنسبة الغذاء الى الهيئة الجسمية . فكما ان الجسم ينمو ويزيد بتمثيله أنواع المواد الارضية كذلك القوة العقلية تكبر وترتقي بتمثيل النظريات العلمية والمعلومات الخارجية . لهذه العلة أخذ مذللو النوع الانساني في التشنير على العلم والتنديد به وبمحبيه وحكموا انه الرجس الذي لايصح ان يحام حوله أو يقصد حوضه قال لاروس في دائرة معارفه « أما هم فيعتبرون ان العلم هو الشجرة الملعونة التي تقتل باثمارها بني آدم . »

نعم انهم تصدوا العلم تصدياً منع الناس عن ذكر اسمه والعروج على رسمه وأخذوا يحرفون فلسفة الاقدمين لتنطبق على أوهامهم وتتوافق مع أحلامهم حتى لم يبق منها الا هيكل مشوه يفرق العقل من رؤيته ويأنف من روايته

زعموا ان لديهم العلم الذي لا جهل معه والكنز الذي لا يفتقر من جمعه . فحكموا ان كل ما أتى من الخارج منه يكون خارجا عن نطاق التحقيق ولا يقول به الا زنديق فيسرعون بالحكم عليه باقصي ما يتصوره العقل من العقوبة الجسمية مما يروع الجسور ويزع الصبور فأماتوا بهذه الطريقة عدداً عظيما من الحكماء بتهمة انهم يسعون في زيادة مواد العلم ومن يطالع تاريخ العلم ير العبر .

بهذه الوسائل الجبروتية سكنت عاطفة العلم ولم تفعل الا ان أقامت الحجة بلسان النواميس الحيوية وكانت تلك الحجة الناطقة هى سيادة الجهالة والاضاليل ورواج أسواق الاوهام والاباطيل حتى تغلبت الاميال البهيمية على العواطف الانسانيه وعدا الاقوياء على الضعفاء فسلبوهم كل مزايا الحياة وحقوق الطبيعه ودام الهرج والمرج سائدين على أحوال الانسانيه حتى بلغ السيل الزبى ولم يبق في القوس منزع . فجاء دور الثورات الداخلية والمقاتلات الدموية طلباً لتحرير العلم من ربقته الجهنميه وكان ما كان مما يعلمه من ألم بتاريخ ذلك الزمان .

هكذا كان حال الامم قاطبه بينما كانت الحقائق الالهيه تنزل من السموات العلى على سيد الملأ صلى الله عليه وسلم وتملى عليه أصول المدنية الحقيقية والعلم المطلق من قيود العبودية . جاءت الديانة الاسلامية فا كة أصفاد العلم ، حالة اغلال المعارف، مقررة أنه من الظلم الشائن والاعتساف

المهين تقييد العلم بقيد أو تحديده بحد : « من قال ان للعلم غاية فقد بخسه حقه ووضعه في غير منزلته التي وضعه الله بها حيث يقول (وما أوتيتم من العلم الا قليلا)

صرح الاسلام على لسان الحكيم العليم في قرآنه الكريم بان فهم حكمة الخالق في كلامه المنزل على صفوة أنبيائه لا يتأتى الا بانارة الفكر بأنوار العلوم وتقويم النظر ببدائه المعقولات فقال تعالى : « وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون . » ولم يكتف بهذا بل أنذر المتكاسلين عن طلب العلم بسوء المنقلب وبالطبع على قلوبهم مما يؤديهم الى سوء العذاب فقال تعالى ! « ولئن آتيتهم بآية ليقولن الذين كفروا ان أنتم الا مبطلون كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون . »

بمثل هذه الآيات البينات فتح الاسلام للعقول أبواب العلوم الصادقة والمعارف الحقة وأراهم ان طلبها والسعي في اكتسابها هو من أعظم مايعبد به الخالق جل شأنه فقال عليه الصلاة والسلام : « أفضل العبادة طلب العلم وقال عليه الصلاة والسلام : « نظر الرجل في العلم ساعة خير له من عبادة ستين سنة . »

لم يحصر الاسلام العلم في بلد من البلدان ولا عند طائفة من بني الانسان بل أمرنا باصطياد شوارده حيث كانت واني وجدت فقال عليه الصلاة والسلام : (أطلب العلم ولو بالصين) وقال عليه الصلاة والسلام : (الحكمة ضالة المؤمن يأخذها اني وجدها) فليس للمسلم ان يرفض حكمة ما بحجة كونها صدرت ممن هو مناف له اعتقاداً أو مغاير له وجداناً . بل يكفيه باعثاً لأخذها كونها حكمة وكونها مما يرفع شأن الانسان ويزيل من

جهالته. قال عليه الصلاة والسلام: (خذ الحكمة ولا يضرك من أي وعاء خرجت)

أتل آي القرآن الحكيم بتدبر وروي تر آيات صوادع تزع الانسان عن الغفلة عن العلم وتردعه عن الاغضاء عن نواطق الحكم تر الجبار الاعلى ينادي عباده بلسان الرحمة قائلا لهم: (انظروا ماذا في السموات والارض.) ويبكت المقصرين في النظر ليعتبر اهل الفكر بقوله (وكأين من آية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون.) وينذر الذين يعمون أعينهم عن تدبر بدائع الاكوان الباعثة لمزايا العرفان بقوله تعالى. (ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا. قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى)

هذا هو شأن حرية العلم في الاسلام. فهل وصل الاولون والآخرون الى اعلاء شأنه واكبار مقامه الى اكثر مما رأيت في هذه الآيات التي تبعث الجماد فضلا عن الانسان؛ وهل هذه الحرية العلمية بعيدة العهد عن أبناء هذا العصر؟ كلا. قال المسيو (برتلو) أحد نظار خارجية فرنسا السابقين واكبر علمائهم الكيماويين: ان العلم لم يتوصل الى نوال حريته الا من منذ مائتين وخمسين عاماً: (الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله)

باب تدبير المال

فصل في الكسب

كان النبي صلى الله عليه وسلم جالساً مع أصحابه ذات يوم فنظروا الى شاب ذي جلد وقوة وقد بكر يسعى فقالوا ويح هذا لو كان شبابه وجلده

في سبيل الله فقال صلى الله عليه وسلم لا تقولوا هذا فانه ان كان يسعى على نفسه ليكفها عن المسئلة ويغنيها عن الناس فهو في سبيل الله وان كان يسعى على أبوين ضعيفين أو ذرية ضعاف ليغنيهم ويكفيهم فهو في سبيل الله وان كان يسعى تفاخراً وتكاثراً فهو في سبيل الشيطان وقال صلى الله عليه وسلم ان الله يحب العبد يتخذ المهنة ليستغنى بها عن الناس ويبغض العبد يتعلم العلم يتخذه مهنة وفي الخبر ان الله تعالى يحب المؤمن المحترف وقال صلى الله عليه وسلم أحل ما أكل الرجل من كسبه وكل بيع مبرور وفي خبر آخر أحل ما أكل العبد كسب يد الصانع اذا نصح وقال عليه السلام عليكم بالتجارة فان فيها تسعة أعشار الرزق وروى أن عيسى عليه السلام رأى رجلا فقال ما تصنع قال أتعبد قال من يعولك قال أخي قال أخوك أعبد منك * وقال نبينا صلى صلى الله عليه وسلم اني لا أعلم شيأ يقربكم من الجنة ويبعدكم من النار الا أمرتكم به واني لا أعلم شيأ يبعدكم من الجنة ويقربكم من النار الا نهيتكم عنه وان الروح الامين نفث في روعى ان نفساً لن تموت حتى تستوفي رزقها وان أبطأ عنها فاتقوا الله واجملوا في الطلب أمر بالاجمال في الطلب ولم يقل اتركوا الطلب ثم قال في آخره ولا يحملنكم استبطاء شيء من الرزق على أن تطلبوه بمعصية الله تعالى فان الله لا ينال ما عنده بمعصيته وقال صلى الله عليه وسلم الاسواق موائد الله تعالى فمن أتاها أصاب منها وقال عليه السلام لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره خير من أن يأتى رجلا أعطاه الله من فضله فيسأله أعطاه أو منعه وقال من فتح على نفسه بابا من السؤال فتح الله عليه سبعين بابا من الفقر (وأما الآثار) فقد قال لقمان الحكيم لابنه يابني استغن بالكسب الحلال عن الفقر فانه ما افتقر أحد قط الا اصابه

ثلاث خصال رقة في دينه وضعف في عقله وذهاب مروءته وأعظم من هذه الثلاث استخفاف الناس به وقال عمر رضي الله عنه لايقعد أحدكم عن طلب الرزق ويقول اللهم ارزقني فقد علمتم ان السماء لاتمطر ذهباً ولا فضة وكان زيد بن مسلمة يغرس في أرضه فقال له عمر رضي الله عنه اصبت استغن عن الناس يكن اصون لدينك وأكرم لك عليهم كما قال صاحبكم أحيحة

* ان الكريم على الاخوان ذو المال

وقال ابن مسعود رضي الله عنه اني لأكره ان أرى الرجل فارغا لا في أمر دنياه ولا في أمر آخرته وسئل ابراهيم عن التاجر الصدوق أهو أحب اليك أم المتفرغ للعبادة قال التاجر الصدوق أحب الى لانه في جهاد يأتيه الشيطان من طريق المكيال والميزان ومن قبل الاخذ والعطاء فيجاهده وخالفه الحسن البصري في هذا وقال عمر رضي الله عنه مامن موضع يأتيني الموت فيه أحب الى من موطن أتسوق فيه لاهلي أبيع وأشتري وقال الهيثم ربما يبلغني عن الرجل يقع فى فأذكر استغنائي عنه فيهون ذلك على وقال أيوب كسب فيه شيء أحب الى من سؤال الناس وجاءت ريح عاصفة في البحر فقال أهل السفينة لابرهيم بن أدهم رحمه الله وكان معهم فيها أما ترى هذه الشدة فقال ما هذه الشدة انما الشدة الحاجة الى الناس * وقال أيوب قال لى ابو قلابة الزم السوق فان الغنى من العافية يعنى الغنى عن الناس * وقيل لاحمد ما تقول فيمن جلس في بيته أو مسجده وقال لا أعمل شيأ حتى يأتيني رزقي فقال أحمد هذا رجل جهل العلم أما سمع قول النبي صلى الله عليه وسلم ان الله جعل رزقي تحت ظل رمحي وقوله عليه السلام حين ذكر الطير فقال تغدوا خماصاً وتروح بطاناً فذكر انها تغدوا في طلب الرزق وكان اصحاب رسول الله

صلى الله عليه وسلم يتجرون في البر والبحر ويعملون في نخيلهم والقدوة بهم وقال ابو قلابة لرجل لأن أراك تطاب معاشك أحب الى من اراك في زاوية المسجد وروي ان الاوزاعي لقى ابراهيم بن أدهم رحمهم الله وعلى عنقه حزمة حطب فقال له ياأبا اسحق الى متى هذا اخوانك يكفونك فقال دعني عن هذا ياأبا عمرو فانه بلغني انه من وقف موقف مذلة في طلب الحلال وجبت له الجنة وقال أبو سليمان الداراني ليس العبادة عندنا ان تصف قدميك وغيرك يقوت لك ولكن ابدأ برغيفيك فاحرزهما ثم تعبد * وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه ينادي مناد يوم القيامة أين بغضاء الله في أرضه فيقوم سؤال المساجد فهذه مذمة الشرع للسؤال والاتكال على كفاية الاغيار ومن ليس له مال موروث فلا ينجيه من ذلك الا الكسب والتجارة

وقال الله تعالى وجعلنا النهار معاشاً فذكره في معرض الامتنان وقال تعالى وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ما تشكرون فجعلها نعمة وطلب الشكر عليها وقال تعالى فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن يحتطب احدكم حزمة على ظهره خير له من أن يسأل أحداً فيعطيه أو يمنعه رواه البخاري ومسلم وقال رسول الله صلى عليه وسلم ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده وان نبي الله داود كان يأكل من عمل يده رواه البخاري وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم التاجر الصدوق مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من طلب الدنيا حلالا تعففا عن المسئلة وسعيا على عياله وتعطفا على جاره لقى الله وجهه كالقمر ليلة البدر وقال رسول الله صلى

الله عليه وسلم العبادة عشرة أجزاء فتسعة منها في طلب الحلال روى هذا
مرفوعاً وموقوفاً على الصحابة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم طلب
الحلال جهاد وان الله يحب العبد المحترف وعن أنس رضي الله عنه ان رجلا
من الانصار أتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله فقال مافي بيتك شيء قال
بلى حلس نلبس بعضه ونبسط بعضه وقعب نشرب فيه من الماء قال ائتنى
بهما فأخذهما رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده وقال من يشترى هذين
قال رجل أنا آخذهما بدرهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يزيد على
درهم مرتين او ثلاثاً قال رجل أنا آخذهما بدرهمين فأعطاهما اياه وأخذ
درهمين فاعطاهما الانصاري وقال اشتر باحدهما طعاماً فانبذه الى أهلك
واشتر بالآخر قدوما فائتني به فأتاه به فشد فيه رسول الله صلى الله عليه
وسلم عودا بيده ثم قال اذهب فاحتطب وكل ولا أرينك خمسة عشر يوما
ففعل فجاء وقد أصاب عشرة دراهم فاشترى ببعضها ثوباً وببعضها طعاماً
فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا خيرلك من ان تجيء المسئلة نكتة
في وجهك يوم القيامة رواه أبو داود وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من أمسى آكلا من عمل يده أمسى مغفوراً له رواه الطبراني وكان أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم يتجرون في البر والبحر ويعملون في نخلهم
والقدوة بهم وروي الترمذي عن عمر رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه
وسلم قال لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً
وتروح بطاناً معناه تذهب أول النهار خماصاً أي ضامرة البطون من الجوع
وترجع آخره ممتلئة البطون قال الامام أحمد ليس في هذا الحديث دلالة على
القعود عن الكسب بل فيه ما يدل على طلب الرزق وانما أراد لو

توكلوا على الله في ذهابهم ومجيئهم وتصرفهم وعلموا أن الخير بيده ومن عنده لم ينصرفوا الا سالمين غانمين كالطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً لكنهم يعتمدون على قوتهم وكسبهم وهذا خلاف التوكل وفي الشعب للبيهقي ان عمر رضى الله عنه لقي ناساً من أهل اليمين فقال ما أنتم قالوا متوكلون فقال كذبتم انتم متأكلون انما المتوكل رجل ألقي حبة في التراب وتوكل على الله وقيل انه اذا أوصى للمتوكلين أنه يكون للزراع وقال شقيق بن ابراهيم في قوله تعالى ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض لو ان الله تعالى رزق العباد من غير كسب لتفرغوا فتفاسدوا ولكن شغلهم بالكسب حتى لا يتفرغوا للفساد وروي أنس رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم عن جبريل عن الله عزوجل انه قال ان من عبادي ان من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح ايمانه الا الغنى ولو أفقرته لأفسده ذلك وان من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح ايمانه الا الفقر ولو أغنيته لأفسده ذلك وان من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح ايمانه الا الصحة ولو أسقمته لأفسده ذلك وان من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح ايمانه الا السقم ولو أصححته لأفسده ذلك اني أدبر أمر عبادي لعلمى بقلوبهم اني عليم خبير

وروى البخاري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما أكل أحد طعاما قط خيراً من أن يأكل من عمل يده وان نبي الله داود كان يأكل من عمل يده وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً فيأكل منه انسان أو طير أو بهيمة الا كانت له صدقة ويروي وما سرق منه فهو له صدقة وقال ابن مسعود رضي الله عنه أيما رجل جاب

شيأ الى مدينة من مدائن المسلمين صابراً محتسباً فباعه بسعر يومه كان عند الله بمنزلة الشهداء ثم قرأ عبد الله وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله يعني المسافرين للتجارة يطلبون من رزق الله وقال الغزالي رحمه الله أوصى بعض التابعين رجلا وقال لا تسلم ولدك في بيعتين ولا في صنعتين بيع الطعام وبيع الاكفان فانه يتمنى الغلاء وموت الناس والصنعتان أن يكون جزارا فانها صنعة تقسى القلب وصواغا فانها تزخرف الدنيا بالذهب والفضة قال الغزالي رحمه الله وكره ابن سيرين الدلالة وكره قتادة أجرة الدلال قال السبب فيه قلة استغناء الدلال عن الكذب والافراط في الثناء على السلعة لترويجها ولان العمل فيه لا يتقدر فقد يقل وقد يكثر ولا ينظر في مقدار الاجرة الى عمله بل الى قدر قيمة الثوب قال عبد الوهاب الوراق قال لى أحمد بن حنبل رحمه الله ما صنعتك قلت الوراقة قال كسب طيب ولو كنت صانعاً بيدي لصنعت صنعتك ثم قال لي لا تكتب الا مواصفة

﴿ فصل في السعي ﴾

ان من يرى حال المسلمين الآن وما هم عليه من الخمول يرانهم يئسوا من الدنيا وعلقوا آمالهم بالآخرة وكان دينهم يأمرهم بذلك مع ان الدين الاسلامي حثهم على العمل لبلوغ السعادة في الدارين وفي القرآن الكريم (ان الارض يرثها عبادي الصالحون) أي الصالحون لعمارتها في أثر مشهور أعمل لدنياك كانك تعيش أبداً واعمل لآخرتك كانك تموت غداً .

وقد أدخل بعض الكذابين في الدين جملة مبادىء واحاديث تثبط

الهمم عن السعي سواء في المنفعة الشخصية أو العمومية مثل قوله (المؤمن مصاب) والفقير في الدنيا غني في الآخرة . واكثر سكان الجنة البله . والرزق كالظل ان سعيت وراءه يهرب منك وان تركته تبعك ـ ونحو ذلك وهذا كله خطأ عظيم . والحق هو ما ورد في القرآن من انه ليس للانسان الا ما سعى . وأماماجاء في القرآن من آيات التوكل مثل قوله تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه وقوله تعالى ان الله يحب المتوكلين . فلا ينافي ذلك ومعناه ان الانسان مهماسعى أو ترك السعي أو تحرك أو سكن فامره في النجاح والخيبه موكول الى الله فهو يسعى موجهاً وجهه الى الله متوكلا عليه مسلما أمره اليه طالباً منه التوفيق والنجاح وهو مما يزيده أقداماً في سعيه ولهذا جاء (فان أعزمت فتوكل على الله) فالتوكل بعد العزم

وقد بلغ اهل الفقر بسعيهم معالى المنازل وانحط العلية لكسلهم الى الحضيض واذا راجعنا تاريخ معظم العلماء الفضلاء وجدناهم عظاميين بلغوا المجد بالسعي كابن الزيات والزجاج والفرا ونحوهم ممن تدل أسماؤهم على أصولهم .

ومن تأمل وجد هذه الدنيا تنازع وقتال فمن لم يسع وينازع ويجد يهلك لامحاله وسواء في هذا الفرد أو الامة

فصل في الاقتصاد الشخصي والسياسي

الاقتصاد نوعين شخصي وسياسي . (فالشخصي) هو تدبير الفرد لماله بقصد توفيره وتمنيزه . (والسياسي) هو تدبير اجتماعي يقصد به انما ثروة الأمة

والتوفير هو الحد الوسط بين التقتير والتبذير وشرط ان يكون الانفاق أقل من الدخل بحيث تجمع ثروة من الدخل مع الزمان . ولهذا يلزم ان يكون لكل فرد ميزانية مقسمة على الابواب من مسكن ومأكل وملبس الخ

والتثمير هو استعمال الفضلة المذكورة في أبواب تربح فيها من تجارة وزراعه ونحوها . وكل الثروات العظيمة أصلها تثمير مال حقير واضافة ثمرته عليه . وما من عمل يستسهل الامتي صار عادة فاذا حاول المرء التوفير استصعبه في الاول حتى اذا تعوده واظب عليه ومتى وفرت عنده كمية من النقود شعر بقوة جديدة وذاق طعم الكسب فاثرى ونال بماله طيبات الدنيا ونفع غيره من الفقراء وهكذا

ولكي يستطيع الانسان التوفير يجب ان ينفق بحكمة . ومن أوجه الحكمة في ذلك ما يأتي : ـ

١ ـ ان يكون الانتفاع على قدر النفقة . أي لا تبذل درهماً الا بقدر ما تنتفع . فقد يشتري رجلان كل منهما بدلةً وتكون كلتا البدلتين لائقتين ومتساويتين في الثمن . على ان احداهما أمتن والاخرى أجمل . فصاحب البذلة الاولى اكثر حكمة من الآخر لانه انتفع اكثر ببدلته . مثال آخر : دخل رجلان الى أحد الملاعب في أوائل التمثيل ولما انتهي الفصل الاول ذهب أحدهما الى ملعب آخر فحضر فصلا فقط ثم ذهب الى ملعب آخر ايضاً . فالاول حضر تمثيل رواية كاملة ودفع ثمن « تذكرة دخول) واحدة . والآخر لم يحضر رواية كاملة ومع ذلك دفع ثمن ثلاث « تذاكر » فذاك من غير بد كان أوفر حكمة من هذا لانه تمتع بالتمثيل اكثر . وقس على هذين

المثلين امثلة كثيرة تبين طرق الاسراف والحكمة في الانفاق

٢ ـ اقتناء اللازم فقط . اي لا تقتن الا ما انت في حاجة اليه لا كل ما تشتهيه لان الانسان يشتهي كثيراً ولكنه يحتاج قليلا . فقد تبصر عصاً جميلة فتشتهي ان تقتنيها ولكنك لا تحتاجها لان عندك عصاً . ومن الاسراف ان تبتاع بذلة وعندك بدلات كافية . ومن الحماقة ان يقتني الصانع مركبة او يستكن قصراً فخيماً وهو لا يكاد يكسب نفقتها .

٣ ـ ان تكون درجة المعيشة مساوية للمكانة الاجتماعية . اي ان تنفق على معيشتك بحسب مقتضى منزلتك في الهيأة الاجتماعية وكل ما تنفقه علاوة على ذلك تخسره لانه لا داعي له ولا فائدة منه ولا سيما اذا كان يذهب في سبيل الجاه والمظهر لان تطاول المرء الى حالةٍ ارفع من حالهِ قلما ينتهي بغير الهوان . وقد يكتسب بعض الناس ولا سيما الشبان كثيراً ولكن ليس كل ما يكتسبه المرء يجب ان ينفقه . بل يجب ان يكون الانفاق بحسب الاقتضاء مهما كان الدخل وفيراً . والفاضل عن النفقة اللازمة يوفر . ومن الحماقة ان ينفق الموسر كل دخلهِ على ما هو في غنى عنه

٤ ـ ان يكون الخرج اقل من الدخل في كل حال والا استحال على الانسان أن يدخر ثروة ولو زهيدة لينفقها في ايام عسره . واذا كان دخل المرء لا يكفي نفقاته فالاولى به ان يغير حال معيشته وافضل له ان ينزل درجة من مكانته من ان يبقى فيها وهي متداعية متقلقلة لئلا يسقط منها ويكون سقوطه هائلا

على أن بعض الناس يحاولون ان يتظاهروا اكبر مما هم أما ليطاولوا من هم اكثر وجاهة منهم أو لكي يحافظوا على جاه كان لهم فكادوا

يخسرونه بحكم صروف الايام . وانما هم يحاولون ادراك ما هوفوق طاقتهم لانهم يخجلون من مظهر الفقر . ولو انعموا النظر فى حالتهم ومصيرهم لرأوا ان تلك المحاولة تؤدي بهم الى الفقر طبعاً لانهم وهم يظهرون أرفع من منزلتهم ينفقون اكثر مما يكسبون ومآل هـذا الى الدين طبعاً والدين باب الخراب

والحقيقة ان الفقر لا وجود حقيقى له لانه مهما كان المرء معسراً اوقليل الدخل يمكنه ان يكون غنياً اذا جعل نفقته أقل من دخـله وان كان ذلك صعباً في بعض الظروف . وهو ليس بصعب الا على من يستحي من مظهر الفقر كما قلنا متى كان يتطلع الى من هم أرفع منه ولـكن اذا كان ينظر دائما الى من هم دونه يجد نفسه غنياً

فالاسلوب الذي يتخذه هؤلاء المغرورون للهرب من الفقر هو نفسه مفضٍ بهم اليه ولا نجاة من الفقر الذي يتحاشونه الا بأن يتظاهروا بهـ كي يتسنى لهم التوفير والتثمير بغية جمع ثروة تنتشلهم من وهدة الفقر التي يحاولون الصعود منها

٥ ـ النقد في الحال . أي ان تدفع ما تبتاعه أو يستحق عليك في حينه وهذا يستلزم ألا تشتري شيئاً بالنسيئة ولا تستدين لتشتري على أمل ان تقبض أجرتك أو تستوفي مالك بعد حين فتدفع ما عليك . ذلك لانك لا تعلم ما اذا كنت تقبض ما يستحق لك ولا تعلم ما قد يطرأ عليك من الاحتياجات التي هي ألزم لك مما تبتغي ان تقتنيه بالنسيئة . فاعتبر انك لاتملك من النقود إلا ماهو في جيبك فقط وان الذي لك من المال أو الاجرة

عند الغير ليس لك مادام في قبضة غيرك . فاذا اعتمدت على هذه القاعدة نجوت من الدين

ثم لا يخف عليك أن ما تبتاعه بالنسيئة من حوانيت التجارة هو أغلى مما تدفع ثمنه في الحال لان التاجر يضيف الى ثمنه ربعه وذلك في مقابل فائظه وافتراض عجزك عن دفعه . فترى اذاً ان النقد في الحال ينجي من الدين والغبن

٦ ـ القيد . أي ان تقيد في دفترك الخصوصي دخلك وخرجك يومياً لتعلم مالك وما عليك فلا تقع في ورطة الدين . واذا لم تفعل ذلك بل بقيت جاهلا مالك وما عليك لم يكن لك ما يكف يدك عن الاسراف

٧ ـ التوفير اليومي . أي أن تفرز كل يوم أو أسبوع أو شهر قدراً معيناً من دخلك وتحبسه عنك كأنه دين عليك توفيه .

هذا ويجب على كل انسان ان يراعي أموراً كثيرة في اعماله حتى يفوز بالنجاح والغنى منها

العزم أي الاقدام على العمل بلا تردد . وهو أول ما يطلب للعمل ويشترط فيه ان يكون مسبوقاً بتدبر العمل جيداً وبالاستيثاق من الطاقة عليه ومن الحصول على نتائج تساوي القوى المبذولة له وان يقترن به التصميم على الاجتهاد والثبات والاحتمال

يقال « كل ابتداء صعب » ولا شك في هذا القول لان الانتقال من الفكر الى العمل تغيير للمألوف وتغيير المألوف صعب على ان هذه الصعوبة تزول بعد الاستمرار في العمل برهة حتى يألفه المرء ويتعوده ويهتدي الى مناهجه القويمة السهلة .

ينظر الانسان الى العمل الذي لديه فيرى ان يستلزم جهداً عظيما ويشغل وقتاً طويلا فيضجر منه قبل ان يشرع به ويتخوف منه قبل ان يعالجه ولذلك يتردد بالاقدام عليه وكلما طال تردده استعظمه ووهن عزمه وأخيراً يرجع عنه خاسراً فوائده . فمتى تأكدت ان عملك ينجح فلا تنظر اليه كله دفعة واحدة لئلا يهولك أمره بل أنظر الى كل جزء منه في يومه ومتى أتممت هذا الجزء في حينه كما يجب فكان عملك كله قد تم أي ان الاجزاء الباقية منه تتم كما تم ذلك الجزء

هذا من حيث الاعمال والمشروعات المحدودة الاجل . وأما الاعمال الدورية التي تعمل كل يوم على التوالي فالاقدام لازم في ابتدائها الى ان يعتاد عليها فتسهل مزاولتها .

ومنها الحزم اي ضبط الرأي في العمل والاخذ فيه بالثقة . وهو واجب في كل جزء من العمل . ويشترط فيه ان يكون أسلوب العمل منظما في الفكر . وان امكن ففي لائحة أو رسم ايضاً كمقتضى الحال لكي تعلم مداخله ومخارجه وتوزع اجزاؤه على القوى العاملة والاوقات المعينة الكافية . فاذا دخلت في العمل من غير ان تصور اسلوبه في ذهنك لا تدري بعد ذلك كيف تخرج منه ولا بدع ان تخطئ في عمله فيذهب تعبك سدى

فالبناء لا يحكم بناء قصر مالم يرسم شكله ولو في مخيلته ليعلم كيف يضع اساسه ويرتب نوافذه واروقته الخ . والنجار لا يقدر ان ينجز خزانة مالم يرسم شكلها او يتصوره لكي يعلم كيف يقطع الاخشاب لها . والتاجر لا يقدر ان يشرع بتجارة قبل ان يدون قائمة بالاصناف التي يستوردها لمحله ويحدد اسعارها الخ . وهكذا سائر الأعمال تحتاج الى ترو وتدبر على انها تتفاوت

من هذا القبيل فبعضها يحتاج الى حزم اكثر من الآخر

فلا تقدم على عمل ما لم تضع له مثالاً في بالك او في اوراقك ولو تعذر عليك ضبط المثال كما يجب فانك تستدل به على مواقع الخلل فتصلحها في اثناء العمل ولهذا يجب ان تتفكر كل يوم بعمل الغد وما بعده ما استطعت ولا يخفى عليك ان فساد اكثر الاعمال وخسارتها ناجمان عن التسرع بها وعدم الاستبصار في اسلوبها

ومنها المزاولة - المزاولة معالجة العمل ومحاولته للتوفق الى إحكامه واتقانه بسهولة . ومهما كان العمل صعباً وطريقته متعذرة على العامل فبالمزاولة يتقنه ويتعود طريقته . وكم من الاعمال التى نراها أو نسمع بها نعجب من اقتدار ذويها على إحكامها . واذا علموا هم بتعجبنا تعجبوا منا لانهم لا يتكلفون عناء ولا يقدحون زناد الفكر لكي يعملوها .

خذ مثلا الذين يلعبون على الآلات الموسيقية تجدانهم يضربون أصعب الالحان من غير افتكار وربما يتكلمون حديثاً طويلا وهم يضربونها ولا يغلطون

واذا تأملت أعمال الانسان الاكتسابية رأيتها كلها نتيجة المزاولة . فلولا مزاولة القراءة طويلا لما كنا نفهم الكلمات باقل من لمحة حتى اننا نستوعب من الكتاب في ساعة مالا يمكن ان يلقيه علينا المتكلم في ساعتين وقس على القراءة غيرها

فاذا استصعبت عملا في باديء الامر فلا تيأس من استطاعة أحكامه لان مزاولته والتمرن عليه يجعلانه بعدئذ عادة من عاداتك . وكم من

اناس لا يحسنون عملا لانهم يضجرون لاول عهدهم في العمل ويقطنون من أحكامه فيتركونه خاسرين

ومنها الاجتهاد - وهو بذل الطاقة في تحصيل أمر مستلزم للكلفة والمشقة . ولا نظن عملا يتم بلا اجتهاد ما دام كل عمل لا يتم الا ببذل قوة على ان بعض الناس يستخفون ببعض الاعمال فلا يفرغون لها ما تستحقه من اجتهادهم فيخسرون أثمارها . والعمل والاجتهاد في كفتي ميزان اذا خف الاجتهاد هبط العمل ولهذا وجب الاهتمام بكل عمل اكثر من ستحقاقه لكي يتم

وبعض الناس يتوهمون ان وسعهم أقل مما يقتضيه العمل فيتقاعدون عنه فهم الكسالى . ومتى أصيب المرء بداء الكسل ضعفت همته ووهنت عزيمته وأصبح لا يستطيع العمل الحقير بعد اذ كان يتقاعد عن العمل الخطير فقط وأصبح في آخر القوم في سبيل الحياة وعاش مرذولا

وهمة الانسان ونشاطه يقويان بالاستعمال لجميع اعضائه ويضعفان بالكسل والتقاعد . فاذا أقدم الانسان على الاعمال العظيمه واستكد قواه وبذل وسعه الى ان يجتني ثمرة عمله نشط الى عمل أعظم وعلت همته واتسعت طاقته

فاي عمل تعمله مهما كان صغيراً وجه اليه كل عنايتك واجتهد فيه اكثر مما يستحقه لكي تحسنه وتتمه في حينه . واحذر ان تعدي بداء الكسل فهو آفة السعادة

ومنها الثبات - الثبات هو الاستمرار في العمل بلا انقطاع عنه الى البطالة . وفي الاقوال المأثورة «الثبات عنوان النجاح» ولا شك في ان

الذين نجحوا هم الذين ثبتوا في أعمالهم ولم يضيعوا اوقات العمل في اللهو والبطالة .

ولا يخفى ان اكثر الاعمال تكون في أوائلها قليلة الفائدة فيرى ذووها انهم يستفيدون اقل مما يبذلون فيها من قواهم فيزهدون عنها ويهملونها تارة ثم يعودون اليها أخرى فتتلاشى فائدتها تدريجاً ويضيع اجتهادهم الاول فيها ادراج الرياح . والاجدر بمثل هؤلاء ان يثبتوا في عملهم الى النهاية اذ لابد ان يجتنوا منه أثمار اتعابهم اذا كانوا مصيبين فيه

فلا بد من العناية والاجتهاد العظيمين فى أول الأمر . فالتاجر مثلا يصرف مالا كثيراً ويسعى طويلا في السنة الاولى من غير جدوى وقد يخسر بعض الخسارة ولكن متى اشتهر محله وكثر زبائنه راجت تجارته واخذ ربحه يتزايد تدريجاً وتعبه يقل

ومنها المواظبة ـ المواظبة هي الاستمرار في العمل بلا انقطاع الى غيره . والفرق بينها وبين الثبات زهيد كما ترى في تعريفهما فما قيل فيه يقال فيها . ويزاد ان بعض الناس يبتدئون بعمل ما حتى اذا اتموا بعضه يئسوا من الحصول على الفائدة التي يرجونها منه او ضجروا منه لطول المدة التى يستغرقها او كرهوه لاسباب اخرى فيعدلون عنه الى غيره كما كان معه وهكذا يبتدئون باعمال كثيرة ولا يتمونها فيصرفون قواهم فيها من غير ان ينتفعوا بشيء منها

مثال ذلك شرع بعضهم يحترف النجارة بعد ان انشأ معملا جهزه بالمعدات اللازمة ولم يكن فى اول الامر ملماً كل الالمام بهذه الصناعة ومعمله لم يشتهر بعد فلم يكسب منه الا اليسير فزهد فيه . وما انقضت السنة الاولى

حتى باع المعدات بأبخس الاثمان وتعاطى التجارة بالاقمشة فلم يربح في السنة الاولى ربحاً كافياً فباع تجارته رخيصة وصار يطلب عملا أو خدمة

وهكذا نرى بعض الشبان المتسرعين ييأسون سريعاً ويتركون مشروعاتهم قبل ان يأون آن اجتنائها . ذلك بعد اذ يكونون قد أنفقوا جانبا من قواهم فيها . ولو واظبوا عليها الى ان يبرعوا ويشتهروا بها لانتفعوا منها منافع تفوق اجتهادهم . ومهما كان العمل وضيعاً وقليل الربح فالثبات فيه والمواظبة عليه يجعلانه شريفاً ووافر الكسب

والذى يحمل الشبان غالباً على التردد في الاعمال والتنقل بينها هو اتساع مطامعهم وقلة كفاءتهم وعدم اهتدائهم الى المهنة التي توافقهم - فالأولى بهم ان يكثروا من استشارة من هم أخبر منهم عن الاعمال التي يميلون اليها ويسترشدوهم في مشروعاتهم . وعليهم هم ان يعملوا الفكرة في نتائج أعمالهم قبل الشروع بها ويتروّوا جيداً ويتحروا كل أمر ولا يقدموا على عمل قبل التثبت من حقيقة أحواله وفوائده وكفاءتهم له

ومنها الترتيب - وضع الشيء في محله واتمام الامر في حينه . ولزومه للعمل كلزوم القانون للحكومة فكما ان البلاد التي بلا قانون تكون في فوضى واضطراب كذلك الاعمال التي بلا ترتيب . والترتيب يسهل أصعب الاعمال ويحل أعقد المشاكل . وأحقر الأعمال بلا ترتيب يقتضي مشقة وعناء عظيمين

ولا يخفى أن الاصابة في الترتيب لا يتوصل اليها الا بذكاء شديد وفكرة حادة وعلم واسع وبعد اختبار ومزاولة طويلة . ولهذا ترى أصحاب الاعمال الخطيرة كمديري المصارف والسكك الحديدية وأصحاب المعامل

أعظمي وغيرهم الذين مهروا بالترتيب يديرون حركات أعمالهم بغاية الدقة والضبط في وقت قصير بكل راحة وهم في مجالسهم فيوزعون الاعمال على العمال كل حسب طاقته وأهليته ويضربون لها مواعيدها الموافقة ويعينون آجالها الكافية فتستمر حركات العمل بكل نظام كما تتحرك الآلات الميكانيكيه بيد محرك واحد

فانظر دائماً الى عملك نظرة عامة ورتب اجزاءه بعضها بعد بعض حسب الاقتضاء لكيلا يقف الواحد منها في سبيل الآخر . ولسهولة الترتيب دون سلسلة أعمالك في صحيفة قبل الشروع بالعمل وعين لكل جزء منها وقته ومحله وجميع الاحوال المرافقة له لكي تكون على بينة من الواجبات التي يطلب منك القيام بها . واحذر أن تعين موعداً واحداً لعملين أو لمقابلة اثنين . وحدد دائماً الاوقات والمواعيد وأوضحها . واياك ان تتأخر عن مواعيدك لان الغاء حلقة من سلسلة ترتيبك تشوش نظام كل أعمالك على الغالب

ثم رتب مواد أعمالك وأمتعة محلك ومعداته وضع كل صنف منها في محله اللائق به لكي تهتدي اليه حينما تحتاجه . ولا مشاحة ان العمل في المحل غير المرتب وبين المواد المختلطة يستغرق وقتاً أطول ويستلزم وسعاً أكثر ويكلف عناء أشد مما لو عمل في محل مرتب وبين مواد موضوعة في محلاتها اللائقة بها . وقد قيل في الترتيب يوفر نصف الزمن

فابتدئ بالترتيب من أحقر الامور ومن أصغر المحلات لكي تتعوده ويصير ملكة في خلقك وتصيبه في كل أمر . رتب أولا غرفتك الخاصة لكي تقدر ان ترتب محل عملك . ورتب ذهابك وايابك وزياراتك وتنزهاتك

الخ . لكي تعرف أن ترتب أعمالك . رتب كل أمر لكي تبقى مستريحاً ولا يغضبك خلل لا تتوقعه وخسارة لا تنتظرها اذا نجما عن عدم الترتيب

ومنها الاتقان ـ الاتقان عمل الشيء أحسن ما يمكن لكي يفوق على سواه . ولا مشاحة ان المصنوعات المتقنه أي المتينه والجميلة أروج من سواها . وكذلك الاعمال التي تعمل بعناية وتتم على أحسن ماترام يختار عاملوها لعمل أمثالها دون سواهم ـ كل ذلك تبعاً لناموس « ايثار الافضل »

واذا بحثت عن أسباب تقدم الافراد ونجاحهم رأيت ان اتقان أعمالهم كان من جملة الاسباب الجوهرية . فالصانع اذا كانت مصنوعاته متينة وجميلة يقبل عليها الناس وتشتهر مع الزمان فيغزر مورد كسبه وكذلك المستخدم اذا اعتنى بعمله كما يجب وأتم واجباته بغاية الدقة والضبط فضل على سواه من المستخدمين . والطبيب اذا لم تبد منه دلائل العناية والاهتمام بالعليل عدل الى سواه . وقس عليه المحامي والتاجر وكل ذي عمل

وبعض الناس يعتذرون عن عدم اتقانهم أعمالهم وعدم أحكامهم مصنوعاتهم بانها تكلفهم كثيراً والناس يرغبون في الرخيص . على أنهم يربحون منها ربحاً زهيداً لا يساوي عنايتهم بها أو لا يربحون . والحقيقة انهم مخطئون لان اشتهار مصنوعاتهم أو بضائعهم بجودتها مع اعتدال أثمانها يجعل اقبال الناس عليها عظيما جداً . فمهما كان الربح من السلعة قليلا فكثرة البيع منها تجعل الربح كثيراً

نعم ان الاغبياء ميالون الى الرخيص من السلع ولكنهم متى جربوه ورأوا انه سريع الزوال عدلوا عنه الى الغالي فاذا كان ثمنه معتدلا ظهر لهم الفرق وتأكدوا صحة القول الدارج . « الغالي رخيص » . على ان البلاد

لا تعدم اناساً عقلاء يميزون بين الغث والسمين ويفضلون الغالي لاتقانه وجودته على الرخيص المزخرف الذي لا يكاد يفرح مقتنيه به حتى يحزن من فنائه .

ولا ننكر ان المستجد في صناعته أو تجارته اذا كانت مصنوعاته متقنة وبضاعته جيدة فلا يربح في بادئ الامر وقد يخسر بل لا بد له من تضحية التعب والخسارة فى العام الاول الى ان يشتهر بجودة سلعه وثم الاقبال على بضاعته يكفل له التعويض من الخسارة بالربح الوافر .

وما يقال عن اتقان التجارة والصناعة يقال أيضاً عن سائر الاعمال بلا استثناء لان كل عمل يقتضي عناية واتقاناً مهما كان طفيفاً . فتعود الاتقان ولو كنت تعمل مجاناً لانك اذا أتممت عملك كما يجب اكتسبت اقبالا عليه باهراً وسمعة حسنة . هذا ورواج العمل غير المتقن لا يدوم فلا تغرنك من صنعك الذي لم تحكمه كما يجب فانه غش لا يلبث ان يظهر فيبتعد عنه الناس

ومنها الشهرة . الشهره في حسن العمل من أركان العمل الجوهرية أيضاً . فاذا لم يعلم الناس أمر العامل فكيف يعاملونه ويقبلون على عمله ولهذا ترى التاجر يجتهد في نشر الاعلانات عن بضائعه وجودتها وحسن معاملته وطرقها . وكذلك الصانع والزارع والمحامي والطبيب الخ . وقد تحقق الخبيرون ان الاعلانات أفضل الوسائل للشهرة ولهذا تراهم يبذلون الدراهم عليها بسخاء ويتفننون فيها كل يوم فناً جديداً ويعرضون من أعمالهم أو بضائعهم ويهبون بعضها هبات لكي يراها الناس ويقبلوا عليها . وشرط الشهره ان يكون المشهر متقناً ومرضياً والا فاشهاره يذهب أدراج الرياح

ومنها الوقت. يقال ان الوقت من ذهب أي انه ثمين جداً فاذا اضعت منه شيئاً فكأنك أضعت جزءاً من مالك . ولا ريب بذلك لانك في ذلك نتيجة العمل تساوي القوة المبذوله له مضروبة بالوقت . فاذا كنت تكسب في النهار ريالا فاذا تركت الشغل نهاراً فكأنك خسرت ذلك الريال . وبطالة ساعه قد تفقد كسب عدة أيام

ولا يخفى ان العمر كله جهاد في العمل فلكل يوم من أيام حياتك عملٌ . واذا لم تعمل في يومك عمله ضاعت عليك فائدته . وما أجهل الذي يؤجّل عمله الى حين غير حينه لانه اذا كان الحين المكرّس لعمل ما قد ضاق عنه فالحين الذي أجل اليه يكون أضيق لانه قد كرس لعملين عمله وعمل الحين السابق

فانظر دائماً الى أوقاتك المقبلة ولاحظ الاعمال الموزعة عليها وتممها فيها ولا تؤجل عملا الى حين غير حينه لئلا تثقل عليك الواجبات فتعجز عليها وتتشوش كل أعمالك ويختل نظامها . والافضل ان ترسم لائحة بأعمالك وتضعها في أقرب المواضع اليك لكي تذكر بسهولة الواجبات المطلوبة منك قريباً

وليس الغرض من اغتنام الوقت تكريسه كله للعمل بل تقسيمه تقسيما موافقاً للحياة حيث يصيب الراحة والسرور منه كفافهما لانهما لازمان للحياة لزوم العمل لها . وعلى قاعدة ان « لكل شيء وقت » لايجوز ان تغتنم ساعة السرور من وقت العمل كما يفعل الذي يستخفهم اللهو حتى اذا سنحت لهم فرصة سرور تركوا عملهم واغتنموها فكن منصفاً بين العمل واللهو واحفظ لكل منهما وقته وعلى هذه القاعدة الثابتة شاد عظماء الناس نجاحهم

ومنها العطلة يوم الاسبوع ليست القوى الجديدة والعقلية مدخرة في الحيوان – انساناً أو اعجم – ادخاراً بل تتجدد فيه مع الزمان بحيث كلما نفد الحاصل منها بدا غيره حسب مبدإ الحياة ودرجة البنية وحالة النمو . ولهذا وجب على الانسان ان يبذل منها قدر ما يحصل أو أقل منه في حينه والا فاذا استنفدها عاجلا واستكد نفسه فكانه يستعجل الفناء والاضمحلال . انما القوى كضرع الشاة اذا حلبته كل هنيهة جف ونضب أخيراً . فكم من أناس عجزوا وشاخوا ولاقوا حتفهم وهم في دور الشبيبة لافراطهم في الاجتهاد واستمرارهم في العمل

وقد رأت الحكومات المتمدنة ان عطلة يوم في الاسبوع لازمة للعمران والا انهك العملة اما لطمعهم أو لحاجتهم فحرمت العمل يوم الاحد تحريماً مطلقاً

فصل في أبواب الرزق

ان أبواب الرزق في الاصل ترجع الى أربعة وهي الزراعة والتجارة والصناعة والامارة (أي الخدمة في الحكومة ونحوها) ولكل من هذه الابواب وما يتفرع عنها علوم يجب تعلمها لمن يريد الوصول اليها والارتزاق منها . وقد تعددت العلوم لهذا في العمران حتى جاوز عديدها الف علم . وليس في وسع الانسان ان يحيط بها جميعها أو يجمع بينها . ولكن كل يختص منها بفن واحد . فيبلغ منه وبه غايته

فصل في ذم الاحتكار

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بئس العبد المحتكر ان أرخص

الله الاسعار حزن وان أغلاها فرح وفي رواية ان سمع برخص ساءه وان سمع بغلاء فرح وروي أبو الليث السمرقندي رحمه الله عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال الجلاب مرزوق والمحتكر ملعون وروى وقال علي رضي الله عنه من احتكر الطعام أربعين يوماً قساقلبه وعنه انه أحرق طعام محتكر بالنار كذا نقله الغزالى عنه في الاحياء وحكى الغزالى رحمه الله عن بعض السلف انه كان بواسط فجهز سفينة حنطة الى البصرة وكتب الى وكيله بع هذا الطعام يوم يدخل البصرة ولا تؤخره الى غد فوافق بيعه في السعر فقال له التجار ان احتكرته ربحت اضعافه فاحتكرته وربح فيه أمثاله وكتب الى صاحبه بذلك فكتب اليه صاحب الطعام ياهذا انا كنا قنعنا بربح يسير مع سلامة ديننا وانك قد خالفت وما نحب أن نربح أضعافه بفساد شئ من الدين وقد جنيت علينا جناية فاذا أتاك كتابى هذا فخذ هذا المال كله رتصدقه به على فقراء البصرة وليتني أنجو من الاحتكار كفافا لا على ولا لى

فصل في آداب التاجر

آدابه أن يتعلم أحكام البيع والشراء وقد ذكر الغزالى عن عمر رضي الله عنه أنه كان يطوف في السوق ويضرب التجار بالدرة ويقول لا يبيع في سوقنا الا من تفقه ولا أكل الربا شاء أو أبى قال عطاء في قوله عليه الصلاة والسلام اذا مررتم برياض الجنة فارتعوا قالوا يارسول الله وما رياض الجنة قال حلق الذكر الذكر هو مجالس الحلال والحرم كيف تشتري كيف تبيع وتصلي وتصوم وتحج وتطلق وأشباه ذلك ومنها أن يكون سمحاً في الاخذ

والعطاء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يحب سمح البيع سمح
الشراء سمح القضاء وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أطيب الكسب
كسب التجار الذين اذا حدثوا لم يكذبوا واذا ائتمنوا لم يخونوا واذا وعدوا
لم يخلفوا واذا اشتروا لم يذموا واذا باعوا لم يمدحوا واذا كان عليهم لم يمطلوا
واذا كان لهم لم يعسروا وكان على رضي الله عنه يدور في سوق الكوفة بالدرة
ويقول معاشر التجار خذوا الحق واعطوا الحق تسلموا لا تردوا قليل الربح
فتحرموا كثيره وقيل لعبد الرحمن بن عوف ما سبب يسارك قال ثلاث
مارددت ربحاً قط ولا طاب مني حيوان فأخرت بيعه ولا بعت بنسيئة
ومما يتأكد وجوبه عليه محافظة الصلاة في وقتها قال ابن مسعود وابراهيم
في قوله تعالى فخلفوا من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة أخروها عن وقتها
قال سعيد بن المسيب هو ان لا يصلي الظهر حتى يأتي العصر ولا العصر حتى
تغرب الشمس وقيل للحسن البصري رحمه الله أصليت قال لا قيل ان
أهل السوق قد صلوا قال من يأخذ دينه من أهل السوق ان نفقت أسواقهم
أخروا الصلاة وان كسدت عجلوا بها قال الغزالي رحمه الله جاء في تفسير قوله
تعالى رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله انهم كانوا حدادين وخرازين
وكان أحدهم اذا رفع المطرقة أو غرز الاشفاء فسمع الاذان لم يخرج الاشفاء
من المغرز ولم يرفع المطرقة ورمي بها وقام الى الصلاة وحكى بعضهم عن
بعض الحكماء انه قال اذا لم يكن في التاجر ثلاث خصال افتقر في
الدارين جميعاً أولها لسان نقي من ثلاثة من الكذب واللغو والحلف والثاني
قلب صاف من ثلاثة الغش والخيانة والحسد والثالث نفس محافظة على ثلاثة

الجمعة والجماعات وطلب العلم في بعض الساعات وايثار مرضات الله تعالى على غيره

قال الله تعالى ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها وقال تعالى انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين ان يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوماً جهولا قال ابن مسعود رضى الله عنه الامانة أداء الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت وصدق الحديث وقضاء الدين والعدل في المكيال والميزان وأشد من هذا كله الودائع وعن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال آية المنافق ثلاث اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا ائتمن خان رواه البخاري ومسلم وعنه أيضاً ان رسول الله صلى الله عليه مر على صبرة طعام فأدخل يده فيه فنالت أصابعه بللا فقال ما هذا ياصاحب الطعام قال أصابته السماء يارسول الله قال أفلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس من غشنا ليس منا وروى عن ابن عمر رضي الله عنهما قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بطعام وقد حسنه صاحبه فأدخل يده فيه فاذا طعام رديء فقال بع هذا على حدة وهذا على حدة فمن غشنا ليس منا رواه احمد وروي ان أبا هريرة رضي الله عنه رأى انسانا يبيع لبنا فنظر اليه فاذا هو قد خلطه بالماء فقال كيف بك اذا قال لك يوم القيامة خلط الماء من اللبن رواه البيهقي وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ايمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل يقول أنا ثالث الشريكين ما لم يخن أحدهما صاحبه فاذا خانه خرجت من بينهما وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم البيعان بالخيار ما لم يتفرقا أو يختارا فان صدقا بورك

لهما في بيعهما وان كتما وكذبا محقت بركة بيعهما وحكى ابن الجوزي أن لبانا
كان يخلط الماء باللبن ويبيعه فجاء السيل فأغرق غنمه فجعل يبكي ويقول
اجتمعت تلك القطرات فصارت سيلا وقال بعضهم أتى على الناس زمان كان
الرجل يدخل السوق ويقول من ترون لي أن أعامل من الناس فيقال عامل
من شئت ثم أتى على الناس زمان آخر كان يقال عامل من شئت الا فلانا
وفلانا ثم أتى وقت آخر فيقال لا تعامل أحدا الا فلانا وفلانا وأخشي أن
يأتي زمان يذهب هذا أيضاً قال الغزالي رحمه الله فكأنه قد كان الذي خاف
أن يكون انا لله وانا اليه راجعون وقال الغزالى أيضاً يقال انه يوقف التاجر
يوم القيامة مع كل رجل باعه شيأ وقفة ويحاسب على كل واحد محاسبة على
عدد من عامله قال الغزالي قيل انه اذا أثنى على الرجل جيرانه في
الحضر وأصحابه في السفر ومعاملوه في الاسواق فلا تشكو في صلاحه وقال
أيضاً وشهد عند عمر رضي الله عنه شاهد فقال ائتني بمن يعرفك فأتاه
برجل فأثنى عليه خيراً فقال له عمر أنت جاره الادنى الذي يعرف مدخله
لامخرجه فقال لا فقال كنت رفيقه في السفر الذي يستدل به على مكارم
واخلاق فقال لا فقال عاملته بالدينار والدرهم الذي يستبين به ورع الرجل
فقال لا قال أظنك رأيته في المسجد يهمهم بالقرآن يخفض رأسه طورا ويرفعه
أخرى قال نعم قال اذهب فلست تعرفه فقال للرجل اذهب وائتني بمن يعرفك

وروى مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال اياكم وكثرة الحلف
في البيع فانه ينفق ثم يمحق وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة لا يكلمهم
الله ولا ينظر اليهم يوم القيامة ولهم عذاب اليم المسبل ازاره والمنان والمنفق
سلعته بالحلف الكاذبة وفى الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال

ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر اليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم رجل على فضل ماء بفلاة يمنعه ابن السبيل ورجل بايع رجلا بسلعة بعد العصر فحلف بالله لاخذها بكذا وكذا فصدقه فأخذها وهو على غير ذلك ورجل بايع اماماً لا يبايعه الا للدنيا فان أعطاه منها ما يريد وفي له وان لم يعطه لم يف له وفي رواية نحوه وقال رجل حلف على سلعة لقد أعطي بها أكثر مما أعطى وهو كاذب ورجل حلف على يمين كاذبة ليقتطع بها مال امريء مسلم ورجل منع فضل ماء فيقول الله عز وجل له اليوم أمنعك فضلي كما منعت فضل مالم تعمل يداك وفى الخبر ويل للتاجر وويل للصانع من غد وبعد غد

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن أحدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم لما بايع جريراً على الاسلام ذهب لينصرف فجذب ثوبه واشترط عليه النصح لكل مسلم وكان جرير اذا قام الى السلعة يبيعها يظهر عيبها ثم يخير وقال ان شئت فخذ وان شئت فاترك فقيل له انك اذا فعلت هذا لم ينفذ لك بيع قال انا بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على النصح لكل مسلم وكان واثلة بن الاسقع واقفاً فباع رجل ناقة له بثلثمائة درهم وغفل واثلة وقد ذهب الرجل بالناقة فسعى وراءه وجعل يصيح به وقال ياهذا اشتريته للحم أو للظهر فقال بل للظهر فقال ان بخفها نقباً قد رأيته وانها لا تبالغ السير فعاد فردها فنقصها البائع مائة درهم وقال لواثله رحمك الله أفسدت على بيعي قال انا بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على النصح لكل مسلم وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يحل لاحد يبيع بيعاً الا بين مافيه ولا يحل لمن يعلم ذلك الا تبيينه

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدين النصيحة قال الغزالي رحمه الله عن بعض الغزاة في سبيل الله تعالى انه قال حملت على فرسي لاقتل علجاً فقصر فرسي فرجعت ثم دنا مني العلج فحملت ثانية فقصر فرسي ثم حملت الثالثة فنفر مني فرسي وكنت لا أعتاد ذلك منه فرجعت حزيناً وجلست متنكس الرأس منكسر القلب لما فاتني من العلج ما ظهر لى من خلق الفرس فوضعت رأسي على عمود الفسطاط وفرسي قائم فرأيت في النوم كان الفرس يخاطبني ويقول أردت أن تأخذ على العلج ثلاث مرات وأنت بالأمس اشتريت لي علفاً ودفعت في ثمنه درهما زيفا فلا يكون هذا أبدا قال فانتبهت فزعا فذهبت الى العلاف وأبدلت ذلك الدرهم وقال بعضهم انفاق درهم زيف أشد من سرقة مائة درهم لان السرقة معصية واحدة وقد تمت وانقطعت وانفاق الزيف بدعة أظهرها في الدين وسنة يعمل عليها من بعده فيكون عليه وزره بعد موته الى ان يفنى ذلك الدرهم

وقال الله تعالى ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ألا يظن أولئك انهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين وقال تعالى والسماء رفعها ووضع الميزان

وقوله تعالى ألا تطغوا يعني ألا تميلوا ولا تظلموا وتجاوزوا الحق في الميزان وأقيموا الوزن بالقسط بالعدل وقال أبو الدرداء وعطاء أراد أقيموا لسان الميزان بالعدل قال ابن عيينة الاقامة باليد والقسط بالقلب قوله تعالى ولا تخسروا معناه ولا تنقصوا الميزان ولا تطففوا في الكيل والوزن قال نافع رحمه الله كان ابن عمر رضي الله عنهما يمر بالبائع فيقول اتق الله تعالى أوف الكيل والوزن فان المطففين يقفون يوم القيامة حتى ان العرق ليلجمهم

الى انصاف آذانهم وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقوم الناس لرب العالمين حتى يغيب أحدهم في رشحه الى أنصاف أذنيه وقال يونس بن عبيد حضرت رجلا احتضر فقلت له قل لا اله الا الله فامتعض فألححت عليه فقال أدع الله لي فهذا لسان الميزان على لساني يمنعني من قولها قلت أفما يمنعك الا من قولها فقال نعم قلت وما كان عملك به قال ما أخذت ولا أعطيت به الا حقاً في علمي غير أني كنت أقيم المدة لا أفتقده ولا أختبره وكان بعضهم اذا أخذ نقص نصف حبة واذا أعطى زاد نصف حبة فكان يقول ويل لمن يبيع بحبة جنة عرضها السموات والارض وما أخش من باع طوبي بويل ونظر فضيل الى ابنه وهو يغسل ديناراً يريد أن يصرفه ويزيل تكحيله وينقيه حتى لا يزيد وزنه بسببه فقال يابني فعلك هذا أفضل من حجتين أو عشرين عمرة ولما نقص قوم شعيب الكيل والميزان أخذتهم الرجفة قال الكلبي الزلزلة

(حكايات) ذكرها الامام ابو حامد الغزالي رحمه الله في الاحياء (الأولى) روى عن يونس بن عبيد وكان خزازا فطلب منه خزا للشراء فأخرج غلامه سفط الخز ونشره ونظر اليه وقال اللهم ارزقنا الجنة فقال لغلامه رده الى موضعه ولم يبعه وخاف ان يكون ذلك تعريضاً للثناء على السلعة (الثانية) حكى عن بعض التابعين انه كان بالبصرة وله غلام بالسوس فجهز اليه السكر وكتب اليه غلامه ان قصب السكر قد أصابته آفة في هذه السنة فاشتر السكر فاشتراه فلما جاء وقته ربح فيه ثلاثين الفا فانصرف الى منزله فافكر ليلته فقال ربحت ثلاثين الفا وخسرت نصح رجل من المسلمين فلما اصبح غدا الى بائع السكر فدفع اليه ثلاثين الفا وقال بارك

الله لك فيها فقال ومن اين صارت لى فقال اني قد كتمتك حقيقة الحال وكان السكر قد غلا في ذلك الوقت فقال رحمك الله قد املمتنى الان وقد تركتها لك قال فرجع بها الى منزله وتفكر وبات ساهرا وقال ما نصحته فلعله استحيا مني فتركها لى فبكر اليه من الغد وقال عافاك الله خذ مالك اليك فهو اطيب لقلبي فاخذ منه ثلاثين الفا (الثالثة) يروى انه كان عند يونس بن عبيد حلل مختلفة الاثمان ضرب قيمة كل حله منها اربعمائة درهم وضرب ثمنها ما ئتا درهم فمر الى الصلاة وخلف ابن اخيه في الدكان فجاء أعرابي وطلب حلة بأربعمائة فعرض عليه حلة من حلل المائتين فاستحسنها ورضيها فاشتراها فمشى بها وهي على يديه فاستقبله يونس فعرف حلته فقال بكم اشتريت فقال بأربعمائة قال لا تسوي اكثر من مائتين فارجع حتى نردها فقال هذه تسوى ببلدنا خمسمائة درهم وأنا ارتضيتها فقال له يونس انصرف فان النصح في الدين خير من الدنيا وما فيها ثم رده الى الدكان ورد عليه مائتي درهم وخاصم ابن أخيه وقاتله فقال أما استحييت أما اتقيت الله تربح مثل الثمن وتترك النصح للمسلمين فقال والله ما أخذه الا ورضى به قال فهلا رضيت له ما ترضاه لنفسك

فصل في الصناعة

قال بعض الفضلاء ان الانسان نوع من أنواع الحيوانات الأرضية وانه قد أتي عليه حين من الدهر وهو على مقربة منها ينشأ نشأتها ويسير في عيشة سيرتها يتفيأ ظلال الاشجار ، ويستكن في الحجرة والاوكار ، ليس له شعار ولا دثار ، يقتات بنباتات وثمرات تحضرها له القدرة الآلهية ، على يد القوى الطبيعية ، لا تمسكها يد صناعية ولا تربية أجنبية ، ليس له من المكر

والتحيل الا ما لا يداني فيه الثعلب ، ولا من العلم والتدبير الا ما يبعثه على الغدو لطلب قوته من الاعشاب وثمار الاشجار والرواح للاستكنان في كن يواريه عن أعين الحيوانات العادية ، ولم يكن له من رفعة القدر ما يجلسه على كرسي سلطة الوجود ، ويقيمه متحكما في كل موجود ، بل كان ضعيفاً عاجزاً جاهلاً عارياً يزعجه كل حادث ،وتستفزه كل نبأة ، ويتهيب من على شكل وهيئة ، والشاهد على ذلك ما تحكيه لنا أحوال الامم التي كأنها قريبة عهد بالانسانية في جنوب أفريقيا والقبائل المستمرة في قمم الجبال والاجم والغابات البعيدة عن العمران البشري المعروف الذين لم تضطرهم الحاجات ولم تسقهم الضرورات الى الانتقال من مكان الى مكان فانهم لم يزالوا على بساطة الفطرة لا يفهمون خطاباً ، ولا يحسنون جواباً ، الا ما كان متعلقاً بضرورة الحياة لجلب قوت بسيط ومدافعة عاد من الحيوانات وجميع ما بعده الانسان المتمدن كمالا وانسانية فهم بعيدون منه ، عارون عنه ، مع بعد تاريخهم وامتداد زمن وجودهم على سطح الارض

الا أن مبدع الكون جلت قدرته لما اختص هذا النوع من بين الانواع الحيوانية بخاصة العجز والفقر والحاجة حيث جعل جميع لوازم حياته خارجة عنه لا تحصل الا بالتحصيل وليس تحصيلها الا بعد الكد والعناء وهبه قوة عاقلة كلية التصرف ، عامة القبول ، ووكل تربية هذه القوة الى مدرسة الوجود الكلي فكان لكل نبات وحيوان بل لكل موجود مشهود حق الاستاذية وسابق الفضل على نوع الانسان فاسترشد بأعمالها واهتدى بآثارها والتقط درر الحكم من فعلها وانفعالها ،وتدرج على ذلك شيأ فشيأ تارة يخطئ وتارة يصيب ، وطورا ينجلي له الحق وآخر عنه يغيب ،

مرة تعوقه العوائق القدرية والارادية عن ادراك الحقائق والوصول اليها ، وأخرى تجذبه الجواذب اضطراراً للوقوف عليها ، حتى وصل الى ماتراه من أحوله الغريبة ، وآثاره العجيبة ،

وان الانسان في سيره هذا يقطع عقبات المصاعب، ويخترق حجب الجهالات ، منقاداً في جميع ذلك لقائد الحاجة والضرورة يأتمر أمره ويتبع سيره تارة يتدرج الى الكمال فيقعده مقعد رئاسة الكون وسلطنة الوجود بما يرشده اليه من التفنن في الفنون واختراع الصنائع وأخرى ينحط به الى قعر جحيم الاوهام ويقذف به في جب الخرافات ويكبله بقيود الاعتقادات السخيفه ويغل يديه بسلاسل العادات والافكار الرديئة على ان جميع اعتقاداته الفاسدة الباطلة انما نشأت له من قياس حوادث الكون وظواهره على ما يصدر عن ذاته حيث جعل لها غايات تحاكي غاياته

وانه في جميع مراتبه لم يكن ليقيم ظهره بين الموجودات الا بدعائم الصنائع التي هدته الى اختراعها تلك القوة العاقلة الكلية لتكون له عوضا عما سلبه من اللوازم الضرورية والحاجية والكمالية التي منحت لغيره من الحيوانات بأصل الفطرة وليس ذلك بخاف على ذي شعور فان صنعة الحياكة مثلا قائمة مقام القوة الماسكة للجلود الغليظة المفرزة للشعر والاوبار الواقية من صولة البرد والحر بل القائمة مقام ترس يحفظ جوهر بدنه من تمزيق عادية غيره وصناعة الحديد والاسلحة منزلة منزلة القوة المولدة للمخالب والبراثن والانياب للسباع والضباع وعوادي الطيور وهكذا بقية الصنائع وما لم يقع منها مقام ضروري أو حاجي قام مقام كمالي

واذا كانت الصنائع هي قوام هذا النوع وعليها مدار بقائه في أي

مرتبة كانت رأينا من الواجب ان نعرف الصناعة ونقسمها الى أقسامها الاولية على ماقرره الحكماء الاقدمون وأوضحه الفلاسفة المتأخرون ليتبين كل صناعة على وجه الاجمال فنقول

الصناعة قوة فاعلة راسخة في موضوع مع فكر صحيح نحو غرض محدود الذات فالقوة منشأ الأثر مطلقاً فعلا كان أو انفعالا فالمعلم مثلا ذو قوة الفعل والمتعلم ذو قوة الانفعال الا ان قوة التأثر والقبول لا تعد صناعة ومن أجل ذلك قيدت بالفاعلة وليست قوة فاعلة صناعية مالم تكن تلك القوة راسخة في موضوعها تصدر عنها أعمال مستمرة على وجه منتظم فالقوة الحالية التي تعرض آنا وآنات ثم تزول ليست منها في شئ وما لم يكن فعلها تحت سلطان الفكر فلا تدخل في مفهوم الصناعة كالافعال الطبيعية من احراق النار وتمديد الحرارة وتجميد البرودة وما شاكل ذلك فان لم يكن الفكر صحيحاً كفكر السوفسطائي المنكر لبديهيات العلوم أو كان نحو غرض غير محدود الذات كاعمال الجدلي الذي أخذ على نفسه ان لا يقر قولا لقائل ايا كان حقاً أو باطلا فليس له حد يقف عنده بل قوته متوجهة الى معارضة مقابله فان كان نافيا كان هو مثبتاً وان كان مثبتاً كان هو سالبا فليس بصناعة

ثم ان نظر المرء في عالم الوجود الكلي علم علم اليقين انه وان وقع كثير من صوره وكمالاته تحت قوى طبيعية كقوى النمو والجذب والدفع أو قوى احساسية كقوى طلب الغذاء مثلا في الحيوانات أو الهرب مما يؤلم الجثمان الا ان عامة أفعاله واقعة على ترتيب عقلي محكم ونعني بالترتيب العقلي مايكون مبنيا على مراعاة الغايات والحكم وفوائد الكمال التي تعود على نظام الكل

وتبقى ببقائه فان العقل على خلاف الحس انما ينظر الكلي الباقي أولا ثم يتدرج منه الى الجزئي لا العكس

وان وضع هذا النظام العام قد خول الانسان من قوة العقل ما لم يخوله غيره وجعلها محور صلاحه وفلاحه ان وجهها صوب وجهتها الحقيقية فان استعملها لغايات طبيعية أو حسية أي قاصرة على موضوعها المودعة فيه لاتفيد سواه كأن يطلب بها تمية بدنه أو جلب مايلائم ذائقته أو نهامته وما يشبه ذلك فقد أضاع تلك القوة العالية الشريفة وسلخ عنها ثمرتها وانحط الى درجات الحيوانات بل النباتات التي لم تمنح تلك المنحة واما من حفظ نفسه من السقوط وأمسك عليها حق تلك الخاصه أعني العقل فهو الذي ينظر الى كلية العالم الكبير فيعلم ان نوع الانسان وسائر الانواع من لوازم كماله أو متمماته فيتوجه نحو حفظ ذلك الكمال ويوقن ان نوع الانسان لايحفظ بقاؤه في عالم الوجود الا بحفظ أشخاصه على التعاقب كما انبأنا اللطيف الخبير بما أودعنا من القوى المولدة والمصورة ويتحقق ان حفظ أشخاصه وأفراده انما يكون بالاجتماع والالتئام لما لكل فرد من كثرة الحاجات التي يضيق نطاق وسعه عن ان يأتي عليها في الازمنة المتطاولة مع اضطراره الى جميعها في الآن الواحد كما تراه في مواد الاغذية التي لاتحصل الا بزراعه وحصاد ودرس ثم وطحن وعجن وخبز وطبخ وهلم جرا وجميعها أيضاً تتوقف على صناعات كثيرة من حدادة ونجارة ونحوهما ولوازم الاكتساء من العرى وضروريات المدافعة والمكافحة كل ذلك لايكون الا بأعمال تستنفذ أجل الشخص الواحد في تعلمها فضلا عن تحصيل غايته منها فكيف به ان يستقل وهو محتاج الى ثمرات جميعها يوماً بيوم بل ساعة

بساعة فلا بد من التعاون في الاعمال ليعتاض كل عن ثمن عمله بثمرة عمل الآخر فيكون المجموع الانساني كبدن ذي أعضاء ويعمل كل عضو منه للبدن لتكون عاقبته لنفسه اذ لو طلب الاختصاص — مع انه لا بقاء له الا في ضمن المجموع — فقد طلب فقد نفسه من حيث لا يشعر فاذا علم جميع ذلك وضع نفسه عضوا حقيقياً وركناً ثابتا يقوم بأداء عمل يعود على كلية الافراد أولا من طريق كليتهم ويعود الى شخصيته ثانياً ومبدأ هذا العمل فيه هو الذي نسميه بالصناعة فمن لم يكن ذا عمل حقيقي يفيد المجتمع الانساني ويعين على انتظام الهيئة الكلية فهو كالعضو الاشل لافائدة منه على البدن الا تكلف حمل ثقله مع عدم التألم من ازالته فالاولى ابانته وقطعه بل ان كان لا يعمل ويسعى الى بقية الافراد في عدم العمل كالاباحية الذين يعتقدون انه لاملكية لاحد في مال ولا عرض حيثما جاعوا اكلوا أو شبعوا واقعوا ويبثون أفكارهم بين أفراد النوع ليقتدى الناس بأعمالهم ويسيروا بمثل سيرهم فيتركون الاعمال اتكالا على مابيد الغير حيث انه مباح لهم اذ تغلبت أفكارهم بطلت الصنائع وذهب مابيد الغير وما بأيديهم فيحتاجون الى الضروري من الاقوات وغيرها ولا يجدون فيهلكون

فأولئك كالامراض السارية مثل الجذام والزهري لابد من قطع العضو « المصاب » بها والقائه في النار لئلا يتعدى ضرر مرضه الى سائر البدن ومن هذا القبيل الفساق والفجار وان لم يكونو اباحيين فان أعمالهم قد تكون قدوة لغيرهم فيأتي من ضررهم ما أتى من أولئك فينبغي ان يعاقبوا ويؤدبوا ويحال بينهم وبين أعمالهم هذه بكل مايمكن وان كان بالتعذيب حتى يستقيموا

ومن الناس من مثله مثل الأمراض الغير السارية والاعضاء الزائدة كمن أصيبوا بالآفات المانعة لهم من تعاطي الاشغال كالكسحاء والبله والمعاتيه فلا بد ان يتحمل ثقلهم ان لم يمكن استشفاؤهم لما لهم من العذر القائم اذ حيث ان مدبر الكون قد حرمهم عطاء العقل أو عطل فيهم آلات خدمته فهو غير مطالب لهم بأداء فروضه أو قضاء حقوقه هؤلاء الا ان الحق الأعلى قد بث في النفوس وأودع في القلوب النفرة الكلية من وأولئك الذين لم يقوموا هؤلاء بالواجبات التي تقتضيها منهم صورة الانسانية فهم مبغوضون في النفوس مطرودون من زوايا القلوب ساقطون عن نظر الاعتبار بل هم ملعونون من أنفسهم أيضاً اذ يجد كل واحد منهم من نفسه عند ما يخلو بها انه خسيس منحط الدرجة رديء العاقبة وان كان شقاؤه يغلب عليه فيما بعد فانظر الى حكمة ربك كيف تنبه الغافل وتؤيد العاقل ولكن اكثرهم لا يعقلون

واما ذوو البطالات، ومن رفضوا الأسباب ووكلوا أنفسهم الى التوكل الكاذب اذ لم يتحققوا معنى التوكل وظنوا انه عبارة عن معارضة سنة الله التي قد خلت في عباده ودعوا ذلك تبتلا وانقطاعاً من عالم الظاهر مع أخذهم لكشكول التكفف وخلعهم لجلباب التعفف فهم بمنزلة شعر الابط لا ينشأ عن تكاثفه سوى عناء الحك واستجلاب بعض العفونات ان لم يتعهد بالتطهير ويستحب ازالتهم وتنقية الهيئة الاجتماعيه من درنهم فان بلغ عن أمرهم ان يتخذوا ذلك أمراً يدعى اليه وذهبوا في الناس يحولون وجوههم عن الاعمال ويقلدون أعناقهم المكر والحيلة ويسربلونهم بسرابيل التمويه والتزوير ويغرونهم بتأبط الشر واقتناء

الطمع يودعون نفوسهم أخلاق الشيطان من حب الرئاسة الكاذبة وطلب الدنيء من الدنيا من كل وجه والحقد والحسد والعداوات وجب إلحاقهم بالاباحيين وتحتم على كل ذي شعور من بني النوع ان يسعى لقطع دابرهم واستئصال شأفتهم كيلا يفسدوا أفكار العامة وأعمالهم ويعود ويل ذلك كله على العامة والخاصة معاً . وبالجملة حيث تبين ان لاقوام للانسان الا بالصنعة فمن أخل بوظائفها فقد عمد الى هدم بنيان الانسانية فعليها ان تطرده من أبوابها وتمحوا اسمه من كتابها

ثم ان الصنعة على التعريف المتقدم تنقسم الى أقسام أما ضرورية أو غير ضرورية وإما ان تكون كثيرة النفع أو قليلته أو متممة لفعل الطبيعه أو مزينة له فالقسم الاول كالحدادة لأنها مما يحتاج اليه جميع الصناعات العملية والثاني كقصر الثياب مثلا والثالث هو ما تكون الغاية منه نفع الانسان لا غير كالحكومة التي هي مقننة القوانين وموضحة السبل وواضعة جميع النظامات ومعينة جميع الحدود وشارحة حدود الفضائل والرذائل وبالجملة فهي قوام الكمالات العقلية والخلقية ومن هذا القسم الحكومة العادلة والرابع (أي الذي خير بالواسطه) كالزراعة والكتابة فان لها غايات سوى نفس الانسان لكنها تؤول اليه والخامس (وهو الكثير النفع) كالنجارة والتجارة مثلا والسادس كصناعة الصيد وما شاكلها والسابع كعلم الطب المتمم لافعال القوى الحيوانية المساعد لها على اتمام وظائفها والثامن كالصباغة والنقش والتلوين وغير ذلك

ثم ان شرف كل صناعة وكل فن بعموم موضوعه وشمول غايته وان أعم الاقسام موضوعاً هو صناعة الحكمة لما بينا من أنها الباحثة عن كل ما يلزم الانسان اتخاذه في أعماله وافكاره واخلاقه فهي اشرف الصناعات

فهرست كتاب الارشاد

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

(قسم العادات)

صحيفه

باب تدبير الجسم

باب تدبير العائلة

صحيفه

تمت الفهرست

— تنبيه —

قد وقع بعض الاغلاط في هذا الكتاب من الناسخ والطابع اضطرتنا ان نضع في آخره جدولا يبين الخطأ والصواب فليراجعه من شاء وليصحح عليه نسخته حتى لا يضل به الفهم عند قراءته

تم الكتاب بعون الملك الوهاب

بيان الخطأ والصواب في كتاب التعليم والارشاد

(خطأ)	(صواب)	(صحيفة)	(سطر)
وتابعية	وتابعيه	٢	٢
وافضاؤه	وافضاءه	٤	١٧
عينه	عين	٥	١٣
انتهى	انتهت.	٥	١٩
مهم	يهم	٦	١
دلا	ولا	٦	٥
يتيسرا	يتيسر	٦	١٠
قلم	قلما	٧	١٩
ومحرج	ويخرج	١٠	١٨
والجبرؤوت	والجبروت	١٢	٨
والايداع	والابداع	١٢	٩
انه	وانه	١٣	٩
واكملها واعدلها واتمها	واكمله واعدله واتمه	١٤	٣
وبقاؤهم	وبقاءهم	١٥	١٤
بالجرؤوت	بالجبروت	١٦	١٢
جزء اختياري	جزءاً اختيارياً	١٧	٣
تركها	تاركها	٢٧	١١
مابينه	ما بينها	٢٩	١٣
شيطان	شيطاناً	٣١	٧

خطأ	صواب	صحيفه	سطر
تهوش لا تهوش	تشوش لا تشوش	٣٣	١
آصع	صاع	٣٥	١٣
المطوعين	المتطوعين	٤٨	١٠
بيبتها	تيتها	٤٩	٨
المنزر	المئزر	٥٠	١٨
مواهبه	مواهبهم	٥٤	١٧
رزيلة	رذيلة	٥٤	٣
زاجر	زاجراً	٥٨	٥
لدنيا	الدنيا	٥٧	٦
وليس	ولبس	٦٠	١٣
الجماد	الجمار	٦١	١٩
وركعتان	وركعتا	٦١	٢٠
تغير	لتغير	٦٢	١١
فيصبح	فيصح	٦٣	١٠
هو التوجه	هو توجه المرء	٦٤	٣
المنصوفة	المتصوفة	٦٤	٦
الرمن	الزمن	٦٤	٧
وحركات وسكنات	والحركات والسكنات	٦٤	٩
مشايخها	مشائخنا	٦٤	١٧
أشعر	أشرف	٦٥	١

خطأ	صواب	صحيفة	سطر
والملحن	والصوت الملحن	٦٥	١
رياء	رئاء	٥	٢٠
السوات	السموات	٦٩	٢
شركوكم	شاركوكم	٧١	١٠
بسيفهما	بسيفيهما	٧١	١٧
بسيئته	بسيئة	٧٢	٤
رلا	ولا	٧٢	١٦
من حيث	وأما من حيث	٧٤	٤
ليدبروا	ليتدبروا	٨٠	٤
كهذ	كتلاوة	٨١	١٥
احول	أحوال	٨٣	١٦
الترمذ	الترمذي	٨٤	٤
لى	الى	٨٧	١١
واياكم	اياكم	٨٨	١٣
يستشعب	يتشعب	٩	٥
افي	في	٩١	١٩
أوتو	أوتوا	٩٢	٩
بالنسو	بالنشوء	٩٦	٥
ذا	اذا	٩٨	٩
خسم	خيشم	١ ٢	٥

(خطأ)	صواب	صحيفة	سطر
سفسافها	سفاسفها	١٠٤	١٥
مفسد أو مصلح	مصلح أو مفسد	١٠٥	١٦
السائبة	السائمة	١٠٧	١٩
خاصة	خصاصة	١١٠	٢
انزل	انزال	١١١	٣
الغدى	الغنى	١١١	١٣
فقان	فقال	١١٦	١٦
باواقد	ياواقد	١١٦	١٦
تهوب	تهورت	١١٧	٧
ان ذاق	ماذاق	١١٧	١٤
المان	المال	١١٨	٩
مأوى	ماوي	١١٨	١٢
وصوته	وصوبه	١٢٠	٢٠
يدا	بدأ	١٢٤	١٥
آسوه	اسوؤه	١٢٥	٦
.لو	ولو	١٢٥	٩
أنية	أنبه	١٢٦	١
ما ابتداتك	ما ابتدأتك	١٦٦	٢٠
لسؤلها	لسؤالها	١٣٠	١١
الدتيا	الدنيا	١٣٢	٨

(خطأ)	(صواب)	صحيفة	سطر
يدعو	يدعو له	١٣٥	٣
لا أستحى	لأستحى	١٤٠	٩
الا أكله	الأكلة	١٤١	١٤
قطعتك	قطعك	١٤٣	٢٠
أيو	أبو	١٤٥	٦
تمانية	ثمانية	١٤٦	٧
أبناء	يا أبناء	١٤٨	٦
لبث	لبس	١٤٨	١٠
والرجوع	الرجو	١٤٨	١٥
وصاحب	فهو صاحب	١٤٨	١٩
عن	من	١٤٩	٢
ومجانية	ومجانبة	١٤٩	٨
طرف	طرفاً	١٥٢	٤
حوراً	خوراً	١٥٣	١١
سعاوة	سعادة	١٥٥	١١
والقذح	والقذع	١٥٥	١٦
والآخر	والاخرى	١٥٦	١٦
أمة	كأمة	١٥٦	١٨
ووجد	والتباغض	١٥٦	١٨
خلواً	خلّوا	١٥٩	١٩

خطأ	صواب	صحيفة	سطر
رلكل	ولكن	١٦٠	١٣
بحمسة	بخمسة	١٦٠	٢٠
تواصعت	تواضعت	١٦١	٣
فيقرل	فيقول	١٦٥	٩
لخلق	الخلق	١٦٥	١٥
والصدفة	والصدقة	١٦٨	١١
فانظلقنا	فانطلقنا	١٦٩	١٩
معاً في	معافي	١٧١	١٦
وفال	وقال	١٧٤	١٦
يستطيع	يستطيع نصره	١٧٧	٥
قوقهما	فوقهما	١٨٠	١٠
بشعله	بشغله	١٨٣	١٢
ستودعت	استودعت	١٨٧	٥
الحال	الحلال	١٠٧	٧
تجاسة	نجاسة	١٩٠	٣
التمن	الثمن	١٩١	٦
فق ان	فقلن	١٩١	١١
صلى	صلى الله	١٩١	١٣
يشكوا	يشكو	١٩٢	٨
اتقو	اتقوا	١٩٢	١٩

خطأ	صواب	صحيفة	سطر
ايلا	ابلا	١٩٤	٢١
الحلق	الخلق	١٩٤	٢
نطرت	نظرت	١٩٥	٣
لربك	ربك	١٩٥	١٢
حدأ	حدثا	١٩١	١١
وجاربته	وجاريته	١٩٨	١٤
وافشاءه	وافشاء	٢٠٢	٢
البحاري وفسلم	البخاري ومسلم	٢٠٤	١٨
ما	أما	٢٠٥	٨
فال	قال	٢٠٦	٥
الحنة	الجنة	٢١٠	١٨
صدفة	صدقة	٢١٠	٢٠
يكرمة	يكرمه	٢١٢	٥
فية	فيه	٢١٢	٦
واستخلفة	واستخلفه	٢١٢	٦
على المسلمين	للمسلمين	٢١٢	١٠
عنة	عنه	٢١٢	١١
للامين	للمسلمين	٢١٢	١٦
وسلم	ومسلم	٢١٢	١١
نزل	نزل به	٢١٤	١٣

خطأ	صواب	صحيفه	سطر
فاذهت	فاذهب	٢١٤	١٦
وفال	وقال	٢١٥	٨
ملجأ	ملجأ	٢١٦	٥
فمن	ومن	٢١٦	٦
فال	قال	٢١٦	١٢
أو	ولو	٢١٧	١١
الكفارة	والكفارة	٢١٧	١٣
حديت	حديث	٢١٧	٢٠
للرياه	للرياء	٢١٨	٢
الركون	والركون	٢١٨	٩
وتعظيماً	وتعظيم	٢١٨	١٠
ونفسير	وتفسير	٢١٨	٢١
واضاعه	واضاعة	٢١٩	١٤
بجذائه	بحذائه	٢٢١	٩
وقظع	وقطع	٢٢١	١٢
وتقنبل	وتقبيل	٢٢٢	٥
فناجبين	فناجين	٢٢٣	١١
اريعين	أربعين	٢٢٤	١٨
الابلاء	الائلاء	٢٢٥	٦
الحص	الحصي	٢٢٥	٢١

خطأ	صواب	صحيفة	سطر
كافر	كافراً	٢٢٦	٣
وسببب	وسبب	٢٣٤	١
أوني	اني	٢٣٦	٣
بمنعه	بمنه	٢٣٧	١٥
أببه	أبيه	٢٣٨	٥
فلراشقه	فلرشاقة	٢٣٨	١٧
غيرك	عيرك	٢٤١	٢
المراح	المزاح	٢٤٥	١٩
انيساط	انبساط	٢٤٥	١٩
قيلا	قليلا	٢٤٦	١٢
فد	قد	٢٤٦	١٧
يارسو	يارسول	٢٤٧	٦
يدر	بدر	٢٤٩	١
الغيبه	الغيبة	٢٥٤	١٠
المسلمين	المسلمون	٢٥٤	٢١
ويقيح	ويقبح	٢٥٩	٢٠
ادعى	دعى	٢٦٤	٥
ينفسه	بنفسه	٢٧٠	١
الذار	الدار	٢٧١	١
الشخ	الشح	٢٧١	١٤

خطأ	صواب	صحيفة	سطر
أعوز	أعوذ	٢٧٢	٢
يفتروا	يقتروا	٢٧٣	١٦
ومانت	وماتت	٢٨٠	١
لايثبت	لاينبت	٢٧٢	١٣
أو	أول	٢٨٨	١٧
يمسه	لايمسه	٢٨٨	٢٠
فائدته	مائدته	٢٨٨	٢١
يتعدى	يتغدى	٢٩٢	١٦
كس	كسر	٢٩٢	١٩
سواه	ساواه	٢٩٣	١١
قولنا	قول ابن عبدربه	٢٩٧	١٨
بفتى لى	لى بفتى	٣٠٠	١٥
على	على لاشيء	٣٠٦	٤
زباد	زياد	٣٠٦	١٣
المواريت	المواريث	٣٠٧	١٨
الحبيث	الخبيث	٣١٨	٢
كيون	يكون	٣١٠	٣
المعتى	المعنى	٣١٥	٣
قوفه	فوقه	٣٢٧	٧
بالمثجب	بالمعجب	٣٢٨	١٧

خطأ	صواب	صحيفة	سطر
طنه	ظنه	٣٢٨	٢١
الثووى	الثورى	٣٣٠	١
نقيبن	نقيين	٣٣١	١٤
تاقب	تاقت	٣٣١	١٨
لميس	ليس	٣٣٢	١١
الغداء	الفداء	٣٣٤	١٠
مشفقه	مشققة	٣٣٩	١٩
لاأخر	لاأبايه	٣٤١	١٨
والذلة	الذله	٣٤١	١٩
رفعه	رفعة	٣٤٣	٥
أحبره	أخبره	٣٤٣	٩
يتبخر	يتبختر	٣٤٤	١٠
التكبر	لتكبر	٣٥٠	٣
لاحظة	ملاحظة	٣٥٠	٢٠
مكره	مكر	٣٥٤	١٨
فليشتعل	فليشتعل	٣٥٦	١٢
قال الله صلى عليه وسلم	قال صلى الله عليه وسلم	٣٦٢	١
والله	وان	٣٦٢	١٠
لبثوا	لبسوا	٣٦٥	٦
ردهم القراء	ازدراهم الفقراء	٣٦٥	٧

خطأ	صواب	صحيفه	سطر
رباؤه	رياؤه	٣٦٧	٤
وتحربك	وتحريك	٣٦٧	٦
لأن	لأنه	٣٦٩	٥
العزو	الغزو	٣٦٩	٢١
العضب	الغضب	٣٨٧	٢١
سواء	سوءا	٣٨٩	١٧
خصمة	خصمه	٤٠٢	٥
يذجر	يزجر	٤٠٤	٥
واشدد	وأشد	٤٠٤	١٩
في العبد	بالعبد	٤٠٥	٧
ألبي	النبي	٤٠٨	٥
المتقول	المقتول	٤١٠	١
أمـه	أمة	٤١٠	١٥
جلبة	جلية	٤١٣	١٥
وخص	رخص	٤١٧	١٩
الله	والله	٤١٧	٢٠
ما تقوا	ما اتقوا	٤١٩	١١
القفيه	الفقيه	٤٢١	٦
وضي	رضي	٤٢٩	٢
لا يلبس من	لا يلبس من الثياب الرثة	٤٢٩	٥

خطأ	صواب	صحيفة	سطر
للذات	اللذات	٤٣٠	٢١
ن	ان	٤٣٢	٤
أمن	من	٤٣٤	١٣
خالفه	خالف	٤٣٦	١٢
فوفت	فوقت	٤٣٦	١٣
المؤفة	الغليظة	٤٣٦	١٩
والنمشية	والتمشية	٤٣٧	٨
لها	لهى	٤٣٧	٢١
وضرابه	وشرابه	٤٣٨	١
والفيراط	والقيراط	٤٣٩	٤
العا امه	العامة	٤٣٩	١٦
وعو	وهو	٤٤٠	٢١
وبتنظيف	بتنظيف	٤٤١	١٨
ببت	بيت	٤٤١	٢١
الانصاوى	الانصارى	٤٤٢	١
احقروا	احفوا	٤٤٢	١٥
أقاتا	أوقاتا	٤٤٤	٦
عاملان	عاملين	٤٤٤	٩
ملأ	ملء	٤٤٤	١٥
من	اذا	٤٤٥	٧

خطأ	صواب	صحيفة	سطر
ونها	ومنها	٤٤٥	٧
يجب	يجيب	٤٤٥	١١
كبابه	كتابة	٤٤٥	١١
نرك	ترك	٤٤٥	١٢
هبريره	هبيرة	٤٤٥	٢١
أضراسك الحمص	اضراسك وقال اعرابي اني كنت اشتهي ثريدة دكناء من الفلافل رقطاء من الحمص	٤٤٦	١٨
بضرب	يضرب	٤٤٦	١٩
زيد	ربد	٤٤٦	١٩
حدت	حدث	٤٤٧	١٠
الفخد	الفخذ	٤٤٧	١٣
على حنطة	حنطه	٤٤٨	١٥
جبينه	جنبيه	٤٤٩	١٣
أبيضا	بيضا	٤٤٩	١٣
مملوءا	مملوء	٤٤٨	١٩
كمعن	كمدمن	٤٥٠	١٩
وفال	وقال	٤٥١	١٩
سيب	سبب	٤٥٢	٩
الآحرين	خبه رين	٤٥٢	١٤
يغسلة	يغسله	٤٥٢	٢٠

خطأ	صواب	صحيفة	سطر
رصي	رضي	٤٥٣	٧
يمنه	يمينه	٤٥٣	٨
قائما	قائم	٤٥٣	١٤
الاسرار	الاسراف	٤٥٤	٧
بذح	بذخ	٤٥٤	٨
سنتين	سنتان	٤٥٤	٩
بلدك	في بلدك	٤٥٤	٩
متوقفان	متوقفين	٤٥٤	١٠
فالاول الوجوع	فالاولى الرجوع	٤٥٥	٥
كرهون الطفل	كرهوا للطفل أن	٤٥٥	١٣
فاستنشره	فاستنشده	٤٥٨	٦
المدانب	المذانب	٤٥٨	١٢
المثور	المنثور	٣٥٨	١٤
الانصاو	الانصار	٤٥٨	١٦
زيذ	زيد	٤٥٩	١٠
لله	الله	٤٦١	٣
العون	نعم العون	٤٦١	٥
لرجل	الرجل	٤٦١	٦
فنحريه	منخريه	٤٦١	٨
المحضنة من جارته	المحصنة من جاراته	٤٦٢	٣

خطأ	صواب	صحيفة	سطر
لاصمعى	الاصمعى	٤٦٢	١٨
يمكة	بمكة	٤٦٣	١٣
وايقطث	وايقطت	٤٦٤	٤
ابا	ابو	٤٦٥	١٤
اوقعك	أوقفك	٤٦٧	٣
ابو	أبي	٤٦٩	٥
عمرات	غمرات	٤٦٩	٢١
فالمهنا	فالهناء	٤٧٠	٧
ودحل	ودخل	٤٧٢	١٧
ريجها	ريحها	٤٧٤	١٩
سنه	سنة	٤٧٥	٦
فسنه	فسنة	٤٧٥	٧
لزم المسلمين	للزم المسلمين	٤٧٥	١٠
خلوف	خلف	٤٧٥	١٨
خطرهها	خطرها	٤٧٦	١٤
ويستصق	ويستقصى	٤٧٨	١٦
يحكم	بحكم	٤٧٨	١٨
لايفنى	لايغنى	٤٨٢	١٤
بآئكم	بأبائكم	٤٨٣	٤
المتهم	المبهم	٤٨٣	١٣

خطأ	صواب	صحيفة	سطر
من نذرا	من نذر نذراً	٤٨٣	١٨
وفية	وفيه	٤٨٣	٨١
بنقد	بفقد	٤٨٤	٢٠
يمت	يموت	٤٨٤	٢٠
فانه فيها ديدان	فان فيها ديدانا	٤٨٦	٨
العملان	العاملان	٤٨٦	١٩
مقذر	مغذي	٤٨٧	٣
الان	الانسان	٤٨٧	١
منها	منهما	٤٨٧	١٠
أو جناية	أو غيرها جناية	٤٨٨	٣
دراية تطهيرها	وأراد تطهيرها	٤٨٩	١٠
في	من	٤٨٩	١
وبفتائه	وبفنائه	٥٠٢	١٩
ينغصا	يبغضها	٥٠٣	٣
ثمنعوا	تمنعوا	٥٠٣	١٨
رقبته	رقبة	٥٠٤	١٥
الطلان	الطلاق	٥١١	١٠
حرام	حراما	٥١١	١٢
تم الكتاب	يحذف الى مصطفي	٥١٨	١٠
متناشرين	متناشزين	٨١٩	٨

خطأ	صواب	صحيفة	سطر
تضظر	تضطر	٥٢٠	١٤
فرصيتي	فرضيني	٥٢٩	١
تصطحب	نصطحب	٥٢٩	٢
بطيب	يطيب	٥٢٩	١٠
الصيح	الصبح	٥٣٠	٨
عبة	عتبة	٥٣٠	١٤
بنت	ابن	٥٣١	١
غلام	علام	٥٣٤	٥
واحد	واحداً	٥٣٤	١٧
أبد	أبر	٥٣٥	١٤
اللهرسول	رسول الله	٥٣٥	١٦
وخادمك سبما	يحذف	٥٣٥	١٩
عليم ثقلا	عليهم حملا	٥٣٧	٥
بجيع	بجميع	٥٣٩	٣
وينقها	وينقيها	٥٤٠	١
يغرحون	يفرحون	٥٤٠	٥
مخيتهم	مخيلتهم	٥٤٠	١٠
للبداءة وتهيئه	البذاءة وتهينه	٥٤١	١٩
مرتبطان	مرتبطتان	٥٤٣	٢١
فانه	فان الحياء	٥٤٤	٤

خطأ	صواب	صحيفة	سطر
الاداره	الارادة	٥٤٤	٩
معرفته	معرفة	٥٤٥	٩
ينصرنه	ينصرانه	٥٥٠	٩
بعرف	يعرف	٥٥١	٤
انفقار	بحتا	٥٥٦	٢٠
وتمحة	ونمنحه	٥٥٧	١
خالفاً	خالف	٥٥٧	١١
وابي	واني	٥٥٧	١٤
اولوك	اذا ولوك	٥٥٨	١٦
تنفست فيه أبرويز	أبرويز	٥٥٩	٩
فدعالى	فدعاني	٥٦٠	٢٠
عبداً	عبداً فاجعله سيداً	٥٦٣	٢
بطب	يطاب	٥٦٤	١٠
ظهر	ظاهر	٥٦٦	٢
هما	لهم	٥٦٧	١٧
يتنير	يتغير	٥٦٨	٢
العضب	الغضب	٥٦٨	٤
المهلكة	الهلكة	٥٧٣	١٣
أتمها	أتممتها	٥٧٤	٧
مكاك	ملكاك	٥٧٥	١

خطأ	صواب	صحيفة	سطر
أيامير	ياأمير	٥٧٥	٦
يول	يطول	٥٧٥	٧
بعجرة	بعجزة	٥٧٦	١٢
وأدم	وأدهم	٥٨٣	٢
يسجنان	بسجستان	٥٨٤	١٥
تقعلون	تفعلون	٥٨٦	٧
رجلا	رجل	٥٨٦	١٢
الحطبة	الخطبة	٥٨٦	١٥
غن	عن	٥٨٧	٦
التفف	التفت	٥٨٧	٩
تيابه	ثيابه	٥٨٧	١٢
قربش	قريش	٥٨٨	٢
لا	تعدل	٥٨٨	٦
تعد وقام	وقام	٥٨٨	٨
خاية	خليفة	٥٩٠	١٩
فاحفكم	فاحكم	٥٩٠	٢٠
تختصمرن	تختصمون	٥٩٢	٢٠
مقعد	مقعده	٥٩٣	١٠
ولا تقمن	ولا تنقمن	٥٩٣	١١
نفعل	يفعل	٥٩٣	١٢

خطأ	صواب	صحيفة	سطر
نابت	ثابت	٥٩٣	١٤
المسافز	المسافر	٥٩٣	١٦
نظلم	يظلم	٥٩٤	١٢
مستعمدا محزاؤه	متعمدا فجزاؤه	٥٩٤	١٩
تحعل	تجعل	٥٩٥	١
يربتهم	تربيتهم	٥٩٥	٦
ختى	حتى	٥٩٥	٩
والتيمورية	التيمورية	٥٩٧	١١
والنجارة	والتجارة	٥٩٨	٩
لا	الا	٥٩٨	١٦
يسترن	يسترون	٥٩٨	١٨
لا	الا	٥٩٨	١٩
وبدان	وابدان	٥٩٨	٢١
وندم	وتذوم	٥٩٨	٢١
واستحال	وطلب	٥٩٩	١٠
والافنصاد	ولاقتصاد	٥٩٩	١١
والمواعة	والموادعة	٥٩٩	١٢
واللاحة والقشبب	والملاحة والتشبب	٥٩٩	١٦
والمكاتت	المكاتب	٥٩٩	١٨
واحتراز	والاحتراز	٥٩٩	٢٠

خطأ	صواب	صحيفة	سطر
قاصل	فاصل	٦٠٠	١١
الحروف	الحروف	٦٠٠	١٠
تثنيتا	تثبيتا	٦٠٠	٢٨
تسيهل	تسهيل	٦٠١	١٠
لامنية	الأمنية	٦٠٢	٢٠
الا كنفاء	الاكتفاء	٦٠٢	١٠
جراثم	جراثيم	٦٠٣	١٤
والمضاعة	والصناعة	٦٠٣	٢٨
المالتاجر	التاجر	٦٠٣	١
دفاتر	دفاتره	٦٠٤	١١
تمجيد	تمجيد المتملقين	٦٠٤	١٣
وتبحيل	وتبجيل	٦٠٤	٢٣
كالعجائز على	كالعجائز	٦٠٤	١
فلدة	فلذة	٧٠٧	٥
لاتهتدي	لاتهدى	٦١٠	٧
هـذه	هذا	٦١١	١٩
عربب	غريب	٦١٢	٣
الى	الى ربكم	٦١٦	١٨
عرة	غرة	٦١٧	٢٠
الاضطهاد	اضطهاد	٦١٧	٢٠

خطأ	صواب	صحيفة	سطر
اليهودى	اليهود	٦١٧	٢١
ناريخ	تاريخ	٦١٨	١٠
القونساوية	الفرنساوية	٦١٨	١٦
دعائما	دعائمها	٦٢١	١٣
عمياه	عمياء	٦٢٢	١٦
بالفحفخة	بالفخفخة	٦٢٤	٣
قلوبهلم	قلوبهم	٦٣٠	٨
علماؤهم	علمائهم	٦٣١	١٤
أعزمت	عزمت	٦٣٨	١٠
تنازع	في تنازع	٦٣٨	١٥
نوعين	نوعان	٦٣٨	١٨
وتميزد	وتميزه	٦٣٨	١٩
ويقطنون	ويقنطون	٦٤٥	١
الاجنهاد	الاجتهاد	٦٤٥	٧
ستحاقه	استحقاقه	٦٤٥	٨
الثباب	الثبات	٦٤٥	٢٠
يبذلون	يبذلون	٦٤٦	٤
حلته من سلسلة تربيتك	حلقة من سلسلة تربيتك	٦٤٨	١٢
فابتدئ	فابتدأ	٦٤٨	١٩
حملة	جملة	٦٤٩	٨

خطأ	صواب	صحيفة	سطر
العنابة	العناية	٦٤٩	١٠
اتقانهم	اتقائهم	٦٤٩	١٣
عنايهم	عنايتهم	٦٤٩	١٥
تفسه	نفسه	٦٥٢	٥
فاحتكرته	فاحتكره	٦٥٣	٨
رتصدقه	وتصدق	٦٥٣	١٢
أته	أنه	٦٦٣	١٦
والحرم	والحرام	٦٥٣	١٩
وكذبا	وكذب	٦٥٦	١
لوائله	لوائلة	٦٥٧	١٩
آبينه	وبينه	٦٨٧	٢١
فشأ	فشيئا	٦٦١	٢١
أحوله	أحواله	٦٦٢	٣
وضع	واضع	٦٦٤	٣
والمعاتبه	والمعاتبه	٦٦٦	٣
وأولئك	أولئك	٦٦٦	٧

تم الخطأ والصواب

